فهرسة

(كتاب قصص الأنبياء للعلامة أبى اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى رضى الله عنه ونفعنا به آمين)

صحيفة

صحيفة

تمت الفهرست



١٦٣

كتاب

قصص الانبياء (المسمى) بالعرائس

تأليف

الامام العالم العلامة

أبي اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

﴿ وبهامشه مختصر روض الرياحين ... ﴾
نفع الله تعالى به ومتعه في ...

طبع بمطبعة

مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر

ذي القعدة ١٣٤٠



الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله (قال) الاستاذ أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة فى القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان

(باب فى ذكر بعض وجوه الحكمة فى تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الماضين من الانبياء والأمم الخالية لخمسة أمور أى حكم (الحكمة الاولى) منها أنه اظهار لنبوّته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولا يفارق وطنه بمدة يمكنه فيه الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شئ من العلوم الى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام واقنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار ما مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحى الله اليه واخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوّته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبى عليه السلام قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض (والحكمة الثانية) انه انما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم ولتنتهى أمته عن أمور عوقبت أمم الأنبياء بمخالفتها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتمم الله له بذلك معالى الاخلاق فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الانبياء أثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة رضى الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) أنه انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر الى أخبار الأمم قبله علم أنه عوفى هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخفف

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله العظيم المنان * الرحيم الرحمن * الذى خلق الانسان * وزينه بنطق اللسان * وفضل من شاء من عباده وهداه الى طريق الايمان وشرف هذه الامة بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن وجعل منهم الاولياء والاصفياء والشهداء والصالحين أهل العرفان وأولى الفضل والايمان شرح لهم صدورهم وغفر لهم ذنوبهم وهداهم الى صراط مستقيم صراط الله العزيز المنان * أنعم عليهم بانعامه وجاد عليهم باكرامه وسقاهم من كؤس محبته فانتعشت من شراب قربه القلوب والابدان * ووعدهم بالنظر الى وجهه الكريم فتوجهم بتاج الوقار وألبسهم من حلل رضائه ألوان فسبحان من فضله عميم وجوده عظيم ولطفه قديم وهو الباقى وكل من عليها فان (أحمده) على طول الأزمان وأتوب اليه وأستغفره استغفارا يوجب الغفران وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الرحيم الرحمن * واشهد أن

عنهم فى الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التى كانت على الأمم الماضية كما قال بعض المتأولين فى تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما قص الله تعالى هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الانبياء والامم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماه فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بعثت بالحنيفية السمحة (والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتهذيبا لامته وذلك أنه ذكر الانبياء وثوابهم والاعداء وعقابهم ثم ذكر فى غير موضع تحذيره اياهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وقال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحوها من الآيات وكان الشبلى رحمه الله تعالى يقول فى هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين احياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم فى ابقاء ذكره مثبتا له تعجيل جزاء فى الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام فى ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والناس أحاديث يقال ما مات ميت والذكر يحييه وقيل ما أنفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور الا لبقاء الذكر * وأنشدنا ناصر بن محمد المروزى قال أنشدنى الدريدى

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

(مجلس فى صفة خلق الارض) قال الله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية ونظائرها كثيرة فى القرآن (واعلم) أن الكلام فى نعت خلق الارض على سبعة أبواب

(الباب الاول فى بدء خلق الارض وكيفيتها)

روت الرواة بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد وعمد الى خلق السماء وهى بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ما ظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعنى أصلها وهى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه فى المشرق والاخرى فى المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض وهى كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار

سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خير الخلائق من انس وجان * اللهم فصل وسلم على هذا النبى الكريم والرسول العظيم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على طول الزمان * (أما بعد) فهذه فوائد جليلة عظيمة نقلت عن كتاب روض الرياحين فى مناقب بعض الصالحين أعاد الله علينا من بركاتهم فى الدارين فبذكرهم تنزل الرحمات * وتحل البركات * وقد أوردت فيها من أخبار السادات ومناقب القادات ومحاسن أهل السعادات * بروايات صحيحات * ليزول عن مطالعها الهموم والفكر ويطرب سامعها لمحاسن تلك السير فسماعها ينعش الابدان ومطالعتها تزيل الأحزان * وهذا أوان الشروع فى ذلك ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بأوليائه وأن يحشرنا فى زمرة أهل ولائه (فمنها ما حكى عن سيدى ذى النون المصرى رضى الله عنه) قال ركبت البحر مرة وركب معى شاب صبيح الوجه فلما توسطنا البحر فقد صاحب المركب كيسا فيه مال

فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله الآية * روى أن لقمان لما قال له هذه المكاية انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لا تخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه * فان رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدري ما على ظهرك يالوتيا من الأمم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتها وألقيتهم عن ظهرك أجمع لكان ذلك أريح لك قال فهم لوتيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت في منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذي أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم يعني لكيلا تتحرك بكم * قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض عجت وقالت يارب تجعل على بني آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فأرساها الله تعالى بالجبال فأقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فأحاط بها كلها وهو الذي أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من أنت قال أنا قاف قال فأخبرني ما هذه الجبال التي حولك فقال هي عروقي فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرني فحركت عرقا من عروقي فتزلزل الارض المتصلة به فقال ياقاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتنقضي دونه الاوهام قال فأخبرني بأدنى ما يوصف منها قال ان ورائي أرضا مسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها ولولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدني فقال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم في الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعني لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد

فتفتش كل من كان في المركب فلما وصل الى الشاب ليفتشه وثب من المركب حتى جلس في البحر فقام له الموج على مثال السرير ونحن ننظر اليه من المركب ثم قال يامولاي ان هؤلاء اتهموني واني أقسم عليك ياحبيب قلبي أن تأمر كل دابة من هذا البحر أن تخرج رأسها وفي فم كل واحدة منهن جوهرة قال ذو النون فما أتم الشاب كلامه حتى رأينا دواب البحر قد أخرجت رؤسها وفي فم كل واحدة منهن جوهرة تتلألأ وتلمع كالبرق ثم وثب الشاب ثانيا من البحر في الموج وصار يمشي ولم تبتل قدماه وهو يقول اياك نعبد واياك نستعين حتى غاب عن بصري قال ذو النون فحملني ذلك على السياحة وتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال في أمتي ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد أبدل الله مكانه واحدا (وحكى عن سيدي ابراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه) أنه قال طالبتني نفسي في وقت من الاوقات بالخروج الى بلاد الروم

من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

(الباب الثانى فى حدود الارض ومسافتها وأطباقها وسكانها)

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل أرض الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام وهى سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بنى آدم وأفواههم مثل أفواه الكلاب وأيديهم كايدى الانس وأرجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المعز وأشعارهم كأصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التى أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فيها لاودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الرواسى لانماعت قال وهب بن منبه هى مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهى التى قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة ٭ أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزنى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس المقرى قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص القشيرى قال حدثنا على بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما أنا أردت الحج اذ دفعت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابى ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول فى بكائه الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولكنى عصيتك اذ عصيتك بجهلى وخالفتك اذ خالفتك لشقوتى فالآن من عذابك من ينقذنى وبحبل من أتصل اذا انقطع حبلك عنى واذنوباه واغوثاه يالله قال منصور فأبكانى والله فوضعت فمى على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت حجرا على الباب لاعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا بأكفان أصلحت وعجوز تدخل الدار باكية وتخرج باكية فقلت لها ياهذه ما هذا الميت لك فقالت اليك عنى يا عبد الله لا تجدد على أحزانى فقلت انى أريد بهذا الوجه الله الكريم لعلك تستود عنى دعوة فانى منصور بن عمار واعظ أهل العراق قالت يا منصور هذا ولدى قلت فما كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب ما يكتسب فيجعله أثلاثا ثلثا لى وثلثا للمساكين وثلثا يفطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا كان آخر ليلة أخذ فى بكائه وتضرعه فمر رجل فى هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبى يضطرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى (وقال) منصور بن عمار دخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلى صلاة الخائفين فقلت لنفسى ان لهذا الفتى لشأنا عظيما لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد على فقلت له ألم تعلم أن فى جهنم واديا يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال زدنى فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بقلم القدرة فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته فى المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل الله بك فقال آتانى ثواب أهل بدر وزادنى فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الملك الجبار ٭ والارض الخامسة فيها عقارب أهل النار كامثال

خوفت نفسى ان تكفينى ذلك فصرت على نفى الخاطر فلم تلتفت الى ذلك فخرجت أخترق ديارهم وأجول أقطارهم والعناية تكفينى والرعاية تحفنى لا ألتقى نصرانيا الاغض بصره عنى وتباعد منى الى أن أتيت مدينة من المدائن فرأيت على بابها رجالا لابسين السلاح وبأيديهم آلات الكفاح فلما رأونى أتوا الى وقالوا أطبيب أنت قلت نعم فقالوا أجب الملك فحملت اليه فلما رآنى قال أنت الطبيب قلت نعم فقال الملك احملوه اليها وعرفوه بالشرط قبل الدخول عليها قال ابراهيم فاخبرونى وقالوا ان للملك ابنة قد أصابها اعتلال شديد وقد أعيا الاطباء علاجها وما من طبيب دخل عليها وعالجها ولم تبرأ الا قتله الملك فانظر الى نفسك قبل الدخول اليها قال ابراهيم فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قلت ان الملك ساقنى اليها فادخلونى عليها فأخذونى ومضوا بى اليها فلما وصلت الى باب القصر اذا هى تنادى من داخل الباب ادنوا بالطبيب فلى وله سر عجيب فبينما أنا

البغال لها أذناب كامثال الرماح لكل ذنب منها ثلثمائة وستون فقارا في كل فقار ثلثمائة وستون فرقا من السم كل فرق منها ثلثمائة وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك السم في وسط الارض لمات جميع أهل الدنيا من نتنه وفسده منه كل شئ وفيها أيضا حيات أهل النار كامثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر ألف ناب كل ناب منها كالنخلة الطويلة في أصل كل ناب ثمانية عشر ألف قلة من السم لو أمر الله حية منها أن تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل في الارض لهدته حتى يعود رميا أنها لتلتقي الكافر فتسمه فتقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دواوين أهل النار وأعمالهم وأرواحهم الخبيثة واسمها سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكنا لابليس وجنوده وفيها عشه في أحد جانبيه سموم وفي الآخر زمهرير وتحتها جنوده من المردة وعتاة الجن ومنها يبث سراياه وجنوده فاعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبني آدم وروى سلمة بن كهيل عن أبي الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم في السماء السابعة فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء يوم القيامة فعمر الارض فكأنك بقارون حيث خسف الله به الارض وبداره ... به كل يوم مقدار قامة ولا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه ... يجر ... فتجلجل ... برديه وينظر في عطفيه وقد أعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض

قال الله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية قال ابو اسحق قال شيخنا حدثني أبو بكر محمد بن أحمد القطان قال شيخك حدثني أحمد بن الحسين بن ... قال شيخك حدثني ابراهيم بن يحيي قال شيخك حدثني صفوان بن سليم قال شيخك حدثني أيوب بن خالد الانصاري قال شيخك حدثني عبد الله بن أبي رافع قال شيخك حدثني أبو هريرة قال شيخك حدثني أبو القاسم محمد ... فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

الباب الرابع في ذكر تسمية الارضين

(قال) وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى أديما والثانية بسيطا والثالثة ... والرابعة ... والخامسة منتاقة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى فأما أسماؤها المذكورة في القرآن ... سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا ومهادا ... والأرض قرارا وسماها رتقا فقال أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا وسماها ... والله جعل لكم الارض بساطا وسماها ... فقال ألم نجعل الارض مهادا وسماها ... والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاتا فقال ألم نجعل الارض كفاتا احياء وأمواتا ... أتى مع الشعبي ... فقال هذه كفات الاموات (ويحكى) أن عبد الله بن ... من أولاد المجوس شاب يتطلب بدعي تحقيق الكلام وأظهر مسئلة تحريق النفس بالنار وكان يزعم ان الحسد كالسبف ... والحيانة فاذا مات فلا حكمة ... وان الواجب احراقه ... فقيل لبعض العقلاء ان الناس قد افتتنوا بهذا الحدث المجوسي ... كتاب العقبة الى ... احمع بيننا وبين هذا المجوسي ... العقبة ... ولم ...

كذلك اذا شيخ كبير قد فتح الباب مسرعا وقال أدخل فدخلت فاذا بيت مبسوط مفروش بأنواع الفرش وستر موضوع ومن خلفه أنين ضعيف يخرج من جسد نحيف قال ابراهيم فقعدت من داخل الباب متفكرا وأردت أن أسلم فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فأمسكت عن السلام فنادت من داخل الستر أين سلام التوحيد والاخلاص يا أبا اسحق ياخواص قال فتعجبت من اجابتها بخبايا الضمائر ثم قالت يا براهيم سألت ربي اعزة البارحة أن يرسل الى وليا من أوليائه يكون على يده الخلاص فنوديت سيحضر عندك ابراهيم الخواص قال ابراهيم فقلت لها مني خطر عليك هذا الامر فقالت منذ أربع سنين وقد لاح لي الحق المبين فهو المحدث والانيس والمقرب والجليس وما رأوا حالي رموني بالعيون ورموني بالجنون فما دخل علي طبيب الا أوحشني ولا زائر الا دهشني قال ابراهيم فقلت لها من ...

منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا اليها فالخم الجوسي وأنشد في معناه لأمية بن أبي الصلت
والارض معاناو كانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد
(وسئل) يحيى بن معاذ الرازي ان ابن آدم يعرى ان الدنيا ليست بدار قرار ثم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهي أمه ومنها نشأ فهي عشه ومنها رزق فهي عيشه واليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين الى الجنة

﴿ الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض ﴾

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بار بعة أشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والأمكنة وزينها بار بعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد الاشتار وزينها أيضا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء بار بعة ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب وأصحاب الشرائع وأولو العزم وزينها أيضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم أيضا بار بعة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم (وروى) يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال يا معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليتمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليتمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليتمسك بالفرقدين فقيل يا رسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان فقال أنا الشمس وعلى القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان في كتاب الله تعالى لا يفترقان حتى يردا على الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بار بعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المرضيون رضي الله عنهم أجمعين (وروى) عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم بأربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بانواع الحيوانات والنباتات والجمادات

﴿ الباب السادس في عاقبتها وما لها وآخر مآلها ﴾

اعلم أن الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقي الحوارى لم يعص الله عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا تصمم مستوية كالصاب المؤمن * والثاني الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يا رسول الله قال القتل فاذا أكلت أمتي الربا كانت الزلزلة واذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يمطروا وفي الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضي الله عنه فأخذ بعضادتي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة ان كم رجفتم وان الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل انتم منتهون أو لغرن عمر من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالى وترى الارض بارزة حتى لفصل القضاء * والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كما يرج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شئ عليها فرقا من ربها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المد حتى

التي أوصلك اليه قالت براهينه الواضحة وآياته اللائحة فاذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول والدليل قال ابراهيم فبينما أنا أكلمها اذا الشيخ الموكل بها قد دخل عليها وقال لها ما فعل طبيبك هذا قالت عرف العلة وأصاب الدواء وظهر على يديه السرور وقابلني بالبرور قال ابراهيم فسار الشيخ لذلك وأخبره بحالها فصرت أتردد عليها مدة سبعة أيام فقالت يا أبا اسحق أريد الهجرة معك الى بلاد الاسلام فقلت وكيف يكون ذلك ومن يتجاسر على الخروج من تلك العساكر والجنود فقالت يا ابراهيم لا تخف ان الذي أدخلك على وساقك الى هو الذي يخرجني معك ولم يشعر بنا أحد فقلت نعم انه على كل شئ قدير فلما كان الغد خرجنا من باب من الابواب فحجبت عنا العيون بارادة من يقول للشئ كن فيكون فوالذي وفقها وهداها ما رأيت أصبر منها على الصيام والقيام وحرمت على عينها لذيذ المنام وجاورت بيت الله الحرام مدة سبعة أعوام

تتخلى وتلق مافى بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت مافيها وتخلت ❁ والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا وقال تعالى فدكتا دكة واحدة ويحكى ان الربيع بن خثيم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ بجلد ذراعيه و يقول يالهاه و يادماه أين أنتما يومئذ

﴿ الباب السابع فى وجوه الارض المذكورة فى القرآن ﴾

وهى سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى فى الرعد والانبياء أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى أرض مكة والوجه الثانى أرض المدينة قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى أرض المدينة وقال تعالى ان أرضى واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشأم وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعنى بلاد الشام وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع أرض مصر قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقوله فلن أبرح الارض أى أرض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال ويستخلفكم فى الارض أى أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى بالأمم فى التصاوير أمثالكم فى التسخير وقال تعالى ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسابع أرض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

﴿ مجلس فى ذكر خلق السموات ومايتصل به ﴾

وترتيب الكلام فى هذا المجلس أيضا على سبعة أبواب لقول وهب بن منبه كادت الاشياء أن تكون سبعا فالسموات سبع والارضون والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب سبعة وهى السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعى بين الصفا والمروة سبعة ورمى الجمار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث فى السجن بضع سنين وابتلاؤه ملك مصر سبع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان وكرامة الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وأمر بالسجود على سبعة أعضاء

﴿ الباب الاول فى بدء خلق السموات ﴾

يروى فى الاخبار المشهورة المأثورة أن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع وعلا منه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد ثم فتقها بعد ان كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

ثم قضت نحبها ولحقت بربها وسار بباب المعلى قبرها رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها فى الدنيا والآخرة آمين (وحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال خرجت من بلدى على عادتى الى سياحتى طالبا مكة من غير ركب ولا قافلة فتهت عن الطريق فبينما أنا متحير اذ أنا براهب نصرانى قد أقبل على واعترضنى فى الطريق ثم قال لى ياراهب المسلمين هل الى مرافقتك سبيل فقلت له لا أمنعك عن مرادك فشينا ثلاثة أيام لم نستطعم فيها بطعام فقال الراهب لابراهيم ياراهب المسلمين ما نحتاج فى أمرنا مخبرا وقد مضنا الجوع فهات ماعندك قال ابراهيم فتوجهت الى الله عز وجل وقلت الهى وسيدى ومولاى لا تفضحنى بين يدى عدوى وعدوك قال فما أتممت دعائى حتى نزلت لنا مائدة عليها خبز ولحم وتمر وماء فأكلنا وشربنا ومضينا ثلاثة أيام أخر لم نأكل فيها شيأ فلما أصبحنا ابتدرت الراهب وقلت له ياراهب النصارى هات ماعندك قال فتوجه الراهب الى الله عز وجل واذا بمائدتين

﴿الباب الثانى فى جواهرها وأجناسها﴾

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

﴿الباب الثالث فى هيئتها وحدودها﴾

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر فى الخالق فقال لهم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانه لا يحيط به الفكرة تفكروا فى أن الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام و بين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

﴿الباب الرابع فى أسمائها وألقابها﴾

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا رفاع والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة طقطاق والسادسة سمساق والسابعة اسحافائل وأما أسماؤها المذكورة فى القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى و بنينا فوقكم سبعا شدادا والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان (وروى) أن الملائكة قالت يارب لو أن السماء والارض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابى فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قالت يارب فأين ذلك المرج قال فى علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى (وقد) ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب فى صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام و بينها و بين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى واسمها برقيعا و بينها و بين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام و بينها و بين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين منا كبهم لما انقاست رافعون أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج و بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يامن ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كلون الشبة وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذوو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة ووجوه شتى

عليهما كما كان على الاولى من الخبز واللحم والتمر والماء قال ابراهيم فلما رأيت ذلك قلت للراهب وعزته وجلاله لا آكل من ذلك مالم تخبرنى فقال الراهب ياابراهيم لما صحبتك حل نظرك على فعرفت أن الذى عليه نفسى محال وقد ضيعت زمنى فى اتباع الضلال فتوسلت الى الله واعتصمت عليه بكرامتك لديه أن لا يفضحنى منك فكان ما رأيت وقد أقول كا تقول وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله قال ابراهيم ففرحت بذلك فرحا شديدا وسرنا حتى دخلنا مكة شرفها الله تعالى فلما قضينا ما كان علينا من فرائض الحج أقمنا بها أياما قلائل فلما كان بعض الايام فقدته فمضيت الى الحرم فوجدته قائما يصلى فلما أحس بى أسرع فى صلاته فلما سلم من الصلاة التفت الى وقال ياابراهيم قد آن لقاء الله تعالى فاحفظ حق مرافقتى لك وصحبتى معك ثم شهق شهقة فمات رحمة الله عليه قال ابراهيم فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم جهزته ودفنته فلما كان الليل

رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى الذى لايموت أبدا صفوف قيام كانهم بنيان مرصوص لوقيست شعرة بين منا كبهما اقاست لايعرف أحدهم لون صاحبه من خشية الله تعالى وخلق الله السماء الرابعة و بينها و بين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التى تليها الى الضعف وفى السماء الرابعة ملائكة لايحصى عددهم الا الله تعالى وهم كل يوم فى زيادة وذلك قوله تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم فى أمر من أموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذى الى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذى لا اله الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها الاحقوق ومنها الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها جند الله الاعظم الا كبر الكروبيون لايحصى عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله فى أموره الى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهى من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعة غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبعمائة الف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق فى سبع سموات وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى فى كل يوم مايشاء واسمها الرقيع وهى من درة بيضاء ومن السماء السابعة الى مكان يقال له مرهوثا مسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وأنوار شتى فى جسده لايشبه بعضهم بعضا رافعون أصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لايطرفون لو أن الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة اليها كما بين سبع سموات وسبع أرضين والعرش فوق ذلك فى عليين لايعلم منتهاه الا الله تعالى

﴿الباب الخامس فى ذكر الايام التى خلق الله الاشياء فيها﴾

روت الرواة أن الله تعالى ابتدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى الخميس وخلق فى يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق فى الساعة الاولى الاوقات والآجال وفى الثانية الارزاق وفى الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها الآية

﴿الباب السادس فى ذكر ما زين الله به السموات﴾

وهى عشرة أشياء * الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا وهاجا * والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا * والكواكب قال الله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وهى على ضربين منها معلق كتعليق القناديل فى المساجد ومنها مركب كتركيب الفص فى الخاتم وهى مع كثرتها مختلفة الصور ماخلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب (وفى بعض الاخبار)

رأيته فى المنام وهو فى أحسن صورة وعليه ثياب من السندس والاستبرق فقلت له ألست صاحبى بالامس قال نعم ففرحت بذلك فرحا شديدا ثم قلت له ما فعل الله بك قال يا ابراهيم أتيته بذنوب كثيرة فمحاها عنى لحسن ظنى به وجعلنى كما صحبتك فى الدنيا جارك فى الآخرة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به (وروى) أن غلاما كان لجعفر الصادق رضى الله عنه صب الماء على يدى سيده يوما من الأيام فسقط الاناء من يده فى الطست فطار الماء على ثوبه فنظر اليه نظرة منكرة فقال الغلام يا مولاى والكاظمين الغيظ قال جعفر كظمت غيظى فقال الغلام والعافين عن الناس قال جعفر عفوت عنك فقال الغلام والله يحب المحسنين قال جعفر اذهب فانت حر لوجه الله تعالى ولك ألف دينار من مالى وهذا من بعض كراماتهم وحسن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم (وحكى عن بعضهم رضى الله عنه ونفعنا به) قال رأيت بعض المذنبين فى النوم بعد موته فقلت

ما يكون من حيوان فى الارض ولادابة تدب دون العرش الا وفى خلق الكواكب مثلها • والعرش قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش (روى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال فى العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى فى البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية كخفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة وان لله ملكا يسمى حزقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر الى العرش فزاده الله تعالى فى الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له فى الاجنحة والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى اليه أيها الملك لو طرت الى أن ينفخ فى الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشى فقال الملك سبحان ربى الاعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم (وقال) كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيأ أعظم منى فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح فى كل جناح سبعون ألف ريشة فى كل ريشة سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف فم فى كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهى ملتوية به • والكرسى قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض (وروى) على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكرسى لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسى أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان (وروى) اسمعيل بن مسلم عن أبى المتوكل الناجى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد أخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا أعود ما كنت أخذت منه الا لاهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أليس قد عاهدتنى أن لا تعود فقال دعنى هذه المرة فانى لا أعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتنى أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعنى علمتك كلمة اذا قلتها لم يقرب بك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فما هى قال الله لا اله الا هو الحى القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه انه كذلك صدق الخبيث • واللوح والقلم قال الله تعالى وكل شئ أحصيناه فى امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال) ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابته

ما فعل الله بك قال وزنت حسناتى وسيآتى فرجحت سيآتى على حسناتى فصرت متحيرا فبينما أنا كذلك اذ وقعت صرة من السماء فسقطت فى كفة الميزان فرجحت الميزان ثم سمعت قائلا يقول وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قال ثم حلت الصرة فاذا فيها كف من تراب كنت ألقيته فى قبر مسلم فغفر الله لى بذلك وأدخلنى الجنة فانظر الى كرم الله تعالى وحسن لطفه بعباده (وحكى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه) أن ملكا بنى دارا وأحسن بناءها وزينها وصنع فيها طعاما ودعا الناس اليها وأجلس على بابها العبيد والغلمان يسألون كل من خرج و يقولون هل رأيتم عيبا فيقولون لا وهم لا يمنعون أحدا من الدخول حتى جاء أناس فى آخر الناس عليهم مرقعات فلما دخلوا وأكلوا من تلك الوليمة تلقتهم العبيد والغلمان ثم سألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا نعم رأينا عيبين اثنين قال فحبسوهم ورجعوا للملك فاخبروه

نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل مايشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شأن (ويروى) أن أول ماخلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة (ويحكى) أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموما فقال له روّح عنى يا بن الزيات فأنشأ يقول

الهم فضل والقضاء غالب * وكائن ماخط فى اللوح
فالتمس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

والبيت المعمور (وروى) الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان فى السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم فى بعض هى شجرة فى السماء السابعة مما يلى الجنة أصلها ثابت فى الجنة وعروقها تحت الكرسى وأغصانها تحت العرش اليها تنتهى علم الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الامم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم * والجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هى قال من يدخل الجنة حى لا يموت ومنعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يارسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها مسك اذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها ان تئط ليس منها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصحراء تتجرأون الى الله تعالى

﴿الباب السابع فى ذكر ما آلها وآخر حالها﴾

اعلم أن الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدها المور قال الله تعالى يوم تمور السماء مورا يعنى تدور كدوران الرحا من هول يوم القيامة والثانى أخبر انها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعنى دردى الزيت والثالث أخبر انها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار أكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى واذا السماء فرجت والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أى نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب الآية وأحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذى السما * فليس سواه له مضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

﴿مجلس فى ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما و بدء امرهما ومعادهما﴾

بما قال هؤلاء فقال الملك ما كنت أرضى بعيب واحد فكيف أرضى بعيبين ثم قال ائتونى بهم فاحضروهم بين يديه فسألهم عن العيبين ماهما فقالوا تخرب الدار ويموت صاحبها فقال الملك هل تعرفون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها فقالوا نعم فقال الملك فاين فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقوه اليها وذكروا له النار وخوفوه منها ودعوه الى عبادة الله تعالى فأجابهم الى ذلك وخرج من ملكه هاربا تائبا الى الله تعالى نسأله تعالى التوبة والمغفرة (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) وعن أبيه قال كان لى أخ فى الله تعالى وكان من الأولياء وكان رجلا جميلا حسن الخلق طيب المحيا وكان له زوجة من أهل الخير والصلاح وكانت على قدمه فكانا يشتغلان فى صنعة المراوح والاطباق فكنت أوده وأزوره وألتمس منه الدعاء فكنت كلما دخلت بيته وجدت عنده ريشا من ريش الطيور العالية مثل العنقاء والنسر والعقاب والطاوس

وهوما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الامين بقراءتى عليه فى صفر سنة ثلاث وثلاثين
وثلثمائة قال أخبرنى أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقى الحافظ قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن
يوسف السلمى قال حدثنا أبو عصمة يحيى بن أبى مريم الخراسانى قال أنبأنا مقاتل عن عكرمة عن
ابن عباس رضى الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس انى
سمعت العجب من كعب الاحبار يذكر فى الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتفز ثم قال
وماذا قال قال زعم كعب الاحبار أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران
فيقذفان فى النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس شظية ووقعت أخرى غضبا ثم قال كذب كعب
الاحبار قالها ثلاثا بل هذه يهودية يريد ادخالها فى الاسلام والله تعالى أكرم وأجل من أن يعذب
أهل طاعته ألم تر الى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعنى دأبهما فى طاعته فكيف
يعذب عبدين أثنى عليهما أنهما دائبان فى طاعته قاتل الله هذا الحبر وقبح حديثه ما أجرأه على الله
وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض
فجعل ينكت به فى الارض وظل كذلك ماشاء الله ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال ألا أحدثكم
بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما
قلنا بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى
لما أتقن خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان من سابق علم الله تعالى
أن يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله أن
يطمسها ويحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس فى العظم ولكن انما يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء
وبعدها عن الارض فلو ترك الله تعالى الشمس كما كان فى بدء الامر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار
من الليل ولا يدرى الاجير متى يعمل ولا متى يأخذ أجرته ولا يدرى الصائم الى متى يصوم والى متى
يفطر ولا تدرى المرأة كيف تعتد ولا يدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدرى
المدينون متى يحل دينهم ولا يدرى الناس متى يزرعون ومتى يسكنون راحة لابدانهم وكان الله أنظر
لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل عليه السلام فأمر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس
ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا
آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى فى جوف القمر مثل الخطوط فيه انما هو أثر المحو
ثم خلق الله تعالى الشمس من ضوء نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة
ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكا من الملائكة من أهل سماء الدنيا قد تعلق كل منهم بعروة من
تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب فى أقطار الارض وكنفى السماء ثمانين ومائة عين فى
المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائة عين فى المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غليانها
كغلى القدر اذا ما اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب فى عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من
طين فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ما بين أولها مطلعا وأولها مغربا أطولها يكون
النهار فى الصيف وآخرها مطلعا مشرقا ومغربا أقصر ما يكون النهار فى الشتاء فذلك قوله تعالى رب
المشرقين ورب المغربين يعنى آخرها هاهنا وأولها هاهنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب
ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون
سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم فى الهواء باذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة
والنجوم كلها ساكنة فى ذلك البحر وهو جار فى سرعة السهم وانطلاقه فهو فى الهواء مستو كأنه

على سائر الجنوس العجيبة
يشتغل بتلك الريش
صنعة المراوح فكنت
أتعجب من ذلك فقلت له
يا أخى من يأتيك بهذا
الريش مع قلة خروجك
للجبال والاودية فقال
يا أخى ان الله سبحانه
وتعالى مسخر لى ملكا
من الملائكة يأتينى بذلك
فى كل جمعة لاجل المعونة
على القوت فلما كان فى
بعض الايام فقدته فمضيت
اليه فى بعض الاسواق التى
كان يبيع فيها المراوح فلم
أجده فمضيت الى داره
وطرقت الباب فخرجت
زوجته وقالت من بالباب
فقلت لها فلان أخو زوجك
يريد السؤال عنه هل هو
غائب أم ضعيف فقالت
يا سيدى انه مقيم الا أنه
مشغول بذكر ربه عز
وجل فقلت لها انى أحب
أن أراه فانى مشتاق اليه
فمضت وعادت الى وقالت
ادخل فدخلت اليه فرأيته
فى بيت مبنى له للعبادة
وعليه أنوار السعادة فلما
رآنى قام الى واعتنقنى
وسلم على سلام المحبين ثم
جلسنا وتحدثنا ساعة فبينما
نحن فى الحديث اذا بمائدة
قد وضعت بين أيدينا فيها

جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب وتجرى الشمس والقمر والخنس فى سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة وزلازلها فى ذلك البحر فذلك قوله تعالى كل فى فلك يسبحون والفلك فى دوران العجلة فى لجة غمرة ماء ذلك البحر والذى نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لأحرقت كل شئ على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا ما شاء الله أن يعصمه من أوليائه وأهل طاعته قال ابن عباس رضى الله عنه قال على بن أبى طالب رضى الله عنه بأبى أنت وأمى يا رسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخنس فى القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنس فقال عليه السلام يا على هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشترى وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر فى الفلك وأما سائر الكواكب فكلها معلقات فى السماء كتعليق القناديل فى المساجد وهى تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم وان أحببتم أن تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فالحمرة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة فى سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعنى تدور دورا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشرى أجنحتهم يجرونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر فى الشتاء كان ذلك أو فى الصيف أو ما بينهما من الحر بحوالى بيع فاذا أحب الله أن يبتلى القمر والشمس ويرى العباد آية من الآيات يستعتبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس عن العجلة وقال مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع فى غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا أراد الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليشتد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شئ منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها فاذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان فى الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف ابتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف العباد واستعتاب من الله تعالى فأى ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم فى ذلك يقودونها فى الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهارا لكيلا يزيد فى طولها شئ وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذى ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذى يعلوه فهو من غمر ماء ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا أخرجوها كلها اجتمعت الملائكة كلها فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تنجلى للعالم حتى يحمدوا الله تعالى على ما قواهم لذلك ويتعلقون بعرى العجلة حتى يجروها باذن الله تعالى فى لجة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب أدخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من أفق السماء فى العين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة أتعجبين من أمر الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فأهل المدينة التى بالمشرق من بقايا عاد من نسل

من جميع الالوان فا كلنا من تلك المائدة فلما رفعت اذا بشئ من ماء قد وضع بين أيدينا فشربنا منه فما أكلت أحسن من ذلك الطعام ولا أحلى من ذلك الماء فعرفت أن ذلك الطعام والماء من الجنة ثم سألته بعد ذلك عن سبب امتناعه عن الخروج الى تسببه فتبسم وقال يا أخى وقع لى حكاية عظيمة فقلت وما هى فقال خرجت يوما لبيع المراوح على عادتى فمضيت الى أسواق بغداد فلم يفتح على بشئ ولم يكن عندنا شئ من القوت فخرجت ومضيت الى بعض الحارات حتى انتهيت الى حارة لبعض الوزراء فبينما أنا مار بها اذا بامرأة جالسة فى قصر عال مشيد الاركان فلما رأتنى أرسلت الجارية من بعض جواريها كأنها قطعة من جبل فلما أقبلت على لم تمهلنى دون أن احتملتنى فلم أشعر بنفسى الا وأنا فى وسط الدار فاحتملتنى الجوارى ثانيا الى ذلك القصر فاغشى على فلما أفقت نظرت الى سرير من عاج مرصع باليواقيت مزين بانواع

مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية برقيشا و بالعبرانية جابلق واسم
المدينة التي بالمغرب بالسريانية برجيساو بالعبرانية جابرسانيوت على كل باب من هاتين المدينتين كل
يوم عشرة آلاف رجل في الحراسة عليهم السلاح ومعهم الكراع لاتنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك
اليوم الى يوم ينفخ في الصور والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع
أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع وحين تغرب ومن ورائهم ثلاث أمم لايعلم عددهم الا الله تعالى
وهم منشك وتارس وتاويل ومن ورائهم يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بي اليهم ليلة
أسري بي الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فابوا أن يجيبوني
فهم في النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله
تعالى والى دينه وعبادته فاجابوا وأنابوا فهم اخواننا في الدين من أحسن منهم فهو مع المحسنين ومن
أساء فهو مع المشركين ثم انطلق بي الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين الله وعبادته فابوا علي وكفروا
بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى في النار فاذا ما غربت الشمس
رفع بها الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع
من مغربها أم من مطلعها وتكسى ضوأ وان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل والنهار ثم ينطلق
بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فتنحدر حيال
المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر عن الصبح فاذا انحدرت
من بعض تلك العيون فذلك حين يضيء الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين
يضيء النهار فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام
ستة أشهر ثم اذا رجعت كذلك من عين الى عين في الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام
السنة فعدة أيامها ولياليها ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضعه على
البحر السابع مقدار عدة الليالي في الدنيا منذ خلقها الله تعالى الى يوم تنصرف فاذا كان عند غروب
الشمس أقبل ملك من الملائكة الذين قد وكلوا بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل
المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال أصابعه قليلا قليلا وهو يراعي الشفق فاذا غاب الشفق
أرسل الظلمة جميعا ثم ينشر جناحيه فيبلغان أقطار الارض وكنفي السماء ويجاوزان ما شاء الله خارجا
في الهواء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل
فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها
بكفيه ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التي تناولها من الحجاب بالشرق ثم يضعها عند المغرب
على البحر السابع فمن هنالك ظلمة الليل اذا ما نقل ذلك الحجاب الى المشرق والى المغرب فاذا نفخ في
الصور انقضت أيام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال
الشمس والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ارتفاعهما الى السماء السابعة الى محبسهما تحت
العرش حتى يأتي الوقت الذي وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المعاصي في الارض ويذهب المعروف
ولا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت
العرش وكلما سجدت واستأذنت بها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها
القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد لهما جواب حتى يحبسا مقدار ثلاث
ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون في الارض وهم يومئذ عصابة
قليلة في الارض في كل بلد من بلاد المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة

الذهب والفضة فدهشت
من ذلك واذا بامرأة قد
أقبلت علي كأنها من الحور
العين وعليها من الحلي
والحلل ما لا أقدر أن أصفه
فلما دنت مني أغمضت
بصري عنها فقالت مرحبا
بك ضيافة ثلاثة أيام
فتحيرت عند كلامها حيرة
شديدة اذ لم أجد لي مخلصا
أتخلص به منها فقلت لها
لابد من ذلك فقالت نعم
فقلت لها يكون ذلك بعد
أن أصعد الى أعلى ذلك
القصر وأرجع فقالت أنا
أدلك على بيت الماء لقضاء
حاجتك وأخدمك بنفسي
فقلت لا يمكن ذلك الا أن
أتوصل الى أعلى ذلك
القصر ثم غلبت عليها
بالحيلة فقامت وأرشدتني
الى باب مغلق يتوصل منه
الى أعلاه ثم فتحته وقالت
امض ولا تتبعني فصعدت
مسرعا الى أعلاه ونظرت
الى الارض فرأيتها بعيدة
فرفعت بصري الى السماء
وقلت سيدي لا يخفى عليك
أمري الموت ولا معصيتك ثم
هان علي الوقوع من أعلى
ذلك القصر فألقيت نفسي
الى الارض فأرسل الله
تعالى الي ملكا من الملائكة
فاحتملني على جناحه فلم

مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ و يدخل مصلاه فيصلي ورده ولا يصبح نحو ما كان
يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك و يخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد
استدارت في السماء وصارت في أماكنها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون و يقول
أخففت قراءتي أم قصرت صلاتي أم قمت قبل حيني قال ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلي نحو صلاته
ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا و يخالطه الخوف و يظن
في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلي قصرت صلاتي أو خففت قراءتي أو قمت في أول الليل ثم يعود
وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضا مثل ورده كل ليلة قبل
ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع
السماء فصارت في أماكنها أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه
الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون و يتواصلون فيجتمع
المتهجدون من أهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء
والصراخ بقية تلك الليلة فاذا ما تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما
فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه انه لا ضوء لكما عندنا ولا نور
فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها
وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيبكون جميعا لبكائهما لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم
القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينا المتهجدون يبكون و يتضرعون
الى الله تعالى والغافلون في غفلتهم اذ نادى مناد ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر
الناس فاذا هم بهما أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله
تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين
ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا و يتصارخ أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها والاحبة عن
ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فأما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ و يكتب
لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم و يكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة
السماء وهي منتصفها جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونهما و يردهما الى المغرب فلا يغربهما
من مغربهما من تلك العيون ولكن يغربهما من باب التوبة فقال عمر بأبي أنت وأمي يا رسول الله
وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر
والجوهر ما بين المصراع الى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق
الله تعالى (٢) الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد
الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم رفع الى
الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على
الذنب الذي أصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغربهما
جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن فيما بينهما
صدع قط واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الاسلام الا من
كان قبل ذلك محسنا فانه يجري عليه ما كان يجري عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتي
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا فقال أبي بن
كعب بأبي أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبي

أشعر بنفسي الا وأنا على
باب داري فحمدت الله
تعالى على ذلك وأخبرت
زوجتي فسجدت شكرا لله
تعالى ثم عاهدت الله أن
لا أخرج من بيتي حتى
أموت فهذا حديثي يا أخي
قال فخرجت من عنده
متعجبا وقرأت هذه الآية
ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب
فصار على ذلك الحال حتى
مات رحمه الله تعالى ونفعنا
به

(وحكى عن الامام أبي
القاسم الجنيد رضي الله
عنه أنه قال) حججت سنة
من السنين الى بيت الله
الحرام وزيارة النبي عليه
الصلاة والسلام فبينا أنا في
الطريق اذ سمعت صوتا
موزونا يخرج من كبد محزون
قال الجنيد فبادرت الى
ذلك الصوت حتى أوقفني
بغلام كالقمر فلما رآني قال
مرحبا بك يا أبا القاسم قال
فتعجبت منه عجبا شديدا
وقلت له حبيبي ومن
أعلمك باسمي ولم ترني

(٢) قوله منذ خلق الله
تعالى الخ هكذا بالاصل
ولعله الدنيا فليحرر اهـ
مصححه

ان الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمها يلحون على الدنيا ويجرون فيها الانهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان وأما الدنيا فلو نتج الرجل منهم فيها مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى أن ينفخ فى الصور فقال حذيفة جعلنى الله فداءك يا رسول الله فكيف بهم عند النفخ فى الصور قال يا حذيفة والذى نفسى بيده لينفخن فى الصور ولتقومن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقومن الساعة وقد أخذ اللبن لقحته من تحتها فلا يشرب به ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا ينشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين أهل الجنة والنار وقبل أن يدخلوها يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما أسودين لا نور لهما مكورين قد وقعا فى الزلازل والبلايا وفرائصهما ترعد من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا حذاء العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا فى طاعتك وسرعتنا المضى فى أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت أنا لن ندعوهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما انى قد قضيت على نفسى أن أبدئ وأعيد انى معيدكما الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان و بنام خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه فيلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ و يعيد قال عكرمة فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من أمر الشمس والقمر حتى أتيناه فاخبرناه بغضب ابن عباس وما وجده من حديثه و بما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما بما بين مبدئهما الى معادهما فقال كعب الاحبار انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدى وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغنى ما كان من وجدك من حديثى وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وانى أستغفر الله من ذلك مع أنى لم أتقوله من تلقاء نفسى ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدرى ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود وأنت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أحب أن تحدثنى بما حدثت به أصحابك من حديث الشمس والقمر فأحفظ عنك الحديث فاذا حدثت بشئ من أمر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذى تحدثنى به مكان حديثى الاول قال عكرمة فوالله لقد أعاد عليه ابن عباس الحديث وانى لاستقرئه فى قلبى بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر فزادنى ذلك فى ابن عباس رغبة وللحديث حفظا والله أعلم

﴿مجلس فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة﴾

﴿الباب الاول فى ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام﴾ قال الحكماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف أنه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تتأتى الا من قادر حكيم وليعبد فانه يحب عبادة العابدين و يثيبهم عليها على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا تزيد فى ملكه طاعة المطيعين ولا تنقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لانه محسن فأوجدهم ليحسن اليهم وليتفضل عليهم فيعامل بعضا بالعدل و بعضا بالفضل وخلق المؤمنين

قبل ذلك فقال التقت روحى وروحك فى الملكوت فأعلمنى باسمك الحى الذى لا يموت ثم قال بالله عليك يا جنيد اذا أنا مت فغسلنى [illegible] ثيابى هذه [illegible] على الرابية وناد الصلاة على الغريب يرحمكم الله قال الجنيد ثم ان الشاب عرق منه الجبين واشتد به الانين ثم قال بالله عليك يا جنيد اذا قضيت حجك ورجعت فاقصد بغداد واسأل عن درب الزعفران واسأل عن والدتى وعن ولدى وقل لهما ان الغريب يقرئكما السلام ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه وقال الجنيد فأسفت عليه أسفا شديدا ثم غسلته وكفنته وطلعت على الرابية كما قال وناديت الصلاة على الغريب يرحمكم الله قال الجنيد واذا بجماعة قد أقبلوا من كل فج عميق كأنهم البدور فصلينا عليه ودفناه وانصرفت متحسرا عليه فلما قضيت حجى رجعت الى بغداد ثم سألت عن ذلك الدرب فارشدت اليه فلما دخلت الدرب نظرت فاذا بصبيان يلعبون

خاصة الرحمة كما قال عز وجل وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك بن مزاحم أى الرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد (ويروى) أن آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يارب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى انى أحب أن أشكر (قال) أبو الحسن القتال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة وخلقك للمحنه قال تعالى الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم * عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه عنهم لا يطلبه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون * وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ياأيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو * وقال الاوزاعى بلغنى أن فى السماء ملكا ينادى كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له وقال بعضهم اذا ما لو ا ثم خلقوا علموا ماذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا * وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول فى مناجاته الهى غيبت عنى أجلى وأحصيت على عملى ولا أدرى الى أى الدار ين منقلبى لقد أوقفتنى وقفة المحزونين أبدا ما أبقيتنى (وقال) أبو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح فى جسده فهو فى البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو فى البلى فأنى له السرور وهو بين البلوى والبلى (وقال) بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك فى الدنيا ان ربك حلف فقال لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابليس حلف فقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت يامسكين بين الله تعالى وبين ابليس مطروح ساه لاه والله أعلم

﴿ الباب الثانى فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته ﴾

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الارض انى خالق منك خلقا منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى منهم أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك أن تأخذ منى شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب استعاذت بك فكرهت ان أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله تعالى ملك الموت فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيأ فقال ملك الموت وانى أعوذ بالله أن أعصى له أمرا فقبض قبضة من زواياها الأربع من أديمها الاعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان فى ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى فأمره أن يجعلها طينا ويخمرها فعجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك

فى الزقاق فنهض من بينهم غلام صغير السن حسن الوجه فصيح اللسان فقال ياأبا القاسم لعلك جئت تخبرنى بموت والدى قال الجنيد فتعجبت من كلام الغلام على صغر سنه ومكاشفته ثم سلم على وأخذ بيدى وأتى الى باب دار وطرق الباب فخرجت لى عجوز عليها سيما الخير والصلاح فسلمت على وهى باكية العين حزينة القلب ثم قالت ياجنيد أين مات ولدى وقرة عينى فلعله مات بعرفة فقلت لها لا فقالت لعله مات بمنى فقلت لها لا فقالت لعله مات بالمزدلفة فقلت لها لا فقالت لعله مات بالبادية تحت شجرة عيلان فقلت لها نعم قال فصاحت صيحة عظيمة وقالت ياولداه لا الى بيته أوصله ولا معنا تركه ثم شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله عليها قال الجنيد فنظر الغلام الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى لا مع أبى أخذتنى ولا مع جدتى خلفتنى اللهم بهما ألحقنى ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليهم أجمعين * قال الجنيد فأخذت

اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين وملائكة الصفح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست في أنهار الجنة كلها فلما خرجت من الانهار نظر الحق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها في السموات والارض فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل أن تعرف آدم ثم عجنها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ثم تركها أربعين عاما حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذى اذا ضربته بيدك صلصل أى صوت ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحيلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التي تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفي صحيح الترمذى بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير أول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على ألوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس وفخذيه من أرض اليمن وساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لامر ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو أجوف فدخل في فيه وخرج من دبره وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس في نفسه والله لئن فضل هذا علي لأعصينه ولئن فضلت عليه لأهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعنى ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله تعالى الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين * وفي الخبر أن جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يمطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم في أولاده وتصير عاقبتها الى الفرح والراحة * وأنشدنا في هذا المعنى أبو عوانة المهرجاني

يقولون ان الدهر يومان كله * فيوم محبات ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة * وأيام مكروه كثير البدائه

وأنشدني ابن الاعرابي فقال

محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك بالفلتات

وأنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز

أي شئ يكون أعجب من ذا * لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالقفزان

في غسلهما وتجهيزهما ودفنهما رحمة الله عليهما والمسلمين (وحكى عن السرى السقطى رحمه الله تعالى ونفعنا به) قال كنت جالسا ببيت المقدس سنة من السنين عند الصخرة وكان ذلك في أيام العشر وأنا متحسر حزين على التخلف عن الحج في تلك السنة وقلت في نفسي ان الناس قد توجهوا الى مكة ولم يبق الا أيام قلائل وأنا ههنا مقيم قال السرى فبكيت على فواتى وتخلفي عن الحج في تلك السنة فسمعت هاتفا يقول ياسرى لا تبك فان الله سبحانه وتعالى يبعث لك من يوصلك الى الحج في هذه الساعة قال السرى فقلت كيف يكون ذلك وقد بقي أيام قلائل وأنا مقيم ببيت المقدس بعيد عن مكة فقال الهاتف ثانيا لا تخف فان الملك القدير يسهل عليك العسير قال السرى فسجدت شكرا لله عز وجل ثم جلست أرتقب صدق الهاتف فبينما أنا كذلك اذ أنا بأربعة شبان قد دخلوا من باب المسجد كأن الشمس تشرق من وجوههم والنور

(الباب الثالث في صفة نفخ الروح)

قال العلماء فلما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح
مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى أن قال في الرابعة
ادخلي كرها واخرجي كرها فلما أمرها الله تعالى بذلك دخلت في فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت
دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت في عينيه * والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن
يرى آدم بدء خلقه وأصله حتى اذا تتابعت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت
في خياشيمه فعطس فحين فراغه من عطاسه نزلت الروح الى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى أن قال الحمد لله
رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجابه ربه عز وجل فقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة
خلقتك قال تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم نزلت الروح الى صدره وشراسيفه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه
ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالى خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح
الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام * وفي بعض الاخبار
أن آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها على أم رأسه وقال أوه فقال الله
مالك يا آدم فقال اني أذنبت ذنبا فقال من أين علمت ذلك فقال لان الرحمة للذنبين فصارت تلك سنة
في أولاده اذا أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشرت الروح في جسده كله
فصار لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا
فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد وبقيت منه بقية في أنامله ليتذكر بها أول حاله (قال عبد الله بن
الحرث) كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان النسر يأتي الحوت في
البحر فيخبره بما في البر ويخبره الحوت بما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام جاء النسر
الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيأ لينزلني من وكري وليخرجنك من البحر
فلما أتم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشنفه وسوره وختمه ومنطقه
وألبسه من لباس الجنة وزينه بأنواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم في جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال لهم
طوفوا به في سمواتي ليرى عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا وأطعنا فحملته
الملائكة على أعناقها وطافت به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شئ من آياتها وعجائبها
ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه
الصلاة والسلام وجبريل آخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله فطافوا به السموات
كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى
يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها
(واختلف) العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن
زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة ثم أمر
الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وأكثر
العلماء على ان الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون سائر
الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا الا ابليس
أبى واستكبر وكان من الكافرين

(الباب الرابع في صفة خلق حوّاء عليها السلام)

يلمع من جباههم يقدمهم
شاب عليه هيبة وجلالة
وهم يمشون خلفه وعليهم
لباس الشعر وفي أرجلهم
نعال الخوص فدنوا من
الصخرة ودعوا الله عز
وجل فامتلأ المسجد من
أنوارهم نورا قال السري
فقمت اليهم وقلت لمن هؤلاء
يكونون هم الذين رحمني
ربي بهم ورزقني صحبتهم
قال السري فدخلوا القبة
والشاب قائم يناجي ربه
ثم صلى كل منهم ركعتين قال
فدنوت من الشاب لاسمع
كلامه ومناجاته فبكى وكبر
وصلى صلاة سلبت فؤادي
فلما فرغ من صلاته جلس
وجلس الثلاثة بين يديه
قال السري فدنوت منهم
وسلمت عليهم فقال الشاب
وعليك السلام ياسري
ياصاحب الهاتف الذي
هتف بك اليوم وبشرك
أن لا يفوتك الحج في هذه
السنة قال السري فكدت
أن أصعق وامتلأ قلبي فرحا
وسرورا ثم قلت نعم ياسيدي
هتف بي الهاتف قبل
ورودكم بساحة فقال الشاب
ياسري كنا قبل أن يهتف
بك الهاتف في بلاد خراسان
قاصدين بغداد فقضينا
حوائجنا وعزمنا على

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشي فيها وحشيا لم يكن له من يجانسه ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير ان أحس آدم بذلك ولا وجد له ألما ولو ألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بانواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون علمه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لأنها خلقت من شيء حي قالوا ولماذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الي وأسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها تكسرها وان تركتها تستمتع بها على عوجها (وقيل) الحكمة في أن الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لأنهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم جدة وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحا لأنهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا ❊ وفي بعض الاخبار أن آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت ❊ وروى سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق جارية بعث اليها ملكين أصغرين مكللين بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسها ويضع الآخر يده على رجلها ويقولان بسم ربنا ورب بك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة المنفق عليها معان الى يوم القيامة

﴿الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك﴾

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا) في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة ما هي فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شيء علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وقيل هي الكرمة فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فأكلا منها وحملهما عن أكلهما من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أكلا منها وكان وصول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الاخبار أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته في فيها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خالدا فاغتنم ذلك الشيطان منه فأتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فأدخله الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على باب الجنة ثلثمائة سنة لا يأذن الله تعالى في خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس

التوجه الى بيت الله الحرام فاجتزنا بزيارة قبور الانبياء بالشام ثم بعد ذلك نقصد مكة شرفها الله تعالى وعظمها وقد قضينا حقوقهم وزيارتهم وأتينا الى هنا نزور بيت المقدس قال السري فقلت له ياسيدي وما كنت تصنع بخراسان قال لا بل الاجتماع بابراهيم ابن أدهم وبمعروف الكرخي اخواننا فخرجنا جميعا نقصد مكة بلغت الى بيت المقدس وذهبا هما من طريق البادية الى مكة قال السري فقلت يرحمك الله ان من خراسان الى بيت المقدس مسيرة سنة فقال يا سري لو كانت الطريق ألف سنة العبيد عبيده والارض أرضه والزيارة لبيته والقصد اليه والبلاغ عليه والقوة والقدرة له أما ترى الشمس كيف تسير من المشرق الى المغرب في يوم واحد فهي تسير بقوتها أم بقوة القادر وارادته فاذا كانت الشمس وهي جماد لا حساب عليها ولا عقاب تقطع من المشرق الى المغرب في يوم واحد فليس ببعيد أن يبلغ عبد من عبيده من خراسان الى بيت المقدس في ساعة واحدة فان الله

شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحيض ان هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم (الثانية) ثقل الحمل (الثالثة) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفي الخبر لولا الزلة التي أصابت حواء كان النساء لم يحضن ولكن حليمات وكن يحملن سرا ويضعن سرا (الرابعة) نقصان دينها (الخامسة) نقصان عقلها عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقلن له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها (السادسة) أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين (السابعة) تخصيصهم بالعدة (الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم (التاسعة) ليس لهن من الطلاق شيء ولا يمكن ذلك وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن الجهاد (الحادية عشر) ليس منهن نبي (الثانية عشر) ليس منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشر) لا تسافر احداهن الا مع ذي رحم محرم (الرابعة عشر) لا تنعقد بهن الجمعة (الخامسة عشر) لا يسلم عليهن وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء (أولها) عزله من الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة (الثانية) أخرجه من جوار موأهبطه الى الارض (الثالثة) مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعدما كان ملكا (الرابعة) غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى (الخامسة) جعله امام الاشقياء (السادسة) لعنه الله (السابعة) نزع منه المعرفة (الثامنة) أغلق عنه باب التوبة (التاسعة) جعله مريدا أي خاليا من الخير والرحمة (العاشرة) جعله خطيب أهل النار ❊ وعاقب الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعد ان كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حيثما يرونها يقتلونها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها في الصلاة وفي حال الاحرام ❊ عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيأ منهن خيفة منه فليس مني يعني الحيات أخبرنا ابن (١) قال حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن محمد عن أبي الاعين العبدي عن أبي الاحوص الجشمي قال بينا ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

﴿الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أهبط آدم الى الارض على جبل سرنديب ود كر أن ذروته أقرب من ذرى جبال الارض الى السماء وكانت رجل آدم على الجبل ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان آدم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الارض بها فحطت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ أولاده الصلع فلما نقص من قامته ذلك قال رب كنت جارك في دار ليس لي رب سواك ولا رقيب دونك آكل فيها رغدا وأسكن حيث أحببت فأهبطتني الى هذا الجبل وكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك وأجد ريح الجنة وطيبها ثم أهبطتني الى الارض وحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني رائحة الجنة فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فقال آدم ذلك بك يارب ❊ وقال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم

رضي الله عنه) قال خرجت يوما من الكوفة أريد البصرة فرأيت في الطريق امرأة عجوزا عليها جبة من صوف وخمار من شعر وهي تمشي وتقول الهي ما أبعد الطريق على من لم تكن له دليلا وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيسا قال عثمان فدنوت منها وسلمت عليها فردت علي السلام وقالت من أنت يرحمك الله فقلت لها عثمان الجرجاني فقالت حياك الله يا عثمان أين تريد فقلت أريد البصرة لحاجة فقالت يا عثمان هلا أعلمت صاحب الحاجة يوجهها اليك ولا يتعبك فقلت ليس بيني وبينه تلك المعرفة فقالت وما الذي قطعك عن معرفته قلت كثرة الذنوب فقالت والله بئس ما صنعت أما والله لو وصلت حبلك بحبله لتمسكت منه بأقوى سبب وقضى حوائجك من غير تعب قال عثمان فلما سمعت قولها بكيت وقلت لها أريد منك الدعاء فقالت أعانك الله على طاعته وجنبك معصيته قال فلما عزمت على الانصراف أخرجت من جيبي دراهم كانت معي

من الجنة واستقر جالسا على الارض عطس عطسة فسال أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما فلما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالحم ففزع آدم من ذلك فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه وبكى أربعين عاما فبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشي فاستراح عما كان يصيبه من الغم * قال شهر بن حوشب بلغني ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى * وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية واختلفوا في تلك الكلمات ما هي فقال ابن عباس هي أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها قال لشؤم معصيتك قال أي رب أرأيت ان أنا تبت وأصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات وقال عبد الله بن عمر ان آدم قال يارب أرأيت ما أتيته شيء ابتدعته من تلقاء نفسي أو شيء قدرته علي قبل أن تخلقني بيدك قال لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته علي فاغفر لي * وقال محمد بن كعب القرظي هي قول لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك أنت الغفور الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك أنت أرحم الراحمين * وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ثم أنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيها قناديل من نور ثم أوحى الله تعالى الى آدم ان لي حرما بحيال عرشي فأته فطف به كما يطاف حول عرشي وصل عنده كما يصلى عند عرشي فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكة لزيارة البيت وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وما تعداه مفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمي ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن فقال أتمنى المغفرة والرحمة فسمي ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى أرض الهند قال مجاهد حدثني ابن عباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنؤنه بالحج وقبول التوبة فقالوا بر حجك يا آدم فداخله من ذلك شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام فتقاصرت الى آدم نفسه (وقال) أبو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكليل وتحات الورق فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند (وقال) ابن عباس رضي الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند فأوديتها وكان أصله من الجنة فامتلأ ما هنالك طيبا فمن ثم يؤتى بالطيب من الهند وأصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وأنزل الله معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وقيل كانت من البان (وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن

فقسمتها بيني وبينها وقلت خذي هذه النفقة لتستعيني بها على حالك فقالت ياعثمان من أين لك هذه الدراهم فقلت لها اني رجل أصعد الى الجبل وأحتطب منه حطبا وأحمله على رأسي وأبيعه في أسواق المسلمين وأنفق ثمنه فقالت نعم الكسب الحلال أحل ما أكل المرء من كسب يمينه ولكن ياعثمان لو صححت معاملة ذي الجلال واتكلت عليه حق الاتكال لكفاك حمل الاحطاب من رؤس الجبال ثم قالت ياعثمان أريد أن أريك كيف صحت معاملتي مع سيدي وصدق التوكل عليه فقلت بلى فبسطت يديها وهمهمت بشفتيها فاذا بداها مملوءتان دنانير فقالت خذ هذه أنت ياعثمان فوالله ما طبع عليها اسم ملك ولا سلطان واعلم أنك لو أحببت مولاك لاغناك عن الخلق وكفاك ثم غابت عني فلم أرها نفعنا الله تعالى بها آمين (وحكى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه أنه قال) كنت ملاحا بنيل مصر أعدي من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينما

حواش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذى كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بأرض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يارسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال أجل انما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير الله المسك فى سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يارسول الله فاين يقع قال قال لى جبريل فى ثلاث كور لا يكون فى شئ من الارض الا فيها أرض الهند وأرض السعدى وأرض التبت قالوا يارسول الله العنبر انما هى دابة فى البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى فى البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها وما معها فقذفها فى البحر وهى أعظم ما تكون من الدواب غلظها ألف ذراع وانما ترمى به كما ترمى البقر أخثاءها فربما يخرج من جوفها العنبر فوزنها ألف رطل ونحوها ثلاثة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا فى رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال ان فى هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام ودله جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك لن تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقى فى جوفك لم تخف منه وان خرج أخرج الداء كله وأبرأه فاكله آدم فبرئ (قال) أهل الاخبار ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العرى فانزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة فى سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشا منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حوّاء ونسجه آدم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحوّاء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحوّاء أول من غزلت وآدم أول من نسج ولبس الصوف (عن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما تقول فى حرفتى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال أنا رجل حائك قال حرفتك حرفة أبينا آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وان الله عز وجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم القبيح فابونا آدم خصمه ومن أنقص منكم فقد أنقص من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم الى الجنة (وعن) أبى أمامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلة الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به فى الآخرة وان النظر فى الصوف ليورث القلب التفكر والتفكر يورث الحكمة والحكمة تجرى فى الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طمعه وكل من قل تفكره كثر طمعه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسى بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار قالوا ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذى أصابك فقال أجد فى نفسى قلقا واضطرابا لا أجد الى العبادة منه سبيلا وانى أجد بين لحمى وجلدى دبيبا كدبيب النمل فقال له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف أهديك الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثور ين أحمرين والعلاة يعنى السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين ثم جاءه بشرر من جهنم فوقع فى يد آدم فطار منه شرارة فوقعت فى البحر فدخل جبريل اليها وأتى بها فدفعها الى آدم فطارت منه أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم ان

أنا يوما من الايام جالس فى الزورق اذا أنا بشيخ ذى وجه مشرق قد أقبل علىّ وسلم علىّ وقال تحملنى لله قلت نعم ثم قال ثانيا وتطعمنى لله قلت نعم فطلع الزورق فعديته الى الجانب الغربى فكان عليه مرقعة وبيده عصا وركوة فلما نزل قال أريد أن أحملك امانة قلت وما هى فقال اذا كان فى غد عند الظهر تجدنى ميتا تحت تلك الشجرة فغسلنى وكفنى فى الكفن الذى تجده تحت رأسى وصل علىّ وادفنى تحت تلك الشجرة فان قبرى بها فاذا فرغت من أمرى فخذ هذه المرقعة والركوة والعصا فاذا جاءك من يطلبهم فادفعهم اليه قال فتعجبت منه ثم تركنى ومضى فبت تلك الليلة متفكرا فلما أصبحت انتظرت الوقت الذى قال عليه الشيخ فلما جاء وقت الظهر نسيت فما ألهمت الا قريب العصر فسرت اليه مسرعا فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا تحت رأسه تفوح منه رائحة المسك قال فغسلته وكفنته فيه وصليت عليه وحفرت تحت الشجرة فوجدت قبرا مبنيا مرخما

نار كم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم بعد ان غسلت بالماء سبع مرات فلما جاء بها فى الثامنة نطقت النار فقالت يا آدم انى لا أطيعك وانى منتقمة من عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انها لن تطيعك ولكنى أسجنها لك ولاولادك ليكون لك ولاولادك فيها المنافع فسجنها فى الحجر والحديد فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التى تورون أأنتم الآية ويروى أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل مالها تحرق يدى ولا تحرق يدك قال لأنك عصيت الله وانى لم أعصه ثم أمره جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم خذها فانها سبب سد جوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا فى الدنيا وبها تلقى الفتنة أنت وأولادك الى أن تقوم الساعة ثم أمره أن يشد الثورين ويكسر من الخشب ويضعه عليهما ففعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو أول من حرث الارض وبكى الثوران على مافاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منها الجاورس والاقنبت منه الحمص وراثا فنبت منه العدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله فقال لا اصبر حتى يدرك فلما استنبل وأفرك قال آكله قال لا وعلمه الحصاد فلما حصده قال آكله قال لا وعلمه الدياس فلما داس قال آكله قال لا وعلمه التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن فلما طحنه قال آكله قال لا وعلمه العجن ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه فأمره جبريل أن يبث النخالة فى الارض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا فأمره أن يحفر حفيرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها نارا ففعل ذلك ثم وضع عجينه عليه فخبز حتى جعله خبزملة فهو أول من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد أكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذى وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك أن تأكل من كد يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ما هو فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فبم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له احفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالا أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه شربة فشرب بها فاطمأن ثم انه بعد ذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثانى فقال لجبريل ما هذا الذى أجده قال لا أدرى فبعث الله اليه ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخرج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة (قالوا) لما أنزل الله الى آدم الحديد نظر الى قضيب من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر أشجارا قد عتقت ويبست فأوقد على ذلك الحديد حتى ذاب وكان أول شئ ضرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذى ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذى فار بالعذاب بالهند (قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من الجنة حل (وقيل) ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها فى القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فأما التى هى فى القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاهبلوط والنارنج والرمان والموز وأما التى لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغبيراء والنبق

فدفنته قبره ثم عدت الى موضعى ليلا والمرقعة والركوة والعصا معى فلما طلع الفجر وبان الضوء اذا أنا بشاب قد أقبل فأحدت النظر اليه فعرفته وكان من بعض صبيان الملاهى يرقص ويغنى وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فدنا منى وسلم على وقال لى أنت فلان بن فلان قلت نعم فقال هات الامانة التى عندك وديعة لى فقلت وما هى فقال مرقعة وعصا وركوة فقلت ومن أين لك هذا فقال لا أدرى الا أنى كنت فى عرس فلان بالامس وأنا أرقص وأغنى الى ان أذن المؤذن فنمت لاستريح فبينما أنا نائم اذا رجل قد أيقظنى وقال لى قم ان الله سبحانه وتعالى قد قبض روح فلان الولى وجعلك مكانه فسر الى فلان ابن فلان فان الشيخ أودع لك عنده وديعة وهى مرقعة وعصا وركوة قال فأخرجتهم اليه فخلع ثيابه واغتسل فى البحر وتوضأ ولبسها وأعطانى أثوابه وقال تصدق بهذه الثياب ثم سار وتركنى فلم أدر أين ذهب فأتيت يوما بكى

والزعرور والمقل وأما التى لاقشر لها ولانوى فالتفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترج والخرنوب والخيار والبطيخ (وقال) ابن جريج أهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزرعر يشة من عنب ور يحانة فغرس آدم العريش فلما اطلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم و يلك أخرجتنى من الجنة ولا تريد أن تجعل لى رزقا فقال له ان لى فيها حقا قال وما حقك قال نشوها ولكم سائرها (وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسة وهى سيدة ريحان الدنيا و بالسنبلة وهى سيدة طعام أهل الدنيا و بالعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العجوة من غراس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره و يستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما هبط آدم الى الارض كان أول شئ أكله من الثمار التين وقال كعب أول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصلح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما أهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يارب أما لارضك هذه من عامر يسبحك و يحمدك و يقدسك غيرى قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحنى و يحمدنى و يقدسنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى و يسبح فيها خلقى و يذكر فيها اسمى وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدنى حق عبادتى وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتى وأوثره باسمى فاسميه بيتى وأنطقه بعظمتى وعليه وضعت جلالى وأجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته ما حوله وما فوقه وما تحته فمن حرمه بحرمته استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتى وأباح حرمتى واستوجب بذلك عذابى وعقابى وسأجعل هذا البيت أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا و يضجون بالبكاء ضجيجا و يعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد الىّ وزارنى واستضافنى فحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وان يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده وأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان من عرفة قرية بمكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة و بعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار و بعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله الى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم انى أجمع لك العلم كله فى أربع كلمات واحدة لى وواحدة لك وواحدة بينى و بينك وواحدة فيما بينك و بين الناس فاما التى لى فتعبدنى لا تشرك بى شيأ وأما التى لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه وأما التى بينى و بينك فنك الدعاء ومنى الاجابة وأما التى بينك و بين الناس فأن ترضى لهم ما ترضى لنفسك فقال آدم يارب شغلت بطلب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف ساعات التسبيح فى أيام الدنيا فأهبط الله تعالى اليه ديكا فأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح فى السماء سبح فى الارض فيسبح آدم بتسبيحه (و يروى) ان الله تعالى أوحى الى آدم لما أراد أن يهبطه الى الارض يا آدم انى

الى الليل فلما نمت رأيت رب العزة فى المنام وهو يقول يافلان أثقيل عليك أن منلت على عبد من عبادى كان عاصيا وقبلته انما ذلك فضلى أوتيه من شئت ورحمتى وسعت كل شئ (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) انه قال كنت ساكنا ببغداد وكانت لى دويرة خراب فاحتجت بناء حائط سقطت منها فخرجت الى موقف البنائين لانظر رجلا لبناء الحائط فنظرت الى شاب نحيف ذى وجه نظيف فجئت اليه ووقفت بين يديه ثم قلت له ياحبيبى أتريد الخدمة فقال نعم فقلت سر على بركة الله تعالى فقال بشرط أشترط عليك فقلت وما هو قال الاجرة درهم ودانق فقلت نعم قال وان أذن المؤذن تدعنى أصلى مع الجماعة فقلت نعم فسار معى الى منزلى فخدم خدمة لم أر مثلها ولا أحسن منها فذكرت له الغداء فقال لا فعرفت أنه صائم فلما جاء وقت صلاة الظهر وسمع الاذان قال الشرط ياسيدى فقلت نعم فحل حزامه وتوضأ وضوأ ما رأيت أحسن منه ثم خرج الى

منزلك أنت وذريتك دار مبنية على أربع قواعد أما الاولى فانى أقطع ماتصلون وأما الثانية فانى أفرق ماتجمعون وأما الثالثة فانى أخرب ماتبنون والرابعة أميت ماتلدون ولذلك قيل

لدوا للموت وابنوا للخراب ● وكلكمو يصير الى ذهاب

(الباب السابع فى ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية (قال الشعبى) أنزل ابليس من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شئ أعور فى احدى رجليه نعل (وروى) ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال انما كره أن يتخصر فى الصلاة لان ابليس هبط متخصرا (وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن ابليس قال يارب أخرجتنى من الجنة من أجل آدم وانى لاأستطيعه الا بسلطانك قال فانك مسلط عليه قال يارب زدنى قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال يارب زدنى قال صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم قال يارب زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الا غرورا قال آدم يارب قد سلطته على وانى لاأمتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدنى قال الحسنة بعشر أمثالها وأزيدها والسيئة بمثلها واحدة وأمحوها قال يارب زدنى قال قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله الآية قال يارب زدنى قال التوبة لاأنزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يارب زدنى قال أغفر ولاأبالى قال حسبى (وروى) ان ابليس قال يارب لعنتنى وأخرجتنى من الجنة وجعلتنى شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلى قال الكهنة قال فما كتبى قال الوشم قال فما حديثى قال حديثك الكذب قال فما قرآنى قال قرآنك الشعر قال فما مؤذنى قال مؤذنك المزمار قال فما مسجدى قال مسجدك السوق قال فما بيتى قال بيتك الحمام قال فما طعامى قال طعامك مالم يذكر اسمى عليه قال فما شرابى قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدى قال مصايدك النساء (وروى) مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الحرقة والغلمة فنكح نفسه فباض أربع بيضات فهى ذريته (وروى) اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغنى ان ابليس تزوج الحية التى دخل فى فيها حين كلم آدم عليه السلام بعد ماأخرج من الجنة فهى ذريته

(الباب الثامن فى ذكر ماروى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فرآه عيانا وكلمه شفاها)

يروى ان آدم التقى بابليس فى أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له ياملعون أى شئ هذا الذى أحللت بى غررتنى وأخرجتنى من الجنة وفعلت بى مافعلت قال فبكى ابليس وقال يا آدم انى فعلت بك ماتقول وأنزلتك هذه المنزلة فمن فعل بى ماأنا فيه وأحلنى هذه المنزلة (ويروى) ان ابليس تصور لفرعون فى صورة الانس بمصر فى الحمام فأنكره فرعون فقال له ابليس ويحك أما تعرفنى فقال لا قال فكيف وأنت خلقتنى ألست القائل أنا ربكم الاعلى (ويروى) ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال أى الاعمال أحب اليك وأبغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند الله تعالى ماأخبرتك انى لست أعلم شيأ أحب الى وأبغض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة (ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن آدمى الا وقد عمل خطيئة أوهم بها الا يحيى بن زكريا فانه ماعمل خطيئة ولاهم بها ولقد قال رب أرنى ابليس كما هو واعزم عليه أن لايكتمنى شيأ سألته عنه فأوحى الله تعالى الى ابليس أن ائت عبدى يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولاتكتمه شيأ يسألك عنه فأتاه وقال يايحيى أنا ابليس أمرنى ربى أن آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيى فاذا على رأسه خطاطيف تطير وحقواه

الصلاة مع الجماعة فى المسجد ثم عاد الى خدمته الى أن سمع أذان العصر فقال الشرط ياسيدى فقلت له نعم فخرج وصلى العصر مع الجماعة وعاد الى خدمته فأتيت اليه وقلت له حبيبى ان خدمة البنائين الى العصر فاسترح فقال سبحان الله انما كانت خدمتى الى الليل قال فلما جاء الليل أخرجت له درهمين فلما رآهما قال ماهذا قلت والله ياسيدى هما من بعض أجرتك لاجتهادك فى خدمتك فرماهما الى وقال والله لاأزيد على مابينى وبينك شيأ فرغبته فلم أقدر عليه فأخذ الدرهم والدانق وتوجه فلما كان الغد أتيت الى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه لم يأتنا الا من السبت الى السبت فلما جاء السبت جئت اليه فوجدته فلما رآنى تبسم فقلت له باسم الله على الشرط الذى تعلمه فقال نعم وسار معى فخدم يومه كما تقدم وزاد على ذلك فدفعت اليه الاجرة فأخذها وسار فلما كان السبت الثالث أتيت الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه ضعيف فى خيمة

عفو فتان بأكوار كورههنا وكورههنا وفى رجليه خلاخيل فقال ماهذه الخطاطيف التى تطير على رأسك
قال بها أخطف عقول بنى آدم قال فما هذه الخلاخيل التى فى رجليك قال أحركها لبنى آدم حتى يغنى
أو يغنى له قال فأى ساعة أنت على ابن آدم أقدر قال حين يمتلئ شبعا ورياً قال فهل وجدت فى نفسى شيأ
قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم اليك طعامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته اليك حتى أكلت
أكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيى لاجرم لا أشبع أبدا فقال ابليس لاجرم
لا أنصح آدميا أبدا ۞ وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا فى جهازه وخرج الناس وخلا
الموضع قال ابن عباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل
اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت ياعلى لاتغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع فى قلبى من ذلك شئ
وقلت ويلك من أنت فان النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف بأعلى
صوته غسله ياعلى فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدخل قبره مغسلا
قال على جزاك الله خيرا فأخبرنى أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى
الله عليه وسلم (ويحكى) ان قوما من بنى اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له صف موقفا كنت
تقفه بين يدى الله تعالى حسبما كنت تقف قبل أن صيتر بك فقال انكم لاتطيقون رؤية ذلك
فالحوا عليه فوقف موقفه فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه ماتوا عن آخرهم (ويروى) ان
رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذ أتاه شخص فأيقظه وقال قم فان
الجدار ها هو يسقط فقال له من أنت الذى أشفقت على هذه الشفقة فقال له أنا ابليس فقال كيف هذا
وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت أن تكون
منهم فتنال معهم ماينالون

(الباب التاسع فى قصة قابيل وهابيل)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا الى آخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين
وأخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين فى كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانها ولدته منفردا
وكان جميع من ولدته حواء أربعين من ذكر وأنثى فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم
عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثر الله فى نسل آدم كما قال ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من
نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا ورأى آدم
فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلف العلماء فى وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم
حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته
لبودا فى بطن واحد (وقال) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى
حواء فى الجنة قبل أن تهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا نصبا ولا طلقا
حين ولدتهما ولم تر معهما دما لطهارة الجنة فلما هبطا الى الارض واطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل
وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والطلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن
جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج أى أخواته
شاء الا توأمته التى ولدت معه فانها لاتحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا أخواتهم وأمهم حواء فلما
ولد قابيل وتوأمته اقليما فى بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد وكان بينهما سنتان فى قول
الكلبى وأدركوا أمر الله تعالى آدم أن ينكح لبودا أخت هابيل قابيل وينكح هابيل اقليما أخت
قابيل وكانت أخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر آدم ذلك لولده هابيل فرضى وسخط

فلانة وكانت امرأة عجوزا
لها خيمة فى الجبانة وكانت
مشهورة بالصلاح والعبادة
قال فسرت اليها فوجدت
الشاب بها وهو مضطجع
على الارض وليس تحته
شئ وتحت رأسه لبنة
ووجهه يتهلل نورا قال
فسلمت عليه فرد على
السلام فقعدت عند رأسه
أبكى على صغر سنه وغربته
ثم قلت له حبيبى ألك من
حاجة فقال نعم اذا كان فى
غد تأتى ههنا عند الضحى
تجدنى ميتا فغسلنى وكفنى
فى هذه الخيمة واحفر
قبرى بها ولا تعلم بذلك
أحدا وافتق جيب هذه
الجبة وأخرج مافيها وامسكه
عندك فاذا دفنتنى وفرغت
من أمرى فصل الى هرون
الرشيد وادفع له ماتجده فى
الجيب وأقرئه منى السلام
قال فلما كان الغد وصلت
الى تلك الخيمة فوجدته
قد مات رحمة الله تعالى عليه
قال فتأسفت عليه أسفا
شديدا ثم أخذت فى غسله
وتجهيزه وكفنته وصليت
عليه فى الخيمة وحفرت
قبره بها كما قال ثم فتقت
جيبه فرأيت فيه ياقوتة
تساوى ألف دينار قال
فعجبت من ذلك وقلت

قابيل وقال هي أختي ولدت معي في بطن وهي أحسن من أخت هابيل فأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فأنا أحق بأختي فقال له أبوه انها لاتحل لك فأبى أن يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمر بهذا وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفرا الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أهبط آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولد له بنت فسماها عناق فبغت وهي أول من بغى في الارض فسلط الله عليها من قتلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها جمالة في صورة انسية وخلق لها رحما وأوحى الله الى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله الى آدم حوراء في صورة انسية وخلق الله لها رحما وكان اسمها تركة فلما نظر اليها هابيل ومقها أوحى الله الى آدم أن زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل يا أبت ألست أكبر من أخي وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكنك آثرته علي بهواك فقال له ان كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من السماء فأكلتها واذا لم تقبل لم تنزل نار لا كلها وتأكلها السباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردا زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي أيقبل مني أم لا لا يتزوج أختي أبدا وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار ماشيته ولبنا وزبدا وأضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لأمره وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش في غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد واللبن ولم تأكل من قربان قابيل حبة لانه لم يكن زاكي القلب وقبل قربان هابيل لأنه كان زاكي القلب فما زال الكبش يرتع في الجنة حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغي وكان يضمرهما قبل ذلك في نفسه الى أن أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت فقال ذلك للارض والجبال فأبيا فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل أمانة أبيه ثم خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو في غنمه فقال لأقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس أنك خير مني وأفضل ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين (قال) عبد الله بن عمر ان المقتول كان أشد ولكنه منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أي طاوعته وساعدته فقتله قال السدي لما قصد قابيل قتل هابيل زاغ هابيل في رؤس الجبال ثم أتاه يوما من الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقال بعضهم على عقبة حراء وحكى محمد بن

والله لقد زهد في الدنيا كل الزهد قال فلما فرغت من أمره وانصرفت من عنده انتظرت خروج هرون الرشيد فلما خ[illegible] تعرضت [illegible] الطريق ودفعت الي[illegible] الياقوتة فلما رآها خر مغشيا عليه فاحتوشتني الخدمة وداروا بي فلما أفاق قال خلوا عنه ثم أخذ بيدي ومضى بي الى مجلسه وقال يا أخي ما فعل الله بصاحب هذه الياقوتة فقلت له مات الى رحمة الله تعالى ثم وصفت له كل ما كان منه قال فجعل الرشيد يبكي ويقول انتفع الولد وخاب الوالد ثم نادى يا فلانة فجاءت امرأة كأنها حورية فلما رأتني أرادت أن ترجع فقال لها الرشيد ادخلي فدخلت وسلمت فرمى لها الياقوتة فلما رأتها صاحت صيحة وغشي عليها فلما أفاقت قالت يا أمير المؤمنين ما فعل بولدي صاحب هذه الياقوتة فقال لي صف لها صفته وقص عليها قصته قال فقصصت عليها ما كان منه فجعلت تبكي وتقول ما أشوقني اليك يا قرة عيني ليتني كنت أسقيك اذ لم تجد ساقيا وأنيسك اذ لم تجد مؤنسا ثم بكت بكاء

جرير الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بنى آدم فقصدته السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون أين يرمى به فتأ كله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له فى الارض ثم ألقاه فى الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فاصبح من النادمين يعنى على حمله لا على قتله وروى عن الاوزاعى قال حدثنى المطلب بن عبد الله المخزومى لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه أين أخوك هابيل قال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ليناديني من الارض فلم قتلت أخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا (وعن) الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث فى الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها ❊ فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون ❊ وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته فى ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يا بنى انك وصيى فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر فى المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فما زاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها ❊ فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون ❊ وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل أذاق الموت هابيل فوا حزنا لقد فقد المليح
ومالى لا أجود بسكب دمع ❊ وهابيل تضمنه الضريح
وجاورنا عدو ليس يفنى ❊ لعين لا يموت فنستريح
لقتل ابن النبى بغير جرم ❊ فقلبى عند قتلته جريح
وجاورنا لعين ليس يفنى ❊ عدو لا يموت فنستريح

{ وقالت حواء }

دع الشكوى فقد هلكا جميعا ❊ بموت ليس بالثمن الربيح
وما يغنى البكاء عن البواكى ❊ اذا ما المرء غيب فى الضريح
فابك النفس وازل عن هواها ❊ فلست مخلدا بعد الذبيح

فأجابهما ابليس لعنه الله شامتا بهما

تنح عن البلاد وساكنيها ❊ ففى الجنات ضاق بك الفسيح

شديدا فقال لى أمير المؤمنين يا أخى هذا ولدى كان منى قبل ولا يلى هذا الامر فكان يتردد على العلماء ويجالس الصلحاء فلما وليت هذا الامر نفر عنى وتباعد منى فقلت لامه هذه ان ولدك انقطع الى الله سبحانه وتعالى فلا بد أن تصيبه الشدائد ومكابدة الاحزان فادفعى اليه هذه الياقوتة لينتفع بها عند الاحتياج اليها فدفعتها له فحرمت عليه أن يمسكها فغاب عنا حديثه الى أن رحل من الدنيا ولقى الله تعالى تقيا نقيا ثم قال يا أخى أرنى قبره قال فخرجت به الى قبره فبكى بكاء طويلا وسألنى الصحبة فقلت له يا أمير المؤمنين ان لى فى ولدك عظة وعبرة ثم مضيت من عنده حزينا على ذلك الشاب رحمه الله تعالى ورضى عنه (وحكى عن الاصمعى رضى الله تعالى عنه أنه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام فبينما أنا فى الطريق اذا رجل أعرابى بيده سيف عريض ورمح طويل كان يقطع بهما الطريق لاخذ أسباب

وكنت بها وزوجك في رخاء • وقلبك من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكري • الى أن فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبار أضحى • بكفك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن أبي الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم أتى فقيل له حياك الله وأضحكك ولا أبكاك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعني أنه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي آدم وولي عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فأخذ بيد أخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فأتى اليه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر به واحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أبوك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي قال مجاهد فعلقت احدى يدي قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي نسل شيث عليه السلام والله أعلم

﴿ الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام ﴾

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بتزويج أخته اقليما فخاف عليه أيضا أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به (وروى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أخرج الله ذرية آدم من ظهره جعل يعرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهو وهو أضوأهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا أن تزيده أنت من عمرك فقد جف القلم باعمار بني آدم وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجلت علي ياملك الموت قال ما فعلت بل أنت استوفيت أجلك قال آدم قد بقي من عمري أربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيأ فأنزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله أكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فامر الله بالكتاب والشهود من يومئذ (قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيث واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه بحنوط وكفن من الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر

المسلمين وأموالهم فلما دنا مني أراد أن يأخذ ثيابي فاسرعت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال من أين الرجل فقلت له فقير وعابر سبيل فقال ما صناعتك فقلت أقرأ القرآن وأعلمه لاطفال المسلمين فقال وما يكون القرآن فقلت كلام الله عز وجل فقال أولله كلام فقلت له نعم فقال الاعرابي فانشدني من كلامه بيتا قال الاصمعي فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم وفي السماء رزقكم وما توعدون فرمى الاعرابي سيفه ودرعه وقال تبا لقاطع طريق وخائن سبيل رزقه في السماء ويطلبه في الارض ثم تاب الى الله تعالى وعاهده أن لا يعود الى ما كان فيه قال الاصمعي ففرحت بذلك فرحا شديدا فلما كان العام الثاني خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينما أنا طائف بالبيت اذا رجل عليه سيما الخير والصلاح قد أقبل نحوي وسلم علي وقال ألست صاحبي بالعام الماضي فقلت نعم فقال أنشدني من كلام الله عز وجل بيتا ثانيا قال الاصمعي فقرأت عليه فورب السماء

والماء وترا وكفنوه فى ثلاثة ثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهى الصلاة وأما خمس وعشرون فهى تفضيل لآدم * وقد اختلف فى موضع قبره فقال ابن اسحق فى مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل فى غار أبى قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير (وروى) أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم فى السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم

﴿ باب فى الخصائص التى خص الله بها آدم عليه السلام ﴾

قال الاستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه فى أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وألقنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل وأباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته فى الارض وعرف الملائكة فضله عليها ولعن ابليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتبى وأول مصطفى وأول خليفة الله فى الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم

﴿ مجلس فى ذكر النبى ادريس عليه السلام ﴾

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (قال) أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن يرد وقيل يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمى ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمه اشوت وكان ادريس أول من خط بالعلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر فى علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السماء على ما قاله ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يارب انى مشيت فى الشمس يوما فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خففت عنى حر الشمس فما الحال الذى قضيت على فيه فقال تعالى ان عبدى ادريس سألنى أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبته الى ذلك فقال يارب اجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فأذن الله له فكان ادريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت أنك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه أتى الى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة فقال له أفعل لك كل شئ أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فأخبره باسمه وقال انك كلمتنى فى انسان ما أراه يموت

والارض أنه حق مثل ما أنكم تنطقون قال فرفع الاعرابى رأسه وقال يا أصمعى وما الذى ألجأه الى هذا القسم ثم خر مغشيا عليه فحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به آمين ﴿وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه﴾ انه قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف اذ سمع اعرابيا يقول يا كريم فقال النبى صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمضى الاعرابى الى جهة الركن اليمانى وقال يا كريم فقال النبى صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمضى الاعرابى الى جهة الميزاب وقال يا كريم فقال النبى صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فالتفت الاعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا صبيح الوجه يا رشيق القد أتهزأ بى لكونى أعرابيا والله لولا صباحة وجهك ورشاقة قدك لشكوتك الى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم قال فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال أما تعرف نبيك يا أخا العرب فقال الاعرابى لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم فما ايمانك به فقال

أبدا قال وكيف ذلك قال انى لاجده يموت عند مطلع الشمس قال فانى آتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات والله ما بقى من أجل ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا (قال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم فى زمانه فتعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فاذن له فاتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فانكره وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد ان أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس لى اليك حاجة قال وما هى قال اقبض روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعدادا ثم قال له لى اليك حاجة أخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فاذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أردها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فارنى الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذنى دخل الجنة وبامرى لا يخرج فهو حى هناك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله أعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال الله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف فى مدة زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم سليمان الا بهذه قال السدى وذلك أن شيطانا تمثل على صورة انسان فاتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لا ينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسى سليمان وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا له أدن فقال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فاما علماء بنى اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان واما الجهال والسفلة فاقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فانزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان وبيانا لبراءته فهذه قصة الآية

(وأما قصة هاروت وماروت)

فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا ما يصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن ادريس النبى عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغى لنا أن نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبى قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو ماروت وعزرائيل وانما غير اسمهما لما اقترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم

آمنت بنبوته ولم أره وصدقت برسالته ولم ألقه فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا اعرابى اعلم أنى نبيك فى الدنيا وشفيعك فى الآخرة قال فأقبل الاعرابى يقبل قدمى النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم مه يا أخا العرب لا تفعل بى كما تفعل الاعاجم بملوكها فان الله سبحانه وتعالى بعثنى لا متكبرا ولا متجبرا بل بعثنى بالحق بشيرا ونذيرا قال فهبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك قل للاعرابى لا يغرنه كرمنا ولا حلمنا فغدا نحاسبه على القليل والكثير والفتيل والقطمير فقال الاعرابى أو يحاسبنى ربى يا رسول الله قال نعم يحاسبك ان شاء فقال الاعرابى وعزته وجلاله ان حاسبنى لاحاسبنه فقال صلى الله عليه وسلم وعلى ماذا تحاسب ربك يا أخا العرب فقال الاعرابى ان حاسبنى ربى على ذنبى حاسبته على مغفرته وان حاسبنى على معصيتى حاسبته على عفوه وان

أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأم قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل بن محوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل الذي يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فأتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى (قال ابن عباس) كان آدم أوصى أن لا يناكح بنو شيث بني قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حفاظا لئلا يقربه أحد من أولاد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم بني شيث فقال مائة من بني شيث صباح لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون بني قابيل فهبطت المائة الى نساء السهل صباح الوجوه من بني قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ما شاء الله فقال مائة أخرى لو نظرنا ما فعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبستهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر بنو قابيل حتى ملؤا الارض وأكثروا الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم بأسه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين (وروى) الضحاك عن ابن عباس أنه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد ثم يلقى في بيته فيرون أنه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى أيس من ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال يا بني أنظر الى هذا الشيخ اياك أن يغرك فقال يا أبت مكني من العصا فأعطاه العصا فقال ضعني في الارض فوضعه فمشى اليه فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بي عبادك فان يكن لك في عبادك حاجة فاهدهم وان لم يكن غير ذلك فصبرني الى أن تحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فآيسه من ايمان قومه وأخبره أنه لم يبق في أصلاب الرجال ولا أرحام النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصوني الآية الى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا وهي أسماء أصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا أي هلاكا ودمارا فأجاب الله دعاءه وأمره أن يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك بأعيننا ووحينا الآية قال نوح يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء حتى أغرق أهل المعصية وأريح أرضي منهم قال نوح يارب أين الماء قال يا نوح اني على ما أشاء قدير قال نوح أيارب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج وأتى على ذلك أربعون سنة وكف في تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فأعقم الله تعالى أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد فلما أدرك الشجر أمره به أن يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله أزور على ثلاث صور رأسه كرأس الديك وجوفه كجوف الطير وذنبه كذنب الديك مائلا واجعلها مطبقة واجعل أبوابها في جنبيها واجعلها ثلاث

غارت النجوم ونامت العيون وأنت الحي القيوم الذي لا تأخذك سنة ولا نوم * الهي فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه وأنت حبيب المجتهدين وأنيس المستوحشين * الهي ان طردتني عن بابك فالى باب من ألتجئ * الهي ان قطعتني عن جنابك فالى جناب من ألتجئ * الهي ان عذبتني فاني مستحق العذاب والنقم وان عفوت عني فانت أهل الجود والكرم ثم جلس ورفع يديه وبكى وقال ياسيدي لك أخلص العارفون وبفضلك نجا الصالحون وبرحمتك أناب المقصرون يا جميل العفو أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك فان لم أكن أهلا لذلك فانت أهل لذلك يامن هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال عبد الرحمن فدخلت موضعي ولم أشوش عليه فلما أصبح الصباح خرجت اليه وسلمت عليه وقلت له كيف نمت البارحة فقال ياسيدي أو ينام من يخاف النار والعرض على الملك الجبار والتوبيخ غدا على الذنوب والاوزار ثم بكى بكاء طويلا فقلت له أنت حر

طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وطولها فى السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهىء عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون عليه وهو فى عمله فيسخرون منه ويقولون يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون ألاترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فيقول نوح ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وأوحى الله الى نوح أن عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبى على من عصانى فاستأجر نوح أجراء يعملون معه وأولاده سام وحام ويافث ينحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وستون ذراعا وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا هذا قول ابن عباس فى رواية الضحاك وطلاها بالقار داخلها وخارجها وشدها بالدسر وهى مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر وفجر الله عين القار بجنب السفينة تغلى غليا حتى طلاها به فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليه من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران التنور آية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور أى عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الآية (واختلف) العلماء فى قوله تعالى وفار التنور قال على بن أبى طالب رضى الله عنه يعنى طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع فى الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذى يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته واختلفوا فى موضعه فقال مجاهد كان ذلك فى ناحية الكوفة (وروى) السدى عن الشعبى أنه كان يحلف بالله ما فار التنور الا فى ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام فى موضع يقال له عين ورد وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة فأقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح فى الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زل بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك ياعدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج ياعدو الله قال ما أخرج وما كان بذلك أن تحملنى معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (قال) مالك بن سليمان الهروى ان الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضر والبلايا فلا أحملكما قالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين انا كذلك

لوجه الله تعالى فبكى وقال ياسيدى كان لى أجران أجر العبودية وأجر الخدمة وقد ذهب عنى أحدهما أعتقك الله من حر نار جهنم قال عبد الرحمن فدفعت اليه نفقة فأبى قبولها وقال ان المتكفل بالارزاق حى لا يموت ثم خرج هائما على وجهه لا أدرى أين ذهب رضى الله تعالى عنه * واشوقاه الى أرباب القلوب واحسرتاه على فوات المطلوب * يامحبوسا فى سجن الغفلة لو أشرفت على وادى الدجى لرأيت خيام القوم مضروبة على شاطئ بحر كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ولسمعت أطيار أشجانهم على أغصان أحزانهم تترنم بألحان وبالاسحار هم يستغفرون أقلقهم السهر وصفا وقتهم من الكدر وخلوا بالمحبوب وفازوا بالمشاهدة والنظر شعر

هذا الحبيب مع المحبوب قد حضرا
وسامح الكل عما قد مضى وجرى
وقد أدار على العشاق خمرته
صرفا يكاد سناها يخطف البصرا
يامذكرا لنا ذكر الحبيب لقد

تجري الحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه (عن وهب بن منبه) قال لما أمر الله تعالى نوحا
أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالاسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف
أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال أنت يارب قال فأنا أؤلف بينهم حتى
لا يتضاروا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الاولى فألقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن
الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * لعمرك ما المحموم دوما سوى الاسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الذرة معه
في الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شئ * واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى
في قوله تعالى وأهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن ترسو السفينة
قال بسم الله فرست واذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله
مجراها ومرساها الآية * ومن آمن وما آمن معه الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في
السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام
امرأته في السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاء بالسودان (قال الكلبي) أمر نوح أن
لا يقرب ذكر أنثى مادام في السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم
اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا
عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة اناث ممن كانوا آمنوا معه وأزواجهم
جميعا وقال مقاتل كانوا سبعين ونوح وامرأته وبنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية
وسبعين نفسا نصفهم نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم
معه وجعله معرضا حاجزا بين الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من
آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخل وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الارض والغوط
الاكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض
عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعني التقى ماء السماء وماء الارض فجعل الماء ينزل من السماء و ينبع
من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء و بين احتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة
ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح
وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال
لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان عهد كنعان الجبال أنها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان
فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء
فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروت) عائشة
رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي
وذلك أنها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت قلته فلما بلغها
الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتها رفعته بيدها حتى ذهب بهما الماء فلو
رحم الله أحدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة بأهلها الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شئ حتى
أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان يحجه آدم صيانة له من الغرق
وهو البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت
في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه

بليت أسماعنا بأطرب الفقرا
مالركب الحي مالت ومعاطفه
لاشك ان حبيب القوم قد حضرا
وعند ذا تنظر الاعلام قد رفعت
يؤمهم علم الوصل قد نشرا
فمجلس الانس للمحبوب يجمعه
والكاس قد دار فيما بينهم سحرا
ومن سقاهم تجلى لا شبيه له
حاشاه يشبه شمسا ولا قمرا
فمن أتاه فقير الامر دله
سواه يكتبه من جملة الفقرا
هذا السماع الذي تشفى الصدور به
هذا الحبيب الذي قد حير الفكرا
صرفية عنه ماضاقت صدورهم
أزال عنهم جميع الشك والكدرا

(وحكي عن محمد بن الفضل رضي الله تعالى عنه أنه قال) رأيت شابا راقدا على الارض وقد افترش التراب تحته وهو يئن أنينا شديدا فقلت لصاحبي اعدل بنا اليه فلعله عليل فقال ما هذا عليل هذا من المحبين وفي الظاهر انه من المجانين فقلبه يحب مولاه

قال مجاهد تشامخت الجبال وتطاولت لئلا ينالها الماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه
الجودى فلم يغرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على الجودى (وقال) ابن عباس
استوت السفينة على الجودى وقد بادما على وجه الارض من الكفار ومن كل شئ فيه الروح والاشجار
فلم يبق شئ من الحيوانات الا نوح ومن معه فى الفلك والاعوج بن عنق فذلك قوله تعالى وقيل بعدا
للقوم الظالمين أى هلاكا قال ابن عباس كان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه من طوله ويتناول
الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس ويرفعه اليها ثم يأكله فقال لنوح احملنى معك فقال اخرج
ياعدو الله فانى لم أومر بحملك وطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتى عوج بن عنق
فلما استوت السفينة على الجودى قيل يا أرض ابلعى ماءك أى انشقى ويا سماء أقلعى أى احبسى ماءك
وغيض الماء أى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التى فى الارض لانها آخر ما بقى فى
الارض من ماء الطوفان وبقى فى الارض أربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن على بن زيد بن جدعان
عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلا
شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال
أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له قم
باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلكت قال لا بل مت وأنا
شاب ولكنى ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع
ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الانس
وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه
خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فأكلاه فلما كثرت الفأر فى السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك
انه تولد فى السفينة أوحى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عينى الاسد فضرب فخرج من منخره
سنور وسنورة فاقبلا على الفأر فأكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد يبست قال بعث نوح
غرابا يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف
البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد جفت قال فطوقها
بالخضرة التى فى عنقها ودعا لها أن تكون فى أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله ألا
تنطلق به الى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد
ترابا * قال أهل التاريخ أرسل الله الطوفان لثلاثة عشر يوما خلت من آب وهو مضى ستمائة سنة من عمر
نوح ولتتمة ألفى سنة ومائتى سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن
معه فى السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها فى العاشر من المحرم فلذلك سمى يوم عاشوراء
وأقاموا فى الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وأمر جميع من معه
من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أظلمت
عليهم أعينهم فى السفينة من دوام النظر الى الماء فأمروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذى خرجوا فيه من
السفينة (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء
لم ترمد عينه أبدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ فى ناحية من أرض الجزيرة موضعا وابتنى
هنالك قرية فسموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهى اليوم تسمى سوق
ثمانين فأوحى الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين
سنة فكان جميع عمره ألف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك

مفتون وهو يعرف بعبيد
المجنون قال فتقربت اليه
فاذا هو شاب نحيف الجسم
وعليه جبة من صوف بالية
وهو يقول عجبا لمن ذاق
حلاوة محبته كيف ينقطع
عن خدمته ثم لم يزل يردد
القول حتى غشى عليه
فقلت لصاحبى والله ما هو
بمجنون وانما المجنون الذى
لا يصل الى هذا المقام فلما
أفاق من غشيته قال ما بالكم
تنظرون الى فقلنا لعل دواء
يشفى من الداء الذى تجده
فقال الذى أبلى بالداء عنده
الدواء ولكن الذى
يتداوى يحتمى قلنا بماذا
يحتمى قال بترك الحرام
وتجنب الآثام ومراقبة
الملك العلام والتهجد بالليل
والناس نيام ثم بكى بكاء
طويلا وبكينا معه وقلنا له
نحن أضيافك فادع لنا
فقال لست من خيل هذا
الميدان فاقسمنا عليه فقال
جعل الله قراكم المغفرة
ومثواكم الجنة وجعل ذكر
الموت منى ومنكم على بال
قال فانصرفنا عنه وقد
عجبنا من استواء لفظه
وعاشت قلوبنا بكلامه
ووعظه يا هذا هذه حالة
المجانين من حب الحبيب
فكيف بك أيها العاقل
اللبيب يدعوك مولاك فلا
تجيب ويستحضرك فى
حضرة قربه وأنت فى

هو في التوراة (وقال عون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان ألف سنة الا خمسين عاما وقبله ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح ألفا وثلثمائة سنة (ويروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساما وجعله ولي عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره فقال يا بني أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين فاما اللتان أنهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللتان أوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جعلت السموات السبع والارضون السبع تخرقتهما حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع وما فيها وأوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها يرزقون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمي بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبي من أنبياء الشريعة وأول داع من الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى أوحى اليه بعد الطوفان اني خلقت خلقي وأمرتهم بطاعتي فانتهكوا معصيتي فاشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقي فبي حلفت اني لا أعذب بمثل هذا العذاب أحدا من خلقي بعدها ولكن أجعل الدنيا دولا بين عبادي ثم أجزيهم بأعمالهم اذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل له أكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته في نفسه لانه عمر ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبالغ أحد من الرسل في الصدع وتمثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشتم وأنواع الاذى والجفاء ما لقي فلذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثاني المصطفى صلى الله عليه وسلم في الميثاق والوحي قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفي البعث هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية (قال) محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل (وروى) عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيدا لولد سام ويافث فلما اهبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده أثلاثا فجعل لسام وسط الارض ففيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك ما بين فيسون الى شرق النيل وما بين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل لحام قسمه غربي النيل وما بين مجرى ريح الجنوب وما وراءه الى سيحون الى مجرى ريح الدبور وجعل قسم يافث من فيسون فما وراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

المشيب الحسي أمت تضيع عمرك وما لك منه نصيب اللهم تب علينا ووفقنا لطاعتك يا مجيب (وحكى عن محمد بن أبي الفرج رضي الله تعالى عنه أنه قال) احتجت في شهر رمضان الى جارية تصنع الطعام فرأيت في السوق جارية ينادى عليها بثمن يسير وهي مصفرة اللون نحيلة الجسم يابسة الجلد فاشتريتها رحمة لها وأتيت بها الى المنزل فقلت لها خذي أوعية وامضي معي الى السوق لنشتري حوائج رمضان فقالت يا سيدي أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان فعلمت أنها من الصالحات فكانت تقوم الليل كله في شهر رمضان فلما كانت ليلة العيد قلت لها امضي بنا الى السوق لنشتري حوائج العيد فقالت يا مولاي أي حوائج العيد تريد حوائج العوام أم حوائج الخواص فقلت لها صفي لي حوائج العوام وحوائج الخواص فقالت يا سيدي حوائج العوام الطعام المعهود في العيد وحوائج الخواص الاعتزال عن الخلق والتفريد والتفريغ للخدمة والتجريد والتقريب بالطاعة للملك المجيد والتزام ذل العبيد فقلت لها انما أريد حوائج

قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الى تتقون وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشحر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها رمل عالج وهى ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا فى الارض وكثروا وقهروا أهلها بفضل قوتهم التى آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة أى عظما وطولا وقوة وشدة (قال) أبو حمزة اليمانى كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبى كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا (وقال) وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى فمنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له هرد وصنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح * وقال محمد بن اسحق ابن يسار وهود بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة فامرهم هود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضر بهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة عارف بحرمتها ومكانتها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت الجيبرى رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد جهدوا وقالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعبيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما كتم اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمور وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى والله ما أدرى كيف أصنع بهم فاستحى أن آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون انه ضيق منى بمقامهم عندى وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا له قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يمنحنا غماما
فتسقى أرض عادان عادا * قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجوا * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

الطعام فقالت يا سيدى أى طعام تعنى طعام الاجساد أم طعام القلوب فقلت لها صفيهما لى فقالت أما طعام الاجساد فهو القوت المعتاد وأما طعام القلوب فترك الذنوب واصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المطلوب وجوانحه الخشوع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع الى المولى والتوكل عليه فى السر والنجوى ثم انها قامت تصلى فقرأت فى الركعة الاولى سورة البقرة الى آخرها ثم شرعت فى آل عمران الى آخرها فلم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت الى سورة ابراهيم الى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال فلم تزل تكرر هذه الآية وتبكى الى ان أغمى عليها وسقطت الى الارض فحركتها فاذا هى ميتة رحمة الله تعالى عليها (وحكى عن الاصمعى رضى الله تعالى عنه انه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون اذ خرج علينا أسد عظيم هائل المنظر فقطع عن الركب الطريق فقلت لرجل

وقد كانت نساؤهمو بخير * فقد أمست نساؤهمو عيامى

وان الوحش يأتيهم جهارا * ولا يخشى لعادى سهاما

وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركمو وليلكمو تماما

فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا انكم والله لا تستقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأنبتم الى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك قال جلهمة بن الخيبرى خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود عليه السلام

أبا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وأمك من ثمود

فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد

أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل وآل ضد والعبود

ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم اعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شئ مما يدعو به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد فقد أمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤالنا مع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد لم يدخل فى دعوتهم فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم أجئ لمريض فاداويه ولا لاسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحائب ثلاثا واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم ناداه مناد من السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه المنادى يقول اخترت يا قيل رمادا رمددا لم تبق من آل عاد أحدا لا والدا تتركه ولا ولدا الا جعلتهم رميا همدا الا بنو اللوذية المهدا و بنو اللوذية هم رهط من هزال بن هزيل بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أى كل شئ مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها (أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوية أنبأنا اسمعيل بن عيسى أنبأنا اسحق بن بشر أخبرنى المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى الى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم لله منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على منخر ثور حتى رجفت الارض مما يلى المشرق والمغرب قال فقال الخزان يا رب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لأهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها فاوحى الله اليها

بجانبى أمامى هذا الركب رجل يأخذ سيفا يرد عنا هذا الاسد فقال أما رجل فلا أعرف ولكننى أعرف امرأة ترده من غير سيف فقلت وأين هى فقام وقمت معه الى هودج قريب منا فنادى يا بنية انزلى وردى عنا هذا الاسد فقالت يا أبت أيطيب قلبك أن ينظر الى الاسد وهو ذكر وأنا أنثى ولكن قل له ابنتى فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذى لا تأخذه سنة ولا نوم الا ما عدلت عن طريق القوم قال الاصمعى فوالله ما استتمت كلامها حتى رأيت الاسد ذاهبا أمامنا * هذه والله دلائل الصالحين وأمارة العارفين نفعنا الله تعالى بهم آمين (وروى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه) أنه رأى جارية فى البادية وهى تمشى وتفرح وليس معها أحد فقال من أين أقبلت فقالت من عند الحبيب قال والى أين تريدين قالت الى الحبيب قال فا تستوحشين وحدك فى هذه البرية فرفعت صوتها ونادت باعلاء يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ثم قالت يا بطال من

أن اربجى فانوجى على قدر ترومة الخاتم وهى الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين جلودهم وتلذ به الانفس وانها من عاد لتمر فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدى بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فاخرجتهم منها فهلكوا فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيورا سودا التلقيهم فى البحر فالقتهم فيه (قال) ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادى قال تسعة رهط منهم احدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم فى ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان فمال الى الجبل فاخذ بجانب منه فهزه فاهتز فى يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه • يالك من يوم دهانى أمسه

ثبات الوطء شديدا بطنه • لو لم يجئنى جئته وحبسته

فقال له هود ويحك يا خلجان أسلم تسلم فقال له مالى عند ربك اذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم فى السحاب كأنهم البخت قال هود ذلك الملائكة قال ان أسلمت أيقيدنى ربك منهم لقوى قال ويحك هل رأيت ملكا يقيد من جنوده فقال لو فعل مارضيت فجاءت الريح فألحقته بأصحابه وأهلكته وأفنى الله عادا سوى من بقى من قومهم بمكة ونواحيها (أخبرنا) الحسين بن محمد الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السنى أخبرنا أبو يعلى الموصلى أخبرنا اسحق بن أبى اسرائيل وعبيد الله ابن عمر القواريرى أخبرنا جعفر بن سليمان الضبعى أخبرنا فرقد السبخى عن عاصم عن عمرو البجلى عن أبى امامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير ويصيبهم خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة ببنى فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا بشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينماهم عنده اذا أقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمرة من أمصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنور بن يعفر ابن أخى معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قد أعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم فقال مرثد اللهم اعطنى برا وصدقا فاعطى ذلك وقال قيل اختار أن يصيبنى ما أصاب قومى فقيل له هلاك فقال لا أبالى لا حاجة لى فى البقاء بعد قومى فأصابه الذى أصاب عادا من العذاب فهلك وقال لقمان يارب أعطنى عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر لا يمسها القطر أو عمر سبعة أنسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستحقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فعمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى اذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ لقمان ياعم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخى هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسور

استأنس بالله استوحش مما سواه ومن طلب رضاه صبر على قضاه ثم غابت عنى فلم أرها رضى الله تعالى عنها (وحكى عن السرى السقطى رضى الله تعالى عنه انه قال) أرقت ليلة من الليالى فلم أستطع الغمض فقلت فى نفسى أخرج الى المقابر لعلى أعتبر برؤية القبور والتفكر فى البعث والنشور فيزول همى وغمى فخرجت اليها فما وجدت قلبى منشرحا لديها فقلت أدخل الاسواق لعل باختلاط الناس يزول عنى الباس ففعلت ذلك فما انشرح قلبى هنالك فقلت أدخل المارستان وأنظر الى المرضى والمجانين والى أفعالهم لعلى أعتبر بأحوالهم فدخلت اليه فوجدت قلبى مقبلا عليه فقلت الهى وسيدى الى ههنا سيرتنى ولاجله من منامى أيقظتنى فنوديت فى سرى ما أتينا بك الى هذا المكان الا ولنا فيه نبأ وشان قال السرى فتقدمت الى مكان المجانين فرأيت فيه جارية مصفرة اللون متغيرة ويداها مغلولتان الى عنقها وهى مشغولة بذكر الله تعالى قال السرى فقلت للقيم على المجانين ما شأن هذه الجارية فقال جارية اختل عقلها فحبسها مولاها فلما سمعت

خداثم من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكانت نسور لقمان لاتغيب عنه قال فلما رأى لبدا لم ينهض مع النسور قام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان فى نفسه وهنا لم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى الى الجبل رأى نسره لبدا واقفا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل أتى أبد على لبد وقال النابغة الذبيانى

أضحت قفارا وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذى أخبر بهلاك عاد شعرا

عصت عاد رسولهم فأمسوا * عطاشا ماتبلهم السماء
وسير وفدهم شهرا ليسقوا * فأردفهم مع العطش العماء
بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
ألا نزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء
من الرب المهيمن انفصوه * وما تغنى النصيحة والشفاء
فنفسى وابنتاى وأم ولدى * لنفس نبينا هود فداء
أتانا والقلوب مغميات * على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له صمود * يقابله صدى والهباء
فابصره الذين له أنابوا * وأدرك من يكذبه الشقاء
وانى سوف ألحق من آل هود * واخوته اذا جن المساء

ثم انطلق بهود ومن آمن معه وبقى هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة سمعت عليا رضى الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر تخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين انك لتنعته لى نعت رجل قد رآه قال لا ولكننى قد حدثت عنه فقال الحضرمى وما شأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبى هود عليه السلام أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبى العراقى أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة فى المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندى أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن أبى حكيم عن سفيان الثورى عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام فى تلك البقعة (وفى رواية أخرى) كان النبى من الانبياء اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتى مكة هو ومن معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله أعلم

﴿ مجلس فى قصة صالح عليه السلام ﴾

قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا وهو ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وأراد بهنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ماذكره محمد بن اسحق بن يسار والسدى والكلبى ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم فى بعض أن عادا الاولى لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا فى الارض فنالوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبنى المسكن من الحجر والمدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله

ولا

الجارية كلامه تنهدت وأنشدت تقول هذه الابيات شعرا

معشر الناس ماجننت ولكن
أنا سكرانة وقلبى صاحى
فغللتم يدى ولم آت ذنبا
غير هتكى فى حبه وافتضاحى
أنا مفتونة بحب حبيب
لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحى الذى رأيتم فسادى
وفسادى الذى رأيتم صلاحى

قال السرى فلما سمعت كلامها أقلقنى وأبكانى وهيج لوعتى وأشجانى فلما رأت دمعى ينحدر على وجهى قالت يا سرى ما جهلت منذ عرفت ولا فترت منذ خدمت ولا قطعت منذ وصلت ولا حجبت منذ وقفت وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا قال السرى فقلت لها يا جارية أراك للمحبة تذكرين وللتوحيد تظهرين فلمن تحبين فقالت لمن تعرف علينا باكرامه وتحبب الينا بانعامه وجاد علينا بجزيل عطائه فهو قريب الى القلوب مفرج المكروب حليم على من عصاه مجيب لمن دعاه قال السرى فقلت من حبسك فى هذا المكان فقالت حاسدون مبغضون تعاونوا على ورمونى

ولا تعثوا في الأرض مفسدين فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا في الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فآمن به الاقليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليتبعوا بها ثم قال لهم أي آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في شئ مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود ياصالح أخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنفردة عن الجبال في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ماشاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويتابعوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم وربلب ابن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فأراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال رجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهم أن يجيب لو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذئابا

فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها فما ترفع رأسها الا وقد شربت جميع مافيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتتفحج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ماشاؤا فيشربون ويدخرون ويملؤن أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لانها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال أبو موسى الاشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقدما أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ماشاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها أغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادي في حر موحدته فكانت كل المواشي تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادي في البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار فكان مراتعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على عقر الناقة فاحتالوا في عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلد وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهر وكانت غنية جميلة

بالجنون وهم أحق بهذا الاسم مني وأنشدت تقول

يامن رأى وحشتي فآنسني * بالقرب من وصله فأنعشني
ياساكني لا خلوت من سكني * دهري ويا مصدقي على الزمن
أوحشني ما فقدت منه فقد * عاد باحسانه يقربني
وجاد أيضا علي منعطفا * كذاك فها كنت حين عرفني
حسبي من الكون من شغفت به * أصحبه مؤنسا ويصحبني
وكنت في غفلة فنبهني * وكنت في رقدة فأيقظني

قال السري فقلت لها ما الاسم فقالت دع الاسم يكفيك ما سمعت يغنيك فبينما نحن كذلك اذ أقبل سيدها فقال للموكل عليها أين بدعة فقال قد دخل عليها الشيخ السري فكلمها بكلام أصغت اليه فدخل سيدها فرأى السري عندها فعظمه وقبل يده وقال ياسيدي لقد رحت بركتك فقال له أي شئ أنكرت منها فقال ياسيدي هذه جارية كانت تضرب بالعود فجبلتني فشريتها بجميع مالي وهو عشرون ألف درهم لفرط حسنها وحسن ضربها

ذات مواش كثيرة وكانت هاتان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا تحتالان فى عقر الناقة من كفرهما بصالح بما أضرت بمواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له سنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فأسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوضت اليه مالها فأنفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح عليه الصلاة والسلام حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فأظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فأبت عليه وأخذت أولادها فغيبتهم فى بنى عمها الذين هم منهم فقال لها زوجها ردى على أولادى فلما ألح عليها قالت حتى أحاكمك الى بنى عمى وذلك أن بنى عم زوجها كانوا مسلمين فأبت أن تحاكمه اليهم فقال لها بنو عمها والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا فى عقر الناقة للشقاء الذى كتب عليهما فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب فأمرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فأبى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كمالا فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من أهل قدح واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ويزعمون أنه كان لزنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له يا قدار أعطيك من بناتى أيما شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا فى قومه وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها رجل عزيز فى قومه مثل أبى زمعة قالوا فانطلق قدار ومصدع فاستعانوا بمن استعانوا من ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون فلقيهم هديات بن مبلع خال قدار وكان عزيزا من أهل الحجر وذعر بن غنم بن داعر أخى مصدع وخمسة لم تذكر أسماؤهم فاجتمعوا على عقر الناقة قال السدى وغيره أوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا فى هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد للتسعة منهم فى ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للعاشر ابن فأبى أن يذبح ابنه وكان بكرهم لم يولد له قبل ذلك شئ وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله قالوا نخرج فترى الناس انا قد خرجنا لسفر فنأتى الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكمن فيه ثم ننصرف بعد ذلك الى رحالنا فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام الليل معهم فى القرية وكان يأوى الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه فى الليل فاذا أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فاذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار وأضمروا أنهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الغار فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون فى القرية يا عباد الله ما قنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فأجمع أهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته

دونه

بالعود وأملت أن أربح فيها مثل ثمنها فدخلت عليها فى بعض الايام والعود فى حجرها وهى تغنى وتنشد هذه الابيات شعرا

وحقك ما نقضت الدهر عهدا
ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحى والقلب وجدا
فكيف أقر يا سكنى وأهدى
فيا من ليس لى مولى سواه
لقد صيرتنى فى الناس عبدا

قال فلما فرغت من غنائها بكت بكاء طويلا ثم ضربت بالعود فى الارض فكسرته وجعلت تهيم وتصيح وهى ذاهلة العقل فاتهمتها بمحبة المخلوق ثم كشفت عن حالها فلم أجد لذلك أثرا قال السرى فقلت لها يا جارية أهكذا يجرى عليك فأجابتنى بهذا الكلام تقول شعرا

جاو بنى الحق من جنانى
وكان وعظى على لسانى
قربنى منه بعد بعد
وخصنى منه واصطفانى
أجبت لما دعيت طوعا
مليا للذى دعانى
وخفت لما جنيت فيه
ما يوقع الحب بالامانى

قال السرى فقلت لسيدها أطلقها وعلى دفع ثمنها فصاح سيدها وافقراه من أين لك ثمن هذه الجارية قال السرى فقلت لا تعجل

دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لاتقتلونه أبدا فقد وعدكم بان العذاب نازل بكم فى ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ماتريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك (قال) السدى وغيره فلما ولد ابن العاشر يعنى قدارا وكان يشب فى كل يوم شباب غيره فى الجمعة ويشب فى الجمعة شباب غيره فى الشهر ويشب فى الشهر شباب غيره فى السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لو كنا نأخذ الماء الذى تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان أتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها أطعناكما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار فى أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع فى أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم وعنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن النساء وجها فتراءت لقدار وأسفرت له عن وجهها وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فارداها وطعن فى لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضوء وقيل اسمه قارة وروى ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمر بن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك ناقتك فقد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبى الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول فى السماء حتى ما تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع وأخوه ذؤاب ولد مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله وألقوا لحمه مع لحم أمه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وفيه يقول الشاعر

أؤمل أن أعيش وان يومى ٭ بأول أو بأهون أو جبار

أو المردى دبار فان أفته ٭ فمؤنس أو عروبة أو شبار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم تصبحون غرة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة

وامكث فى هذا المكان حتى آتيك بثمنها قال السرى فمضيت الى منزلى وعيناى تذرفان بالدموع وقلبى بسبب حبها موجوع وصرت أتضرع الى الله تعالى وأتوجه اليه وأتوكل فى قضاء حاجتى عليه فبينما أنا كذلك اذا قارع يقرع الباب فقلت من بالباب من حبيب من الاحباب فنظرت فاذا هو شاب من أحسن الناس وجها ومعه خادم على رأسه خمس بدر فقلت من أنت يرحمك الله فقال أحمد بن المثنى قد أعطانى الجبار جل جلاله وما بخل على بعطائه ورزقنى من الاموال ما يعجز عن حمله الرجال فبينما أنا نائم اذ هتف بى هاتف من قبل الله عز وجل فقال يا أحمد هل لك فى معاملتنا فقلت وقد زال النوم عنى ومن أولى بذلك منى فنادانى أن احمل الى الشيخ السرى خمس بدر يعطيها لمولى بدعة ليفك أمرها من الرق ويحظى منها بالعتق فلنا بها عناية ولطف ورعاية فحملت اليك هذا المال وأطلعتك على الحال قال السرى فسجدت شكرا لله تعالى وأخذت بيد أحمد ومضينا الى المارستان واذا بالموكل عليها يلتفت يمينا وشمالا فلما رآنى قال

كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى أبا هدب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فأتوا أبا هدب فكلموه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس لكم اليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من آمن به حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فأصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم ينج منهم الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت شلف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق الله لها رجليها بعدما عاينت العذاب أجمع فخرجت كأسرع شيء يكون حتى أتت قرحا وهو وادي القرى ما بين الحجاز والشام فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت (وروى) أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القار فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله تعالى من تحت أديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله تعالى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن من الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه وأسرع السير حتى جاوز الوادي وقال أهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك أنه انتقل من الشام الى مكة لما أهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا عبد الله بن محمد ابن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال يا علي أتدري من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك والله أعلم

مرحبا ادخل عليها فانها لعفانة ولها عند الله حرمة ومكانة قال فدخلنا عليها فسمعناها تقول شعرا

قد تصبرت الى أن
عيل في حبك صبري
وكتمت الوجد لكن
ليس يخفى فيك أمري
ان تكن عني راض
لا أبالي طول دهري
أنت لي خير أنيس
يا مني سؤلي وذخري
من يريد عتق رقي
ويفك اليوم أسري
غيرك اللهم ربي
أنت لي كاشف ضري

قال فبينا هي تنشد اذ أقبل مولاها وهو يبكي وينتحب قال السري فقلت له لا بأس عليك قد أتيناك بالذي وزنته في الجارية بربح خمسة آلاف درهم فقال لا والله فقلت بربح عشرة آلاف درهم فقال لا والله فقلت بربح المثل فقال لا والله ولو أعطيتني الدنيا بما فيها لما قبلت منها شيأ ولكن هي حرة لوجه الله تعالى قال السري فقلت له أخبرني ما الخبر فقال يا أستاذي أتاني البارحة آت في النوم فوبخني في المنام وأغلظ علي في الكلام وقال تهين ولية لنا يا عدو الله فانتبهت مرعوبا وقد هانت علي الدنيا وخرجت عن جميع ما أملكه

﴿ مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ ﴾

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح وكان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه تارخ فلما صار مع النمروذ قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم وولد لناحور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم

﴿ الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام ﴾

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية في حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذي كان به نمروذ من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن أبوه نقله الى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان و بين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة ونمروذ الذي ولد في ملكه ابراهيم هو نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن كورش بن حام بن نوح (وفي الحديث) ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ وبختنصر وكان نمروذ أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه و يقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء (وقال السدي) رأى نمروذ في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والقافة وهم الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمروذ بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلى بينه و بينها اذا أمن المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو ابراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام (وقال) محمد بن اسحق بعث نمروذ الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها (وقال السدي) خرج نمروذ بالرجال الى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فمكث كذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأتمن عليها أحدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له ان لي اليك حاجة أحب ان أوصيك بها ولم أبعثك الا لثقتي بك فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك ولا تواقعها فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الى أهلي فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال الكهان للنمروذ ان الغلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بابنها وأنها قد ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا عند نهر فواراه

لله تعالى وأنا هارب اليه عسى أن يقبلني ثم بكى وخرج على وجهه هائما قال السري فالتفت الى أحمد بن المثنى فوجدته يبكي و ينتحب ودموعه تجري على خده وقد ظهرت آثار القبول عليه فقلت ما يبكيك يا أحمد فقال ما رضيني مولاي الى ما ندبني اليه ولا وجدت لما لي قبولا بين يديه أشهدك اني قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله تعالى قال السري فقلت ما كان أعظم بركات بدعة على الجميع ثم قامت بدعة ونزعت جميع ما كان عليها ولبست جبة من صوف وخمارا من شعر وخرجت هائمة على وجهها فخرجنا معها وهي تنشد وتقول شعرا

هربت منه اليه
بكيت منه عليه
وحقه وهو مولى
لازلت بين يديه
حتى أنال وأحظى
بما قد رجوت اليه

(قال السري) فما زلنا نتبعها حتى خرجت الى ظاهر المدينة وهي تنشد وتقول هذه الابيات شعرا

يا حبيب القلوب أنت حبيبي
يا سرور السرور أنت سروري
يا حياة النفوس أنت حياتي

وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه (وقال السدى) لما عظم بطن أم ابراهيم خشى آزر أن يذبح فانطلق بها الى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فانزلها فى سرب من الارض وجعل عندها مايصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من أصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام فى ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لاصحابه أن له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلة الى مغارة وكانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه مايصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه فى المغارة فتجده حيا يمص ابهامه قال أبو زريق كانت أم ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لانظرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع سمنا (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل أم ابراهيم عن حملها مافعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام فى الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام فى المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى أبيه آزر فاخبره أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت فى شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

(الباب الثانى فى خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الى قومه ومحاجته اياهم فى الدين والقائهم اياه فى النار ومايتعلق بذلك)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو فى السرب قال لامه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى يحدث أنه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال لها فاتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال اسكت وذلك قوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لابويه أخرجانى فاخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل أباه ماهذه فقال ابل وخيل وبقر وغنم فقال ماهذه بد من ان يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر فى خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى مالى اله غيره ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة فى آخر شهر فرأى الكوكب قبل القمر فقال هذا ربى فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر لانه رأى ضوأها أعظم فلما افلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قالوا وكان ابوه يصنع الاصنام فلما ضم ابراهيم الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب بها ابراهيم عليه السلام فينادى من يشترى مايضر ولاينفع فلا يشترى أحد منه فاذا بارت عليه ذهب بها الى النهر فضرب رؤسها وقال لها اشربى كسدت استهزاء بقومه وبما هم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشا عيبه اياها واستهزاؤه بها فى قومه واهل قريته فحاجه قومه فى دينه فقال لهم أتحاجونى فى الله وقد هدان الآيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا

آتيناها

وانيسى وأنت نور لنورى قال السرى ثم مضت حتى غابت عن اعيننا ثم آتى مولاها وصحبنى وكذلك أحمد بن المثنى برهة من الزمان الى ان توفى سيدها وبقيت أنا وأحمد بن المثنى فعزمنا على الحج الى بيت الله الحرام فبينما نحن نطوف بالكعبة اذا بصوت مقروح يخرج من كبد مجروح وهو ينشد ويقول هذه الابيات

قد تهتكت بحبك
كيف لى منك بقربك
فترفق بفؤاد
يشتكى شدة بعدك
حيث يانفس اذا لا
يضرو بك ذنبك
فاسألى العفو جهارا
والرضا من عند ربك

قال السرى فاتبعت الصوت فاذا بامرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال فلما رأتنى قالت السلام عليك ياسرى فقلت وعليك السلام من انت يرحمك الله فقالت لااله الا الله وقع التناكر بعد المعرفة انت الى الآن محجوب وقلبك مسلوب ثم قالت انا بدعة قال السرى فقلت لها ما الذى افادك الحق بعد انفرادك عن الناس فقالت شعرا

افادنى كل المنى
وخص قلبى بالغنى
وقد از السيدى

آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا أباه آزر الى دينه فقال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ الى آخر القصة فابى أبوه الاجابة الى مادعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الارب العالمين قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا تعنى نمروذ فقال لا الذى خلقنى فهو يهدين الى آخر القصة ففشا ذلك فى الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال له يا ابراهيم أرأيت الهك الذى بعثك وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التى تعظمه بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال ابراهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فاقتل أحدهما فاكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فاتركه فاكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام أراد أن يرى قومه ضعف الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل يتهزأ لذلك فرصة ويحتال فيه الى أن حضرهم عيدلهم (قال السدى) كان لهم فى كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجلى فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعوها منه (وقال مجاهد) وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى افشاه عليه قالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة فاذا فى البيت نهر مستقبل باب النهر صنم عظيم يليه أصغر منه الى باب النهر واذاهم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا رجعنا وقد باركت الآلهة فى طعامنا فكنا فلما نظر ابراهيم عليه السلام الى الأصنام والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم تجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى لم يبق الا الصنم الا كبر فعلق الفأس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذى نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار وأشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا معه هذه الاصنام الصغار وهو أكبرمنها فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها فى الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لملك الذى عرض لسارة هى أختى فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه الا كما قال (وقيل) انكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين فى أمرهم وعلموا

عن باطنى تقل الحيا
ان لم يداركنى بما
أرجو والامن أنا
قال فلما فرغت من كلامها بكت وانتحبت وهاجت واضطربت ثم رفعت رأسها وقالت ياسيدى ومولاى فاز أهل التقى ونجا من اتقى وخاب من حظه الطرد والشقا فأسألك ياسيدى الاما قربت الوصل واللقا وقد توانيت عليك فخذنى اليك فلا حاجة لى فى البقا ثم صرخت ووقعت الى الارض فحركتها فاذا هى ميتة رحمة الله عليها قال فنظر اليها أحمد بن المثنى فطار قلبه وحار لبه ثم بكى وانتحب واهتز واضطرب واصعد الزفرات وأظهر الحسرات ثم صرخ ووقع على الارض فحركته فاذا هو قد مات قال السرى فتعجبت من حالهما وقربت آجالهما وأخذت فى غسلهما وتجهيزهما ودفنهما رحمة الله تعالى عليهما ونفعنا بهما (وحكى عن السرى أيضا رضى الله تعالى عنه أنه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام فبينما أنا فى الطريق اذا أنا بامرأة حسناء ذات جمال بديع فقلت لها يا جارية أين تريدين فقالت

أنها لاتنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ماهؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيأ ولايضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبد الله بن عمر ان الذى أشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائى اسمه هينون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما أجمع نمروذ وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه فى بيت وبنوا له بنيانا كالحظيرة فذلك قوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ثم جمعوا له من أصلب الحطب وأصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافانى الله تعالى لأجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ماتطلب مما تحب أن تدرك لئن أصابته لتحتطبن حطبا ولتجعله فى النار التى يحرق بها ابراهيم احتسابا فى دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجمعوا منه ماأرادوا أشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من القائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق فى النار فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشئ منكم أودعاه فلينصره فقد أذنت لكم فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه ملك المياه فقال ان أردت أخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدى وأتاه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لاحاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم أنت الواحد فى السماء وفى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غيرى وروى المعتمر عن أبى بن كعب عن أرقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لااله الاأنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لاشريك لك ثم رموا به بالمنجنيق الى النار فى موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال ياابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل فاسئل ربك فقال ابراهيم عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى حسبى الله ونعم الوكيل وفى الخبر أن ابراهيم عليه السلام انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل قال الله عز وجل يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدى) كان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها بأمر الله تعالى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وابن عباس لولم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق حينئذ نار فى الارض الاطفئت ظنت انها تعنى قال كعب الاحبار وروى قتادة والزهرى ماانتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولاأحرقت النار يومئذ شيأ الا وثاق ابراهيم عليه السلام ولم يبق يومئذ دابة الاأطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال السدى فأخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فأقعدته على الارض فاذا عين ماء وورد أحمر ونرجس قالوا فأقام ابراهيم فى النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم منى عيشا فى الايام التى كنت فيها فى النار (قال) ابن اسحق وغيره وبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الى جنب ابراهيم وهو يؤنسه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير وقال له ياابراهيم ان ربك يقول أماعلمت أن النار لاتضر أحبابى وألبسه القميص ثم أشرف نمروذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام ومايشك انه قد

الى بيت الحبيب فقلت لها ان الطريق بعيدة فقالت بعيدة على كسلان أوذى ملالة وأما على العشاق فهى قريبة ثم قالت انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا قال فلما وصلت الى بيت الله الحرام رأيتها تطوف بالبيت فقالت ياسرى أنا تلك الخادمة لمولاى جئته بضعف خلقى بقوته هذه صفات قوم فارقوا ديار اللهو وخلعوا ثياب الزهو آثروا المحبوب بالنفوس والآثار ووقفوا بين يديه فى حلل الانكسار هجروا الراحة فى الاوطان والاوطار فلله درهم خلعوا ثياب الاصطبار ومزقوا ستر الاستتار وأفشوا وجدهم مع كتمان الاسرار ناداهم بالعناية فى الاصلاب والارحام حرام عليكم أن تنظروا الى غيرى حرام وجمع لهم مجلس مناجاته وسقاهم لذيذ شراب مصافاته ياهذا هل لك فى هذا المجلس نديم هل لك فى هذا الغرام غريم هل لك فى هذا الربع أنيس هل لك فى هذه الروضة جليس فاذا أردت أيها العبد رضا الرب اللطيف فتقرب اليه بقلب منكسر وجسم نحيف (قيل) انه لما نزل البلاء على أيوب عليه السلام أتاه طاوس السماء

هلك فرآه بالسافى روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق ماجمعوا من الحطب فناداه نمروذ يا ابراهيم كبير الهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار حتى لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشى فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيت معك فى مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله ربى ليؤنسنى فيها فقال نمروذ يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده انى ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك هذا حتى تفارقه الى دينى فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشعبى) ألقى ابراهيم عليه السلام فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضى الله عنها وهى ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بقيت يومين وماتت فى اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ماصنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمروذ وملئهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو أخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحوز بن تارخ فهاران أبو لوط وناحور أبو تنويل وتنويل أبو لابان ورفقا بنت تنويل امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضا به سارة وهى بنت عمه وهى سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام وقال السدى كانت سارة بنت ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقى ابراهيم سارة وهى ابنة ملك حران وكانت قد طعنت على قومها فى دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على أن لا يضرها (قال ابن اسحق) خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق مهاجرا الى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى فخرج حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من فلسطين وهى برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهى من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين يعنى الشام فبركتها أن بعث منها أكثر الانبياء وهى الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب لد وهى أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغنى والفقير (قال أبى بن كعب) مامن ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التى ببيت المقدس ثم يتفرق فى الارض والله أعلم

﴿الباب الثالث فى ذكر مولد اسماعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم﴾

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أيها المعبودون من دون الله وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أيها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج بها يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادته لربه

جبريل عليه السلام بأمر الله عز وجل فقال له يا أيوب سيئل بك مولاك من البلاء والاهوال مايعجز عن حمله الجبال فقال أيوب ان دمت على مواصلة الحبيب سأصبر حتى يقال محب مجيب فنودى يا أيوب استعد لبلائى واصبر على نزول حكمى وقضائى وكان السبب فى ابتلائه ان ابليس اللعين حسده ويحيل عليه بأنواع الحيل والمكر فلم يقدر عليه فقال الهى انما سبب شكر أيوب لك وطاعته ماوسعت له فى الاموال والاولاد والارزاق والعافية فلو سلطتنى عليه وسلبته ذلك لما أطاعك طرفة عين فقال الله جل جلاله اذهب فقد سلطتك عليه وانه لن يغيره ذلك قال فأول يوم ابتلاه بأخذ الاولاد فزاد فى الخدمة واجتهد غاية الاجتهاد وفى اليوم الثانى أخذ الاموال فأحرقها ومزقها فقال أيوب العطايا عطاياه ان شاء سلبها وان شاء أطلقها وفى اليوم الثالث نفخ ابليس فى جسده وهو فى صلاة الفجر فلعب الدود فى جميع بدنه ولم يزل بذكر الله تعالى فى سره وعلانيته وقال الحمد لله الذى اصطفانى لخدمته ومنّ علىّ بفضله وخيره ولم

حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من
الفراعنة الاول وكانت سارة من أحسن النساء وأجملهن وكانت لاتعصى ابراهيم عليه السلام فى شئ
وبذلك أكرمها الله تعالى قال فأتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء ووصف
له حسنها وجمالها فارسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ماهذه المرأة منك فقال هى
أختى وتخوف ان قال هى امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى
سارة عليها السلام وقال لها ان هذا الجبار قد سألنى عنك فاخبرته أنك أختى فلا تكذبينى عنده فانك
أختى فى كتاب الله عز وجل وانه ليس فى هذه الارض مسلم غيرى وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار
وقام ابراهيم عليه السلام يصلى فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره
فلما رأى الجبار ذلك أعظم أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدى فوالله لا آذيتك فقالت سارة
اللهم ان كان صادقا فاطلق له يده فاطلق الله تعالى يده (وفى بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك
ثلاث مرات يقصد أن يتناولها فتيبس يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهى جارية
قبطية فاقبلت الى ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انفتل من صلاته فقال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر
وأخدمنى هاجر قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فتلك أمكم يابنى ماء السماء (وفى بعض الاخبار) ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم
وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب
ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت انى أراها
امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوقع
ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام (روى) محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن
كعب بن مالك الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها
خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهرى ما الرحم الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال كانت هاجر ام اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك الملك
الذى كان بها وأشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئرا واتخذ بها مسجدا وكان
ماء تلك البئر معينا طاهرا وكانت غنمه تردها فاقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان أهلها آذوه
فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايليا ببلد يقال لها قطة
فلما خرج من بين أظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا
أخرجنا من بين أظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع الى
بلد أخرجت منه قالوا ان الماء الذى كنت تشرب ونشرب معك منه قد نضب وذهب فأعطاهم سبعة
أعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا طاهرا كما
كان فاشربوا منها ولا تقربها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا
يشربون منها وهى على تلك الحالة حتى أتتها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الى الذى هو
عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلده وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط
له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسله يأمرونه
بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق ومن
وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما
حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى

ضيوفا

يشغلنى بشيره قال ولم يزل
أيوب ذاكرا لربه حامدا
وشاكرا الى أن تمزق جلده
وذاب لحمه ودق عظمه
فصار الدود يغدو فى جسده
ويروح وهو بالشكوى
لايبوح وكان كلما سقط
من جسده دودة الى
الارض يردها الى مكانها
ويقول كلى فهذه مائدة
من جسدى معدودة قال
فنزل الامين جبريل عليه
السلام فسلم عليه فلم يرد
عليه السلام لاشتغال
لسانه عن الكلام فسلم
عليه ثانيا قال فرد عليه
السلام فسأله عن عدم الرد
فى أول مرة فقال يا أخى
ياجبريل ان الملك الودود
أرسل الى أضيافا من الدود
لأطعمهم من لحمى على
مائدة عظمى فكان بعض
أضيافى على لسانى فخشيت
أن أرد عليك السلام
فتسقط من مكانها فاكون
سببا لمنع قوتها وأطالب
برزقها وأكون عاصيا لربى
وربها (وحكى عن الامام
محمد بن ادريس الشافعى
رضى الله تعالى عنه انه قال)
رأيت بمكة نصرانيا يدعى
بالاسقف وهو يطوف
بالكعبة فقلت له ما الذى
زهدك عن دين آبائك
فقال بدلت خيرا منه فقلت
كيف كان ذلك فقال وقع
لى حكاية عجيبة ونكتة

ضيوفاً لم يضيف مثلهم حسناً وجمالاً فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوى بالحجارة فقربه اليهم فأمسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ثم قالوا له لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به بشروه باسحاق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء في العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال السدى انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لأضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيما بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هي بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدى قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيح وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أى حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدى وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار حملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسماعيل فوضعتا معا فشب الغلامان فبينما هما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسماعيل فأخذه وأجلسه في حجره وأجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فأجلسته الى جنبك وقد جعلت أن لا تضرنى ولا تسوءنى وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت متحيرة في ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واثقبي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنيني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فأوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر وابنها مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبحوالبها خارج مكة ناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت أن تضعها قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم اسمعيل أن تتخذ عريشا ثم قال ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فاتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا أتجعل لا يرد علينا شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت أى الجبال أدنى من الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت أصوات سباع الوادى نحو اسمعيل فأقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تريد السعى كالانسان المجهود فهى أول من سعى بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذى يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعو اسمع ايل تعنى يا ألله قد أسمعتنى صوتك فاغثنى فقد هلكت وهلك من معى فاذا هى بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركنى وابنى ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال لقد وكلكما

غريبة وذلك انى ركبت البحر في مركب فلما توسطنا البحر كسرت بنا المركب فنجوت على لوح منها فما زالت الامواج تدفعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فرأيت فيها أشجارا كثيرة ولها ثمار أحلى من الشهد وألين من الزبد ورأيت فيها نهرا عذبا فقلت الحمد لله على ذلك فها أنا آكل من تلك الثمار وأشرب من ذلك الماء حتى يأتى الله بالفرج فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسى من الدواب والهوام فعلوت شجرة وجلست على غصن من أغصانها فنمت على ذلك الغصن فلما كان وسط الليل اذا دابة على وجه الماء تسبح لله تعالى بلسان فصيح وتقول لا اله الا الله العزيز الغفار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر صاحبه في الغار عمر مفتاح الامصار عثمان القتيل فى الدار على سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة الملك الجبار ومأواه جهنم وبئس القرار فما زالت تقول هذه الكلمات الى أن طلع الفجر فلما همت بالانصراف قالت لا اله الا الله الملك المجيد محمد رسول الله الهادى الرشيد أبو بكر الصديق الصادق

الى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما الى موضع زمزم فضرب بقدمه
ففارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر شنة لها
وجعلت تستقي فيها وتدخره فقال لها جبريل عليه السلام انهاري وجعلت أم اسمعيل تحبسها حبسا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لاتخافي الظمأ
على أهل هذا البلد فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها أما ان أبا هذا الغلام سيجيء فيبنيان
لله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا
الطير لحائم على ماء فاشرفوا فاذا هم بالماء فقالوا لهاجر ان شئت كنا معك فآنسناك والماء ماؤك فأذنت
لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول في تلبيتها

لاهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب
بهم فهم أولاده العرب المتعربة * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور هاجر وابنها
فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها
راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب
يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعا بالصيد يخص بالقنص والفروسية
والرمي والصراع فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس
عندي شيء وما عندي أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه
فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءني
شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال أقرئي زوجك السلام وقولي له
فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ماشاء الله ثم استأذن سارة أن يزور
اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال
لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها
هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو
تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشعثك فلم ينزل
فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم
جعلت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي
له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم
جاءني شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه
وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) أنس بن مالك رأيت في
المقام أثر أصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم
(وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن جسون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا
هدبة بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسبح القرشي قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت
عبد الله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن
والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لاضاآ ما بين
المشرق والمغرب

(الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم)

الشديد عمر بن الخطاب
سور من حديد عثمان بن
عفان القتيل الشهيد علي
ابن أبي طالب ذو البأس
الشديد فعلى مبغضهم لعنة
الرب المجيد قال فلما وصلت
تلك الدابة الى البراز رأسها
رأس نعامة ووجهها وجه
انسان وقوائمها قوائم بعير
وذنبها ذنب سمكة فخفت
على نفسي منها فالتفتت
الي وقالت قف فوقفت
فقالت لي ما دينك فقلت
لها دين النصرانية فقالت
بئس الدين ويحك ياخاسر
ارجع الى دين الحنيفية
فانك قد حللت بفناء قوم
من مؤمني الجن ولا ينجو
منهم الا كل مسلم قال فقلت
لها وكيف الاسلام فقالت
تشهد أن لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله قال فقلتها
فقالت كمل اسلامك
بالترضي عن أبي بكر وعمر
وعثمان وعلي فقلت ذلك ثم
قلت لها من أخبركم بذلك
فقالت قوم حضروا عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسمعوه يقول اذا
كان يوم القيامة تأتي الجنة
فتنادي بلسان طلق اللهم
انك قد وعدتني أن تشيد
أركاني فيقول لها الجليل
جل جلاله قد شيدت
أركانك بأبي بكر وعمر
وعثمان وعلي رضي الله
تعالى عنهم أجمعين ثم

(روت الرواة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم في الحجر اذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر درة قلت وما درة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال احفر المصونة قلت وما المصونة فذهب عني فلما كان من الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست وغار ماؤها لما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يستقي الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف أنه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثار أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا فيها فقال لهم ما أنا بفاعل ان هذا شئ خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بيني و بينكم من شئتم أخاصمكم اليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت في أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لأصحابه ماذا ترون قالوا ان رأينا تبع لرأيك فأمرنا بما شئت قال فاني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما بقي من القوة فكل من مات منا دفنه صاحبه في حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب ومالنا لا نضرب في الارض فعسى الله تعالى أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما أن انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى واياكم فشربوا وسقوا ثم قالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء في هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى وافوا مكة وخلوا بينه و بين زمزم ولما جن الليل رأى عبد المطلب في منامه كأن قائلا يقول له

يا أيها المدلج احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم

وهي تراث من أبيك الاعظم * تسقي الحجيج حافلا لم ينقم

فلما سمعه عبد المطلب قال وأين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة الذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت قريش اليه وقالوا والله لا نتركك أن تحفر ها بين وثنينا ومنحرنا عندهما وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم أخبروا أن جرهما لما سكنت مكة أودعت في زمزم أموالا وأسلحة المصطفى صلى الله عليه وسلم لما أخبرت أن الله تعالى باعث في هذه القرية نبيا من صفته وحليته كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب تلازموا على ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما أخطأ الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا أنه لم يخطئ فتمادى حتى بلغ الى تمثالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم ووجد فيها سيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن

قالت لي الدابة تريد أن تكون عندنا أو الرجوع الى أهلك فاخترت الرجوع الى أهلي فقالت امكث مكانك حتى تأتيك مركب قال فمكثت مكاني ونزلت الدابة الى البحر فغابت عن عيني غير ساعة واحدة حتى مرت علي مركب عظيمة وفيها ركاب فأشرت اليهم فحملوني معهم فنظرت فاذا في المركب اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فاخبرتهم بخبري وقصصت عليهم قصتي فاسلموا كلهم فعلمت أن هؤلاء الاقوام سر اعطيها الذي تركتهم حصل لنا الاسلام ونلنا أعلى مقام ولله الحمد على التوفيق و بلوغ المرام وأنشدت أقول شعرا

قوم لهم عند رب العرش منزلة
وحرمة و بشارات وا كرام
فازوا بصحبة خير الخلق واتصفوا
بوصفه فهم للناس أعلام
ففي أبي بكر الصديق قد وردت
آثار فضل لها في الذكر احكام
و بعده عمر الفاروق صاحبه
به تكمل في الآفاق اسلام
وهكذا البر عثمان الشهيد له
في الليل ورد و بالقرآن قوام

خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلاشئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التى تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب فى الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها وأخرج منها ما أخرج ازداد بذلك فى قريش عظما وجاها ومنزلة وعافت الحجيج المياه التى كانت بمكة ونواحيها وأقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها لكونها من أثر اسمعيل عليه السلام وافتخرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله أعلم

﴿ الباب الخامس فى صفة بناء الكعبة وبدء أمرها الى وقتنا هذا ﴾

(أخبرنا) أبو عمرو أحمد بن أبى أحمد الفراتى أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المقرى بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم بن المفضل حدثنا عبد الله بن أبى غسان اليمانى حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال اليمانى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذى فى السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة حذاء الكعبة الحرام وان الله تعالى أهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بنى آدم ميثاقهم فجعله فى الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بأرض الهند فمكث هناك ماشاء الله أن يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فأقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالت بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام ثم قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع خمسة أسابيع بالليل و بالنهار أسبوعان فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتى فأوحى الله تعالى اليه انى معمره بنبى من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه خليلا أقضى على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأورثه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فأسمع ما بين الخافقين فاقبل من حج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال يارب أسألك لمن مات فى هذا البيت من ذريتى لا يشرك بك شيأ أن تلحقه بى فى الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات فى الحرم لا يشرك بى شيأ بعثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) بأسانيد مختلفة أن آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض كان رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم ويأنس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فأنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم انى أهبط لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما كنت تصلى عند عرشى فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى

والامام على المرتضى منحوه
له احترام واعزاز وا كرام
هم الصحابة للمختار قد وضحوا
طرق الهدى وعلى الخيرات قد داموا
عليهم من سلام الله أطيبه
ما أفطر الناس يوم الشك أوصاموا

(وروى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال دخلت الجنة فبينا أنا أطوف برياضها وأنهارها وأشجارها اذ رأيت شجرة فضربت بيدى الى ثمرة فأخذتها فانفلقت فى يدى عن أربع قطع فخرج من كل قطعة حورية لو أخرجت طرفها لفتنت أهل السموات والارض وان أظهرت كفها لغلب ضوؤه ضوء الشمس والقمر ولو تبسمت لملأت ما بين السماء والارض مسكا فقلت لمن أنت فقالت لابى بكر الصديق رضى الله عنه فقلت لها امضى الى قصر بعلك فمضت وقلت للثانية لمن أنت فقالت لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقلت لها امضى الى قصر بعلك فمضت ثم قلت للثالثة لمن أنت فقالت للمختضب بدمه المقتول ظلما وعدوانا عثمان بن

الى آدم عليه السلام ان لى حرما بحيال عرشى فانطلق فابن لى بيتا فيه ثم حف به كما رأيت الملائكة يحفون بعرشى فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم فى طاعتى قال آدم رب كيف لى بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدى اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة و بمكان يعجبه قال للملك انزل بى ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فاراه المناسك كلها التى يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع الى أرض الهند فمات على نور * قال أبو يحيى بائع القت قال لى مجاهد لقد حدثنى عبد الله بن عباس أن آدم نزل حين نزل بالهند ولقد حج منها أربعين حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأى شئ كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام * وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره قال يارب أما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك و يقدسك غيرى قال الله تعالى انى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدى و يقدسنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى و يسبح فيها خلقى و يذكر فيها اسمى وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتى وأوثره باسمى وأسميه بيتى أنطقه بعظمتى وعليه وضعت جلالى ثم أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمته استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فقد ضيع دينى وخفر ذمتى وأباح حرمتى أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يضجون بالتلبية ضجيجا و يثجون بالبكاء ثجيجا و يعجون بالتكبير عجيجا فمن آتاه لا يريد غيره فقد وفد الى وزارنى وضافنى وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن ينعم و يتفضل و يسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره الأمم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهكذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم كانت على ذلك الى أيام الطوفان فلما كان أيام الطوفان رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة و بعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه و يذكر اسمه فلم يدر ابراهيم فى أى موضع يبنيه فسأل الله عز وجل أن يبين له ذلك (واختلف) العلماء فى كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليه السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن رجلا قام الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال ألا تخبرنى عن البيت أهو أول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بنى ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام أن ابن لى بيتا فى الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهى ريح خجوج ولها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهينا الى مكة فتطوقت على موضع البيت كتطوق الحجفة وأمر ابراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون أرسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى أن قدم مكة فوقفت فى موضع البيت ونودى يا ابراهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذى خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام فدلاله على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فألهم الله تعالى أحدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هبلى كينا يعنى هات لى حجرا فيقول له اسمعيل هاك خذه فبنيا الكعبة من خمسة

عفان رضى الله تعالى عنه فقلت لها امضى الى قصر بعلك فمضت وقلت للرابعة لمن أنت فسكتت ثم قالت يا رسول الله ان الله سبحانه وتعالى خلقنى على حسن فاطمة وقد سمانى باسمها وزوجنى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه قبل أن يتزوج بفاطمة الزهراء بألف عام * فهم خلفاء النبى صلى الله عليه وسلم وأنصاره وأتباعه وهم سائقون به يوم القيامة الى دار الكرامة رضى الله تعالى عنهم ورضى الله عنا بهم آمين (وحكى عن رافع بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال) قال لى هاشم ابن يحيى الكنانى ألا أحدثك حديثا رأيته بعينى وسمعته باذنى وشهدته بنفسى ونفعنى الله به فعسى أن ينفعك فقلت حدثنى يا أبا الوليد فقال غزونا أرض الروم فى سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحرث وكان ذا حظ من العبادة يصوم النهار و يقوم الليل فان سرنا درس القرآن وان أقمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلة خفنا فيها فخرجت أنا واياه نحرس القوم وكنا محاصرين العدو عند حصن من الحصون صعب علينا أمره

أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودى ويبنت قواعده من حراء قال فبقى حجر فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر فى مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر فقال له أتانى به من لم يكلنى اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتنى بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علما للناس فناداه أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندى وديعة فهاك خذها فاخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل أبى قبيس وركبه فى موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم الى قوله وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم فاجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذى يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتى اذا أسفر الصبح أفاض بهما الى منى فاراهما كيف يرميان الجمار ثم أمرهما بالذبح وأراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فاوحى الله تعالى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج فقال يارب وما يبلغ صوتى فقال عليك الاذان وعلى البلاغ فعلا ثبيرا ونادى ياعباد الله ان ربكم قد بنى بيتا فحجوه وأجيبوا داعى الله فسمعه ما بين السماء والارض وما بين الابحر ومن فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فاجابه كل من آمن بالله ممن سبق فى علم الله تعالى أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والمشرق والمغرب والشام فدعا الى الحج فاجيب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق الآيات فلم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها ● وكان السبب فى ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار ان الكعبة كانت رضمة فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطى نجار فهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد الا كشرت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبيناهى ذات يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا لنرجو أن الله تعالى قد رضى ما أردناه من عمارة بيته وان عندنا عاملا رفيقا وخشبا وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر بن عمرو بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يامعشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأ لكم فى هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننتظره فان أصيب

فرأيت من سعيه من العبادة فى تلك الليلة وصبره على التعب ما تعجبت منه فلما طلع الفجر قلت له يرحمك الله ان لنفسك عليك حقا فلو رحتها كان خيرا لك فبكى وقال أخى انما هى أنفاس تعد وعمر يفنى وأيام تنقضى وأنا رجل أرتقب الموت قال فابكانى ذلك فقلت له أقسمت عليك بالله ما دخلت الخيام واسترحت فدخل ونام قليلا وأنا بالس ظاهر الخيمة فسمعت كلاما فى الخيمة ولم يكن فى الخيمة سواه فتقدمت اليه فاذا هو يضحك فى نومه ويتكلم بكلام حفظت من كلامه ان قال لا أحب أن أرجع ثم مد يده اليمنى كأنه يلتمس شيأ ثم ردها ردا رفيقا وهو يضحك ثم قال والليلة ثم وثب من نومه وهو يرتعد فاحتضنته الى صدرى مليا وهو يتلفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد اليه فهمه فجعل يهلل ويكبر فقلت ما الخبر حدثنى فقال نعم فقلت سمعتك يا أخى تقول لا أحب أن أرجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها برفق فقال لا أخبرك فاقسمت عليه فقال وتكتم ذلك فقال نعم ياسيدى فقال رأيت القيامة قد قامت وخرج الناس من

لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصبه شئ فقد رضي الله تعالى بما فعلنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس فافضوا الى حجارة خضر كأنها أسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلا بين حجرين منها ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت لبنائها فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا في البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن تضعه في صفة دون الاخرى حتى تخالفوا وتحالفوا وتواعدوا القتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم و بنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة أن أبا أمية بن المغيرة كان حينئذ أسن قريش كلها فقال لهم يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم وأخبر وما الخبر قال هلموا الى ثوب فاتوا به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بني عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش الى سنة أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكوني عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق وأخذوا يرتجزون و يقولون

حطارة مثل الفنيق المزبد ✲ ترمي بها عيدان هذا المسجد

وقال آخر منهم كيف ترى صنيع أم فروه ✲ تأخذهم من الصفا والمروه

أم فروة اسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المنجنيق وانهدمت مع ذلك احترقت وكان السبب فيه انهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فاحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت (وقال الواقدي) حدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فاشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأس رمح له فطارت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والحجر الاسود (وقال) بعضهم كان السبب في ذلك ان امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس ويصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال ان أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم فازيد في الكعبة الحجر وان قريشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت ولجعلت لها بابين باب شرقيا وبابا غربيا فامر به ابن الزبير فحفر فوجدوا قلاعا أمثال الابل الخلف فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال أقروها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن الزبير الى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولي الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان فنقض

قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فبينما أنا كذلك اذا أتاني رجلان لم أر أحسن منهما فسلما علي فرددت عليهما السلام فقالا لي ياسعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم فانطلقت معهم حتى أخرجاني من الموقف واذا أنا بخيل لا تسبقها خيل كأنها البرق الخاطف أوهبوب الريح العاصف فركبنا وسرنا حتى انتهينا الى قصر شاهق لا يبلغ الطرف منتهاه كأنه صنع من فضة وله نور يتلألأ فلما وصلنا اليه انفتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيأ لا يبلغه الواصفون ولا يخطر على قلب بشر وفيه من الحور والوصائف والولدان بعدد النجوم فلما رأونا أخذوا في حسن أنغام من القول الحسن مختلف الالحان وهم يقولون هذا ولي الله قد جاء فمرحبا به وسهلا فسرنا حتى اتينا الى مجالس ذات أسرة من ذهب وهاج مكللة بالجواهر محفوفة بكراسي من اليواقيت وعلى كل سرير جارية أحسن من الشمس والقمر لا يستطيع أحد من

الحجاج بنيان الكعبة التى كان بناه ابن الزبير بأمر عبد الملك وأعادها الى بنائها الاول بمشهد مشايخ من قريش فهى اليوم على مابناها الحجاج الاما كان من قلع القرمطى صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام أوقع بالحجيج بمكة فذهب بمع من أسر من الحاج الى البحرين ثم أخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبى اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيى البرمكى النيسابورى رحمة الله عليه

(الباب السادس فى ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين فى الذى أمر ابراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اجماع أهل الكتاب على انه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى بن أبى طالب ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير والقاسم بن أبى برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبى سابط وأبو الهذيل والزهرى والسدى (روى) شعبة عن أبى اسحق عن ابى الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال أنا فلان ابن فلان ابن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف ابن يعقوب بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله (وروى) سفيان عن زيد بن أسلم عن عبيد الله ابن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون ياإله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل بى شيأ قط الا اختارنى عليه وان اسحق جادلى بالذبح فهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادنى حسن ظن (وروى) حمزة بن الزيات عن أبى اسحق عن أبى ميسرة قال قال يوسف عليه السلام للملك مصر أترغب ان تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله * وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبى ويوسف ابن مهران ومجاهد وكان الشعبى يقول رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى انه كان لايشك فى أن الذى أمر بذبحه من ابنى ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل وهى رواية عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عباس قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظى أنه كان يقول ان الذى أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك فى كتاب الله تعالى فى قصة الخبر عن ابراهيم عليه السلام وما أمر به من ذبح ابنه أنه اسمعيل وذلك أن الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ماوعده وما الذى أمر بذبحه الا اسمعيل قال محمد بن كعب القرظى فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشأم فقال لى عمر ان هذا الشئ ما كنت أنظر فيه وانى لاراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشأم وكان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى أنه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال له أى ابنى ابراهيم الذى كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله ياأمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذى كان أمر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذى ذكر أنه كان منه بصبره على ماأمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحق لان اسحق أبوهم وقد روى عن رسول الله صلى

الله

الخلق أن يصفها وفى وسطهن واحدة عالية عليهن فى طولها وكمالها وجمالها فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء أهلك وهنا مقيلك ثم انصرفا عنى فوثبت الجوارى الى بالترحيب والاستبشار كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهن ثم حملونى حتى أجلسونى على السرير الاوسط الى جانب الجارية ثم قلن هذه زوجتك ولك أخرى مثلها وقد طال انتظارهن اليك فكلمتها وكلمتنى فقلت لها وأين أنا فقالت فى جنة المأوى فقلت من أنت فقالت أنا زوجتك الخالدة فقلت وأين الاخرى فقالت فى قصرك الآخر فقلت لها أقيم اليوم عندك وأتحول فى غد الى الاخرى ثم مددت يدى اليها فردتها ردا رفيقا ثم قالت أما اليوم فلا فانك راجع الى الدنيا وستقيم ثلاثا فقلت لا أحب أن أرجع فقالت لابد من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاثة أيام ان شاء الله تعالى ثم نهضت من مجلسها فنهضت أودعها فاستيقظت ياأخى ولاصبر لى عنها قال هشام فغلبنى البكاء وقلت هنيأ لك ياسعيد جدد لله شكرا فقد كشف الله لك عن ثواب عملك فقال هل رأى أحد غيرك ما رأيت

الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يعزه أبو عبدالله الى غيره • فاما الرواة التى روت عنه أن الذبيح اسحق فاخبرنى أبو عبدالله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أراد ابراهيم ان يذبحه اسحق وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الذى فداه الله بذبح عظيم اسحق وأخبرنا أبو عبدالله أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبدالله بن ماهان أخبرنا موسى بن اسمعيل أنبأنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدى فيقول يارب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيأ قال فيقول الله وعزتى لا أدخل النار من لا يشرك بى شيأ وأخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحق المزنى قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة أنبأنا جدى أبو بكر بن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الأئمة أنبأنا على بن حجر أنبأنا عمر بن حفص عن أبان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرنى بين أن يغفر لنصف أمتى و بين أن أختبئ شفاعتى فاخترت شفاعتى ورجوت أن يكون ذلك أعم لأمتى ولولا الذى سبقنى اليه العبد الصالح لتعجلت شهادعوتى وذلك أن الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال أما والذى نفسى بيده لا تعجلنها قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وأدخله الجنة • وأما الرواة التى روت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابى باسناده عن الصباحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا أن الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله أعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه ان سهل الله عليه أمرها لينحرن أحد ولديه قال فخرج السهم على عبدالله فنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثانى اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفى القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحق فهو أن الله تعالى أخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام مع سارة ولوط وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين انه دعا فقال رب هب لى من الصالحين يعنى ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم اسمعيل ثم أتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى وليس فى القرآن أنه بشر بولد ذكر الا باسحق وأما الدليل على انه اسمعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبر أن قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة الى أن احترق البيت فاحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل على أن الذبيح اسمعيل

(وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم بابنه عليهما السلام)

قال السدى باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هاربا بدينه كما قال تعالى وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين دعا الله أن يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لى من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما بشر به هو اذا لله ذبيح فلما ولد الغلام و بلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك الذى نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب فى أمر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله تعالى وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال

فقلت لا فقال بالله عليك يا أخى اكتم ما سمعت منى ما دمت فى الحياة ثم قام فتطهر وتطيب وأخذ سلاحه وتوجه الى موضع القتال وهو صائم فقاتل الى الليل ثم انصرف فتحدث الناس بقتاله وقالوا ما رأينا مثل ما فعل سعيد اليوم حتى انه كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم فكلهم يثنون عليه قال فقلت فى نفسى لو يعلمون شأنه لتنافسوا فى مثل عمله ثم مكث قائما يصلى الى آخر الليل ثم أصبح صائما يقاتل أبلغ مما فعل بالامس قال أبو الوليد فانطلقت معه لانظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقى نفسه فى المهالك الى غاية النهار وهو لا يصل اليه شئ مما كانوا يرمونه عليه من الحجارة وغيرها حتى غربت الشمس فجاءه سهم فى منحره فخر صريعا وأنا أنظر اليه وهو يضحك فضجت الناس و بادروا اليه فاخذوه وجاؤا به الى الخيام وقد مات رحمة الله تعالى عليه فقلت له هنيئا لك يا سعيد ما اذا تفطر الليلة ياليتنى كنت معك قال هشام فعض على شفته السفلى وضحك فى موته وقال الحمد لله الذى صدقنا وعده قال فصحت يا عباد الله لمثل هذا فليعمل

فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك أي رأيت لفظه مستقبل ومعناه الماضي فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته رأى في المنام أن يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يابني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر به وقال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك الآية فقال له ابنه الذي أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع بمر السكين على حلقي ليكون أهون للموت علي فان الموت شديد فاذا أتيت أمي فاقرئها مني السلام فان رأيت أن ترد قميصي اليها فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني فقال له ابراهيم نعم العون يابني أنت على ما أمر الله به ففعل ابراهيم ما أمره ابنه ثم انه أقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استنقع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم يعمل السكين شيأ قال السدي وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كبني على وجهي فانك ان نظرت الى وجهي رحمتني وأدركتك علي رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفا وروى عنه أيضا أن الكبش الذي فدي به عن ابن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذي قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فارسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد وحش يعني يبس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبيه أنه كان يقول ما فدى اسمعيل الا بكبش من الاروى أهبط عليه بثبير وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال كان وعلا (وروى) أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم في المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم والا لم أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل لهم الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به مني وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم أن الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه وفي استسلامه لامر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم أن الله أمره بذلك قال له فليفعل ما أمره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله اني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم فقال له اليك عني ياملعون فوالله لامضين لأمر ربي فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم وأهله شيأ مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده (وروى) أبو الطفيل عن ابن عباس

المسلمون فاستمنوا أخبركم بأعجب مما رأيتموه من أخيكم هذا فاقبل الناس بأجمعهم فأخبرتهم بحكايته وما كان منه فما رأيت باكيا كاليوم ثم كبرنا تكبيرا اضطرب له العسكر وشاع الحديث وبلغ الخبر الى مسلمة بجامو فوضعناه لنصلي عليه فقلت صل عليه أيها الامير فقال بل يصلي عليه الذي عرف من أمره ما عرف فصلينا عليه ودفناه في موضعه وبات الناس يتحدثون به فلما طلع النهار تذاكرنا حديثه وصاح المسلمون صيحة واحدة وحملوا على المشركين وفتح الله تعالى ذلك الحصن في ذلك اليوم ببركته رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به في الدارين آمين (وحكي عن أبي يعقوب الطبري رضي الله تعالى عنه أنه قال) خرجت في سفر أريد الشام فوقعت في التيه أياما حتى أشرفت على الهلاك فبينا أنا كذلك اذ رأيت راهبين سائرين كأنهما قد خرجا من مكان واحد يريدان ديرا لهما بالقرب فملت اليهما وقلت لهما أين تريدان فقالا لا ندري فقلت لهما من أين أقبلتما فقالا لا ندري الا أننا في ملكوه بين يديه قال فتعجبت من ذلك

رضى الله تعالى عنهما أن ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لأمر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية ابن أبى الصلت الثقفى فى ذلك شعرا

ولابراهيم الموفى بنذر ● احتسابا وحاملا لاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه ● لو رآه فى معشر اقتال
● أبنى انى نذرتك لله شحيطا فاصبر فدى لك حالى
واشدد الصفد لا أحيد عن السكين حيد الاسير ذى الاغلال
وله مدية تخايل فى اللحم غلام جبينه كالهلال
بينما يخلع السراويل عنه ● فكه ربه بكبش جلال
خذن ذا فارسل ابنك انى ● للذى قد فعلتما غير قال
ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

﴿ الباب السادس فى هلاك النمروذ بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح ﴾

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (روت الرواة) بأسانيد مختلفة ان أول جبار كان فى الارض النمروذ ابن كنعان وكان الناس يخرجون اليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمروذ اذا مر به الناس قال لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به ابراهيم فقال له من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ورد ابراهيم بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر بكثيب أعفر فقال لآخذن من هذا فآتى به أهلى فتطيب به قلوبهم حين أدخل عليهم فأخذ ابراهيم منه فأتى به أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو بأجود دقيق رأته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أفاق قدمته اليه وكان عهد أهله أن ليس معهم شئ ولا عندهم طعام فقال لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمروذ الجبار لما حاجه ابراهيم عليه السلام فى ربه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهى حتى أعلم من فى السماء فبنى صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم ● قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة أفراخ من النسور فعلفها اللحم والخبز باهاحتى شبت واستفحلت ثم قعد فى تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا فى اللحم حتى أبعدت فى الهواء فقال النمروذ لفتاه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال أرى الارض مثل اللجة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودى أيها الطاغى الباغى أين تريد قال عكرمة فأمر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فعاد

وقلت فى نفسى ان هذين الراهبين مستغنيان بالتوكل دونك فقلت لهما أتأذنان لى فى الصحبة معكما فقالا ذلك اليك فسرنا حتى أمسينا قاما الى صلاتهما وقمت الى صلاة المغرب فتيممت وصليت فلما نظرا الى حين تيممت وصليت تعجبا من ذلك فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما فى الارض فانفجرت عين ماء والى جانبه طعام موضوع فزدت تعجبا من ذلك فقال لى أدن وكل واشرب قال فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم غار الماء وذهب الطعام فلما كانت الليلة الثانية فعل الثانى كما فعل الاول فلما كانت الليلة الثالثة قالا لى يا مسلم الليلة نوبتك قال محمد بن يعقوب فاستحييت من قولهما وداخلنى هم شديد وأمر غريب وقلت فى نفسى اللهم انى أعلم ان ذنوبى لم تدع لى عندك جاها ولكن أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن لا تفضحنى عندهما ولا تشمتهما بدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فاذا بعين ماء قد انفجرت وبطعام كثير الى جنبها فأكلنا وشربنا ثم حمدنا الله تعالى على ذلك قال فلم نزل

اليه السهم متلطخا بالدم فقال كفيت شغل اله السماء واختلفوا فى ذلك السهم من أى شئ تلطخ فقال عكرمة من سمكة فى بحر معلق فى الهواء بين السماء والارض قربت قة سها لله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمروذ غلامه أن يصوب العصا وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه أمر حدث فى السماء وأن الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم أى جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ على وعمر وابن مسعود وان كان مكرهم لتنزل منه الجبال بالدال ثم ان الله تعالى أرسل ريحا على صرح النمروذ فالقت رأسه فى البحر نخر عليهم الباق وانقلبت بيوتهم وأخذت النمروذ رعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمروذ من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة فيها فذلك قوله تعالى نخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك أن الله تعالى بعث الى النمروذ ملكا أن آمن حتى أتركك على ملكك قال فهل رب غيرى فجاءه الثانية والثالثة فابى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمروذ جموعه وجنوده فامر الله تعالى الملك أن يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمروذ وقومه فاكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمروذ كما هو لم يصبه شئ من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت فى منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كمدة ملكه ثم ان البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

﴿ الباب السابع فى ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وولده ﴾

قال الله تعالى أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته الآية قال أهل العلم باخبار الماضين ماتت سارة وهى ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من أرض كنعان فى حبرون فى مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت فى الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطورا ابنة يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومداوأشبق بن وشوخ وتزوج أيضا بامرأة أخرى من العرب اسمها حجون بنت أهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروخ وأهيم ولوطان ونافس فكان جميع بنى ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل بكره وأكبر أولاده فانزل اسمعيل بارض الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر ولده فى البلاد فقالوا لابراهيم يا أبانا أنزلت اسحق معك واسمعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بارض الغربة والوحشة قال بذلك أمرت ثم علمهم اسما من أسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

﴿ الباب الثامن فى ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام ﴾

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل الله اليه ملك الموت فى صورة شيخ هرم قال السدى باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشى فى الجادة فبعث اليه بحمار فركبه حتى أتاهم فقدم اليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ويريد أن يدخلها فاه فيدخلها فى عينه مرة وفى أذنه مرة ثم اذا أدخلها فى فيه وحصلت فى جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذى يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت

على هذه الحالة حتى يحصب التوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلب على البكاء فلم أستطع رده فاصابهما مثل ما أصابنى وارتفعت أصواتنا بالبكاء فلما فرغنا قالا لى ما يبكيك فقلت انى رجل مسرف على نفسى وليس لى عند الله من الجاه والمنزلة ما يبلغنى هذه الكرامة فقالا لى وكيف ظهر لك فقلت انما توسلت اليه بجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يفضحنى معكما فاستجاب لى فقالا قد عرفنا ان دينه الحق وهو عند الله عظيم فامدد يديك فانا نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال فاسلما وخرجنا جميعا الى مكة شرفها الله تعالى فاقمنا بها مدة وخرجنا الى الشام فتفرقنا فوالله ما ذكرتهما الا وهانت على الدنيا وصغرت فى عينى (وأنشدت شعرا فى المعنى)

لما رأيتك حاضرا
فى القلب زاد بى الهمار
وبقيت فيك محيرا
والقلب ليس له قرار
فامزج كؤسى بالرضا
جهرا فانها اصطبار
دارت على موسى الكليـ
ـم فلاح نحو الطور نار
لطفت فلما ذاقها الـ
أحباب نحو الحب طاروا
بذلوا اليه نفوسهم

فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بيني و بينك سنتان فاذا بلغت عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة فى مزرعة حبرون ‌(الباب التاسع فى ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان (روى) فى الحديث انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يا سيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو أبو الضيفان وكان لا يتغدى ولا يتعشى الامع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفا وضيافته قائمة الى يوم القيامة وهى الشجرة المباركة التى قال الله تعالى يوقد من شجرة مباركة الآية وصح انه دعا الله تعالى أن يجعل النبوة فى نسله فاستجاب له وجعل النبوة فى شعبى اسمعيل واسحق عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف من بنى اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق فى الآخرين فليس من نبى تجرى ألسنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضيله وتبجيله كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لى لسان صدق فى الآخرين وهو المبتلى بانواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن وقال وابراهيم الذى وفى أى بما أمر به وهو الامام القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة ان كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجتمع فى أمة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر ✽ أن يجمع العالم فى واحد

وهو الذى أوتى رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة فى التوحيد فدعا الخلق الى الحق بلسان الحجة من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية وأول من سماه الله حنيفا مسلما قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية وهو أول من اختتن (قال) أبو منصور الحشارى حدثنا أبو عباس المعقلى أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ على ابن وهب أخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (وأخبرنا) الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا محمد بن مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين وأول من قسم الفىء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه فى موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك أنه كان وقع بينه و بين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لاهل الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل (أخبرنا) الحسن الدينورى أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان أخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انك أكرم أهل الارض على فاذا سجدت فلا تر الارض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يارب ما هذا قال الوقار فقال يارب زدنى وقارا وهو أول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال وأرنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذى بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بعد دروسه حتى

وعلى خيول القوم غاروا واليه فى بحر الهوى ركبوا و بالارواح ساروا طلبوه حقا بالقلو ب وعندما نظروه حاروا هاموا به حتى لقد أنست بقربهم الديار ورأوا اشارات الهوى لاحت لديهم فاستناروا هذان راهبان لاح لهما قمر شوم ابرة من الايمان فرأوا الطريق وسلكوا منهج التصديق وأنت يامسكين عمرك قد انقضى ومضى فى العصيان وزمانك قد ذهب فى الخسران وأنت فى بحر الغفلة غريق وقد هبت نسمات القبول والتوفيق وأنت سكران بخمر المعاصى لا تفيق (وعن عبد الله القرشى رحمه الله تعالى انه قال) كنت أصحب ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى وأسرح معه فسرنا يوما من الايام نريد الحجاز فمشينا ثلاثة أيام لم نستطعم فيها بطعام ولا شراب فقلت له اتعرف ما بى من الجوع ياسيدى قال فرمق بطرفه الى السماء بعد أن جلس وجلست بجانبه فاذا رغيف سخن قد سقط فى حجرى فرفع ابراهيم راسه الى وقال كل فاكلت نصفه وشبعت ثم سرنا فمررنا بقافلة قد حبسها الاسد عن المسير

بناه قام الله تعالى واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من ألقي في النار في الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى الآية وهو الذي كان اذا سافر وتمنى سارة واشتاق اليها رفع الله الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذي يكسى حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبي عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وأول من يكسى ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء وأول من هاجر لله قال الله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس قال الله تعالى اني جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم وأمر محمدا خير الانبياء وأمته خير الامم باتباع ملته قال تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أواها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب والاواه الذي يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ست وأربعون خصلة من خصاله التي أكرمه الله بها (ويروى) أن الله تعالى أوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروى) أبو ادريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المسلط المغرور اني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور يغنيه

(مجلس في ذكر بعض أخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام)

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قدمنا ذكره ثم طلقها بأمر أبيه ثم تزوج بامرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثني عشر رجلا نابتا وقيذار وادبيل وبسام ومسمع ودوما ومسا وحراه وقيما وبطور ونافس وقيدما ومن نابت وقيذار ابني اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحاق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكا اسمعيل الى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى اليه اني فاتح لك بابا من الجنة يجري عليك روحها الى يوم

القيامة

[قطعة من الهامش:] تعظيم ابراهيم اليه وقال له يا قسورتان كنت قد أمرتنا بشيء فامض الى ما أمرت به والا فاذهب قولي الاستحارا بالله وسار القوم فقالوا له بالله عليك يا سيدي الا ما دعوت لنا فنحن نخاف في السفر فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا تهلكنا وأنت رجاؤنا قال عبد الله فلقيت رجلا من أهل القافلة بعد مدة فسألته فقال والله ما كنا ندعوا بهذا الدعاء الذي علمه لنا الشيخ ما رأينا سبعا وقال الصائغ ٧ ركب معنا ذلك الرجل في مركب في البحر فعصفت الريح وهاجت الامواج واضطرب المركب فخفنا من الغرق فخافت الناس وبكوا وضجوا فقال الرجل يا قوم معنا في السفينة رجل صالح كان من أمره كذا وكذا فاسألوه أن يدعو لكم فأتوا اليه وهو نائم في ناحية المركب ملفوف رأسه في الكساء قال فايقظناه وقلنا له يا سيدي ما ترى من حالنا وما نحن فيه من الشدة والغرق فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم أريتنا قوتك وقدرتك فأرنا حلمك وعفوك قال فما

القيامة وفي ذلك المكان دفن ● وأما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدي قال حملت رفقا في بطن واحد بغلامين فلما أرادت أن تضع اقتتل الغلامان في بطنها فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن أمي فاقتلها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمي عيصا لانه عصى فخرج قبل يعقوب وسمي الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمي قال لعيص يابني اطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعالي به أبي وكان عيص رجلا اشعر ويعقوب رجلا أجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يابني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس جلدها ثم قدمها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك وأتى الى أبيه وقال ياأبتاه كل فقال من أنت قال أنا عيص فمسه وقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال له أدن مني فدنا منه فدعا له أن يجعل في ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال ياأبت قد جئتك بالصيد الذي أردته فقال يابني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لأقتلنه فقال يابني قد بقيت لك دعوة فهلم أدع لك بها فتقدم اليه فدعا له فقال أن تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم أحد غيرهم ثم ان أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسير في الليل ويكمن في النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو أول من سري بالليل فأتى يعقوب الى خاله وكان اسحق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله ليان بن ناحور وأن يعقوب لما مكث عند خاله خطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال له هل لك من مال فأزوجك عليه فقال لا لكن أخدمك أجيرا حتى تستوفي صداق ابنتك فقال له ان صداقها أن تخدمني سبع حجج فقال يعقوب تزوجني راحيل لانها أصغر ولاجلها أخدمك فقال له خاله ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى ليا وأدخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاءه يعقوب وهو في نادٍ من قومه فقال له غررتني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين ودلست علي غير امرأتي فقال له خاله يا ابن أختي أردت أن لا يدخل علي في ذلك العار وأليسه وأنا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمني سبع سنين أخرى حتى أزوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى أن بعث موسى وأنزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا أربعة أسباط روبيل وكان أكبرهم ويهوذا وشمعون ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمي بنيامين لان أمه راحيل ماتت في نفاسها ويامين بالعربية الشكل وكان ليان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب أمتين يقال لاحداهما زلفة وللاخرى بلهة فوطئ الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتالي وروبالون وولدت له بلهة جادو يشجر وآشر فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا اثنان من راحيل وأربعة من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط في كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق

استتم كلامه حتى سكن الريح وهدأ الموج وسارت السفينة قال عبد الله فلما نزلنا من السفينة سرنا اياما فهلكت من الجوع وشكوت اليه فاخذ المزود ورقي الى شجرة البلوط فملأ المزود من اوراقها ثم اتى به الي وقال كل فاذا هو رطب جني ما كنت أطعمته ولا اطيب قال وعطشت معه في بعض السياحات ليلا فشكوت اليه ذلك فقال لي اشرب فنظرت الى دلو تدلى في الهواء وفيه ماء لم اذق اطيب منه طعاما ولا احسن منه ريحا فشربت منه حتى رويت فكنت بعد ذلك اصوم في الهواجر فلا اجوع ولا اعطش فهذا كله ببركته فلله در رجال ماتركوا في قلوبهم لغير محبوبهم مجالا قد اسبلوا العبرات على الوجنات

(شعر)

لله در رجال واصلوا السهرا
واستعذبوا الوجد والتبريح والفكرا
فهم نجوم الهدى والليل يعرفهم
اذا نظرتهم هم سادة بررا
كل غدا قلبه بالله مشتغلا
عمن سواه والذات قد هجرا
يمسي ويصبح في وجد وفي قلق
مما جناه من العصيان منذعرا

يقول ياسيدي قدجئت معترفا
بالذنب فاغفر على ياخير من غفرا
جلت ذنوبا عظيما لا أطيق له
ولم أطع سيدي في كل ما أمرا
عصيته وهو يرخي ستره كرما
ياطالما قدعفاعني وقدسترا
ياطالما كان لي في كل نائبة
اذا استغثت به في كربة نصرا
واني تائب عما جنيت وقد
وافيت بابك يامولاي معتذرا
لعل تقبل عذري ثم تجبرني
يوم الحساب اذا قد صرت منكسرا
وقد اتيت بذل راجيا كرما
اليك ياسيد السادات مفتقرا
ها قد تشفعت بالهادي النبي ومن
فاق النبيين والاملاك والوزرا
تالله لو لم يكن في الارض ما نبتت
زرعا ولا انزل الباري لها مطرا
متى أسير الى ذاك الجناب متى
أحظى برؤيته اقضي بها وطرا
صلى عليه اله العرش ما ركبت
نوق وما زمزم الحادي لها وسرى

(وحكى عن ابي سليمان

خاله ليان وانصرف بولده وامرأته وجاريتيه المذكورات الى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص فلم يرمنه الاخيرا فنازل أخاه وتألفه وتلطفه حتى ترك له البلاد وتنقل في الشام وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده * وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه نسيمة بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الروم بن عيص فكل بني الاصفر من ولده وكان عيص فيما ذكر يسمى آدم لادمته ولذلك سمي ولده بني الاصفر قالوا وعاش اسحق بعدما ولد له عيص و يعقوب مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند قبر أبيه ابراهيم عليهما السلام في حبرون وقيل حبرون والله أعلم

(مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام)

وهو لوط بن هاران بن تارح ابن أخي ابراهيم عليه السلام وانما سمي لوطا لان حبه لاط بقلب ابراهيم عليه السلام أي تعلق به ولصق ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا لولا ذاك ألوط أي ألصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم باخبار الانبياء وذكر وهب في المبتدا انه شخص من أرض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارح أبو ابراهيم مخالفا لابراهيم في دينه ومقيما على كفره الى ان وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات تارح وهو آزر أبو ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن علوان بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى أرض الشام فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى أرض سدوم وما يليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فيما ذكر اهل التأويل ان اتيانهم الفاحشة مع من ورد بلدهم واتيانهم المنكر في ناديهم قال المفسرون هو انهم كانوا يجلسون في مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم و يتضارطون في مجالسهم و ينكح بعضهم بعضا في الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم على الطريق وروى أبو صالح عن أم هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم و يسخرون به وهو المنكر الذي كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك و يدعوهم الى عبادة الله تعالى و يتوعدهم على اصرارهم على ماهم عليه و يأمرهم بالتوبة منه و يخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تماديا وعتوا واستعجالا بعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا و يقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين فأجاب الله دعاءه و بعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم و بشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فأقبلوا مشاة في صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فتضيفوه و بشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا ابراهيم أن الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم في ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط وكان جداله اياهم على ما ذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال

أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قاله اشفاقا منه عليه فقالت له الرسل نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته (قال) قتادة فى هذه الآية لا ترى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها لقوا لوطا فى أرض له يعمل فيها قال قتادة راو يا عن حذيفة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه فقالوا انا متضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض وما أعلم على وجه الارض أناسا أخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أى شديد (قال السدى) باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا بنت لوط تستقى الماء لأهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ر يثا والاخرى غيثا فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففزعت عليهم من قومها ثم أتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا تأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا وقالوا له خل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ننهك عن العالمين فجاءهم لوط الى منزله ما يعلم بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسنا قط (قال أبو حمزة الثمالى) بلغنا أن العلم الذى كان بين امرأة لوط وقومه اذا أتتهم الضيفان يقول لرسولها ابعثوا لنا ملحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة بأضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها ملحا قالوا فلما أخبرت امرأة لوط قومها بأضياف زوجها جاءه قومه يهرعون اليه أى يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط ياقوم اتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن العالمين أن تضيف الرجال وقالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قالوا فما بعث الله نبيا بعده الا فى شرف من قومه ومنعة من عشيرته وقال صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية يرحم الله أخى لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره وغلق بابه والملائكة معه فى الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له يا لوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير مردود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء ان فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن كما كنت حتى نصبح يتوعدونه فلما علم لوط ان أضيافه رسل ربه وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم اهلكوهم الساعة فقال له جبريل

الدارانى رحمه الله تعالى ونفعنا به) أنه كان يقول فى بعض مناجاته سيدى لئن طالبتنى بذنبى لأطالبنك بعفوك ولئن طالبتنى ببخلى لأطالبنك بجودك وكرمك ولئن طالبتنى باساءتى لأطالبنك باحسانك ولئن أدخلتنى النار لأخبرن أهلها بمحبتى لك فنودى يا أبا سليمان لا تدخلك النار ولا نعذبك بها أبدا بل ندخلك الجنة لتخبر أهلها بمحبتنا لك ولا تخبر أهل النار بمحبتك لنا فان مكان المحبين الجنة ومكان الاعداء النار اخوانى المحبة عروس مهرها النفوس ولها تخضع الرقاب والرؤس وهى تجلى على أهلها الاسرار وتصفو بها الاكدار وترقق معانى أبكار الافكار وهى للعارف نور وللجاهل نار اذا مزجت خمرة المحبة على أهل جنة الوصال يتنعمون فيها بالغدو والآصال والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب فالذين يتلون كتاب الله طوبى لهم وحسن مآب متكئين فيها على الارائك نعم الثواب (وحكى عن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى) أنه قال سمعت ذا النون المصرى رضى

ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره أن يسرى بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم
أحد الا امرأته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى الا آل لوط
نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم
فاقتلع قرى قوم لوط الاربع وكان فى كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى
سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى
فجعلنا عاليها سافلها ثم اتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من
سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد أى من يفعل كفعلهم * أخبرنا الحسين بن
محمد بن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرى أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى
أخبرنا اسحق بن بشر أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأسمع العواصف والقواصف من الرعد فأخشى
أنها الحجارة التى أعدت لقوم لوط أو من يعمل بعملهم وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عقيل القطان
أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازى أخبرنا أبو اليمان الحكم بن
نافع الحمصى عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى أن أتى شعيب قاضى
حمص وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطى قال أن يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى
قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل
عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرجل منهم يتحدث فى قريته التى يكون فيها فيأتيه
الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها فذلك قوله
تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أى الباقين فى العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم الآية
(أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا
اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا المسيب قال سمعت أبا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين أى
خلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا
سدوم وعامورا ودومة وصاعورا فأما سدوم فهى القرية العظمى وكان فى هذه القرية أربعة آلاف
فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت المؤتفكات أى المنقلبات وأما القرية الخامسة
فانها تسمى صغرة ونجت من العذاب لأن أهلها آمنوا بلوط (وروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سماك بأسماء ففسرها لى قال وصفك فى قوله تعالى ذى قوة عند ذى
العرش مكين مطاع ثم أمين فأخبرنى عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على
جناحى فى الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن
قال فأخبرنى عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما
أو كلفتهما فتح أبواب الجنان والنيران فتحاها قال فأخبرنى عن قوله تعالى أمين قال ان الله تعالى أنزل
من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيرى (أخبرنا) عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفى
أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سمعان البزارى أخبرنا عبد الله بن قحطبة أخبرنا ياسر بن ثوبة أخبرنا محمد بن
را وز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال
الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا
(أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى
أخبرنا اسحق بن بشر حدثنى مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقى من قوم لوط أحد

الله عنه يقول بينا أنا فى
شوارع مصر اذ رأيت
جارية مسفرة عن وجهها
وهى تمشى من غير خمار
فقلت لها يا جارية أما تستحى
من الله تعالى فقالت
يا ذا النون وما يصنع الخمار
بوجه علاه الاصفرار قال
ذو النون فقلت لها عساك
تناولت شيأ من شراب
القوم فقالت اسكت يا بطال
شربت البارحة بكاس وده
مسرورة فاصبحت بحبه
مخمورة قال ذو النون فقلت
لها يا جارية عسى فائدة
منك أو وصية أحفظها
عنك فقالت يا ذا النون
عليك بالسكوت حتى
يتهموك أنك مبهوت
وارض من الله باليسير من
القوت يبن لك بيت فى
الجنة من الياقوت قيل
أوحى الله تعالى الى نبيه
داود عليه السلام يا داود
أحبنى وأحب من يحبنى
وحببنى الى عبادى فقال
داود يارب كيف أحبك
وأحب من يحبك واحببك
الى عبادك فقال تذكرنى
لهم وتذكرهم آلائى ونعمائى
فانهم لم يعرفوا منى الا الجميل
والاحسان * قيل اوحى
الله تعالى الى نبيه الخليل
عليه السلام يا ابراهيم انك
لى خليل وانا لك خليل
فاحذر ان اطلع على قلبك
فاجده مشغولا بغيرى

قال لا الارجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج أصابه الحجر خارج الحرم فقتله (عن مقاتل عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما حمل ذلك قوم لوط انما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الى أربعين فأهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعا

﴿ مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام ﴾

قال الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية قال سعد بن أبي وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا قال فأنزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الآية فدلهم الله تعالى في هذه الآية على أحسن القصص واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص أحسن القصص فقال بعض أهل المعاني معنى الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو أهون عليه قال الشاعر

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

أراد عزيزة طويلة وأجراه الباقون على الظاهر فقالوا هي أحسن القصص ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا ياسلمان حدثنا عن التوراة بأحسن ما فيها فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعني أن قصص القرآن أحسن مما في التوراة وقيل سمى الله هذه القصة أحسن القصص لأنها ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجازاة يوسف اخوته وصبره على أذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه في العفو عنهم حيث قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والأنعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضا ذكر العفو والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خيري الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله أحسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب

﴿ الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام ﴾

هو يوسف الصديق ابن يعقوب الصفي ابن اسحق الذبيح ابن ابراهيم الخليل عليهم السلام ولذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كرماء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم واختلفوا في معنى اسم يوسف فقال أكثر الفقهاء هو اسم عبري فلذلك لا يجر وقال بعضهم هو اسم عربي سمعت الاستاذ أبا القاسم الحبيبي يقول سمعت أبي يقول سمعت أبا الحسن الاقطع وكان حكيما فسئل عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمي يوسف

﴿ الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته ﴾

فينقطع حبك مني فاني انما أختار لحبي من لو احرقته بالنار لم يلتفت قلبه عني ولم يشتغل بغيري فاذا كان كذلك اسكنت محبتي في قلبه فتواترت عليه ألطافي فقر بتمني ووهبته محبتي فاي نعيم يعدل ذلك عندي واي شرف أشرف منه لدي فوعزتي لاشفين صدره بالنظر الي وذلك اني محب لمن احبني (اخواني) اذا كانت محبته سبقت للعبد بالعناية القديمة كيف لا يسلك العبد الطريق المستقيمة كما قيل ان الله تعالى يقول ياجبريل أنم فلانا وايقظ فلانا فالمحب بين يدي محبوبه قائم ولخدمته ملازم وفي حبه هائم فما عليه من العاذل واللائم (شعر)

ياعاذل القلب في صبابته
ولائم الصب في تصابيه
أترك ملامي وخل عن عذلي
فالحب معنى ولست تدريه
وفي ضميري من لا أبوح به
وفي فؤادي من لا أسميه
قد أدهش الطرف في محاسنه
وحير القلب في معانيه
محجب والقلوب تشهده
مغيب والغرام يبديه
ووجهه حيث كنت واجهني
لاشيء يخفيه أو يواريه
ان جئته ضارعا فيا أملي

قال الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الآية (أخبرنا) أبو عبد الله الثقفي أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد بن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازي أخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال حدثني عمارة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي الى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يارسول الله قال كالقمر ليلة البدر وأخبرني الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا حامد بن سعدان أخبرنا أبي أخبرنا يعقوب أخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطي وأمه شطر الحسن وعن أبي اسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران • قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الانبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار مترديا بحلة الشرف مرتديا برداء الكرامة مقمصا بقميص البهاء وفي يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون ألف ملك وعن يساره سبعون ألف ملك ومن خلفه أمم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس و بين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال وتحول معه حيثما حال فلما رآه آدم قال الهي من هذا الكريم الذي أبحت له صبوحة الكرامة ورفعته الدرجة العالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم الحلة قال آدم قد أحلته ثلثي حسن ذريتي ثم ان آدم ضم يوسف الى صدره وقبله بين عينيه وقال يابني لا تأسف فأنت يوسف فأول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية وقد كان الله أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذي كان انتزعه منه وذلك أن الله تعالى أحب أن يرى العباد أنه قادر على مايشاء فأعطى يوسف من الحسن والجمال مالم يعطه أحدا من الناس ثم أعطاه العلم بتأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذي يرى في المنام أنه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر علمه الله ذلك كما علم الأسماء كلها آدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف أبيض اللون جميل الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن أقنى الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال أسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كأنها القمر ليلة البدر وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا تبسم رؤي النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لايقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام ويقال انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالعبرانية وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاءهن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة مالم يعطه أحدا من العالمين وانه كان ليأكل البقول والفوا كه فترى حين يزدردها في حلقه وفي صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حواء (وقال وهب) الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس (وعن) عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام فقال يامحمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشي وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس و يدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال

يقول لبيك في تعاليه
ها انا دان ومنك مقترب
نفذ من الوصل ورد صافيه
﴿وعن ذي النون المصري رحمه الله تعالى﴾ انه قال رايت فتى ظاهره الجنون و باطنه الفنون فعلمت انه محب مولا مفتون فسمعته يبكي و يقول في مناجاته مولاي قربت المحبين وطردتني فاذنيتي وخصصتهم بالوصل منك وهجرتني فوا كربي وايقظتهم للقيام بين يديك واكتني فوائدهي والذذتهم في السحر بمناجاتك ومالذذتني فوا ألمي ثم اخذ في البكاء والنحيب قال ذو النون فحرك مني ما كان ساكنا وهيج من شوقي ما كان كامنا فقلت له يافتي ما هذا البكاء فقال ياذا النون اخبرني سواد الثوب يزول بالماء والصابون وسواد القلب يزول بماذا قال ذو النون فقلت انا واتفق طلب ما انت في طلبه وما وقعت منه الا في الحيرة والتيه وانشد يقول شعرا

راى سوادي فقلت و يلي
اشد منه سواد قلبي
طلبت منه اذاك غسلا
فقال لي ليس ذا بصعب
كذاك قلبي به سواد
فازددت كربا بالعظم كربي

(اخواني) سكنت نار المحبة في القلوب فاستنارت

نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو أحسن في عيني من القمر

(القول في القصة)

قال أهل العلم بقصص الانبياء وأخبار الماضين كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده أن الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة في صحن داره فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فأخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيأ فلما كبر وشب قال لابيه يا نبي الله انه ليس أحسن اخواتي الا وله غصن الا أنا فادع الله تعالى أن يخصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم اني أسألك أن تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوانه فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذذاك صبي كأن قضيبه غرس في الارض فعلق وتدلت اغصانه وأثمر من كل ثمرة ثم أتى باغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر واذا بغصن يوسف أقصرها وأصغرها فلم يزل يتعالى في السماء ويطول حتى طال على أغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت أغصان اخوته من أصولها وألقتها في البحر وثبت غصن يوسف في الارض قائما فانتبه فزعا مرعوبا فقال له أبوه ما الذي دهاك يا بني فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راحيل لقد رأيت عجبا يوشك أن تدعي انك مولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسده بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعني الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الرؤيا التي قصها الله علينا في كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان ينومه الى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي اذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه الى صدره وقبل بين عينيه وقال يا حبيب أبيه ما الذي أصابك فقال يا أبت رأيت رؤيا أفزعتني فقال يا بني خيرا رأيت ما الذي رأيت قال يوسف رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال وزخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأني ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدي فبينما أنا كذلك اذ رأيت أحد عشر كوكبا نقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخروا لي ساجدين فقال يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمي ما قال يوسف ولا تخبري أولادي بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التي أمرها يعقوب بكتمها فانتفخت أوداجهم واقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ما عني بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان ابن راحيل يريد أن يملك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدي فحسدوه على ذلك فلذلك قيل في الحكمة لا تأمنن قارئا على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا امرأة على سر (وروى) الحكم بن ظهير عن اسمعيل السدي عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له بستان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشيء حتى نزل جبريل

بأنوار المحبوب قال بعضهم سبعة أشياء لا تتم معرفة الرب الا بها اخلاص النية لله عز وجل وصدق العزيمة مع الله والصدق في الله والشوق الى الله وحسن الظن بالله والخوف من الله فهذه السبعة لا تتم معرفة الله الا بها كما أن المصباح لا يوقد الا بسبعة أشياء لا بد منها الزناد والحجر والحراق والكبريت والمسرجة والزيت والفتيلة فبدون هذه السبعة أشياء لا سبيل الى ايقاد المصباح فاذا أردت يا هذا ايقاد مصباح قلبك بمشاهدة ربك فلا بد من زناد المجاهدة وحجر المكابدة وحراق الاشواق وكبريت المحبة ومسرجة التوكل وزيت الشكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح في سلاسل التضرع الى ربك فعند ذلك يتوقد نور في قلبك (وحكي عن محمد بن أحمد المقيد رحمه الله تعالى) انه قال سمعت الجنيد رضي الله تعالى عنه يقول كنت نائما عند السري السقطي رضي الله تعالى عنه ليلة من الليالي فايقظني وقال يا جنيد رأيت كأني وقفت بين يدي الله تعالى فقال يا سري خلقت الخلق فادعى كلهم محبتي وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي

عليه السلام فاخبرهبأسمائها فارسل الى اليهودى ودعاه وقال له ان أخبرتك بأسمائها أتسلم قال نعم فقال له جريان والطارق والذيال وذو الكتفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح رآها يوسف فى أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال أرى شيأ متشتتا يجمعه الله لك فقال اليهودى هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف فى الغصن ورؤياه فى الكواكب سبع سنين فلما كان من أمر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على ان تآمروا بينهم فى أن يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال و يهلكوه فيما بينهم كما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين أى خطا بين فى ايثاره يوسف وأخاه علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين أى تائبين فاستعملوا التوبة قبل وقوع الذنب قال قائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم وألقوه فى غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن أيحسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل الاب جلاب والاخ سلاب فعند ذلك أجمعوا رأيهم ان يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الى البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب ان أباكم لا يأمنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فاقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح فجعلوا يتلاعبون و يتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فأقبل عليهم وقال يا اخوتاه أهكذا تلعبون فى مراعيكم فقالوا نعم يا يوسف انك لو رأيتنا ونحن نلعب فى مراعينا لتمنيت أن تكون معنا فشوقوه الى ذلك حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه انطلقوا الى أبى وسألوه أن يرسلنى معكم فأقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا اذا أرادوا ان يسألوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقوفا صفوفا قال لهم ما حاجتكم قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه حتى نرده اليك أرسله معنا غدا يرتع ويلعب فى الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب لانه رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكأن الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم وأخاف أن يأكله الذئب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن شيبة أخبرنا أبو نعيم وعبد الرحمن بن قريش أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروى أخبرنا مالك بن سليمان القروى أخبرنا عبيد الله ابن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلقنوا الناس الكذب فيكذبوا فان بنى يعقوب لم يعلموا ان الذئب يأكل الانسان حتى لقنهم أبوهم فلما لقنهم وقال انى أخاف أن يأكله الذئب قالوا أكله الذئب فقال بنوه لئن أكله الذئب ونحن عصبة أى عشرة رجال انا اذا لخاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبى الله كيف يأكله الذئب وفينا شمعون ذا غضب لا يسكن غضبه حتى يصيح فاذا صاح لا تسمعه حامل الا وضعت ما فى بطنها وفينا يهوذا اذا غضب شق السبع نصفين فلما سمع يعقوب منهم ذلك اطمأن اليهم وأقبل يوسف حتى وقف بين يدى أبيه ثم قال له يا أبت ارسلنى معهم قال أو تحب ذلك يا بنى قال نعم قال اذا كان غدا أذنت لك فى ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته

العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر وبقى عشر عشر العشر فقلت للباقين لا الى الدنيا أردتم ولا الى الجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فما الذى تريدون وما الذى تطلبون فقالوا أنت المراد ولو قطعتنا بالبلاء لم نحل عن المحبة والوداد فقلت لهم انى مسلط عليكم من البلاء والاهوال ما لا تقوم بحمله الجبال أتصبرون على البلاء قالوا بلى اذا كنت انت المبلى لنا فافعل ما شئت بنا فهؤلاء عبادى حقا وأحبابى صدقا (اخوانى) البلاء موكل بالمحبين قد اضنى منهم الاجساد وتمكن من القلوب فلا يزالون كذلك حتى يصلوا الى المحبوب وأنشد بعض العارفين يقول شعرا

بنى الله للاحباب بيتا سماؤه
هموم وأحزان وحيطانه الضر
وحصباؤه كرب وغم وسقفه
سقام وآلام يضيق بها الصدر
وأدخلهم فيه وأغلق بابه
وقال لهم مفتاح بيتكم الصبر

(وعن ابراهيم الخواص

وأخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عمد يعقوب الى السلة التى حمل فيها ابراهيم زاد اسحق فحمل فيها زادا ليوسف وخرج ليشيعهم فقالوا يا نبى الله ارجع فقال يعقوب يا بنى أوصيكم بتقوى الله و بحبيبى يوسف أسألكم بالله ان جاع فأطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تتعموه ولا تخذلوه وكونوا اشتوا اصلين متراحين قالوا نعم يا أبانا كنت انك وامره أخونا كأحدنا بل له الفضل علينا بحبك اياه فقال نعم يا بنى الله خليفتى مع أنى خائف أن أكون قد ضيعته ثم انه أقبل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف راجعا (وروى) السدى ورجاله عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم واسحق بن بشر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كعب الاحبار وسعيد بن أبى عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم فى بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا يرى منهم رحيما وأخذوا ما كان زوده يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشا شديدا فقال لهم اسقونى جرعة من ماء قبل أن تقتلونى فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأى يوسف أن ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح و يقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما تصنع بابنك بنو الآباء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا أليس انكم قد أعطيتمونى موثقا أن لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على القائه فى الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب فى الاردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس على قارعة الطريق فى واد من أوديتها على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق يهلك من طرح فيها من سعة أسفلها لا يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر سام بن نوح و يسمى جب الاحزان فلما أرادوا أن يلقوه فيه جعلوا يدلونه فى البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أستر به عورتى و يكون لى كفنا بعد مماتى وأطلقوا يدى أطرد به عنى هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك وتؤنسك فدلوه فى البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة ململة لينة ورفعها الى يوسف فوقف عليها وجعل يوسف يبكى فنادوه فظن انها رحمة لحقتهم فأجابهم فهموا أن يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد أعطيتمونى موثقا أن لا تقتلوه قالوا فلما ألقى يوسف فى الجب أضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب و بعث الله تعالى اليه ملكا حل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقى فى النار جرد من ثيابه وقذف فى النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه وكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص فى تعويذ وعلقه فى عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقى فى الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه التعويذ فأخرج القميص وألبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (ويروى) ان الملك أتاه بسفرجلة من الجنة فأطعمه اياها فلما أمسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عنى أستوحش فقال له الملك قل اذا هبت شيأ يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعرف حالى ولا يخفى عليك شئ من أمرى فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا حفوا به وآنسوه فى البئر ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع أتاه جبريل عليه

رضى الله تعالى عنه) ونفعنا به أنه قال كان عتبة الغلام من الخواص المعروفين بالاخلاص وكان يزورنى فى بعض الايام والليالى وكان صائم الدهر قائم الليل فبات عندى ليلة فقدمت اليه العشاء ليفطر عليه فلم يفطر عندى الا على الماء فلما صلى العشاء الاخيرة أحرم وقام يصلى الى السحر فسمعته يقول فى مناجاته سيدى ان تعذبنى فانا لك محب وان ترحمنى فانا لك محب ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قلت له يا عتبة كيف كانت ليلتك فصرخ صرخة عظيمة ثم قال يا ابراهيم ذكر العرض على أسرع الحاسبين قطع أوصال المحبين ثم غشى عليه فلما أفاق رفع رأسه وقال يا سيدى أتراك تعذب من أحبك بالنيران أو تبتلى قلبه بالهجران فسمع هاتفا يقول حاشاه أن يعذب من أحبه واجتباه واختاره واصطفاه وأنشد يقول شعرا

فى وصف حبك ما يغنى عن العزل
وفى حديثك ما يلهى عن العذل
ملكت كلى فكلى منك محتمل
فالامر أمرك ليس الامر

السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا في هذا الجب قال اخوتي لأبي قال ولم قال حسدوني على منزلتي من أبي قال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال نعم قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملأ ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالبا غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حيا لا يموت ويا محيي الموتى لا اله الا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لي من أمري ومن ضيقي فرجا ومخرجا وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد اخوته فرجا وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئنهم اخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون انك يوسف فذلك قوله تعالى لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يثغر وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة (أخبرنا) أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصري أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة ورجعنا الى قصة يوسف عليه السلام، اخوته بعد ما ألقي في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشووها وأكلوها ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال ما لكم يا بني وأين يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي ننتضل وكذلك هو في قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه ملطخ بدمه فذلك قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما فعلوا ذلك ليكونوا في الظلمة أجرأ على الاعتذار وترويج ما مكروا فقد قالوا لا تطلب الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر في النهار من قبيح فعلك فتتلجلج في الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبي قال جاءت امرأة الى شريح فجعلت تبكي فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء اخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد في معناه

أغرك من شيخ بكاه وحلقه • أم اللحية البيضاء النتف مطلقه

فان بني يعقوب جاؤا أباهم • عشاء وهم يبكون زورا وخرقه

قال فلما قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق أي ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الآية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كدب بالدال غير معجمة أي طري فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم أروني قميصه فأروه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له جيبا ولا خرق له شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن شاذان أخبرنا عبيد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا أسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه لئن أكله الذئب ليشقن قميصه وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خلف فعرف الوزير أنه لو كان هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه وحين

من قبل.
وحق حبك ما قلبي بمنقلب
الى سواك وما حبي بمرتحل
ولو سفكت دمي عمدا بلا سبب
لكان عين الرضا حقا بلا ملل

(وعن أبي بكر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) أنه قال تهت في بادية العراق أياما فلم أجد أحدا أرافقه فبينما أنا سائر ذات يوم اذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فاذا على باب تلك الخيمة ستر مسبل فسلمت على من في الخيمة فردت علي السلام عجوز من داخل الخيمة ثم قالت من أين الرجل قلت من مكة قالت وأين تريد قلت الشام فقالت أرى سبحك سبح البطالين هلا لزمت زاوية تعبد الله فيها ثم قالت هل تحسن شيأ من القرآن قلت نعم فقالت اقرأ علي آخر سورة الفرقان قال فقرأتها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها فلما أفاقت قرأت علي آيات فاقشعر جسدي لقراءتها ثم قالت اقرأ علي ثانيا ما قرأته قال فقرأتها فلحقها مثل ما لحقها في المرة الاولى ثم مكثت طويلا فقلت في نفسي أترى ماتت أم لا فرجعت ذاهبا وتركتها مقدار نصف ميل فاشرفت

ألقى على وجهه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح اخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فان أردتم أن يصدقكم ويخرجكم من الملامة فردوا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق بين أوصاله وجلده ونجيء به فقال لهم يهوذا يا اخوتاه أين العهد الذي بيني وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لأخبرن يعقوب بما كان منكم اليه ثم لأكونن لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم انهم رجعوا الى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم صادقين أن الذئب أكله فأين الذئب ائتوني به فعمدوا الى حبالهم وعصيهم فأخذوها ومضوا الى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كتافا ثم حملوه الى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله فحلوه فقال له يعقوب أقبل فأقبل الذئب يتخطى القوم حتى وقف بين يدي يعقوب منكسا رأسه فقال له يعقوب أيها الذئب أكلت ولدي وقرة عيني وحبيب قلبي وثمرة فؤادي لقد أورثتني حزنا طويلا وألما عظيما قال فتكلم الذئب وقال لا وحق شيبتك يا نبي الله ما أكلت لك ولدا وان لحومكم ودماءكم معشر الانبياء لمحرمة علينا واني لمظلوم مكذوب علي واني لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك أرض كنعان قال جئت لاجل قرابتي من الذئاب أزورهم وأصلهم فعند ذلك قال يعقوب لاولاده بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان على ما تصفون * قال ابن عباس انما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جاره فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فمكث يوسف في الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أي رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب في قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه مالحا فعذب حين ألقي فيه يوسف فلما نزلت السيارة أرسلوا رجلا من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فادلى دلوه قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء فوصل الوارد الى البئر فادلى دلوه أي أرسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال مالك يا بشراي هذا غلام يبشر أصحابه أنه أصاب عبدا وأسروه بضاعة قال المفسرون أسر مالك بن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من بعض الناس الى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة ان علموا حاله قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرا من اخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فاذا هو بمالك وأصحابه نزولا ويوسف معهم فرجع يهوذا وأخبر اخوته بذلك فأتوا الى مالك وقالوا له هذا عبدنا أبق منا وكتم يوسف حاله مخافة أن يقتلوه فقال مالك أنا أشتريه منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين أي باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لأن ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أربعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغ أوقية وزنوه لان أقل أوزانهم وأصغرها يومئذ أوقية أربعون درهما (واختلف) العلماء في عدد الدراهم التي باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة أربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب في استرقاق يوسف وبيعهم اياه أن ابراهيم دخل مصر في بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى أربعة فراسخ تعظيما

على واد فيه عربان فابتدرني غلامان ومعهما جارية فقال لي أحدهما أتيت على الخيمة الشعر التي في الفلاة قلت نعم قال أبها حس يسمع قلت لا فقال ماتت ورب الكعبة فمضيت مع الغلامين حتى انتهينا الى الخيمة ودخلت الجارية فكشفت عن وجه العجوز فاذا هي ميتة فتعجبت من ذلك ثم قلت للجارية من هذان الغلامان فقالت هما ابنا ضريعان جعفريان وهذه أختهما ولها منذ ثلاثين سنة لم تستأنس بكلام أحد من الناس واذا نزلوا بوادا اعتزلت عنهم بعيدا وضربت خيمتها في الفلاة فكانت تأكل في كل ثلاثة أيام مرة واحدة رضي الله عنها (اخواني) الى متى تشتغلون باللذات الفانيات عن الباقيات الصالحات فبادروا الى الاوقات واستدركوا الفوات وكفوا عن الشبهات أما أيقظكم منادي الشتات أما هزكم حديث الصالحين والصالحات اذا جاء النهار قطعوه بمقاطعة اللذات واذا اقبل الليل ضجوا بحنين الاصوات ليس لهم الى غير محبوبهم التفات

(شعر)

لهواجلالاولم يترجل لهم ابراهيم فاوحى الله اليه انك لم تنزل لعبادى وهم يمشون معك حفاة لأعاقبنك بان يباع ولد من أولادك فى هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه بيوسف ومعهم اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد برئنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة لهو ساروا به الى مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما رأى قبر أمه لم يتمالك ان رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول يا أمى يا راحيل حلى عنك عقدة الردى وارفعى رأسك من الثرى وانظرى الى ولدك يوسف وما لقى بعدك من البلايا أماه لو رأيت ضعفى وذلى لرحمتنى يا أماه لو رأيتنى وقد نزعوا قميصى وشدونى وفى الجب ألقونى وعلى حر وجهى لطمونى وبالحجارة رجمونى ولم يرحمونى وكما تباع العبيد باعونى وكما يحمل الاسير حملونى (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقده مالك على الناقة التى كان عليها فلم يجده فصاح فى القافلة الا ان الغلام قد رجع الى أهله فطلب القوم يوسف فرأوه فاقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد أخبرنا مواليك بانك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمى فلم أتمالك أن رميت نفسى على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته ويروى أنهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك مانزلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لى بركة يوسف وكنت أسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت انظر الى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على راسه اذا وقف فلما قدموا مصر امر مالك بن دعر ان يغتسل فاغتسل والبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق ابن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ويروى ان هذا الملك مامات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات ويوسف حى ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمر بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فابى أن يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعال وثوبين أبيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس فى ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته اكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعيائيل قاله اسحق بن يسار * وأخبرنى ابن فنجويه أخبرنا ابن أبى شيبة أخبرنا أبو حامد المسيلمى أخبرنا أبو هاشم الرفاعى قال اسم امرأة العزيز بكا بنت فيوش قالوا فقال لها أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا نتبناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة فى ملك ودنيا (أخبرنا) أبو بكر الجوزقى أخبرنا أبو العباس الدعولى بسرجين أخبرنا على بن الحسين الهلالى أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن اسحق عن أبى عبيد عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس فى يوسف وقال لامرأته اكرمى مثواه والمرأة التى أتت موسى فقالت لأبيها يا أبت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر قال اهل الكتاب لما تم ليوسف فى الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث الآية قالوا فلما أتى العزيز بيوسف الى منزله وقال لامرأته اكرمى مثواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه فى قلبها وعشقته فراودته اى طلبت

منه

حياتنا بالحلم غرور
وعمرنا ذاهب قصير
والناس فى غفلة نيام
وقد دعتهم لها القبور
والعمر يمضى وليس ندرى
مثل سنين بنا تدور
يا نفس ما سر فهو حزن
لا تحسبى أنه سرور
فاذكرى الموت واستعدى
له فقد جاءك النذير
(وعن السرى السقطى رضى الله تعالى عنه) انه قال مررت بسكران وهو ملقى على الارض والخمر يطفح من فيه وهو يقول الله الله قال فتعجبت من ذلك ورفعت بصرى الى السماء وقلت الهى لسان يذكرك لا يكون هكذا ثم طلبت ماء فغسلت له فمه وانصرفت فلما أفاق اخبره جماعة من الناس ان السرى السقطى فعل معك كذا وكذا فخجل الرجل واستحى ولام نفسه ووبخها وقال ويحك يا نفسى اذا لم تستحى من الله ومن أوليائه فممن تستحيين ثم ندم وتاب عما كان فيه وأقسم على نفسه ان لا يعود قال السرى فبت تلك الليلة متفكرا فى امر ذلك الرجل فرايت رب العزة فى المنام وهو يقول يا سرى انت طهرت فمه من اجلنا ونحن طهرنا قلبه من اجلك قال السرى

منسه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك أي هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربي أحسن مثواي يعني زوجك قطفير سيدي انه أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا فخنته في أهله بعدما أكرمني وائتمنني فأنا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشيء ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

همت ولم أفعل وكدت وليتني ٭ تركت على عثمان تبكي حلائله

وأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم في ذلك قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شيء ينتثر من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل في الارض من جسدي قالت ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتطمعه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل يجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها (وروى) اسحق بن يسار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شيء يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربي تعالى صورني في الرحم قالت يا يوسف قد أنحلت جسمي بصورة وجهك قال الشيطان يعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة قد التهبت نارا قم فاطفئها فقال ان أطفأتها فنها احتراقي قالت يا يوسف الجنينة قد عطشت قم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق أن يسقيها مني قالت يا يوسف بساط الحرير قد بسط لك قم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة قالت يا يوسف ادخل معي تحت الستر فاسترك به قال ليس شيء يسترني من ربي تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدري تشفني بذلك قال سيدي أحق بذلك مني قالت أما سيدك فأسقيه كأسا فيه زئبق الذهب فيتناثر لحمه ويتساقط عظمه ثم ألقيه في الاستبرق وألقيه في القيطون يعني المخدع لا يعلم به أحد من الناس وأوليك ملكه قليله وكثيره قال فان الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف اني كثيرة الدر والياقوت والزمرذ فاعطيك ذلك كله حتى تنفقه في مرضاة سيدك الذي في السماء فابى يوسف (قال ابن عباس) فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب باحدى يديه الى جنب يوسف و باليد الاخرى الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى أن حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروى) جابر عن الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف أن يفترشها وهم بها يعني تمناها ان تكون له زوجة ٭ وأما البرهان الذي رآه يوسف وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة منه فاختلفوا فيه (أخبرنا) أبو الحسين عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله الطبراني أخبرنا حسن بن عطية عن اسرائيل بن أبي حسين عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فكل بني يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الانبياء (وقال السدي) نودي يا يوسف لا تواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع في الارض لا يقدر أن يدفع عن نفسه ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه ومثلك

فلما اصبحت فرحت بذلك فرحا شديدا ثم سألت عن ذلك الرجل فوجدته في بعض المساجد وهو قائم يصلي فلما فرغ من صلاته سلم علي وقال جزاك الله عني خيرا قال السري فقلت ما سألك فقال يا سيدي وكيف تسأل عن حالي وقد اخبرك به المولى الكريم حين قال لك وقد طهرنا قلبه من اجلك قال السري فتعجبت من ذلك وقلت من اخبرك بذلك فقال الذي طهر قلبي من سواه وجاد علي بعفوه ورضاه (وعن السري ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال دخلت الجبانة فرايت بهلول المجنون على قبر متمرغا على التراب فقلت له ما جلوسك ههنا فقال عند قوم اذا حضرت عندهم لا يؤذوني وان غبت عنهم لا يغتابوني فقلت له يا هذا ان الخبز قد غلا فقال والله ما ابالي ولو صارت كل حبة بدينار علينا ان نعبده كما امرنا وعليه ان يرزقنا كما وعدنا (وقيل) ان رابعة العدوية رضي الله عنها مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها لاهلها فقالت له يا هذا المعنى تشتغل بالاغيار عن الواحد القهار ويحك عليك بالجار ثم الدار فقال لها اذهبي

ان واقعتها مثل الثور الذي يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه فلا يستطيع ان يدفع عن نفسه (أخبرنا) عبدالله بن حامد بن محمد الاصفهاني أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكوني أخبرنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصري ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصري أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فحل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من المرأة فاذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا فارا فلما ذهب عنهما الروع والرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام ياجبريل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه أو كفه وهو يقول يايوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (أخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبدالله النعماني أخبرنا عبدالله بن أحمد بن عامر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه عن علي بن الحسين في قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فظللت دونه بثوب قال فقال لها يوسف ماهذا قالت أستحي أن يرانا فقال لها يوسف أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا أستحي أنا من خالق الاشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعني تبادر يوسف وراعيل الى الباب أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطلبا ليوسف ليقضي حاجتها التي راودته عنها فادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها مانعة له من الخروج فقدت أي خرقت وشقت قميصه من دبر أي من خلفه لأن يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفياسيدها لدى الباب أي وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد بأهلك سوأ يعني الزنا الا ان يسجن أو عذاب أليم يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) وهذا كالمثل السائر خذ اللص قبل ان يأخذك فقال يوسف بل هي راودتني عن نفسي فأبيت وفررت منها فادركتني وشقت قميصي قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد ان يذكرها فلما قالت ما جزاء من اراد باهلك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها اختلفوا في هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد أنطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى ابن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأى وكان من خاصة الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما اخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم اقبل على يوسف فقال يايوسف اعرض عن هذا الحديث لا تذكره لأحد ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك انك

كنت

يامجنونة فقالت لست بمجنونة وانما المجنون من لم يفهم ما أقول ثم قالت يامسكين الجنة سجن من لم يكن الله انيسه وجليسه ألا ترى الى آدم عليه السلام لما كان في الجنة يرتع فلما تعرض له ابليس للأكل من الشجرة صارت عليه سجنا وابراهيم الخليل لما حفظ سر مولاه قربه واجتباه ولما طرح في النار صارت عليه بردا وسلاما وأنشدت تقول شعرا

فروحي وريحاني اذا كنت حاضرا
وان غبت فالدنيا علي محابس
اذا لم انافس في هواك ولم اغر
عليك ففي من ليت شعري انافس

(وقيل) كان حبيب النجار رحمه الله تعالى من الاولياء الاخيار وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويؤثر بطعامه عند الافطار ويبيت طاويا في خدمة الملك الغفار فاذا كان وقت الاسحار ناجى ربه بلسان الذل والانكسار وقال الهي غرقت في بحار غفلتي وركنت في ميدان صبوتي وعثرت في اذيال ذلتي في برية شقوتي ومالي غيرك أعتمد عليه ولا

كنت من الخاطئين أى من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة فى المدينة وهن امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه أى عبدها الكنعانى قد شغفها حبا أى دخل حبه فى شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها فى ضلال مبين أى خطأ بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أى بقولهن وحديثهن وقال ابن اسحق يعنى بكيدهن وذلك انما قلنه مكرا بها لتريهن يوسف لما بلغهن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتى عيرنها فذلك قوله تعالى وأرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ أعتدت أى هيأت لهن مجلسا للطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد (عن ابن عباس) وسعيد بن جبير وقتادة يعنى هيأت طعاما وقرأ مجاهد متكا خفيفا غير مهموز وهو كل طعام تحزه بالسكين وقال وهب أعتدت لهن أترجا وبطيخا وموزا ورمانا وورداوآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت ليوسف اخرج عليهن وكانت قد أجلسته فى مجلس غير المجلس الذى هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه وهالهن أمره وبهتن وقطعن أيديهن بالسكاكين اللاتى معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسسن الابالم ولم يجدن من حز الايدى ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (قال وهب) بلغنى أن سبعا من الاربعين امرأة متن فى ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أى معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت راعيل عند ذلك للنسوة فذلكن الذى لمتننى فيه أى فى حبه وشغفى به ثم انها أبدت لهن الميل الذى عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أى امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت راعيل لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف حين عاودته المرأة وتوعدته بالسجن على المخالفة السجن فقال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن أى أمل وأتابعهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم أى العزيز وأصحابه من بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين (قال السدى) وذلك أن المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس يعتذر اليهم ويخبرهم انى راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذرى فاما أن تأذن لى أن أخرج فأعتذر واما أن تحبسه كما حبستنى فحبسه بعد علمه ببراءته دفعا للتهمة عن امرأته وذلك أن الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه وتكفيرا لزلته قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرنى عند ربك فلبث فى السجن بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك انه بلغه عنهما ان خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه أن جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسوا الى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فأجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لا تأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب

أعرف بابا غير بابك ألتجئ اليه وها أنا عبدك الذليل المذنب قد وقفت ببابك ولذت بجنابك فان لم تغفر لى فواذلى وحسرتى وان لم تعف عنى فواطول حيرتى ثم يسجد فلا يرفع راسه حتى يطلع الفجر فاذا صلى وفرغ من صلاته شرع فى قراءة القرآن من أول الختمة الى آخرها بقية اليوم كله فلما مات كان آخر آية تلاها فى سورة يس قوله تعالى انى اذا لفى ضلال مبين فلما دفن فى قبره حضر اليه الملكان فقالا له ما ربك وما دينك فقال انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين * فلله درهم من اقوام قاموا يناجون الحبيب والناس فى غفلاتهم نائمون ويتحملون أثقال الوجد والغرام ويفرحون بالليل اذا جن الظلام فهم فى جنات الخلد يتنعمون والى وجه الحبيب ينظرون ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون شعر

لله قوم بذكره اشتغلوا
وفى حمى قربه لقد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرج
فهم حقيقا مرادهم حصلوا
من ذاق وصل الحبيب هام ولم

فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام فى دابة من الدواب فأكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله انى أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد العبرانى فنترا آى له فنسأله من غير أن يكونا رأيا شيأ قال عبد الله بن مسعود ما رأى صاحبا يوسف شيأ وانما كانا تحالما ليجربا علمه وقال قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فسألاه عنها وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما الله تعالى لاتحبانى فوالله ما أحبنى أحد قط الادخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم أحبنى أبى فدخل على من حبه بلاء ثم أحبتنى زوجة صاحبى فدخل على من حبها بلاء فلاتحبانى بارك الله فيكما قالا فابيا الاحبه وألفاه حيث كان وجعل يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال الساقى أيها العالم انى رأيت كأنى فى بستان فاذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدى فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا يعنى عنبا بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن مسعود أعصر خمرا أى عنبا وقال الخباز انى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه (أخبرنا) محمد بن يزيد السلمى أخبرنا أبو الربيع الزهرانى أخبرنا خلف بن خليفة أخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم فى قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل فى السجن قام عليه فاذا ضاق عليه وسع له وان احتاج جمع له وسأل له ربه وقال قتادة بلغنا ان احسانه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان فى هذا الاجر ثوابا فقالوا يافتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك انا لانحب أن نكون فى غير هذا المكان منذ رأيناك لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة فى ذلك فمن أنت يافتى قال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يافتى لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك وأحسن ايثارك فكن فى أى بيت شئت قال فكره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لما علم فى ذلك من المكروه على أحدهما فاعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ فى غيره قال لايأتيكما طعام ترزقانه الانبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمنى ربى ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فاراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام وأقبل عليهما وعلى أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الآية ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال ياصاحبى السجن أما أحدكما وهو الساقى فيسقى ربه خمرا يعنى الملك ويعود الى منزلته التى كان عليها وأما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يخرج وأما الآخر فيصلب والسلال التى رآها فى المنام ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضى الامر الذى فيه تستفتيان أى فرغ الامر الذى عنه تسألان (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد بن الوزان

يمكنه منزل ولاطلل
بروحهم فى وصاله سمحوا
وحققوا رجهم ومايهاوا
قاموا يناجونه وقد علموا
أنهم للعاد قد حملوا
فاستعذبوا الصعب فى هواه
وقد
لذتهم فى رضاه ماحملوا

(قيل) كان أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى يقول فى مناجاته الهى لست أعجب من حبى لك وأنا عبد حقير وانما أعجب من حبك لى وأنت ملك قدير (وكان) يحيى بن معاذ الرازى يقول فى مناجاته الهى ليس العجب من عبد ذليل يحب ربا جليلا بل العجب من رب جليل يحب عبدا ذليلا (قال) بعض العارفين رضى الله تعالى عنه الحب حب يزرع فى أرض القلوب ويسقى بماء العقول فينمو على قدر طيب الارض وصفو الماء والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج الانكدا (وعن) أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء أخاه لله تعالى وأن يكره أن يعود للكفر بعد أن انقذه الله تعالى منه كما يكره أحدكم ان يقذف فى النار

أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا اعبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لا تقصها الا على ذي رأي وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم انه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه الآية والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة وأكثر المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس (وقال مالك) بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك فقيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت ما قلت فويل لاخوتي (ويحكى) ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين مالي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر ابن الطاهر يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين فوعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف يا أخي يا جبريل وهو في ذلك راض عني قال نعم قال اذا لا أبالي (وقال كعب الاحبار) قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى أبيك قال الله تعالى قال فمن آنسك في البئر وأنت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبلها وذلك انه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقي وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقي وقال له اذكرني عند ربك بقي في السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة فهالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم ير منهن شيئا ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأفركت وسبعا أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبري الرؤيا وقصها عليهم وقال يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون أي تفسرون قالوا أضغاث أحلام مختلطة مشتبهة التأويل أباطيل وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما أي من الفتيين وهو الساقي وادكر بعد أمة أي وتذكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أي بعد سنين أنا أنبئكم بتأويله فارسلون أي الى السجن (قال) ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فأتى ليوسف فقال له أيها الصديق يعني فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصدق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون أي فضلك وعلمك فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الى قوله وفيه يعصرون فرجع الساقي الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه كالنهار وعرف الملك ان الذي قال كائن فقال الملك ائتوني بالذي عبر رؤياي هذه فلما جاء الرسول الى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف محنة أمره من قبل النسوة فقال للرسول ارجع الى ربك أي سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم (قال ابن عباس) لو خرج

(وعن) أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون في جلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي (وقيل) كان لعبد الله ابن الحسين جارية أعجمية وكانت من أولياء الله تعالى قال فرأيتها في بعض الليالي وقد قامت من منامها فأحسنت الوضوء وقامت الى صلاتها فلما فرغت من صلاتها خرت ساجدة لله تعالى وهي تقول سيدي بحبك لي الا ما غفرت لي قال فقلت لها ويحك لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي لك فقالت اليك عني يا بطال فلولا حبه لي ما أنامك وأقامني وأوقفني بين يديه وبحبه لي أخرجني من ديوان المشركين وكتبني في ديوان المؤمنين قال عبد الله فقلت لها اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى فقالت مولاي كان لي أجران فصار لي أجر واحد أعتق الله جسدك من النار ثم قالت هذا عتق مولاي الاصغر فكيف عتق مولاي الاكبر ثم خرت ساجدة لله تعالى فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها فقلت هذه والله صفات المحبين المتعلقة

يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك شأنه مازالت فى نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذى راود امرأتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من أخى يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله انه كان حليما ذا أناة قال فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة اللاتى قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب وان الله لا يهدى كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسى الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وديانته وعلمه وعقله قال ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما جاء الرسول الى يوسف قال له أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لاهل السجن بدعاء يعرف الى اليوم وذلك انه قال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار الى اليوم فى كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم انه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبث ثيابا جددا حسانا وقصد الى الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبى ربى من دنياى حسبى ربى من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمى اسمعيل ثم انه دعا له بالعبرانية ثانيا فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان أبى يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال لمن عنده ان هذا اعلم تأويل رؤياى ولم تعلمه الكهنة والسحرة ثم انه أجلسه وقال له انى أحب أن أسمع رؤياى منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبينما أنت كذلك تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان وافترسنهن افتراس السباع وأكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذا سبع سنبلات خضر وسبع أخر سود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينما أنت تقول فى نفسك ما هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الماء اذ هبت ريح فذرت أوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك والله ما شأن هذه الرؤيا وان كانت عجبا بأعجب مما سمعته منك فما ترى فى رؤياى أيها الصديق فقال يوسف الصديق انى أرى أيها الملك ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتبنى الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له ويكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق

علو بهم بمحبة رب العالمين وأنشدت أقول شعرا

الحب فيه حلاوة ومرارة
وتنسك وتهتك بيشائر
ماشاء يصنع بالحب فانما
حكم الهوى بيد الحبيب الآمر
لو كنت أملك فى الهوى أمر الذى
أهوى لكان مؤانسى ومسامرى

(وقيل) لبعض المحبين كيف رأيت المحبة قال وقفت على ساحل بحر زاخر ليس له آخر وقرب منى قارب من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا فركبت موافقة له واتباعا له فأجابت الروح من دعاها بسم الله مجراها ومرساها فلما توسطت اللجة توعرت سبيل الحجة فما زلت حتى جعنى فى مجمع بحر يحبهم ويحبونه فانا بين البقاء والفناء حتى وصلت الى ذلك الفناء والهناء

(شعر)

حروف المحبة ممزوجة
تبشرنا ببلوغ المنا
فميم الممات وحاء الحياة
وباء البلاء وهاء الهنا
فلا تطمئن بطيب اللقا
وطول البقاء بدون الفنا
حمينا الوصال بحد النصال
فان تلق سمر القنا تلمنا
فلا تجزعن لمر السكال
وحوالو بال ففيه الهنا
ومتمثل ما مات أهل الهوى

من جميع النواحي فيمتارون منك بحكمك فيجتمع عندك من الكنوز مالا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه و يبيعه لي و يكفيني الشغل فيه فقال له يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم أي كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتني عليم بسني المجاعة و بلغة من يأتيني فقال له الملك ومن أحق به منك وولاه ذلك كله وقال انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرني) الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي بن مخلد بن علوية أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقري أخبرنا الحسين ابن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخر عنه ذلك سنة فأقام عند الملك في بيته سنة وروى سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال قال الملك ليوسف اني أريد أن تخالطني في كل شئ غير اني آنف أن تأكل معي فقال له يوسف اني أحق ان آنف بذلك منك لاني أنا ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه وأمر له بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون مرفقة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى فيه من بياض وجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين مني فقالت له أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء ناعمة كما رأيت في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فأصابها فولدت له ابنين افرائيم وميشا ابني يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل فأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين وللبحتري في هذا المعنى

أما في رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك

أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروح به آخر الحزن

فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه وخلت السنين المخصبة ودخلت المجدبة جاءت بهول لم تعهد الناس مثله فأصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع فلما دخل أول سنة من سني الجدب هلك فيها كل شئ أعدوه من السنين المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار الا قبضه و باعهم في السنة الثانية بالحلي والحلل والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شئ و باعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع و باعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا

فلما وردوا اشتياقا قالوا الحق وما ضرهم حين ناديتهم على طور سينا اني أنا

(وحكي عن أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه) أنه قال كنت يوما في سياحتي متلذذا بخلوتي ورواحتي مستغرقا في فكري مستأنسا بذكري اذ نوديت في سري يا أبا يزيد امض الى دير سمعان واحضر مع الرهبان في يوم عيدهم والقربان فلنا في ذلك نبأ وشان قال فاستعذت بالله من هذا الخاطر وقلت لست أخاطر فلما كان الليل أتاني الهاتف في المنام وأعاد علي ذلك الكلام فانتبهت من منامي مرعوبا وفي هذا الامر مفكرا مكروبا فنوديت جهارا يا أبا يزيد لا بأس عليك أنت عندنا من الاولياء الاخيار ومكتوب في ديوان الابرار فالبس زي الرهبان واشدد من أجلنا الزنار فما عليك في ذلك جناح ولا انكار قال أبو يزيد فقمت مسرعا من باكر وامتثلت الاوامر ولبست زي الرهبان وحضرت معهم في دير سمعان فلما حضر كبيرهم واجتمعوا وأنصتوا اليه واستمعوا أرتج عليه المقام فلم يطلق الكلام كأن في فيه

أخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك وباعهم في السنة السادسة بأولادهم فان الرجل كان يشترى بولده الحنطة أو الشعير من شدة السنة فلم يبق لأحد ولد ذكر ولا أنثى الا مماليك له وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار مملوكا له فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكا أجل من هذا وأعظم ثم قال يوسف الملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في هذا فقال له الملك الرأي رأيك وانما نحن لك تبع فقال يوسف فاني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم (وروى) ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اني أخاف ان شبعت ان أنسى الجائع (وروى) أن يوسف أمر طباخ الملك أن يجعل غداءه نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليلة وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن الى المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم وان كان عظيما من أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فارسل بنيه الى مصر يطلبون الميرة وأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه فجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشأم وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكروه لما أراد الله تعالى أن يبلغ يوسف ما أراده قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه في الجب وبين أن دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكروه وقيل انه كان متزيا بزي فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك أنكروه قال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال الله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من أنتم وما أمركم فاني أنكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من أهل الشأم رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق الله نبي من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم قالوا نحن كنا اثني عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها وكان أحب الى أبينا منا قال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا عند أبينا لانه أخو الذي هلك من أمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق فقالوا أيها الملك انا ببلاد لا نعرف فيها فقال يوسف فأتوني باخيكم الذي من أبيكم ان كنتم صادقين فاني أرضى بذلك قالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فضعوا بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني باخيكم فاقترعوا بينهم فاصاب القرعة شمعون وكان أبرهم بيوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا لفاعلون فقال عند ذلك يوسف لفتيانه أي لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كانت بضاعتهم النعال والادم (وقال قتادة) كانت ورقا في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله فقال الكلبي تخوف يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة أخرى وقيل خشي أن يشق أخذ ذلك منهم على أبيه اذ كانت السنة سنة جدب وقيل رأى لؤما أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث

لا

طعام فقال له القسيسون والرهبان ما الذي يمنعك عن الكلام أيها الربان فنحن بقولك نهتدي وبعلمك نقتدي فقال ما منعني عن أن أتكلم وأبتدي الا رجل بينكم محمدي وقد جاء اليكم يمتحنا وعليكم معتدي فقالوا أرناه لنقتله الآن فقال لا تقتله الا بدليل وبرهان فقالوا له افعل ما تريد فنحن ما حضرنا الا لنستفيد قال فقام كبيرهم على قدميه ونادى يا محمدي بحق محمد عليك الا ما نهضت قائما على قدميك لننظر اليك فقام أبو يزيد ولسانه لا يفتر عن التسبيح والتقديس والتمجيد فقال له البترك يا محمدي أريد أن أسألك عن مسائل فان أجبت عنها اتبعناك وان عجزت عنها قتلناك فقال سل عما تريد من المعقول والمنقول والله شاهد على ما نقول قال فاخبرني عن واحد لا ثاني له وعن اثنين لا ثالث لهما وعن ثلاثة لا رابع لهم وعن أربعة لا خامس لهم وعن خمسة لا سادس لهم وعن ستة لا سابع لهم وعن سبعة لا ثامن لهم وعن ثمانية لا تاسع لهم وعن تسعة لا عاشر لهم وعن

لا يعلمون تحكر ماوتفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم أن دياناتهم وأماناتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون امساكها فيرجعون اليه لاجلها فلما رجعوا الى أبيهم قالوا ياأبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه منى السلام وقولوا له ان أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم انه قال لهم أين شمعون فقالوا ان الملك ارتهنه لنأتيه بنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك فقالوا له انه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا ياأبانا منع الكيل فارسل معنا أخانا يعنى بنيامين نكتل وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتى وجلالى لاردن عليك كلاهما بعدما توكلت على قالوا ولما فتحوا متاعهم الذى حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم أى ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا ياأبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم أى تهلكوا جميعا (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى لتأتننى به الا أن يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعنى حتى تحلفوا الى بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين أن لا تغدروا باخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على مانقول وكيل أى شاهد بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوى جمال وهيبة وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا أولاد رجل واحد فامرهم أن يتفرقوا فى دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما أغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها ما كان يغنى عنهم من الله من شئ صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال الى قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف فى الكرة الثانية قالوا ياأيها العزيز هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به قال لهم أحسنتم وأصبتم وستحمدون على ذلك عندى ثم انه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين على مائدة وحده وحيدا فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لاجلسنى معه فقال لهم يوسف لقد بقى أخوكم هذا وحيدا فريدا ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقى بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معى على فراشى فبات معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا فلما أصبح قال لهم انى لأرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان تشاؤا أضمه الى ليكون منزله معى ثم ان يوسف أنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب وأنزل أخاه لأمه معه فذلك قوله تعالى آوى اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال له وما بنيامين قال المثكل وذلك أنه لما ولد فقد أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت ليان بن ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتققت اسماءهم من اسم أخ لى من أمى هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطرك ذلك الى حزن شديد فما أسماؤهم قال بالعا وأخير وأشكل واحيا وخير ونعمان وورد وأرس وحيثم وعيثم قال فما هذه الاسماء قال أما بالعا فان أخى ابتلعته الارض وأما أخير فانه كان بكر أمى وأبى وأما أشكل فانه كان أخى لابى وأمى ومنى واما أحيا فلكونه كان حيا وأما خير فانه كان خيرا حيث كان وأما نعمان فانه كان ناعما بين أبويه

عشرة كاملة وعن أحد عشر وعن اثنى عشر وعن ثلاثة عشر وعن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين وأخبرنا عن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة وعن قوم صدقوا وأدخلوا النار وأخبرنا أين مستقر روحك فى جسدك وعن الذاريات ذروا وعن الحاملات وقرا وعن الجاريات يسرا وعن المقسمات أمرا وأخبرنا عن شئ تنفس بغير روح وعن قبر مشى بصاحبه وعن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الارض وعن أربعة لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ولا من ظهر أب ولا من بطن أم وأخبرنا عن أول دم اهريق فى الارض وعن شئ خلقه الله ثم استعظمه وعن أفضل النساء وعن أفضل البحار وعن أفضل الجبال وعن أفضل الدواب وعن أفضل الشهور وعن أفضل الليالى وعن الطامة وعن شجرة لها اثنا عشر غصنا فى كل غصن ثلاثون ورقة فى كل ورقة خمس زهرات اثنان منها فى الشمس وثلاثة فى الظل وعن شئ حج الى بيت الله الحرام وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة وأخبرنا كم نبى

وأما ورد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن وأما رأس فانه كان مني بمنزلة الرأس من الجسد وأما حيثم فأعلمني أني أنه حي وأما عيثم فلو رأيت غرته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشئ من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه (قال كعب) لما قال له انى أنا أخوك قال بنيامين فانى أنا لا أفارقك قال يوسف انى قد علمت باغتمام الوالد فان حبستك زاد غمه ولا يمكنني حبسك الا بعد اشتهارك بأمر فظيع فقال لا أبالى افعل ما تريد فقال يوسف انى أدس صاعي هذا في رحلك ثم أنادي عليكم بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كأسا من الذهب مكللا مرصعا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكتال بها ثم انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف أمر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم وفعلنا لكم ما لم نفعل لغيركم قالوا بلى وما ذاك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحدا بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل أضررنا أحدا أو أفسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها في رحالنا فلو كنا سارقين ما رددناها وفي الحديث أنهم لما دخلوا مصر كمموا أفواه دوابهم لئلا تتناول من حروث الناس شيأ فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذي يتكهن فيه وانما أخشى عليه فان لم أجده تخوفت أن تسقط منزلتي عنده وأفتضح في مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام وأنا به زعيم أي كفيل قالوا معاذ الله أن نسرق فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أي جزاء من وجد في رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فقال الرسول عند ذلك لا بد من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى أفتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه لازالة التهمة وكان يفتش أمتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة) ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء أحد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال ما أظن ان هذا الغلام أخذ شيأ فقالت اخوته والله ما نتركك حتى تنظر في رحله فانه أطيب لنفسك ولأنفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا ايش الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي الى البرية فأهلكتموه ان الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم انهم قالوا في يوسف ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر صغره شر من جرمه ● واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التي وصفوا بها يوسف أنه سرق صنما لجده أبي أمه من ذهب فكسره وألقاه في الطريق وقال ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة أن يسرق صنما لخاله من ذهب فأخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوما فسرق بيضة من البيت وأعطاها السائل وقال ابن عيينة دجاجة فناولها السائل فعيروه بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره كان أول ما دخل على يوسف من البلاء أن عمته

خلقه الله وكم مرسل منهم وغير مرسل وعن أربعة أشياء مختلف طعمها ولونها والاصل واحد وأخبرنا عن النقير والفتيل والقطمير وعن السبد واللبد والطم والرم وأخبرنا عما يقول الكلب في نبيحه وما يقول الحمار في نهيقه وما يقول الثور في خعيره وما يقول الفرس في صهيله وما يقول البعير في رغائه وما يقول الطاوس في صياحه وما يقول الدراج في صفيره وما يقول البلبل في تغريده وما يقول الضفدع في تسبيحه وما يقول الناقوس في نقيره وأخبرنا عن قوم أوحى الله اليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة وأخبرنا أين يكون الليل اذا جاء النهار وأين يكون النهار اذا جاء الليل ● فقال أبو يزيد هل بقي مسائل غير هذه المسائل فقال لا فقال ان فسرتها لكم وأجبت عنها تؤمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا نعم فقال اللهم أنت الشاهد على ما يقولون (أما) سؤالكم عن واحد لا ثاني له فهو الله عز وجل (وأما) سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار لقوله تعالى وجعلنا

بنت اسحق كانت أكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت
راحيل أم يوسف ماتت فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع و بلغ سنوات
وقع حبه فى قلب يعقوب فأتاها وقال لها يا أختاه سلمى الى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة
فقالت له ما أنا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب قالت دعه عندى أياما أنظر اليه لعل ذلك يسليني عنه
ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحق فحزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم
انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فالتمست فلم توجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها
مع يوسف فقالت والله انه ليسلم لى أصنع فيه ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم فى السارق فأتاها
يعقوب فأخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك لا أستطيع غير ذلك فأمسكته بعلة المنطقة فما قدر
عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذى قال اخوته ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها
يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (قال الرواة) لما دخلوا على يوسف
واستخرج الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال ان صاعى هذا
ليخبرنى انكم كنتم اثنى عشر رجلا وانكم انطلقتم بأخ فبعتموه فلما سمع بنيامين ذلك قام فسجد
ليوسف وقال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أحى هو فنقره ثم قال له حى وسوف تراه فقال
بنيامين اصنع بى ما شئت فانه ان علم بى سوف يستنقذنى قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضأ
فقال بنيامين أيها الملك انى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله فى
رحله فنقره ثم انه قال ان صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبى الذى سرقنى وقد رأيت
مع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله لئن لم تتركنا
وتترك أخانا لأصيحن صيحة لا يبقى فى مصر امرأة حامل الا ألقت ما فى بطنها وقامت كل شعرة فى
جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف
لابنه قم الى جنب روبيل ومسه فقام الغلام الى جنبه فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان فى هذا
البيت لشيأ من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب
فانه اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله قال يوسف أنت اذا ان كنت صادقا صادق
فلما أراد يوسف أن يحتبس أخاه عنده و يصير بحكمه وانه أولى به منهم واحتبسه ورأوا أن لا سبيل لهم
الى تخليصه منه سألوه أن يخليه لهم و يعطونه واحدا منهم بدله فقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا
كلفا بحبه فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده
ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا لظالمون ان أخذنا بريئا بسقيم فلما استيأسوا منه خلصوا
نجيا أى خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعنى فى العقل وهو شمعون عن مجاهد
وقال قتادة والسدى كبيرهم فى السن وهو روبيل ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله فى
هذا الغلام لتردونه ومن قبل ما فرطتم فى يوسف أى من قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف فلن أبرح
الارض يعنى أرض مصر حتى يأذن لى أبى فارجع الى الملك فأناجزه القتال أو يحكم الله لى وهو خير
الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أى نحن رأينا سرقته
معه وما كنا للغيب حافظين حين سألناك أن ترسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا
واسأل القرية يعنى واسأل أهل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها يعنى قوما صحبوهم من أهل
كنعان وانا لصادقون لك فى قولنا فرجعوا الى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم
أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذى لا جزع فيه عسى الله أن يأتينى بهم جميعا يعنى يوسف و بنيامين

الليل والنهار آيتين (وأما) سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لها فهى العرش والكرسى والقلم (وأما) سؤالكم عن أربعة لا خامس لها فهى الكتب المنزلة وهى التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وأما) سؤالكم عن خمسة لا سادس لها فهى الصلوات الخمس المفروضات على كل مسلم ومسلمة (وأما) سؤالكم عن ستة لا سابع لها فهى الستة أيام التى ذكرها الله فى كتابه العزيز بقوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام (وأما) سؤالكم عن سبعة لا ثامن لها فهى السموات السبع لقوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا (وأما) سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (وأما) سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم التسعة رهط الذين يفسدون فى الارض لقوله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون (وأما) سؤالكم عن عشرة كاملة فهى فروض مكة التى وجبت على الحاج وهو محرم لقوله تعالى فصيام

انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف وذلك أنه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال يا أسفا على يوسف والاسف أشد الحزن (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب حين أصابه على ابنيه ما أصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج يوسف من عند أبيه الى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض أكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكا وبكى قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أي مريضا ذاهب العقل من الهم أو تكون من الهالكين فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم انما أشكو بثي وحزني الى الله لا اليكم وفي الحديث أن يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أخوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى الى يعقوب أتشكوني الى خلقي فقال يارب بخطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثي وحزني الى الله (أخبرني) الحسين بن فنجويه أخبرنا أحمد بن الحسن بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبي زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السمط سمعت أبي يقول بلغنا أن رجلا قال ليعقوب ما الذي أذهب بصرك قال حزني على يوسف قال فما الذي قوس ظهرك قال حزني على أخيه فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكوني وعزتي وجلالي لا أكشف ما بك حتى تدعوني فقال عند ذلك انما أشكو بثي وحزني الى الله فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي لو كانا ميتين لانشرتهما لك حتى تنظر اليهما وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين يستطعم فلم تطعموه منها شيأ وان أحب الناس الي من خلقي الاسخياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وقال) وهب ابن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهي قال لأنك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ويقال ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة ولدها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذه الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله الآية قال السدي لما أخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب وطمع وقال لعله يوسف (وروى) أنه كان رأى ملك الموت في المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حي يرزق (وروى) أنه رأى ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسي بابي كيلا يدخل على أحد وأشكو بثي وحزني الى الله فقال له يا نبي الله أنا الذي أيتم الاولاد وأرمل الازواج وأفرق بين الجماعات قال فانت اذا ملك الموت قال نعم فقال له يا ملك الموت أنشدك الله الا أخبرتني هل تقبض روحا من تأكله السباع قال نعم قال فاخبرني عن الارواح أتقبضها مجموعة أو متفرقة روحا روحا قال أقبضها روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف في الارواح قال لا قال لم جئتني زائرا أم داعيا فقال يا نبي الله ما جئتك الا مسلما فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان في الصخرة التي عليها قرار الارضين وما أذن الله لي في زيارتك الا لأبشرك وأجيبك عما تسألني عنه وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمني يا عزرائيل فقال

ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة (وأما) سؤالكم عن أحد عشر فهم اخوة يوسف عليه السلام (وأما) سؤالكم عن اثني عشر فهي عدة الشهور (وأما) سؤالكم عن ثلاثة عشر فهي رؤية يوسف عليه السلام لقوله تعالى اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر (وأما) سؤالكم عن قوم كذبوا وأدخلوا الجنة فهم اخوة يوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب (وأما) سؤالكم عن قوم صدقوا وأدخلوا النار فهم اليهود والنصارى لقوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء فهم صدقوا وأدخلوا النار (وأما) سؤالكم عن مستقر الروح في الجسد فانها تكون بين أذنيك في صورة الوجه (وأما) سؤالكم عن الذاريات ذروا فهي الرياح الاربع (وأما) الحاملات وقرا فهي السحب (وأما) سؤالكم عن الجاريات يسرا فهي السفن الجارية في البحار (وأما) سؤالكم عن المقسمات أمرا فهم الملائكة الذين يقسمون

يا اسرائيل الله هل تذكرت الجارية التي اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرقت بينها وبين أبويها قال نعم يا ملك الموت كأنه كان بالامس فقال له ملك الموت فلأجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال أمرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها في يوم كذا وشهر كذا فمر تميم العابد العبد الصالح بك وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتم قتار الشوى فلم تطعمه شيأ فعند ذلك أعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وأمر أن يذبح كل يوم من أغنامه كبشان ويفرق لحمهما على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكره عليه وأتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكر لنا ان نبي الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى في طول بلائه ساعة قط من ليل أو نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز أي الملك بلغة مصر مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة رديئة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها * واختلف المفسرون في هذه البضاعة ما هي فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق الا بوضيعة وقال ابن أبي مليكة رضي الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال رثة المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت أمتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلي فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلاق سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا أراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وانما حرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون * واختلف العلماء في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول الذي كان بدء فرج يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذي كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبي انما قال ذلك حين حكى لاخوته أن مالك بن دعر قال اني وجدت غلاما في بئر من حاله كيت وكيت فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعنا هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان أنت فعلت بنا ذلك فابعث بامتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم وبكى وقال لهم ذلك القول * وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك أن يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل والموفي الكيل أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء فاما جدي فابتلي بالنمروذ فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله بردا وسلاما وأما أبي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين

لقوله تعالى ان كيدكن عظيم (وأما) سؤالكم عن شيء أوله عود وآخره روح فهي عصا موسى عليه السلام لقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى الآية (وأما) سؤالكم عن أفضل النساء فحواء أم البشر وخديجة وعائشة وآسية ومريم ابنة عمران (وأما) سؤالكم عن أفضل البحار فسيحون وجيحون والفرات ونيل مصر (وأما) سؤالكم عن أفضل الجبال فهو الطور (وأما) سؤالكم عن أفضل الدواب فهي الخيل (وأما) سؤالكم عن أفضل الشهور فشهر رمضان (وأما) سؤالكم عن أفضل الليالي فليلة القدر (وأما) سؤالكم عن الطامة فهي يوم القيامة (وأما) سؤالكم عن شجرة لها اثنا عشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس زهرات اثنان في الشمس وثلاثة في الظل فهي السنة والاغصان هي الشهور والاوراق هي الايام والخمس زهرات هي الخمس صلوات في اليوم والليلة (وأما) سؤالكم عن شيء حج الى البيت الحرام وطاف وليس له روح ولا وجب عليه فريضة فهي سفينة نوح

سأل أخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال فما سميتهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لك ولذكرك قال فما سميت الثانى قال ذئبا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لاذكرك به قال فما سميت الثالث قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك ان قال لاخوته هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لأنت يوسف قال ابن اسحق لما قال يوسف لاخوته هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل علمتم مافعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كأن ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا مستفهمين أئنك لأنت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس انه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له فى فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا ائنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بان جمعنا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجرمهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما عفوا فقال لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (قال) السدى وغيره فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال مافعل أبى من بعدى قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه (قال الضحاك) كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لايقع على مبتلى ولا على سقيم الاصح وعوفى فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذى كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال أبوهم يعقوب انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون أى تسفهون (ويروى) أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها قال ابن عباس وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمان ليال وقال مجاهد وذلك أنه هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس فى الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدى العير وقال السدى قال يهوذا ليوسف أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب فاعطنى اليوم قميصك لاخبره انك حى فافرحه كما أحزنته (قال) ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حاسرا حافيا وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (عن) أبى هريرة رضى الله عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه فى أن يأتى يعقوب فأذن له فجاءه فقال له يعقوب ياملك الموت أسألك بالذى خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يايعقوب ألا أعلمك كلمات قال بلى قال قل ياذا المعروف الذى لاينقطع أبدا ولايحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب فى تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال

على الناس أرزاقهم فى ليلة النصف من شعبان (وأما) سؤالكم عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين فهى السموات السبع والارضون السبع لقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (وأما) سؤالكم عن قبر مشى بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام (وأما) سؤالكم عن شئ تنفس بغير روح فهو الصبح (وأما) سؤالكم عن ماء لانزل من السماء ولا نبع من الارض فهو الذى بعثته بلقيس الى سليمان عليه السلام فى قارورة وكان من عرق الخيل (وأما) سؤالكم عن أربعة لامن الجن ولا من الانس ولامن الملائكة ولا من ظهر أب ولامن بطن أم فهى كبش اسمعيل وناقة صالح وآدم وحواء (وأما) سؤالكم عن شئ خلقه الله ثم أنكره فهو صوت الحمار كما قال الله تعالى ان أنكر الاصوات لصوت الحمير (وأما) سؤالكم عن أول دم اهريق على وجه الارض فهو دم هابيل لما قتله قابيل (وأما) سؤالكم عن شئ خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء

سوف أستغفر لكم ربي الآية (قال) أكثر المفسرين أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدعاء في الاسحار لايحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما جنوا على أخيهم يوسف فاوحى الله اليه انى قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا أحمد بن أبي السفر بن ثوبان البصري أخبرنا اسحق بن زياد الارملي أخبرنا الفضل بن حميد البغدادي أخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن عطاء الخراساني قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ ألا ترى قول يوسف لاخوته لاتثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ربي (وروى) أن يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثوري) لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يابني ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذي فوقه فخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يهوذا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يامذهب الاحزان فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وأبوه يعقوب وخالته ليا فسمى الخالة أما كما سمى العم أبا في قوله تعالى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأى يوسف أبويه واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى والزمنى وكانت الذرية ألف ألف سوى المقاتلة • وقال الفضيل بن عياض بلغنا أن يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف ومملكته فكان يطوف يوما من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال له يابني لقد تغيرت بعدي لك كل هذه القراطيس وماجعلت بطاقة منها تكتب الى كتابا فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما زاد شوقي وكثر حنيني آخذ ورقة حتى أكتب اليك يا أبت فيمنعني جبريل ان أكتب اليك فاتركها في هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعني ربي فسأل الله عن ذلك فاوحى الله اليه لانك قلت أخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيري (وروى) صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب وبيوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على أن يأتوا الشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد فقالوا ياأبانا

عليه السلام (وأما) سؤالكم عن أربعة تختلف طعمها ولونها والاصل واحد فهي العينان والاذنان والانف والفم فماء العين مالح وماء الاذنين مر وماء الانف حامض وماء الفم حلو (وأما) سؤالكم عن النقير والفتيل والقطمير فالنقير النقرة التي في ظهر النواة والفتيل هو الذي في باطنها والقطمير هو القشر الذي فوقها (وأما) سؤالكم عن السبد واللبد فهو شعر الضأن والمعز (وأما) سؤالكم عن الطم والرم فهي الامم الماضية قبل آدم عليه السلام (وأما) سؤالكم عما يقول الحمار في نهيقه فانه يرى الشيطان ويقول لعن الله العشار (وأما) سؤالكم عما يقوله الكلب في نبيحه فانه يقول ويل لاهل النار من غضب الجبار (وأما) سؤالكم عما يقول الفرس في صهيله فانه يقول سبحان حافظي اذا التقت الابطال واشتغلت الرجال بالرجال (وأما) سؤالكم عما يقول البعير في رغائه فانه يقول حسبي الله وكفى بالله وكيلا (وأما) سؤالكم عما يقول البلبل في تغريده فانه يقول فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون

أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء أرحم البرية فقال ما بكم يا بني
قالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلستما قد عفوتما عنا قالا بلى
قالوا فان عفوكما لا يغني عنا شيأ اذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يا بني قالوا نريد أن تدعو
الله لنا فاذا جاءك الوحي من عند الله بأنه هل عفا الله عنا فان أجابك بأنه قد عفا عنا جميعنا قرت أعيننا
واطمأنت قلوبنا والا فلا قرت لنا عين في الدنيا أبدا فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه
وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من
عشرين سنة قال صالح المري ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى بعثني اليك
أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعدك
على النبوة قالوا وأقام يعقوب بمصر بعد ما سوافأنه بأهله وولده أربعة وعشرين سنة بأغبط حال وأهنا
عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بين بنيه وقال ما تعبدون من بعدي
قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
الا وأنتم مسلمون ثم انه أوصى الى يوسف أن يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه
اسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس في تابوت من ساج وخرج معه يوسف في
عسكره واخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا في يوم واحد وكان عمرهما
جميعا مائة سنة وسبعا وأربعين سنة لانهما ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد (قال) فلما جمع
الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان موسعا عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن
ذلك لا يدوم له وانه لا بد من فراقه فأراد نعيم الجنة اذ هو أفضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت
ودعا به ولم يتمن نبي قبله ولا بعده الموت فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث
الآية (وروى) ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل وهم ثمانون رجلا
وأعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يا نبي الله نحب أن تعرفنا كيف تتصرف الاحوال
بنا بعد خروجك من بين أظهرنا والى ما يؤول اليه أمرنا وديننا وملتنا فقال لهم ان أمركم يستقيم على ما أنتم
عليه وتستقيمون على دينكم الى أن يبعث رجل جبار عات من القبط يدعي الربوبية فيقهركم ويذبح
أبناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بني اسرائيل
من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله
من أيدي القبط على يده قال فجعل كل من في بني اسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى
قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم أمركم ما دام يصرخ فيكم
هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى اذا انقضت مدة ولايته وأذن الله
تعالى بمولد هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار
وظهور نبي الله في الارض فما زالوا يراعون الحال الى أن سكن صراخ الديك فوجلوا واكتأبوا وأيقنوا
بوهي أركان دينهم واظلال ما آذنهم به يوسف من ولد الجبار واعتزلوا لذلك واجلين الى أن صرخ
ذلك الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان
قد أوصى الى أخيه يهوذا واستخلفه على بني اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صندوق
من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته حتى هموا
بالقتال فرأوا أن يدفن في النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر
فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره في النيل الى أن حمله موسى عليه السلام معه حين

(وأما) سؤالكم عما يقول الضفدع في تسبيحه فانه يقول سبحان المعبود في البراري والقفار سبحان الملك الجبار (وأما) سؤالكم عما يقوله الناقوس في نقيره فانه يقول سبحان الله حقا حقا انظر يا ابن آدم في هذه الدنيا غربا وشرقا ما ترى فيها أحدا يبقى (وأما) سؤالكم عن قوم أوحى الله اليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة فهو النحل لقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل الآية (وأما) سؤالكم عن الليل أين يكون اذا جاء النهار وعن النهار أين يكون اذا جاء الليل فانهما يكونان في غامض علم الله تعالى ثم قال أبو يزيد هل بقي معكم مسائل غير ذلك فقالوا لا فقال أخبروني عن مفتاح الجنة ومفتاح السموات ماهو قال فسكتوا ولم يتكلموا فقال أبو يزيد سألتموني عن مسائل كثيرة فأجبت عنها وقد سألتكم عن مسئلة واحدة فلم تجيبوا عنها أعجزتم عنها فقالوا انم ثم التفتوا الى كبيرهم وقالوا أو عجزت عن ذلك فقال ما عجزت ولكن أخاف أن لا توافقوني فقالوا بل نوافقك فانك كبيرنا

خروج من مصر بنى اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروى) يونس بن عمران عن أبى موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابى فأكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمتنا فأحسنت سل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعنزة نحلبها أهلى فقال صلى الله عليه وسلم أعجزهنا أن يكون مثل عجوز بنى اسرائيل فقالوا يارسول الله وما عجوز بنى اسرائيل فقال ان بنى اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ماهذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لانخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبنى اسرائيل فبعث اليها موسى فأتته فقال دلينى على قبر يوسف فقالت له وتعطينى حكمى قال وما حكمك قالت ان أكون معك فى الجنة فكره أن يعطيها حكمها فأوحى الله اليه أن أعطها حكمها ففعل (ويروى) من طريق آخر ان هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت له لا أخبرك حتى تعطينى أربع خصال تطلق رجلى وتعيد الى بصرى وشبابى وتجعلنى معك فى الجنة قال فكبر ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه ان اعطها ماسألت فانك انما تعطى على ففعل فانطلقت بهم الى موضع عين فى مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال أهل التاريخ) عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ مجلس فى قصة يوسف بن ميشا بن يوسف عليه السلام ﴾

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له افرائيم والآخر ميشا وابنة يقال لها رحمة وهى امرأة النبى أيوب عليه السلام فولد لافرائيم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بنى اسرائيل وأما ميشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر والعامة من العلماء ان صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا ونموا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وأفسدوا فى الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن ميشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سننه وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتى سنة فأطاعه قوم منهم وعصاه آخرون (وقال) وهب بن منبه وغيره كان مما أوحى الله اليه ان قل لقومك انى برئ ممن سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له أو تطير أو تطير له من آمن بى صادقا وتوكل على فانى كنت له كافيا ومثيبا وكفيته هم دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بى ومن عدل عنى ووثق بغيرى فأنا أغنى الشركاء عن الشرك أكله الى من وثق به دونى ومن وكلته الى غيرى فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عنى كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الى كنت اليه أشد تقربا منه الى وقل لعبادى لا تغفلوا عن ذكرى وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ماشاء الله ان يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

﴿ مجلس فى ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد ﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن أبى

ومهما قلت لنا سمعناه ووافقناك عليه فقال مفتاح الجنة والسموات لا اله الا الله محمد رسول الله فقالوها وأسلموا عن آخرهم وحسن اسلامهم وخرجوا من الدير وخربوه وبنوه مسجدا وقطعوا زنانيرهم فهنالك نودى أبو يزيد شددت من أجلنا زنارا فقطعنا من أجلك خمسمائة زنار (اخوانى) انظروا الى هؤلاء كلهم قد كانوا كفارا فى ظلمات العمى فانتشلهم الله تعالى من الردى بنور الهدى فكل ذلك ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانظروا الى كلمة الاخلاص ما أعظم بركاتها وما أنجع حركاتها فرطبوا ألسنتكم بها لتنالوا بركة احسانها وتظفروا بحلاوة امتنانها وتدخلوا حرم أمانها فانها حصن منيع ودرع رفيع وقد قال الله تعالى فى كتبه المنزلة أكثروا من قول لا اله الا الله فانها حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى وقال بعض الصحابة من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه ومدها بالتعظيم غفر الله تعالى له أربعة آلاف ذنب فان لم يكن عليه ذلك يغفر من ذنوب أهله وجيرانه

وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل له قد ضلت أي شردت فبينما هو في بعض صحاري عدن في تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها أحدا الاداخلا ولا خارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان فلما رأى ذلك عجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ و بنادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحدا أخذه الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا في كل زقاق منها أشجار قد أثمرت وتحتها أنهار تجري في قنوات من فضة أشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها الله لعباده في الدنيا والحمد لله الذي أدخلني الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها و بنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيأ ولا من يواقيتها لانها كانت مثبتة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ و بنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يقفو أثر ناقته حتى رجع الى اليمن فاظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره و باع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذي مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن أبي سفيان فأرسل رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه باشخاصه فأشخص حتى قدم على معاوية فخلا به ثم سأله عما عاين فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وأنكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معي من متاعها الذي هو مفروش في قصورها وغرفها فقال له وما هو قال اللؤلؤ و بنادق المسك والزعفران فقال له أرني اياه فعرض عليه مما حمله من تلك المدينة من اللؤلؤ و بنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فأمر ببندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا وزعفرانا فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة ولمن هي ومن بناها والله ما أعطى أحد مثل ما أعطى سليمان بن داود عليه السلام وما أظن أنه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد بخبر هذه المدينة في زماننا هذا الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين أن يبعث اليه و يأمر باشخاصه و يغيب عنه هذا الرجل في موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه المدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخلها لأن مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا أن يكون قد سبق له في الكتاب دخولها فيعرف ذلك فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا أبا اسحق اني دعوتك لأمر رجوت أن يكون علمه عندك فقال له يا أمير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الازقة تجري تحت الاشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت أني سأسال قبل أن يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هي ومن بناها أما تلك المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفته له وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فقال له معاوية يا أبا اسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وحروف لا اله الا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا فمن قال لا اله الا الله محمد رسول الله كفر الله بكل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب فانظروا يا اخواني كيف خص الله هذه الامة بهذه الرحمة فاجعلوا استكرارها شغلكم تفوزوا برضوان ربكم (وعن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه) أنه قال لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه فتح عينيه فنظر الى باب الجنة فرأى مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يارب وهل خلقت خلقا أعز عليك مني فقال الجليل جل جلاله نعم يا آدم هو نبي من ذريتك أبعثه آخر الزمان بالآيات والبرهان فهو خير الانبياء وأمته خير الامم قال فلما خلق الله تعالى حواء ركب فيه الشهوة فقال آدم يارب زوجني بها فقال الله تعالى هات مهرها فقال يارب وما مهرها فقال تصلي على صاحب هذا الاسم مائة مرة وأنا أزوجك بها فقال آدم يارب ان فعلت ذلك تزوجنيها فقال الله

كعب يا أمير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمى أحدهما شديدا والآخر شدادا فهلك عاد و بقى ولداه
بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد وأخذاها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد فى
زمانهما الا دخل فى طاعتهما لا فى شرق الارض ولا فى غربها وأنهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما
مات شديد بن عاد و بقى شداد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة
الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه فى الدنيا
عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك فى نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التى هى ارم ذات العماد
وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى أطيب بقعة فى
الارض وأوسعها واعملوا لى فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة
أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس
فيها أصناف الثمار كلها واجروا فيها الانهار تحت الاشجار فانى أرى فى الكتب صفة الجنة وانى أحب
أن أجعل مثلها فى الدنيا وأجعل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد
والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبنى منها مدينة كما وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون أن
ملك الدنيا كلها بيدى قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت
والذهب والفضة وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالا تخرج لكم ما فى كل معدن من تلك
الارض ثم انطلقوا الى ما فى أيدى الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن
الدنيا فيها كثير من ذلك وما فيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال)
فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك فى الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم ما فى بلاده من
الجواهر وأن يحفر معادنها فانطلق هؤلاء القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابا بأخذ ما يوجد فى
مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجونه الى ارم ذات العماد من الزبرجد
والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعا كما أراد ووصف لهم فقال معاوية يا أبا اسحق
كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك
الفعلة والقهارمة فتفرجوا فى الصحارى ليتخلوا لما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا فى أرض أبين من
بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال واذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه
صفة الارض التى أمرنا بها فاختطوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة
ثم عمدوا الى مواضع الازقة التى فيها الماء فاجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من
صخور الجزع اليمانى وعجنوا طين ذلك الاساس من دهن البان والحلب فلما فرغوا من وضع الاساس
وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك اليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم
من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مفروغا منها فدفعوا كل ذلك الى أولئك القهارمة والوزراء فاقاموا
فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا اسحق انى لأحسبهم أقاموا فى بنائها
زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين انى لأجد فى التوراة أنهم أقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية
كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية يا أبا اسحق لقد أخبرتنا خبرا
عجيبا فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من أجل العماد التى تحتها من
الزبرجد والياقوت وليس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال التى لم يخلق مثلها
فى البلاد (قال كعب) انهم لما أتوه وأخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا
حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى

عز وجل ثم فصلى آدم عليه السلام مائة مرة على النبى صلى الله عليه وسلم فزوجه الله بها (وقال بعض الصوفية رضى الله تعالى عنه) كان لى جار مسرف على نفسه بالمعاصى فلما مات رأيته فى المنام وهو فى دار السلام فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال حضرت بمجلس الذكر فسمعت المحدث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انه من صلى على صلاة ورفع بها صوته وجبت له الجنة ثم رفع المحدث صوته بالصلاة ورفعنا أصواتنا وجميع القوم فغفر لنا فى ذلك اليوم (قال) ورأت امرأة ولدها بعد موته بمدة بحزنت على ذلك وبكت ثم رأته بعد ذلك فى النور والرحمة قالت فسألته عن ذلك فقال مر بنا رجل فوقف بوسط المقبرة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأهدى ثواب صلاته لجميع الاموات فجعل نصيبى من ذلك الرحمة والمغفرة فغفر لى (وقال بعض العارفين رضى الله تعالى عنه) صليت ليلة من الليالى صلاة العشاء الاخيرة فلما جلست للتشهد نسيت الصلاة على النبى صلى الله

ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم أتوه فاخبروه بالفراغ مما أمرهم به قال فامر ألف وزير من خاصته أن يهيؤا أسبابهم ويعملوا على النقلة الى ارم ذات العماد وأمر رجالا أن يسكنوا تلك الاعلام وأن يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وأمر لهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك من أراد من نسائه وخدمه أن يتجهزوا الى ارم ذات العماد فاقاموا فى جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى أرض أبين وخلف من قومه أكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها ليسكنها وبلغ منها موضعا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك هذا يرى ما فيها فيحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا أبا اسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له فى تلك الصحارى فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها ويحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عنده معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال له هو ذاك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فسأله عما حدثت به فقال معاوية يا أبا اسحق ان هذا من خدمى ولم يفارقنى قال قد دخلها والا سوف يدخلها وسيدخلها أهل هذا الدين فى آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد أعطيت من علم الاولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله فى الارض شيأ الا وقد فسره فى التوراة لعبده موسى عليه السلام تفسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا (قال الشعبى) أخبرنا دغفل الشيبانى عن رجل من حضرموت يقال له بسطام أنه وقع على حفيرة شداد بن عاد فى جبل من جبال حضرموت مطل على البحر قال كنت أسمع فى صباى الى أن اكتهلت بمغارة فى جبل من جبالها وان الناس تهيب دخولها فلم أحفل بما كنت أسمع من ذلك فبينما أنا فى نادى قومى اذ أنشدوا حديث تلك المغارة وأطنبوا فى ذكرها ووصفوا موضعها فقلت لقومى انى غير منته عن هذه المغارة حتى أدخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن أنا أصاحبك فقلت يا ابن أخى أتجسر على ذلك قال عندى ما عند رجل من شدة الجاش وقوة القلب فهيأنا شمعة وحملنا معنا أدوات عظيمة مملوأة ماء وطعاما مقدار ما يقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وكان مشرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه أهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب تلك المغارة حزمنا علينا ثيابنا وأشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الادوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها علوا نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهو بنا فى طريق أملس مستو ثم أفضينا الى درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرج فقلت لصاحبى هلم الى يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلى على منكبه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فافضينا الى أزج عظيم محفور فى الجبل فى طول مائة ذراع وعرض أربعين ذراعا وسمكه فى السماء قدر مائة ذراع وفى صدره سرير من ذهب منضد بصنوف الجواهر وفوقه رجل عادى عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج وعرضه وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج يضئ من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجا الى فضاء لم يدر ما هو واذا على رأس السرير لوح من ذهب

عليه وسلم فرأيته فى المنام وهو يقول يا هذا نسيت الصلاة علينا فقلت يا رسول الله اشتغلت بالثناء على الله فقال أما علمت أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل الثناء عليه الا بالصلاة على أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقمت من نومى وأنشدت شعرا

صلوا على من أتت حقا بشائره
الهاشمى الذى طابت عناصره
هو النبى الذى شاعت رسالته
فى الخلق طرا وقد عمت مآثره
هو الرسول الذى تسعى الملوك له
على الرؤس فتأتيهم مفاخره
هذا الطبيب لهدى الناس كلهم
يشفى العليل والمكسور جابره
صلى عليه اله العرش ما طلعت
شمس وما ناح فوق الغصن طائره

(وعن سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه) انه قال بينما أنا أطوف بالبيت اذ رأيت رجلا لا يرفع قدما

عظيم فيه كتابة ما الهامثل وهي كتابة كاتب عاد كتبها في زمانه محفورة تلك الكتابة في اللوح حفرا فطلعنا دونا من ذلك الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رمادا وبقيت قضبان الذهب قائمة فجمعناها فكانت مقدار مائة رطل فجعلناها في أزرنا وأرديتنا وأردنا قلع شيء من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها لوثاقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذي كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا ليلتنا في ذلك الازج وطفئت الشمعة التي كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبي ما ترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وانا لا نستطيع صعودها الا سيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلزم هذا الضوء الذي نراه في هذا الثقب فاني أرجو أن نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمري ان هذا هو الرأي فنهضنا بما معنا من تلك القضبان التي من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذي كان عند رأس السرير وسرنا في ذلك الثقب فلم نزل نمشي في طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتموت ببقية الماء والطعام الذي كان معنا فلما كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل في البحر فلوحنا اليه فنظر الينا أهله فأرسلوا لنا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الى بقسطي ثم ان أنفسنا دعتنا الى العود الى ذلك السرب مما يلي الثقب فركبنا قاربا وسرنا في البحر نحو المكان الذي خرجنا منه فخفي علينا مكانه فعلمنا أنا لم نرزق منه الا ما أخذنا فرجعنا وان اللوح مكث عندي حولا لا أجد أحدا يقرؤه لي حتى أتانا رجل من أهل صنعاء حبري كان يحسن قراءة تلك الكتابة فأخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات

اعتبر بي أيها المغرور بالعمر المديد ✱ أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأ ✱ ساء والملك الحشيد دان أهل الارض طرا ✱ لي من خوف وعيد
وملكت الشرق والغر ✱ ب بسلطان شديد وبفضل الملك والعد ✱ ة فيه والعديد
جاءنا هود وكنا ✱ في ضلال قبل هود فدعانا لو قبلنا ✱ كان بالامر الرشيد
فعصيناه وناديـ ✱ ـنا ألا هل من محيد فأتتنا صيحة تهـ ✱ ـوي من الأفق البعيد
فتوافينا كزرع ✱ وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سألت علماء حمير عن شداد وقلت انه أصيب وقد كان دنا من ارم ذات العماد فكيف وجد في تلك المغارة وهي بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده مرثد بن شداد وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل أبيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذي من الذهب والله أعلم

﴿ مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس ﴾

قال الله تعالى وعادا وثمود وأصحاب الرس اختلف العلماء من أهل التفسير وأصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهي رس وكان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بارضهم جبل

ولا يضع قدما الا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا هذا انك تركت التسبيح والتهليل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك في هذا شيء فقال من أنت عافاك الله فقلت سفيان الثوري فقال لولا انك عارف أهل زمانك لما أطلعتك على حالي وأخبرتك بسري ثم قال خرجت من بلدي أنا ووالدي حاجين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فبينما نحن في بعض المنازل اذ مرض والدي مرضا شديدا فكنت لاعالجه فبينما أنا عند رأسه اذ هو قد مات واسود وجهه قال فحللت ازاري وغطيت به وجهه وحصل عندي غم عظيم وحل بي خطب جسيم حيث مات على تلك الحالة في بلاد الغربة ولا يمكنني اخفاء ذلك الحال عن الناس وصرت متفكرا في أمري لا أدري ما أصنع فبينما أنا كذلك اذ غلبني النوم فنمت فاذا أنا برجل لم أر أحسن منه وجها ولا أنظف منه ثيابا ولا أطيب منه رائحة وهو يرفع قدما ويضع قدما حتى دنا من والدي ثم كشف الازار

يقال له فتخ مصعدا فى السماء ميلا وكانت العنقاء تبيت به وهى كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت فى ذلك الجبل تنقض على الطير فتأ كلها فجاعت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبى فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لأنها تغرب بما تأخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم يرلها أثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلا فى أشعارها وحكمها وأمثالها ثم ان أصحاب الرس قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى (وقال بعض العلماء) بلغنى أنه كان رسان أما أحدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواش فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولى فقتلوا الرسول وجاهدهم الولى حتى أفحمهم وكانوا يقولون الهنا فى البحر وكانوا على شفيره وكان يخرج اليهم من البحر شيطان فى كل شهر خرجة فيذبحون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم الولى أرأيتم ان خرج الهكم الذى تدعونه وتعبدونه الى وأطاعنى أتجيبوننى الى ما دعوتكم اليه قالوا بلى فأعطوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا فخرج الولى اليه وقال له ائتنى طوعا أو كرها بسم الله الكريم فنزل عند ذلك من على اخوته فقال له الولى ائتنى راكبا عليهن لئلا يكون القوم من أمرهم على شك فأتى الحوت وأتت به الحيتان حتى أفضوا به الى البر يجرونه ويجرهن فلما رأوا ذلك سخروا به وكذبوه ونقضوا العهود فبعث الله اليهم ريحا فألقتهم فى البحر ومواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية فأتى الولى الصالح الى البحر وأخذ الذهب والفضة والاوانى فقسمها على أصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك النسل (وأما الآخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم أنبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبى الا قتلوه وذلك النهر بمنقطع أذربيجان بينها وبين أرمينية فاذا قطعته مدبرا دخلت فى حد أرمينية واذا قطعته مقبلا دخلت فى حد أذربيجان وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الاوثان ومن قدامهم من أهل أذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى العذارى فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع فى كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التى حوله وكان لا ينصب فى بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع اليهم فبعث الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا فى شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وأيده بنصره وبعث معه وليا فجاهدهم فى الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل حين نابذوه وكان فى أوان وقوع الحب فى الارض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون الى الماء فحفر نهرهم فى البحر وانصب ما فى أسفله وأتى الى عيونه من فوق فسدها وبعث الله اليه خمسمائة من الملائكة أعوانا له ففرقوا ما بقى فى وسط نهرهم ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع فى أرضهم عينا ولا نهرا الا أيبسه باذن الله تعالى وأمر ملك الموت فانطلق الى المواشى فأماتها دفعة واحدة وأمر الرياح الاربع الجنوب والشمال والدبور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع وألقى الله تعالى عليهم السبات ثم خفقت الرياح الاربع بذلك المتاع أجمع ففرقته فى رؤس الجبال وبطون الاودية وأما ما كان من حلى وتبر وآنية فان الله تعالى أمر الارض فابتلعته فأصبحوا الاشاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعاما يأكلون فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار فى جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحدا وعشرين رجلا وأربع نسوة وصبيين وكان عدة الباقى من الرجال والنساء

عن وجهه وضربيده عليه فعاد أبيض يلوح منه نور ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه وقلت من أنت الذى من الله على والدى بك فى هذه البرية قال فتبسم وقال أنا محمد رسول الله صاحب القرآن كان والدك مسرفا على نفسه وكان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بى فأغثته وأنا غياث من أكثر الصلاة على فانتبهت فرأيت وجه أبى أبيض يلوح منه نور ساطع (اخوانى) أكثروا من الصلاة على هذا النبى الكريم فان الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم وتهدى الى صراط مستقيم وتقى قائلها من عذاب الجحيم وتعطى بالجنة دار النعيم (وعن عبد الرحمن بن جعفر) رحمه الله تعالى أنه قال كنت بالبصرة أصلى الخمس فى مسجد بجوارى وكان ذلك المسجد يعرف بالخشابين وكان فيه امام مغربى يدعى بأبى سعيد وكان رجلا مشهورا بالخير والصلاح وكان يتكلم فى المسجد بعد صلاة الصبح بكلام لا يفهمه أحد فخرجت فى بعض السنين حاجا الى بيت الله الحرام وكانت سنة شديدة الحر فكنت أسبق

والذرارى ستمائة ألف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين لله أن يجيئهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلا لئلا يطغوا فاجابهم الله تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم واخلاصهم وقالوا انه لا يبعث الله رسولا الى من يليهم ويقاربهم الا أعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فاطلق لهم نهرهم وزادهم على ماسألوه فاقام أولئك القوم فى طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله فى الظاهر ونافقوا فى الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم وخالفهم فاسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقى نهرهم ومنازلهم وما فيها مائتى عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين فاقاموا فيها ستين سنة ثم أحدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو بنته وأخته وزوجته فيبيت معها جاره وأخاه وصديقه يلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال النساء حتى شبقن واستغنى الرجال بالرجال فجاءت للنساء شيطانة فى صورة امرأة وهى الدلهان بنت ابليس وهى أخت الشيطان وكانا فى بيضة واحدة فشهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فاصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة فى أول ليلهم وخسفا فى آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا أحسب منازلهم اليوم مسكونة (وروى) على بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أن رجلا من أشراف بنى تميم يقال له عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن أصحاب الرس وفى أى عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا وبماذا أهلكوا فانى أجد فى كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين على رضى الله عنه لقد سألتنى عن حديث ما سألنى عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدى كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت نبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وانما سموا أصحاب الرس لانهم رسوا انبيهم فى الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمى ذلك النهر ولم يكن يومئذ فى الارض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان أعظم منازلهم اسفنديا وهى التى كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور بن نوش ابن سارب بن النمروذ بن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التى يسقون منها الصنوبرة التى كانوا يعبدونها وقد غرسوا فى كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فتنبت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها لا هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هى حياة آلهتنا فلا ينبغى لاحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذى عليه قراهم وقد جعلوا فى كل شهر من السنة فى كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها فى الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجدا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يجىء فيحرك أغصانها ويصيح فى ساقها صياح الصبى عبادى قد رضيت عنكم فطيبوا انفسا وقروا أعينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون

الركب وأنام حتى يلحقنى رفاق فنمت ليلة من الليالى على عادتى وكنت عادلا عن الطريق فسار الركب ولم يشعر بى رفاقى فصرت نائما حتى طلعت الشمس وانتبهت وأنا لا أدرى كيف الطريق فرفعت طرفى الى السماء وقلت الهى وسيدى الى ههنا حملتنى وعن بيتك قطعتنى فما يضرك لو وصلتنى ثم سرت حتى عييت من المسير وقوى على حر الهجير فايست من الحياة وانطرحت على كثيب من رمل أنتظر الموت فبينما أنا كذلك اذا شخص ينادينى باسمى فقمت ونظرت فاذا هو الشيخ أبو سعيد قال فسلمت عليه فرد على السلام ثم ناولنى رغيفا سخنا فاكلته فاستد رمقى ثم ناولنى ركوة فيها ماء أحلى من الشهد وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن فشربت منها وغسلت وجهى فعادت روحى ثم قال اتبعنى يا عبد الرحمن ففرحت بذلك فقال البث ههنا فالركب يأتيك بعد ثلاثة أيام ثم ناولنى رغيفا ومضى فكنت كلما أكلت من ذلك الرغيف لقمة شبعت فاقام الرغيف عندى ثلاثة أيام الى أن جاء الركب واجتمعت برفاقى

على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور له اثناعشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليها القرابين أضعاف ماقربوا للشجرة التى فى قراهم فيجىء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما جهوريا يعدهم ويمنيهم باكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفعون رؤسهم من السجود وبهم من الفرح والسرور مالايفيقون ولايتكلمون معه فيديمون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثنى عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم فى السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بنى اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلايتبعونه ولايسمعون مقالته فلما رأى شدة ماهم فيه من الغى والضلالة وتركهم قبول مادعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقى ودعوتى اليهم وماأرادوا الاتكذيبى والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لاتنفع ولاتضر فايبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فهالهم ذلك وخضعوا فصاروا فرقتين فرقة قالوا سحر هذا الرجل الذى يزعم انه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها وجمالها لكى تغضبوا لها فتنتصروا منه فأجمعوا أمرهم على قتله فاتخذوا مثال بيت واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ونزحوا مافيها من الماء ثم حفروا فى قعرها بئرا ضيقة العين عميقة فرسوا فيها نبيهم وألقوا على فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجوا أن ترضى عنا آلهتنا اذ رأت انا قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها وأنا دفناه تحت كبيرها يتشفى فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم ويسمعون أنين نبيهم وهو يقول سيدى ومولاى ترى ضيق مكانى وشدة كربى فارحم ضعف ركنى وقلة حيلتى وعجل قبض روحى ولا تؤخر اجابة دعوتى حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انظر عبادى هؤلاء الذى غرهم حلمى وأمنوا مكرى وعبدوا غيرى وقتلوا رسلى وأنا المنتقم ممن عصانى ولم يخش عقابى وانى حلفت بعزتى لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبيناهم فى عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كحجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فالقت عليهم جمرا كالقبة يلتهب فذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص فى النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله أعلم

﴿مجلس فى ذكر قصة نبى الله أيوب وبلائه عليه السلام﴾

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين (قال) وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلا من الروم وكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط

فلما وقفنا بعرفة رأيت الشيخ وهو واقف عند الصخرات مشغول بالدعاء فلما فرغ سلمت عليه فرد على السلام وقال ألك حاجة ياعبد الرحمن فقلت ياسيدى أريد دعاءك فدعا لى ثم نزلنا من الجبل ولم أره بعد ذلك فلما قضيت الحج وصرت الى البصرة أتيت المسجد لانظره فلما نظرته قام الى وسلم على وصافحنى وعصر على يدى ففهمت منه أن اكتم سرك قال فلما أقيمت الصلاة وفرغنا سألت المؤذن عن غيبة الشيخ فى أيام الحج عن المسجد فقال المؤذن ان الشيخ أباسعيد لم يكن قطع الصلوات الخمس فى المسجد أبدا ولاساعة واحدة قال عبد الرحمن فعلمت انه من الخواص الابدال السادة الرجال أعاد الله علينا من بركاتهم وصالح دعواتهم فى الدنيا والآخرة آمين

﴿وعن عبد الصمد البغدادى رضى الله تعالى عنه﴾ انه قال كنت أتجر من بغداد الى بلاد اليمن وأحج فى كل سنة فبينما أنا فى بعض السنين فى الطريق بين منى وعرفة اذ رأيت شابا حسن الشباب نقى

عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال
كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير مالا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة وكان له بها
خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان ولكل
أتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرأ تقيا رحيما
بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى
مؤديا لحقه قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الغرة والغفلة
والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا
فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لاحدهما بالك والآخر ظافر
وكانوا كهولا (قال وهب) ان لجبريل عليه السلام بين يدي الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله
في القربة والفضيلة وان جبريل هو الذي يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل
ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش فاذا شاع ذلك في الملائكة
المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط
عليه الصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما
أراد ومن هنالك وصل الى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله
تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان يصعد في ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
حجب عن الثلاثة الباقية فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع
فاتبعه شهاب مبين قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى
عليه فادركه البغي والحسد وصعد سريعا حتى صعد في السماء موقفا كان يقفه فقال يا الهي نظرت في أمر
عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تختبره لا بشدة ولا ببلاء
وأنا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على
ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم فقال لهم ماذا عندكم
من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هو المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تصبر
عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت اعصارا من نار فاحرقت
كل شئ آتي عليه فقال له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت
رؤسها وثبتت في مراعيها فما تشعر الناس حتى ثارت من تحت الأرض اعصار من نار تنفخ فيه رياح
السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل
ابليس على قعود منها في صفة راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال له يا أيوب قال
لبيك فقال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بابلك ورعاتها فقال أيوب انها ماله أعارنيها
وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت وطيبت النفس اني ومالي للفناء والزوال فقال
له ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها وبقي الناس مبهوتين ووقفوا عليها يتعجبون
منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب
يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل فشمت
به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء نزع مني عريانا خرجت من
بطن أمي وعريانا أعود الى القبر وعريانا أحشر الى ربي ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله
وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك

الأثواب كأن على وجهه
قنديلا من نور وهو راقد
على الرمل وتحت رأسه حجر
وهو يعالج سكرات الموت
قال فتقدمت اليه وسلمت
عليه فرد على السلام فقلت
ألك حاجة أيها الشاب
فقال نعم تقيم عندي ساعة
حتى أقضي نحبي وألحق
بربي فقلت ما الذي تريد
قال اذا أنا مت فوارني في
التراب وخذ هذه المعضدة
وروح الى صنعاء اليمن
واسأل عن الدرب الفلاني
وقل لاهل عثمان يقرئكن
السلام ثم غاب عن الكلام
ساعة طويلة حتى حسبت
انه مات ثم أفاق بعد ذلك
وهو يقرأ هذه الآية هذا
ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون ثم شهق شهقة
فارق الدنيا رحمة الله تعالى
عليه قال عبد الصمد فغسلته
وكفنته ووجهه يضيء
ويتلألأ ثم صليت عليه
في جماعة ثم دفناه وأخذت
المعضدة معي فلما وصلت
الى صنعاء اليمن سألت عن
الدرب فارشدت اليه
فخرجت الى عجوز وبنات
فدفعت اليهن تلك الوديعة
فلما رأوها جدوا في البكاء
والنحيب ثم خرت العجوز
مغشيا عليها فلما أفاقت
قالت أين صاحب هذه

مع تلك الارواح وصيرك شهيداً مع الشهداء ولكنه علم فيك شراً فاخرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائباً ذليلاً وقال لهم ماذا عندكم من القوة انى لم أكلم قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة مالو شئت صحت صوتاً لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتاً ماتت منه الغنم جميعاً وماتت رعاتها ثم ان ابليس خرج متمثلاً بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول ورد عليه أيوب مثل ما قال فى النوبة الأولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً تنسف كل شئ تأتى عليه حتى لا يبقى منه شئ فقال له ابليس فأت الفدادين والحرات فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى فى الحرث وأولادهم رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متمثلاً بقهرمان الحرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فاجابه أيوب بمثل جوابه الاول فجعل ابليس يصيب ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلما انتهى اليه بهلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال فلما رأى ابليس أنه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيأ ولا نجح فى شئ من أفعاله شق عليه ذلك وصعد سريعاً ووقف الموقف الذى كان يقفه وقال الهى ان أيوب يرى انك مهما متعته من نفسه وولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده فانها الفتنة المضلة والمصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بنى نبى الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجدره بعضها بعضاً فرماهم بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم ان ابليس انطلق الى أيوب متمثلاً بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من دماغه فاخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق أيوب لذلك وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعاً بالذى كان من جزع أيوب مسروراً ثم لم يلبث أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئاً ذليلاً فقال يا الهى انما هون على أيوب خطر المال والولد انه يرى انك مهما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان والله أعلم به انه لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعاً فوجد أيوب ساجداً فقبل أن يرفع رأسه أتاه من قبل الارض فى موضع وجهه ونفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فدهل وخرج به من فرقه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتمالك عن حكها فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وأنتن فأخرجه أهل

المعضدة فاخبرتها بخبره فقالت هو والله ولدى عثمان وهؤلاء اخوانه ترك أهله وحشمه وخدمه وزهد فى الدنيا وخرج سائحاً على وجهه لا ندرى أين ذهب فجزاك الله عن ولدى خيراً الهى ان كنت لا ترحم الا المجتهدين فمن للمقصرين وان كنت لا تقبل الا من المخلصين فمن للمسيئين وان كنت لا تقبل الا الطائعين فمن للعاصين وان كنت لا ترحم الا المحسنين فمن للخاطئين أنت أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين

﴿وعن أبى الأشهل السائح رحمه الله تعالى ونفعنا به﴾ قال رأيت غلاماً بطريق مكة وهو قائم يصلى عند بعض الاميال قد انقطع عن القافلة فوقفت أنظر اليه فاطال صلاته فلما سلم قلت له سلام عليك فقال وعليك السلام فقلت له انك قد انقطعت عن الركب ألك رفيق يؤنسك حتى تلحقه فبكى وقال نعم فقلت وأين هو فقال أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فعلمت انه عارف فقلت له أمعك زاد فقال نعم فقلت وأين هو فقال فى قلبى اخلاصى لربى فقلت له فهل

القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم ابن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه وهو في بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به (قال) وكان حضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لأسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذى قلتم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر أجمل من الذى أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب نبى الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الارض فى يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا علمتم أنه نزع منه شيأ من الكرامة التى أكرمه الله بها ولا ان أيوب غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضعه فى أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا انكم آخيتموه على وجه الصحة لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى معه ويستغفر الله له ويحزن لحزنه ويدله على رشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول فقد كان لكم فى عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النبلاء البلغاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا استبقوا الى الله تعالى بالاعمال الزاكية الصالحة يعدون انفسهم مع الخاطئين الظالمين وانهم برآء ويعدون أنفسهم مع المفرطين المقصرين وانهم لأكياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال فهم مروعون مفزعون خاشعون مستكينون فقال أيوب ان الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب المؤمن الكبير والصغير فمتى نبتت فى القلب أظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيما فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله تعالى نور الكرامة ثم ان أيوب أقبل على الثلاثة وقال أتيتمونى غضابا رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله يخلصنى وقربوا عنى قربانا لعل الله يتقبلها ويرضى عنى وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم قد عوفيتم باحسانكم فهنالكم بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله عليكم بالعافية التى ألبسكم اياها وقد كنت فيما خلا الرجال توقرنى وأنا مسموع كلامى معروف حقى منتصف من خصمى فاصبحت اليوم وليس لى رأى ولا كلام معكم فانتم اليوم أشد على من مصيبتى ثم انه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال رب لاى شئ خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى ما خلقتنى ياليتنى كنت حيضة ألقتنى أمى أوليتنى قد عرفت الذنب الذى أذنبت والعمل الذى

لك فى سر افقتى فقال الرفيق يشغل عن ذكر الله ولا أحب أحدا يشغلنى عن ذكر الله تعالى طرفة عين فقلت من أين تأكل فقال الذى غذانى فى ظلمة الاحشاء صغيرا يتكفل برزق كبيرا فقلت احتجت الى طعام حضر بين يدى فقلت له هل من حاجة فقال نعم اذا رأيتنى بعد هذا اليوم فلا تكلمنى فقلت بالله أسألك ياسيدى أن تدعو لى فقال حجبك الله عن كل معصية وشغلك بما يقربك اليه فقلت ياسيدى فاين اللقاء بعد ذلك اليوم فقال ما بقى لقاء بعد هذا اليوم فان كنت من أهل القرب فاطلبنى غدا فى منازل المقربين ثم غاب عن عينى فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وعن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه) انه قال كان لى جار مسرف على نفسه لا يعرف يومه من أمسه فاجتمعت الجيران الى يشكونه فاحضرته وقلت له ما هذا قد كثر عصيانك فاما ان تتوب واما أن تخرج من هذا المحل فقال انا فى ملكى لا أخرج منه فقلت له نشكوك الى السلطان فقال

عملت فصرفت بوجهك الكريم عنى لو كنت أمتنى وأحقتنى بآبائى فالموت كان أجمل لى يا الهى ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهى أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمنة لك وان أسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء غرضا وللفتنة نصبا فلو وقع على بلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى الهى تقطعت أصابعى فانى لأرفع الأكلة من الطعام الايدى جميعا فما يبلغان فى الاعلى الجهد منى الهى تساقطت لهواتى ولحم رأسى فما بين أذنى من سداد بل احداهما ترى من الاخرى وان دماغى ليسيل من فى الهى تساقط شعر عينى كأنما أحرق بالنار وجهى وحدقتاى متدليتان على خدى وورم لسانى حتى ملأ فى فما أدخل فيه طعاما الا غصنى وورمت شفتاى حتى غطت العليا أنفى والسفلى ذقنى وتقطعت أمعائى فى بطنى وانى لادخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعنى وذهبت قوة رجلى فكانهما قربتا ماء لا أطيق حملهما وذهب المال فصرت أسأل بكفى ويطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمن بها على ويعيرنى الهى هلك أولادى ولو بقى واحد منهم أعاننى على بلائى ونفعنى قد ملنى أهلى وعقنى أرحامى وتنكرت لى معارفى ورغب عنى صديقى وقطعنى أصحابى وجحدت حقوقى ونسيت صنائعى أصرخ فلا يصرخوننى واعتذر فلا يعذروننى دعوت غلامى فلم يجبنى وتضرعت لامتى فلم ترحمنى وان قضاءك هو الذى أذلنى وأدنانى وأهاننى وأقامنى وان سلطانك هو الذى أسقمنى وأنحل جسمى ولو أن ربى نزع الهيبة التى فى صدرى فأطلق لسانى لا تكلم بملء فمى ولو كان ينبغى للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافينى عند ذلك مما بى ولكنه ألقانى وتخلى عنى فهو يرانى ولا أراه ويسمعنى ولا أسمعه ولا نظر الى فرحمنى ولا دنا منى ولا أدنانى فاتكلم ببراءتى وأخاصم عن نفسى فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلته غمامة حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودى يا أيوب ان الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل منك قريبا فقم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وتخاصم عن نفسك واشدد عليك ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغى أن يخاصمنى الا جبار مثلى ولا ينبغى أن يخاصمنى الا من يجعل الزمام فى فم الاسد والسخال فى فم العنقاء واللجم فى فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصر صرة من الشمس ويرد أمس لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت أى مرام رامت بك أ أردت أن تكاثرنى بضعفك أم أردت أن تخاصمنى بعيك أم أردت أن تحاجنى بخطئك أين كنت منى يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل علمت بأى مقدار قدرتها أم كنت معى تمر بأطرافها أم تعلم ما بعد زواياها أم على أى شئ وضعت أكنافها أبطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض على الماء غطاء أين كنت منى يوم رفعت السماء سقفا فى الهواء لا معاليق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجرى وتسير نجومها أم هل بأمرك يختلف ليلها ونهارها أين كنت منى يوم سجرت البحار وأنبعت الانهار أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين أنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك أن تطيق حملها أم كنت تدرى كم مثقال ما فيها أين الماء الذى أنزلته من السماء هل تدرى كم بلدة أهلكتها وكم من قطرة أحصيتها وقسمت الارزاق أم قدرتك تثير السحاب وتنثر الماء هل تدرى ما أصوات الرعد أم من أى شئ لهب البرق وهل رأيت عمق البحر أم هل تدرى ما بعد الهواء أم هل تدرى أين خزانة النهار بالليل وأين طريق النور وبأى لغة تتكلم الاشجار أين خزانة الريح وأين جبال البرد أم هل تدرى من جعل العقول فى أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه ومن قهر الجبارين بجبروته وقسم

أتأمن أصحاب السلطان قلت تدعو الله عليك فقال ربى أرحم منكم ثم نهض من عندى فلما كان الليل رفعت يدى الى السماء فى وقت الاسحار وأردت ان أدعو عليه فهتف بى هاتف يا مالك لا تدع عليه فانه من أوليائنا قال مالك فقمت من ساعتى وطرقت عليه الباب فخرج وظن أنى جئت اليه لاخرجه من محله فخرج وهو يبكى ويعتذر ويقول يا سيدى السمع والطاعة أنا أخرج من المحل فقلت له لا بأس عليك ما جئتك لهذا وانما جئت اليك لاخبرك بما كان منى انى رفعت يدى وأردت أن أدعو عليك فهتف بى هاتف يا مالك لا تدع عليه فانه من أوليائنا قال فبكى الرجل بكاء شديدا وتاب من وقته وساعته فاصبح الناس يزورونه ويتبركون به وكثر الازدحام عليه فخرج حاجا الى مكة فى العام القابل فبينما أنا فى المسجد الحرام وقت الظهر مستظل بحائط واذا بجماعة قد اجتمعوا الى جانب المسجد وبينهم رجل ملقى على التراب فتأملته فاذا هو صاحبى وهو يعالج سكرات

أرزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معاشها وعطفها على أفراخها
ومن أعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تأنس بالاصوات ولا تهاب السلاطين
أبحكمتك عطفت عليها أمهاتها حتى أخرجت لها طعاما من أجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها أم
بحكمتك يبصر العقاب الصيد البعيد واضحا فى أماكن الفلا أين أنت يوم خلقت البهموت مكانه
فى منقطع التراب والوتيا يحملان الجبال والقرى والعمران أنيابهما كأنها شجر الصنوبر الطوال
ورؤسهما كأنها الجبال وعروق أفخاذهما كأنها عمد النحاس أأنت ملأت جلودهما لحما أم أنت
ملأت رؤسهما دماغا هل لك فى خلقهما من شرك أم لك بالقوة التى غلبتهما يدان أم هل يبلغ من
قوتك أن تضع يديك على رؤسهما أم تقعد على طريق فتحبسهما أو تصدهما عن قوتهما أين
أنت يوم خلقت التنين ورزقه فى البحر ومسكنه فى السماء وعيناه تتوقدان نارا ومنخراه يثوران
دخانا أذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كأنه اعصار العجاج جوفه يحرق ونفسه يلتهب
وزبده جمر كأمثال الصخور وكأن ضرب أسنانه أصوات الصواعق وكأن نظر عينيه لمع البرق
تمر به الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شئ ليس فيه مفصل زبر الحديد عنده مثل التبن والنحاس
عنده مثل الخيوط لا يفزع من النشاب ولا يحس وقع الصخور على جسده ويطير فى الهواء كأنه
عصفور فيهلك كل شئ يمر به هل أنت آخذه بأحبولتك وواضع اللجام فى شدقه هل تحصى عمره
أم هل تعرف أجله أم تعرف رزقه أم هل تدرى ماذا خرب من الارض وماذا يخرب فيما بقى من عمره
أم هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك تبارك الله أحسن الخالقين فقال أيوب عليه
السلام قصرت عن هذا الامر الذى ورد على ليت الأرض انشقت لى فذهبت ولم أتكلم بشئ
يسخط ربى حين اجتمع على البلاء الهى قد جعلتنى لك مثل العدو وقد كنت تعرفنى وتعرف
نصحى وقد علمت أن كل الذى ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك وأعظم من هذا لو شئت علمت
أن لا يعجزك شئ ولا تخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذى يظن أن يسر عنك سرا
وأنت تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك فى بلائى هذا مالم أكن أعلم وخفت أن يكون امرا
أكثر مما كنت أخاف انما كنت أسمع صوتك فأما الآن فهو نظر العين انما تكلمت حين تكلمت
لتعذرنى وسكت حين سكت لترحمنى كلمة زلت من لسانى فلن أعود وقد وضعت يدى على فمى وعضضت
على لسانى وألصقت بالتراب خدى ودسست فيه وجهى لصغارى وسكت حين أسكتتنى خطيئتى
فاغفر لى ما قلت فلن أعود لشئ تكرهه عنى فقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمى وسبقت رحمتى
غضبى اذا أخطأت فقد غفرت لك ما قلت ورحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم
لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصونى فيك فركض برجله
فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج وجلس فأقبلت
امرأته فقامت تلتمسه فى مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالوالهة فرت به فقالت يا عبد الله هل لك
علم بالرجل المبتلى الذى كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم
وقال لها أنا هو فعرفته لما ضحك فاعتنقته (قال) ابن عباس والذى نفسى بيده ما فارقته من عناقه
حتى مر بهما كل ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر
الاية * واختلف العلماء فى وقت ندائه ومدة بلائه والسبب الذى قال لاجله مسنى الضر (حدثنا)
الامام أبو الحسين محمد بن على بن سهل املاء فى شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وثلثمائة

الموت قال مالك جلست
عند رأسه أبكى ففتح
عينيه فرآنى ثم قال يا مالك
أترى مولاى يعفو عن
تلك الذنوب والسيآت
ويرحم هذه العبرات فقد
فارقت أهلى ووطنى وخرجت
من ذلك المكان حياء
منك وأنت مخلوق فكيف
أقف غدا بين يدى الخالق
جل وعلا ثم تنفس وشهق
شهقة فمات رحمة الله تعالى
عليه آمين (وعن الجنيد
رضى الله تعالى عنه) أنه
قال عزمت على الحج الى
بيت الله الحرام فى بعض
الاعوام فركبت ناقتى
ووجهتها نحو الكعبة
شرفها الله تعالى وعظمها
فلوت عنقها وردته نحو
القسطنطينية فرددتها
مرارا وهى تعود فقلت فى
نفسى لله فى ذلك سر خفى
فاطلقتها وقلت الهى وسيدى
ومولاى ليس لى حيلة ان
كنت تريد أن تردنى عن
بيتك فالامر اليك قال
فجعلت الناقة تسير سيرا
جيدا حتى دخلت
القسطنطينية فلما دخلت
البلد رأيت الناس فى هرج
ومرج فسألت عن الخبر
فقال بعض الناس ان ابنة
الملك قد ذهب عقلها وهم
يلتمسون لها طبيبا يداويها

أخبرنا أبو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر أخبرنا يحيى بن أيوب العلاف أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبي الله أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما أدراك قال منذ ثماني عشرة سنة له في البلاء لم يرحمه الله ويكشف ما به فلما راحا الى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب ما أدرى ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم انى كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتى فأنكفى عنهما كراهة أن يذكرا الله تعالى الا في حق قال وكان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وذلك أن الله تعالى أوحى الى أيوب في مكانه أن اركض برجلك الآية فاستبطأته فتحبت لتنظر ما شأنه فاقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما أصابه من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبى الله المبتلى فقال انى أنا هو وكان له أندران اندر القمح واندر الشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض (ويروى) ان الله تعالى أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو منه في ثوبه فناداه يا أيوب ألم أغنك عما ترى قال بلى يارب ولكن لا غنى لى عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة في مزبلة لبنى اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بأيوب أكلة وانما كان يخرج منه مثل ثدى النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة امرأته صبرت معه تخدمه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده وأيوب على ما به لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم أعيانى هذا العبد سألت ربى أن يسلطنى على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا امرأته وقد افتضحت من ربى فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له أين مكرك أين علمك الذى أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا على قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل امرأته قالوا فشأنك وأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهى تطلب الصدقة فتمثل لها في صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضرر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه لى ويبرأ قال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد أين الصديق أين نوبك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن قد بلى وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فاجبتيه ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم به علينا قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت في هذا البلاء الذى ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء والله لئن

فقلت في نفسى وعزة ربى لهذا صرفنى عن بيته في هذا العام قال الجنيد فقلت لهم قد حضر الطبيب فقالوا أنت تداويها فقلت لهم نعم ان شاء الله تعالى قال فاخذوا بيدى واتوا بى الى الملك واخبروه بما قلت فاشترط على شروطا فامتثلت واستعنت بالله ثم ادخلت مخدعا فسمعت خشخشة الحديد وقائلا يقول يا جنيد تجذبك الناقة الينا وانت تجنبها نحو الكعبة قال الجنيد فطاش عقلى من ذلك الكلام ثم دخلت فرأيت جارية لم ير الراؤن أحسن منها وهى مقيدة بالحديد ومسلسلة فقلت لها ما هذه الحالة فقالت يا طبيب القلوب صف لى صفة أنجو بها من الكروب قال الجنيد فقلت لها قولى لا اله الا الله محمد رسول الله فرفعت صوتها بقول لا اله الا الله محمد رسول الله فتساقطت الاغلال والسلاسل عنها فلما راى ابوها ذلك قال ما أحسنك من طبيب أسألك بالله عليك ان تداوينى بما داويت به ابنتى هذه قال الجنيد فقلت له قل لا اله الا الله محمد رسول الله فقالها وأسلم وحسن اسلامه ثم اتت امها واسلمت

شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة كما أمرتينى أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام لا أذوق مما تأتينى به شيأ بعد ان قلت هذا فاعزبى عنى لا أراك فطردها فذهبت فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرَّ ساجدا وقال رب مسنى الضر ثم رد الامر الى ربه وسلم فقال وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الآية فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شئ ظاهر الا سقط أثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وأفضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيأ مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان قد طردنى الى من أكله أدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتأكله السباع فوالله لارجعن اليه فرجعت فلم تر الكناسة ولا الحال التى كانت تعهدها وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وأيوب ينظرها قال وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله فأرسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدرى أضاع أم ماذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلى فهل رأيته فقال وهل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على ثم انها جعلت تنظر اليه وهى تهابه وقالت أما انه كان أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانا أيوب أمرتينى أن أذبح لابليس فانى أطعت الله وعصيت الشيطان فرد على ما ترين (وقال كعب) كان أيوب فى بلائه سبع سنين وقال وهب لبث فى ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلب أيوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شئ اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال فقال لها أنت صاحبة أيوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفينى قالت لا قال أنا اله الارض وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد اله السماء وتركنى وأغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليكما كل ما كان لكما من مال وولد فانهم عندى ثم أراها اياهم فى بطن الوادى الذى لقيها فيه (قال وهب) وقد سمعت أنه قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما لم يسم عليه لعوفى مما هو فيه من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها ورأيت فى بعض الكتب أن ابليس قال لرحمة ان شئت اسجدى لى سجدة واحدة حتى أرد عليك الاولاد والمال وأعافى زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتنك عن دينك ثم ان أيوب اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسنى الضر من طمع ابليس فى سجود حرمتى له ودعائه اياها واياى الى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبر يمين أيوب فامره أن يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا فيضربها ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة أيوب تكتسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الايام ما تطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنك فاخبرته فقال عند ذلك مسنى الضر وقيل انما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه فخشى أن يعيا عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين وقعت الدودة من فخذه فاخذها وردها الى موضعها وقال لها كلى فقد جعلنى الله طعامك فعضته عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض الديدان وقال

وأسلم كل من كان فى البلد معهم قال الجنيد فعزمت على التوجه فقالت الجارية لا تعجل ياسيدى بالخروج فانى سألت الله أن يتوفانى وأنت حاضر حتى تقف على غسلى وتصلى على ثم تشهدت وخرت ميتة فغسلناها ودفناها رحمة الله تعالى عليها (وعن أبى بكر بن الفضيل رضى الله تعالى عنه) انه قال سألت بعض أصدقائى وكان أصله روميا عن سبب اسلامه فامتنع أن يحدثنى فما زلت أقسم عليه حتى حدثنى قال نزل بنا عساكر المسلمين فحاصرونا سنة من السنين فخرجنا اليهم وقاتلناهم فقتلوا منا جماعة وقتلنا منهم جماعة وأسروا منا جماعة وأسرنا منهم جماعة كما هى عادة العساكر فى القتال فأسرت أنا وحدى من المسلمين عشرة رجال وكانت لى فى الروم المنزلة فسلمت العشرة الى غلمانى فقيدوهم وحملوهم على البغال حتى تركوهم عندى فى السجن فبينما أنا يوما من الايام جالس بقصرى اذ جاءنى بعض غلمانى وقال ياسيدى ان أحد الموكلين قد أخذ من أحد المأسورين مالا وتركه يصلى قال فلما

عبد الله بن عمر كان لايوب أخوان فاتياه فقاما من بعيد لايقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم فى أيوب خيرا ما ابتلاه بما نرى قال فما سمع أيوب شيأ كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شئ أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسنى الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم أنى لم أبت ليلة شبعان قط وأنا أعلم بمكان جائع فصدقنى فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم أنى لم أتخذ قميصا قط وأنا أعلم بمكان عريان فصدقنى فصدقه وهما يسمعان فخر ساجدا لله وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الاعداء يدل عليه ما روى انه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك فى بلائك فقال شماتة الاعداء وأنشد بعضهم فى معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد

ان المصائب تنقضى أيامها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

(وقال الجنيد) فى هذه الآية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله الآية (واختلف العلماء) فى كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله أيوب فى الدنيا مثل له أهله فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه فى الدنيا وانما وعد الله أيوب أن يؤتيه اياهم فى الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه باعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا أحياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية (وذكر) ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه أوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله أعلم

(مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام)

هذا المجلس يأتى بعد فى آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة فى المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لى أن يقوم الليل و يصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فمات ذلك النبى فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان فى صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فأرسل اليه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج اليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب فسمى ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره أن نعصى الله تعالى ورسوله فاوسال الله أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتمونى عظيما وكلفتمونى شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهى أمرتنى بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتنى أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم أنى لا أملك الا نفسى وان قومى قد سألونى فى ذلك ما أنت أعلم به منى فلا تؤاخذنى بجريرة غيرى فانا أعوذ برضاك من سخطك و بعفوك من عقوبتك قال فأوحى الله تعالى اليه يا بشر انى سمعت مقالة قومك وانى قد أعطيتهم ما سألونى فطولت أعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن

سمعت ذلك أحضرت الموكل بهم وقلت له أخبرنى ما الذى أخذته من هذا الاسير حتى تركته يصلى فقال نعم ياسيدى انه فى كل وقت صلاة يدفع الى دينارا ذهبا فقلت هل معه شئ من ذلك فقال لا ياسيدى ولكنه اذا فرغ من صلاته يضرب الارض بيده فيظهر له ذلك الدينار قال فتعجبت من ذلك وأحببت أن أعرف حقيقة هذا الرجل فلما كان من الغد أحضرت الموكل به ولبست ثيابه ووكلت نفسى بذلك فلما جاء وقت صلاة الصبح أومأ الى بأنه يريد الصلاة و يدفع الى الدينار على عادته فاشرت اليه وقلت لما آخذ الا دينارين فقال نعم فاطلقته يصلى فلما فرغ من صلاته ضرب الارض بيده ودفع الى الدينارين فازددت تعجبا من ذلك فلما جاء وقت صلاة الظهر أومأ الى كالمرة الاولى فقلت له ما آخذ الا خمسة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى الخمسة دنانير فلما جاء وقت صلاة العصر أشار الى كعادته فقلت له ما آخذ الا عشرة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى العشرة دنانير فلما جاء وقت المغرب

كفلا

كفيلا لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمي ذا الكفل ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى آجالهم فأوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا خمسة أسداسها للروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم ابن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

(مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن نابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى اخبارا عن قومه وانا لنراك فينا ضعيفا أي ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف (وقال قتادة) بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس الناس وتطفيف في المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها في الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا ليؤمن به أنه كذاب فلا يفتننك عن دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم (قال السدي) وأبو روق كانوا عشارين (قال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته ولا شيء الا خرقته فقلت ما هذا ياجبريل فقال هذا مثل اقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ماذكره الله تعالى في سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أي السفيه الغاوي وهو على الضد كما يقال للحبشي أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قال ابن عباس) رضي الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله تعالى دعاءه فيهم فاهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة عن الكلبي ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهي ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا في أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هاربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا وجاءت بريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم

أشار الي فاشرت اليه لا آخذ الا خمسة عشر دينارا فقال نعم فلما فرغ دفع الي ذلك فلما جاء وقت العشاء الأخيرة أومأ الي فقلت لا آخذ الا عشرين دينارا فقال نعم فصلى وأحسن صلاته ودفع الي العشرين دينارا وقال اطلب ماشئت فان سيدي غني كريم لا يبخل علي بما سألته قال فبت تلك الليلة متفكرا في أمره متعجبا مما رأيته منه وقد داخلني منه هيبة وأمر عظيم وعلمت انه من أولياء الله تعالى فلما أصبحت دعوته الحضور عندي ثم أكرمته وفككت قيوده وألبسته ثوبا حسنا وعظمته وبجلته ثم قلت له ياسيدي هل لك في الاقامة عندنا في بلادنا وأنت في أعز مكان وأكرم محل ونكرمك غاية الاكرام أو الرجوع الى بلادك فاختار الرجوع الى بلاده فاحضرت له زادا وحملته بنفسي على بغل وأنفذت معه من اصحابي وغلماني عشرة رجال وأوصيتهم بايصاله الى بلاده معظما مكرما وأن لا يعترضه عارض ولا يؤذيه أحد ويمتثلوا جميع مايأمرهم به ويفعلوا جميع مايختاره ثم أحضرت دواة وقرطاسا

(قال ابن عباس) بلغني ان رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب اقشعر جلده وقال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم شميرا وعمران بن شداد

انى أرى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على حنانة الوادى

فانه لن يرى فيها ضحاء غد * الا الرقيم يمشى بين انجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلى أبو جاد وحطى وهوز وكلمن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى زمن شعيب كلمن فقالت أخت كلمن تبكيه حين هلك

كلمن هد ركنى * هلكه وسط المحله

سيد القوم أتاه الحتف نارا وسط ظله

جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أى لهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة

(مجلس فى ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب)

(الباب الاول فى ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوى وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح نابتة بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهث ثم ان قاهث بعد ان مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح فاهى بنت مسين بن تنويل بن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث سميت بنت يتادم بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران بن يصهر يحيب بنت شمويل بن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف فى اسم أمهما فقال ابن اسحق يحيب وقيل ناجية وقيل يوخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم

(الباب الثانى فى ذكر مولد موسى عليه السلام)

(قال أهل التاريخ) لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثانى فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف فى ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أعتى من قابوس وأكبر وأفجر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام متمسكون به حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله اليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا فى ملكه ولا أسوأ ملكا لبنى اسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم

وجعل

وجعلت العلامة بينى وبينهم وقلت له انه اذا وصل الى بلاده سالما يكتب تلك العلامة فى القرطاس خوفا عليه فى الطريق ثم ودعته وجلسته بنفسى فقال لى توفاك الله على أحب الاديان اليه فوالله يا ابن الفضيل ما استتم كلامه حتى وقع فى قلبى حب الاسلام قال وكان مسيرة بلده من بلادنا خمسة أيام ذهابا وخمسة أيام ايابا فلما كان يوم السادس قدم على أصحابى ورفقائى ومعهم القرطاس بخطه والعلامة التى كانت بينى وبينه فسألتهم عن سرعة مجيئهم فقالوا لما خرجنا من عندك وهو معنا وصلنا الى بلاده فى ساعة واحدة من غير تعب ولا نصب فلما رجعنا سرنا فى الطريق خمسة أيام بالجهد والتعب والنصب فقلت عند سماع ذلك منهم أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن دين الاسلام حق ثم خرجت من بلاد الروم الى بلاد الاسلام وصار أمرى الى ما ترى والحمد لله وحده (حكى عن بعضهم عفا الله عنه) أنه قال كان فى زمن خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما امرأة عابدة وكان لها

وجعلهم خدما وخولا وصنفهم فى أعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة
ومن لم يكن أهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقد استنكح فرعون
منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النساء المعدودات ويقال هى آسية بنت
مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فاسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من
أهل مصر الا ثلاثة آسية وحزقيل ومريم بنت ناموسى التى دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا
فعمر فرعون فيهم وهم تحت يده عمرا طويلا يقال انه أربعمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله
أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ماذكره السدى عن رجاله أن فرعون
رأى فى منامه كأن نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها وأحرقت
القبط وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه
فقالوا يولد فى بنى اسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك
ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذى يولد فيه فامر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل فجمع
القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بنى اسرائيل الا قتلتنه ولا
جارية الا تركتنها ووكل بهن وكلاء فكن يفعلن ذلك قال مجاهد لقد بلغنى أنه كان يأمر بالقصب فيشق
حتى يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفن عليه فتجرح
أقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه وتتقى به حد القصب عن
رجليها لما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذين فى وقته ويقتل من يولد بعدهم ويعذب الحبالى
حتى يضعن مافى بطونهن وأسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون
وقالوا له ان الموت قد وقع فى مشايخ بنى اسرائيل وأنت تذبح صغارهم وتميت كبارهم فيوشك أن يقع
العمل علينا فامر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون فى السنة التى لا يذبح فيها أحد
فترك وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها قال فولدت هرون أمه علانية آمنة فلما كان فى العام
الذى أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فاوحى الله
تعالى اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته فى خفية أرضعته
ثم انها اتخذت له تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذى صنع
التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردى فاتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه
قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم ألقته فى النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أتاها
الشيطان فوسوس اليها فقالت فى نفسها ماذا صنعت بابنى لو ذبح عندى ورأيته وكفنته كان أحب
الى من أن ألقيه بيدى فى البحر وأدخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى
يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هى مستقى
جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير فى دار فرعون داخل فى بستانه فخرجت جوارى فرعون
يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فاخذنه وظنن أن فيه مالا فحملنه على حالته حتى أدخلنه الى آسية
فلما فتحته رأت فيه الغلام فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وأحبته حبا شديدا فلما سمع
الذباحون بامره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبى فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا
لا يزيد فى بنى اسرائيل فأنا آتى فرعون وأستوهبه اياه فان وهبه لى كنتم قد أحسنتم وان أمركم
بذبحه فلا ألومكم ثم انها أتت به فرعون وقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فقال فرعون
قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو أقر فرعون

ثلاث بنات فضاق الحال
عليها واشتد بها الفقر فبكت
بناتها يوما من الايام من ألم
الجوع فقالت المرأة
لبناتها اصبرن حتى أطلب
لكن شيأ من عند القاضى
من بيت مال المسلمين قال
فصبرت بناتها عند سماع
ذلك منها الى الصباح ثم
مضت والدتهن الى بيت
القاضى فلما وصلت
استأذنت فى الدخول
فدخلت وسلمت على القاضى
فرد عليها السلام ثم قال
ما حاجتك يا شريفة فقالت
له ياسيدى ان لى ثلاث
بنات وقد تركتهن بالجوع
وجئت اليك لعلك أن
تتصدق علينا بشئ من بيت
مال المسلمين قال فلما سمع
القاضى كلامها قال لها
غدا أعطيك شيأ قال
فخرجت من عنده وجاءت
الى البنات وهن يبكين من
شدة الجوع فقالت لهن
يا بناتى طبن فلو يكن فقد
وعدنا القاضى بأنه فى غد
يتصدق علينا وان شاء الله
تعالى غدا أرجع اليه كما
قال وآتيكم بشئ من عنده
قال فبتن تلك الليلة
مستبشرات فلما أصبح
الصباح ذهبت والدتهن
الى بيت القاضى فوجدته
جالسا على باب داره فسلمت

أن يكون له قرة عين كما أقرت هذا الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فاراد
أن يذبحه وقال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وأن يكون هذا الذى هلاكنا على يده وزوال
ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما أمنت آسية أرادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته
موشى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وشى الشجر فعرب فقيل موسى (أخبرنا)
ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا ابن
بشير أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر
استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ووافق خيارهم أشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر
فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا أبناءهم قال وقال أبو الياس
قال وهب بلغنى أنه ذبح فى طلب موسى سبعون ألف وليد قال ابن اسحق عن ابن عباس ان أم موسى لما
قاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لأم موسى فلما
ضربها الطلق أرسلت اليها أم موسى فقالت نزل بى ما نزل فلينفعنى حبك اياى فقالت لها ثم فعالجت
قبالها فلما وقع موسى على الارض أضاء لها نور بين عينى موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب
موسى فى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتينى الا فى رأى قتل ولدك واخبار فرعون
بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شئ مثله فاحتفظى بابنك فانى أراه هو عدونا فلما
خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على موسى فقالت أخته يا أماه
هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع به خوفا على موسى فلفت موسى فى خرقة وألقته فى
التنور وهو مسجور وكان ذلك الهاما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبده موسى فدخلوا فاذا التنور
مسجور وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا لها ما أدخل عليك هذه القابلة قالت هى
مصافية لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى أين الصبى
قالت لا أدرى فسمعت بكاء الصبى فى التنور فانطلقت فوجدته قد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما
فاحتملته (قال اسحق) بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان أم
موسى لما رأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله فى نفسها أن تتخذ له تابوتا
ثم تقذفه فى اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا
صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت أخبأ فيه ابنا لى وكرهت أن تكذب قال ولم
قالت أخشى كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم
بامرها فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم ينطلق فجعل يشير بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما أعياهم
أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم
فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى بلسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر
شيأ فضربوه وأخرجوه فوقع فى واد يهوى فيه حيران فاشهد الله تعالى عليه ان رد له لسانه وبصره
أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله
ساجدا وعلم أن ذلك من الله تعالى فآمن به وصدقه فانطلقت أم موسى به وألقته فى البحر وذلك بعد
ما أرضعته ثلاثة أشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه
وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء
من مصر والسحرة فنظروا فى أمرها فقالوا أيها الملك انا لا نرى برأها الا من قبل البحر شئ يؤخذ
منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا وكذا من شهر

عليه فرد عليها السلام ثم
قالت له يا سيدى كنت
وعدتنى بالامس بشئ وقد
جئتك طامعة فى طلبه فلما
سمع كلامها شفها ونهرها
وقال اذهبى عنى فرجعت
المرأة محزونة باكية وجاءت
الى خرابة كانت مجاورة
لبيتها فدخلت اليها وبكت
بكاء شديدا وقالت الهى
بأى وجه أرجع الى بناتى
وبأى عين أنظر اليهن
وبأى لسان أجيبهن وطال
بكاؤها وزاد تضرعها
وانتحابها قال وكان بالبلد
نصرانى يقال له سيدوك
وكان ذا مال كثير وغلمان
وكان قلبه رقيقا للاسلام
فمضى مارا بتلك الخربة
فسمع بكاء المرأة ونحيبها
فطاش عقله وقال لبعض
غلمانه ائتونى بهذه المرأة
فذهب غلمانه اليها
وأحضروها بين يديه فنظر
اليها ودموعها تجرى على
خدها فقال ما يبكيك أيتها
الشريفة فقالت ان لى
ثلاث بنات وقد تركتهن
بالجوع وقصت عليه قصتها
فقال سيدوك لغلمانه
أعطوها ألف دينار وبدلة
من القماش قال فاعطوها
ذلك فاخذتهم المرأة ودعت
له بالاسلام وذهبت الى بناتها
واشترت لهن بدينار من

كذاوكذا فى ساعة كذاوكذا حين تشرق الشمس فلما كان فى يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون وجواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها يتلاعبن وينضحن الماء على وجوههن فبينما هن على ذلك اذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الامواج فقال فرعون ان هذا الشئ فى البحر قد تعلق بالشجر ائتونى به فابتدروه من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت منه آسية فرأت فى جوف التابوت نورا لم يره غيرها للامر الذى أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته ففتحت التابوت فاذا هى بصبى صغير فى مهده والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمص منها لبنا فالقى الله تعالى محبة موسى فى قلبها وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون عليه فلما أخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا رمى به فى البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه فقالت قد سميته موشى لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم ان أم موسى قالت لأخته وكانت تسمى مريم قصيه أى اتبعى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى هو أم قد أهلكته دواب البحر ونسيت وعد الله فبصرت به عن جنب أى عن بعد وهم لا يشعرون انها أخته وكانت آسية قد أرسلت الى من حولها من كل أنثى بها لبن لتختار له ظئرا تربى موسى فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت آسية أن يمتنع من اللبن فيموت فاحزنها ذلك فامرت به فاخرج الى السوق لتجتمع عليه الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يقبلها ويأخذ ثديها ليرضع منها فلم يقبل ثدى امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت أخت موسى حين أعياهم أمره وأعيا الظئورة هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها وقالوا لها وما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفهم وانما نصحهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبتهم فى ظئورة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى أمها فاخبرتها بالخبر فاتت فلما وضعته على ثديها فى حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنبيه فانطلق البشير الى آسية يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فاتى بها فلما رأت ما يصنع بها قالت لها امكثى عندى ترضعى ابنى هذا فانى لم أحب شيأ مثل حبه قط فقالت لا أستطيع أن أدع بيتى وولدى فيضيعوا فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به الى بيتى وولدى فيكون معى ولا آلوه الا خيرا فعلت والا فانى غير تاركة بيتى وولدى وتذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها ● وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز وجل فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت به أمه الى بيتها كادت تقول هو ابنى فعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لأم موسى أحب أن تريني ابنى فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابنى بهدية وكرامة فانى باعثة بأمينة تحصى ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن أخرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما أن دخل عليها أكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها انطلق به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخذه ووضعه فى حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها وتقلع منها بعض شعرات وكان

ألوان الطعام ودخلت اليهن فاكلن وشبعن ثم قالت اللهم ارزقه من نعمائك فى الجنة ثم فصلت لبناتها من ألوان الثياب قال فلما كان الليل رأى القاضى فى منامه كأن القيامة قد قامت ثم أخذ القاضى ومضى به الى الجنة وجيء به الى قصر عالى البناء وهو من ذهب أحمر شراريفه من الدر الابيض يضيء بين كل شرافتين جارية من الحور العين أشرق من الشمس وأبهى من القمر فلما رأوه صاحوا فى وجهه وقالوا يا محروم كنا لك كنا وكان لك هذا القصر وهذه الجنة بما فيها من النعيم المقيم والآن صرنا لسيلوك النصرانى ثم طردوا القاضى وأخرجوه من الجنة وأروه مقامه فى النار قال فانتبه القاضى فزعا مرعوبا وهو يقول يا ويلتاه على ما فرط منى ثم خرج من وقته مسرعا حتى جاء الى بيت سيلوك النصرانى وطرق عليه الباب فخرج له غلام من غلمان سيلوك النصرانى وقال من بالباب فقال القاضى فرجع الغلام وأخبر مولاه ان القاضى بالباب فاذن له بالدخول فدخل فلما رآه سيلوك

فرعون طويل اللحية ويقال انه لطم وجهه (وفى بعض الروايات) أنه كان يلعب بين يدى فرعون وبيده قضيب صغير فضربه به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوى المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له مابدالك فى هذا الصبى الذى قد وهبته لى فاخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبى لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيه بينى وبينك أمرا نعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمرة علمت انه صبى ثم انها وضعت له طستا فيه الذهب والياقوت وطستا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على أنه يأخذ الجوهر ليقبض عليه فحوّل جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة ووضعها فى فيه فجاءت على لسانه فاحرقته وذلك الذى قال فى قوله تعالى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وانه صبى لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما فى بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه (ويروى) أنه سئل ابليس هل أحببت أحدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لان الله تعالى قال وألقيت عليك محبة منى فلم يمكننى أن لا أحبه

(الباب الثالث فى ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كعب الأحبار كان هرون بن عمران نبى الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كأنه من رجال ازدشنوأة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع فى قصة قتله القبطى وخروجه من مصر وورده مدين)

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس مايلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بنى اسرائيل كثير من الظلم والسخر التى كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك الامن قبل الرضاعة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره وأدركه المقيل بارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس فى طرقها أحد وهى التى قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشى فى ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذى من شيعته يقال له السامرى والذى من عدوه رجل من القبط كان خبازا لفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حطبا للطبخ فسخر السامرى ليحمله فامتنع السامرى فلما مر به موسى استغاثه السامرى على القبطى فقال موسى للقبطى دعه فقال الخباز لموسى انما آخذه فى عمل أبيك وأبى أن يخلى سبيله فغضب موسى فبطش به وخلص السامرى من يده فنازعه القبطى فوكز موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم (وقال وهب) أوحى الله الى موسى بن عمران وعزتى وجلالى لو كانت النفس التى قتلت أقرت لى طرفة عين أنى اله خالق رازق لأذقتك طعم العذاب وانما عفوت عنك لأنها لم تقر لى ساعة واحدة انى اله خالق رازق قالوا ولما قتل موسى القبطى لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلى فلما قتله أصبح فى المدينة

رحب به وأجلسه وقال ماحاجتك فى هذا الليل فقال له القاضى هل عملت من خير فى هذه الليلة فقال سيدوك انى بت فى هذه الليلة سكران فمن أين لى فعل الخير قال فلم يصدقه القاضى وقال الذى عملته فى هذه الليلة بعنيه بألف دينار فقال سيدوك حوصا على هذه القضية أخبرنى حتى أبيعك قال فاخبره القاضى بما رآه فى منامه وما وقع من القاضى فلما سمع سيدوك النصرانى هذه الرؤيا وثب قائما على قدميه واغتسل ولبس ثيابا جديدة وجلس بين يدى القاضى وقال امدد يدك فانى أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله جاءنا بالهدى ودين الحق قال فخرج القاضى من عنده باكيا حزينا فانظر ياأخى الى البخل كيف جعل القاضى من أهل النار لبخله وجعل النصرانى من أهل الجنة بكرمه وختم له بالخير والاسلام ماأعجب هذا وما أحسنه (وحكى عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه) أنه قال بينما أنا أمشى على شاطئ النيل اذ رأيت عقربا

خائفا يترقب الاخبار فاتوا فرعون وقالوا ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذلنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال فرعون ائتونى بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلى على قتال الفرعونى فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذى رآه فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى وقال للاسرائيلى انك لغوى مبين ففر الاسرائيلى من موسى وظن أنه يبطش به من أجل انه أغلظ عليه فى الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومد يده ظن انه يريد قتله فقال له ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن أن يكون موسى أراده ولم يكن أراده وانما أراد الفرعونى فتنازعا فذهب الفرعونى فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلى وذكر أن موسى هو الذى قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل أحرى عليك من الصديق الاحمق وينشد فى معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه ● أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدى الى الطريق فطلب موسى فى ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاء رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به (ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو افضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا قريبا حتى سبق الذباحين اليه فاخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فتحير موسى ولم يدر أين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعنى فاتبعه فهداه الطريق الى مدين (وروى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين و بينهما مسيرة ثمان ليال و يقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقول لترى من بطنه

﴿الباب الخامس فى دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه﴾

قالت العلماء لما انتهى موسى الى أرض مدين فى ثمان ليال نزل فى أصل شجرة واذا تحتها بئر وهى التى قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أى تحبسان أغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا مواشيهم سقينا أغنامنا من فضول حاجتهم وما بقى من حياضهم وأبونا شيخ كبير تعنيان شعيبا (وروى) حماد بن سلمة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال اسم أبى امرأة موسى الذى استأجره ثبرون صاحب مدين ابن أخى شعيب النبى عليه السلام واسم احدى الجاريتين ليا و يقال حنونا والاخرى صفورا وهى امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن رأسها (وحكى) الاستاذ أبو سعيد عبد الملك بن أبى عثمان الواعظ أن تلك البئر غير التى تسقى منها الرعاء قال وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها وأخذ دلوا لهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى لهما أغنامهما

يمشى فاخذت حجرا وأردت قتله فهرب منى مسرعا حتى وقع فى البحر فخرجت اليه ضفدعة فوثب العقرب على ظهرها ثم عامت به حتى طلعت الى الجانب الآخر وأنا أنظر اليها فتعجبت من ذلك وتبعته فلما نزل العقرب عن ظهرها سار حتى أتى الى مكان فيه رجل نائم سكران وقد أتى اليه تنين عظيم يريد أن يلدغه فاسرع اليه ذلك العقرب ولدغ التنين فقتله فازددت تعجبا ثم حمدت الله سبحانه وتعالى وجئت الى ذلك الرجل وأيقظته فقام من نومه فزعا مرعوبا فلما رأى الثعبان ولى هاربا فقلت له لا تخف قد كفيت شره ثم قصصت عليه القصة فاطرق رأسه ساعة ثم رفعها وقال يارب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن أطاعك ثم قال وعزتك وجلالك ما عصيتك بعد هذا اليوم أبدا ثم ولى تائبا الى الله تعالى رحمة الله تعالى عليه (وحكى عن ذى النون المصرى أيضا رضى الله تعالى عنه) انه قال بينما أنا طائف بالبيت الحرام سنة من السنين اذ نظرت الى شاب فى الطواف من

حتى أرواها فرجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى الا أكلة وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى أبيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما اليلة قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الى فجاءته احداهما وهى التى تزوجها موسى وهى تمشى على استحياء فقالت له ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أى يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة بردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها موسى امشى خلفى ودليني على الطريق فاذا أخطأت فارمى قدامى بحصاة حتى أنهج نهجا فانا بنى يعقوب لاننظر الى أعجاز النساء فنعتت له الطريق الى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فاخبره الخبر فقال له لاتخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهى التى كانت الرسول الى موسى يا أبت استاجره ان خير من استأجرت القوى الامين (قال) النبى صلى الله عليه وسلم أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا فى موسى فاصابتا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لى ولك لاتقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استاجرت القوى الامين وانما قالت القوى الامين لانه أزال الحجر العظيم الذى لا يرفعه الا أربعون رجلا فقال لها أبوها عبك أنك عرفت قوته فما أعلمك بامانته فاخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه فى الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج الى قوله من الصالحين أى فى حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى ذلك بينى وبينك أيما الأجلين قضيت الآية (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى الأجلين قضى موسى قال أكملهما وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما

(الباب السادس فى ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرها)

اختلف العلماء فى نسبها والمنافع التى كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا أمر ابنته أن تأتيه بعصا ليعطيها موسى فيستعين بها فى رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتيه بعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردتها الى مكانها وأرادت أن تاخذ غيرها سقطت هى فى يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فابى أن يردها عليه فتنازعا الى أن شرطا على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فاتاهما ملك يمشى فتحا كما اليه فقال ضعها على الارض فمن حملها فهى له فوضعها موسى على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فاخذها موسى بيده فرفعها فلما رأى شعيب ذلك تركها له وفى رواية أخرى أن موسى لبث عند شعيب ماشاء الله ثم استأذنه فى الانصراف فاذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصى تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصى الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت فى يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد أخبر بأمر العصا ولم يدر شعيب أن صاحبها هو موسى فردها موسى الى البيت فألقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت فى يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب ألم أقل لك خذ غيرها فقال موسى قد رددتها مرات فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير فى يدى

أحسن الناس وجها وعليه مدرعة من الصوف وهو يضحك فى طوافه ويقول يامولاى هذه حضرة من يفتخر بعزك ولا يانس بسواك قال ذوالنون فدنوت منه وسلمت عليه وقلت حبيبى ومن الذى تعنى بهذا الكلام وانه يفتخر فقال ياعم انظر الى صاحب هؤلاء العبيد والغلمان قال فنظرت فاذا بشاب جميل وهو يمشى ويتبختر فى مشيه وأثوابه تجر على الارض فقلت له ياحبيبى ومن يكون هذا الشاب فقال ياعم هذا عبد لأمير مكة يفتخر بكونه عبد الامير مكة فكيف لاأفتخر وأنا عبد الملك المتعال الذى أمير مكة عبده والسلاطين وأهل السموات والارض تحت قضائه وقدره قال ذوالنون فدنوت من ذلك الشاب المعجب بنفسه وقلت له ياهذا كم تتبختر وأنت عبد لامير مكة وهذا الشاب متاخر وهو عبد مالك السموات والارض ومع ذلك تاخر عنه فهو أحق بالتقدم منك فطوبى لك لو كنت مثله قال فطاف الشاب صاحب المدرعة الصوف وطاف الشاب الآخر

فعلم شعيب ان ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب * قالوا لما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فاذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل (وقال مقاتل) بل كان جبريل هو الذى دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شئ من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ما وضع فى الارض وعن أول شجرة غرست فى الارض فسئل عنها فقال عبد الله أما الشئ الذى وضعه الله للناس فى الارض من الجنة فهو هذا الركن الاسود وأما أول ما وضع للناس فى الارض فبئر برهوت بالجن يردها أرواح الكفار وأما أول شجرة وضعها الله تعالى فى الارض فالعوسجة التى اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فأظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا فى رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله وما علمى بها ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس فى الجواب أما الاربعة التى لم يركضوا فى رحم فآدم وحواء والكبش الذى فدى به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعبانا * وقال أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كابر الى أن وصلت الى شعيب فاعطاها موسى واختلف العلماء فى اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسا وقال مقاتل بن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها فيات وقال آخرون اسمها عليق

﴿ الباب السابع فى صفة المآرب التى كانت فيها لموسى ﴾

قال أهل العلم باخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومحجن فى أسفل الشعبتين وسنان حديد فى أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضئ شعبتاها كالشمعتين من نار تضيئان له مد البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها فى البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير فى رأسها شبه الدلو فيستقى بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها فى الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التى اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها فى الارض فاورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان اذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتنفرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق منفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا فى طريق يركبها فتحمله الى أى موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب ويطيب ثوبه واذا كان فى طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات والحيات واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان هناك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه

وذهب الى بيته وقد أثرت فيه الموعظة فاشترى نفسه من سيدها أمير مكة وتصدق بجميع ما معه وما تملكه يده ولبس مثل ما كان على الشاب صاحب المدرعة الصوف وأقبل يطوف بالبيت فى اليوم الثانى قال ذوالنون فلما رآنى قال ياسيدى أما تعرفنى فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا الذى كنت بالامس أفتخر بعبوديتا أمير مكة فانا اليوم أفتخر بعبودية ملك السموات والارض ثم قال ياسيدى أترى مولاى يقبلنى على ما كان منى من تلك الذنوب قال ذوالنون فقلت نعم أبشر فانك اليوم حبيب رب العالمين أما علمت أنه ملك يدعو المدبرين عنه فكيف بالمقبلين عليه فقال الشاب الآن طيبت قلبى بعدما كان انصدع جزاك الله عنى خيرا قال ذوالنون فلما كان اليوم الثالث طلبته فلم أجده فسألت عنه فقال لى رجل امض معى الى بيته فمضيت معه الى بيت الشاب فوجدته قد مات فتأسفت عليه أسفا شديدا وسألت عنه فقيل لى انه دخل بيته أمس ولزم محرابه وبكى على نفسه

فلحب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريد ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا التنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت الى جانب موسى وهى دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولا فعلم موسى أن فى تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأنا فهذا مما آرب موسى اذا كانت فى يده وأما اذا ألقاها فيرى انها كانت تقلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتاها فاها وفيه اثنا عشر نابا وضرسا لها صريف وصرير يخرج منها لهب النار ويصير محجنها عرفا لها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيأ الا أحرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى ان الصخور فى جوفها لتقعقع وتمر بالشجر فتقصمها بانيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تتلمظ وتتبرم كأنها تطلب شيأ تأكله وكانت تكون فى عظم الثعبان وفى خفة الجان ولين الحية وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى فى موضع فاذا هى ثعبان مبين وفى موضع آخر كأنها جان وفى موضع آخر فاذا هى حية تسعى

﴿ الباب الثامن فى ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه فى الطريق وارساله الى فرعون واستعانته باخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة ﴾

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب انى وهبت لك كل بلقاء وأبلق من نتاج أغنامى التى تضعها فى هذه السنة يعنى السنة العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة ابنته صفورا امرأة موسى قال فاوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذى فى مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها ما بين أبلق و بلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التى وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما فلما قضى موسى الاجل وسار باهله منفصلا من أرض مدين وكان فى أيام الشتاء ومعه امرأته وأغنامه وهى فى شهرها لا تدرى أتضع ليلا أو نهارا فانطلق فى برية الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه يومئذ طلب أخيه هرون واخراجه من مصر ان استطاع اليه سبيلا فسار موسى فى البرية غير عارف طرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربى فى عشية شاتية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم ينور فتحير وقام وقعد اذ لم يكن له عهد بمثل ذلك فى الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيرا وضجرا ثم أخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فبينما هو كذلك اذ آنس من جانب الطور نورا حسبه نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى يعنى من يدلنى على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هناك واختلفوا فى تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهى تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى فنظر فلم ير أحدا فنودى انى أنا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى فناداه أمره بأن ادن واقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كميت الا أن

طول ليلته هذه فاصبح كما ترى قال ذو النون وعظناه فاصلحنا أمره ولم يبق أحد بمكة حتى حضر جنازته من الرجال والنساء والولدان بغير داع لهم وخرجوا يشيعون جنازته فلما دفناه وانصرفنا من عنده أخذنى البكاء والنحيب عليه فلما كان الليل رأيته فى المنام وهو فى أحسن صورة وعليه ثياب من السندس والاستبرق فلما رآنى قام الى واعتنقنى وقال ياسيدى أما تعرفنى قلت بلى ما فعل الله بك قال غفر لى وتجاوز عنى وقال ياعبدى هذه جنتى وقد أبحتها لك فدونك ما شئت فانا اليوم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر اللهم انفعنا به و بعبادك الصالحين آمين (وحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال ركبت فى مركب سنة من السنين الى بيت الله الحرام وكانت معى زوجتى وكانت حاملا فبينما نحن سائرون اذ كسرت بنا المركب فنجوت أنا وزوجتى على لوح من ألواح السفينة فبينما نحن على ذلك اللوح اذا بها قد ولدت غلاما فصاحت بى يا رجل أدركنى فانى عطشانة فقلت أما ترين

روح الحياة تترددفيه من غير حراك وأرسل الله اليه ملكا يشد ظهره و يقوى قلبه فلما ثاب اليه
عقله نودى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وكان السبب فى أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد
ابن عبدالله الاصبهانى قال حدثنا يحيى السدى قال حدثنا أحمد بن بجدة قال حدثنا الجمالى قال حدثنا
عيسى بن يونس عن حميد عن عبدالله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فاخلع نعليك
قال كانتا من جلد حمار ميت وفى بعض الأخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع
نعليك كى تمس راحة قدميه الارض الطيبة فتناله بركتها لأنها قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما
قال له ذلك لأن الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة
لتحصل من بركة الوادى وقال أهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويله فى المنام فقيل له فرغ
قلبك من شغل أهلك ثم قال له تعالى تسكينا لقلبه واذهابا لوحشته وما تلك بيمينك ياموسى قال هى
عصاى الآية فقال الله تعالى ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قد صارت شعبتاها فمها ومحجنها
عرفا لها فى ظهرها وهى تهتز لها أنياب وهى كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمرا فظيعا فولى موسى
مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى
أى نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة فى أمر الله تعالى اياه بالقاء العصا قبل أن يصل الى فرعون
لكيلا يفزع منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها اذ كانت
عصاك ولا تخف لأنه كان ادعى الملك فقال هى عصاى فنبه على ذلك وكان على موسى جبة من صوف
فلف كمه على يده وهو لها هائب فنودى أن احسر يدك فحسر كمه عن يده ثم أدخل يده تحت لحييها
فلما أدخل يده قبض فاذا هى عصا فى يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له أدخل يدك
فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال فى جيبك لانه لم يكن للبوسه كم واسع فضاق
عليه فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها فاذا هى نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على
لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه
طغى فقال موسى رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا الى قوله
يكذبون فقال له ياموسى انى أوقفتك موقفا لا يجمل بعده لاحد عليك سلطانا دونى ولا ينبغى لمن بعدك
أن يسمع كلامى وأنت فى أقرب الاماكن منى وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بخلال
وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه و يعهد اليه ويقول له
ياموسى انطلق برسالتى وأنت بعينى وسمعى ومعك قوتى و بصرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى
بطر نعمتى وأمن مكرى وعبد دونى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وزعم أنه لا يعرفنى
وانى أحلف بعزتى وجلالى لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بينى و بين خلقى لبطشت به بطشة جبار
يغضب لغضبه السموات والارض والبحار والجبال والشجر والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته وللارض
لا بتلعته وللجبال لدكدكته وللبحار لغرقته ولكن سقط من عينى وهان على وصغر عندى ووسعه
حلمى وأنا الغنى عنه وعن جميع خلقى وحق ذلك لى وأنا خالق الغنى والفقير لاغنى الامن أغنيته ولا فقير
الامن أفقرته فابلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وتوحيدى والاخلاص لى وحذره نقمتى و بأسى
وذكره آياتى وأعلمه أنه لا يقوم لغضبى شئ وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى و يجهلف
خطابك اياه ولا يروعك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس
عن شئ الا بعلمى وأخبره بأنى من العفو والمغفرة أسرع منى الى الغضب والعقوبة وقل له أجب ربك
فانه واسع المغفرة وقد أمهلك فى طول هذه المدة وفى كلها تدعى الربوبية دونه وتصد عن عبادته وف

حالنا وما نحن فيه من
الفرق ثم رفعت بصرى الى
السماء واذا برجل صالح فى
الهواء و بيده سلسلة من
ذهب فيها ركوة من ياقوتة
حمراء فيها ماء أشد بياضا
من اللبن وأبرد من الثلج
وأحلى من العسل فقال لى
هاك اشرب فأخذتها منه
وسقيت المرأة وشربت
فاذا هى أطيب رائحة من
المسك فقلت له من أنت
يرحمك الله فقال عبد من
عباد الله تعالى فقلت له بم
وصلت الى هذه المرتبة فقال
تركت هواى لهواه فأسكننى
فى الهواء ثم غاب عن بصرى
فلم أره رضى الله تعالى عنه
ونفعنا به آمين (وحكى
عن بعضهم رضى الله تعالى
عنه) أنه قال كان عندنا رجل
حداد كان يدخل يده فى
النار و يخرج بها الحديد
المحمى ولم تمسه النار فقصده
رجل لينظر صدق ذلك
الامر فلما دخل البلد سأل
عن الحداد فدل عليه فلما
نظر اليه وتأمله رآه يصنع كما
وصف له فأمهله الرجل حتى
فرغ من صنعته فأتاه وسلم
عليه فرد عليه السلام فقال
له الرجل انى ضيفك فى هذه
الليلة فقال له الحداد حبا
وكرامة فمضى به الى منزله
وتعشى معه و بات هو واياه

كل ذلك يمطر عليك السماء و ينبت لك الارض و يلبسك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم أمسك الكلام عن موسى سبعة أيام بلياليهم ثم قيل له بعد سبع ليال أجب ربك ياموسى فيما كلمك فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله تعالى بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى جاهد بنفسك وأخيك وكان قد خطر فى قلب موسى ان فرعون فى بأس عظيم وجند كثير وأنا وأخى وحيدان فريدان فقال الله تعالى له انكما جندان عظيمان من جندى وأنا معكما أسمع وأرى وأبصركما وأكون معكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولوشئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشقى الضعيف الذى قد أعجبته نفسه وجنوده ان الفئة القليلة ولا قليل منى تغلب الفئة الكثيرة باذنى ولا يعجبنكما زينته ولا يهولنكما عدته فلوشئت أن أزينكما من زينة الدنيا و بهجتها مايبهت فرعون وملأه اذا نظروا اليها و يعلم أن مقدرته تعجز عما آتيتكما فعلت فلا تأسفا عما أزويه عنكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبى فى أوليائى وأصفيائى أذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن المراتع الرديئة لكى تستكملوا نصيبكم من كرامتى فى الآجل واعلم أنه لايتزين أحد من عبادى بزينة هى أبلغ من الزهد فى الدنيا وهى زينة الابرار و يقال ان الله تعالى كلمه فى تلك المدة مائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة قتلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسى عليه السلام بم عرفت أن الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام المخلوق انما يسمع من جهة واحدة بحاسة واحدة وهى السمع وانى كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحى كلها فعرفت أنه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عقيقا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده وأراد أن يختنه فأمر الله تعالى ملكا فديده ولم تزل قدمه عن موضعها حتى جاءه الملك ملفوفا فى خرقة وناوله الى موسى فأخذ حجرين حك أحدهما بالآخر حتى حدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من المختون فتفل فيه فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل أهل موسى مقيمين فى ذلك المكان لايدرون مافعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم وردهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد مافلق البحر وجاوزه ببنى اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى مصر لموسى قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما بعثه الله الى مصر لاعلم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه و يدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شئ من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونعلين وكان يظل صائما و يبيت قائما و يستعين بالصيد و بقول الارض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى اليه لاتخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هارون يبشره بقدوم موسى و يخبره أنه قد جعله وزيرا له ورسولا معه الى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذى الحجة متنكرا الى شاطئ النيل ليلتقى بموسى تلك الساعة قال فخرج هرون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس واتفق أنه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون أسد تحرسه فى غيضة محيطة بالمدينة من حواليها وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون اذذاك فى مدينة حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بساتين وأنهار ذات مزارع وأرض واسعة فى عرض لكل سور سبعون ألف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وحمل فيها وسقاها بالنيل وأسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضى بمن سلكها الى أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها

فلم يزد على فرضه ونام الى الصبح فقال الرجل فى نفسه لعله استترمنى فى هذه الليلة فبات عنده ثانى ليلة وهو على حاله لايزيد على الفرض فقال له الرجل ياأخى انى سمعت ماأكرمك الله به ورأيته باديا عليك ثم نظرت الى اجتهادك فما رأيت عليك كثرة عمل ولم تزد على فرضك فمن أين لك هذه المرتبة فقال له الحداد ياأخى انه كان لى حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أنه كان لى جارة جميلة وكنت بها مولعا فراودتها عن نفسها مرارا عديدة فلم أقدر عليها لاعتصامها بالورع فجاءت سنة قحط وجدب وعدم الطعام وعم الجوع الانام فبينما أنا يوما من الايام جالس ببيتى واذا بقارع يقرع الباب فخرجت لانظر اليه فاذا بها واقفة بالباب فقالت ياأخى أصابنى جوع شديد فهل لك أن تطعمنى لله فقلت لها أما تعلمين ماأنا فيه من حبك وماأقاسيه من أجلك فما أطعمك الاان مكنتينى من نفسك فقالت الموت ولا معصية الله تعالى ومضت الى منزلها فلما كان بعد يومين عادت الى وقالت لى كالمرة

فمن أخطأها وقع فى تلك الغيضة فتأكله الأسود وكانت الأسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم تصدر مع الليل قال فلما التقى موسى بهرون وكان يوم ورودها فلما رأتهما الأسد مدت أعناقها ورؤسها اليهما وشخصت بأبصارها نحوهما وقذف الله فى قلوبها الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست فى الغيضة وكان لها ساسة يسوسونها ودادة يدودونها أى يغرونها لو يسلطونها على الناس فلما أصابها ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا فى تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو أقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة بيوم فأقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان لمن هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيده فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن أن أحدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندى أعظم وأشنع وأفظع مما أصابنا فى الأسد وما كانا يقدران أن يقدما على ما قدما عليه الا بسحر عظيم وأخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول حتى انتهى الى فرعون قال السدى باسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أمه وهى لا تعرفه فأتاها فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل فنزل فى جانب الدار فجاء هرون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته انه ضيف فدعاه فأكل معه فلما قعدا وتحدثا سأله هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى ياهرون انطلق معى الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فأبيا عليها ومضيا لأمر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البوّاب فقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة فاشرف عليهما البوّاب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البوّاب وأتى فرعون وأخبره بما سمع وقال له ان هنا انسانا مجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حتى قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلعب معه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلين يقولان قولا عجيبا يزعمان ان لهما الها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فادخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

﴿ الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون ﴾

قال الله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (وروى) عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى فى هذه الآية قال قال لهما اعذرا اليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى وعيدكما وهو عندى لايتذكر ولا يخشى قال لكيلا يقول أهلكته قبل أن أعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء وهو لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرأ بك فى نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فتحوّل ما فى قلب موسى من الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا

الاولى فاجبتها مثل جوابى الاول فدخلت وقعدت فى البيت وقد أشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عيناها بالدموع ثم قالت هذا لله فقلت لا الا أن تمكنينى من نفسك فقامت ولم تاكل منه شيا وخرجت من عندى الى منزلها فلما كان بعد يومين اذا بها تقرع الباب فخرجت اليها وهى واقفة بالباب وقد قطع الجوع صوتها وقصم ظهرها فقالت ياأخى أعيتنى الحيل ولم أقدر على التوجه لأحد غيرك فهل لك أن تطعمنى لله فقلت ما لم تمكنينى من نفسك فاطرقت رأسها ساعة ثم دخلت وقعدت فى البيت ولم يكن عندى طعام فقمت وأضرمت النار وصنعت لها طعاما فلما تجهز الطعام ووضعته بين يديها تداركنى لطف الله تعالى وقلت فى نفسى ويحك ياهذا ان هذه امرأة ناقصة عقل ودين تمتنع من طعام لاقدرة لها عليه وهى تتردد المرة بعد المرة من ألم الجوع وأنت لا تنتهى عن معصية الله تعالى ثم قلت اللهم انى تائب اليك عما كان منى انى لا أقربها فى معصية أبدا فدخلت

الدعاء وهو خائف أمن الله خوفه ونفس كربته وهوّن عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال أنا رسول رب العالمين فتامله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين معنا على ديننا هذا الذي هو الآن تعيبه قال موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين أي من المخطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ثم أقبل موسى ينكر عليه ماذكره من يده عليه فقال وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل أي اتخذتهم عبيدا تنتزع أبناءهم من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أي انما صيرني اليك ذلك قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من ملئه ألا تستمعون انكارا لما قال موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الأولين قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون يعني ماهذا بكلام رجل صحيح العقل اذ يزعم ان لكم الها غيري قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين تعرف به صدقي وكذبك وحقي وباطلك قال فرعون فأت به ان كنت من الصادقين فألقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فاتحة فاها قد سلأ تما بين جانبي القصر واضعة لحيها الاسفل في الارض والأعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فانفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره وأحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة وكان قبل ان فرعون لايسعل ولايمخط ولا ينصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الا في كل أربعين يوما مرة واحدة وكان أكثر ما يأكل الموز لانه لا يكون له ثفل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له ان قال ماقال لانه ليس له من الناس شبيه (قالوا) فلما قصدته الحية صاح ياموسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع الا ما أخذتها وأمسكتها عني وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم ان موسى نزع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه يدك فألقها فادخلها موسى في جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع في السماء تكل عنه الابصار قد أضاء ما حولها ودخل ضوؤها البيوت ورؤي من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى الى جيبه ثم أخرجها فاذا هي على لونها الاول قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه ثم انه قال له بينما أنت اله تعبد اذ أنت تابع لعبد فقال فرعون لموسى أمهلني اليوم وغدا فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون انك ان آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددتك شابا طريا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل اليه هامان فاخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال له هامان والله مايعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ في منخره ثم قال له هامان أنا أردك شابا فأتى بالوشم فخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فأوحى الله تعالى اليه لايهولنك مارأيت فانه لن يلبث الا قليلا حتى يعود الى حالته الاولى (وفي بعض الروايات) ان موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق فاتيا على عجوز من أقرباء أمهما وكان فرعون وجه الطلب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها وجاء الطلب الى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر اليها فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ثم ان العجوز آمنت بهما وصدقتهما

اليها وهي تأكل فقلت لها كلي ولا روع عليك فانه لله سبحانه وتعالى فلما سمعت ذلك رفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم ان كان صادقا فحرم عليه النار في الدنيا والآخرة قال فتركتها تأكل وقت لأزيل النار وكان ذلك في زمن الشتاء فوقعت جمرة على قدمي فلم تحرقني فدخلت اليها وأنا فرح مسرور وقلت ابشري فان الله تعالى أجاب دعاءك فرمت اللقمة من يدها وسجدت شكرا لله تعالى وقالت اللهم أريتني مرادي فيه فاقبض روحي هذه الساعة فقبض الله روحها وهي ساجدة رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها وهذا حديثي يا أخي والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(وحكي عن بعضهم عفا الله تعالى عنه) أنه قال كان في بني اسرائيل رجل عابد في كهف في الجبل لايراه أحد من الناس ولا يرى أحدا وعنده عين ماء كان يتوضأ منها ويشرب منها ويقتات من نبات الارض وكان يصوم النهار ويقوم الليل لايفتر عن العبادة وعليه أنوار السعادة فسمع به موسى عليه السلام فقصده بالنهار فوجده

(الباب العاشر فى قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة الى الفضاء للغالبة)

قالت العلماء باخبار الانبياء ان موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملأ حوله ان هذان لساحران عليمان فماذا تأمرون قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملأ من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامر اذا احزنه (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى فى اليد والعصا مارأى انا لانغالب موسى الا بمن هو مثله فاخذ غلمانا من بنى اسرائيل فبعثهم الى قرية يقال لها الفرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان فى الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجىء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبيرا لاتطيقه سحرة الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانهم لاطاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرط فى مملكته فلم يتركوا فى مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا فى عدة السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رؤساء القوم وسبعون من بنى اسرائيل (وقال الكلبى) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذى يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى (وقال) كعب كانوا اثنى عشر ألفا وقال السدى كانوا بضعة وثلاثين الفا وقال عكرمة سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر ثمانين الفا والجامع لهذه الاقاويل ماروى ان فرعون جمع السحرة وهم سبعون الفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة بأقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لامهما دلينا على قبر ابينا فدلتهما عليه فأتيا موصاحا باسمه فاجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا لنقدم عليه لانه أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقياها لايقوم لها شىء حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فاجابهما أبوهما وقال أنظراهما اذا هما ناما فاذا قدرتما أن تسلا العصا فسلاها فان الساحر لايعمل سحره وهو نائم فان عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لاطاقة لكما به ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا ثم انهما أتياهما فى خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا قالوا ثم انه واعد موسى غدوة يوم الزينة وكان يوم سوق لهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيد لهم يجتمع اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان مجمعهم بالميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية الجزيرة من وراء البحر يومئذ قالوا ثم ان السحرة قالت لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين يعنى فى المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه أخوه هرون حتى أتيا المجمع وفرعون فى مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتناجى السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ماهذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصى والحبال يحملها ستون

مشغولا بالصلاة والاذكار ثم قصده بالليل فوجده مشغولا بمناجاة الجليل فسلم عليه موسى عليه السلام وقال له ياهذا ارفق بنفسك فان المولى كريم فقال يانبى الله أخاف أن أؤخذ على غفلة فيقضى نحبى فاكون مقصرا بخدمة ربى فقال له موسى عليه السلام هل من حاجة الى مولاك ياهذا فقال نعم سله أن يعطينى رضاه ولا يشغلنى باحد سواه حتى يقضى نحبى وألقاه قال فلما صعد موسى عليه السلام الى مناجاة ربه واستغرق فى لذة كلام خالقه نسى كلام العابد فقال الله عز وجل ياموسى ماقال لك عبدى العابد فقال موسى يارب أنت أعلم بما قال فقال الله تعالى ياموسى اذهب اليه وقل له يتعبد ماشاء فى الليل والنهار فانه من أهل النار لما سبق له من الذنوب والاوزار فأتاه موسى عليه السلام وأخبره بما قاله مولاه وماسبق من ذنوبه وخطاياه فقال العابد مرحبا بقضائه وحكمته وكل شىء بعين قدرته ثم بكى وقال ياموسى وعزته وجلاله مابرحت عن بابه ولو طردنى ولا حلت عن جنابه ولو أحرقنى ومزقنى ثم أنشد

بعيرا فلما أبوا الا الاصرار على السحر قالوا لموسى اما ان تلقى واما أن نكون نحن الملقين قال لهم
موسى بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فالقوا فاذا هي حيات كأمثال الجبال فملأت الوادى يركب
بعضها بعضا تسعى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال
موسى والله انها كانت لعصيا فى أيديهم ولقد عادت حيات وما عصاى بعده فلما حدثت نفسه بذلك
أوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح
الساحر حيث أتى ففرح موسى ثم انه ألقى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كأعظم ما يكون من
الثعابين أسود مدلهم يدب على أربع قوائم قصار غلاظ شداد وهو أعظم وأطول من بختى عظيم وله
ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه وعنقه وكاهله لا يضرب بذنبه على شئ الا حطمه
وقصمه ويكسر بقوائمه الصخور الصم الصلاب ويطحن كل شئ ويصرم الحيطان والبيوت نفسه
نار وله عينان تلتهبان نارا ومنخراه ينفخان سموما وعلى معرفته شعر كأمثال الرماح وصارت
الشعبتان له فما سعته اثناعشر ذراعا وفيها أنياب وأضراس ولها فحيح وكشيش وصريف وصرير
فاستعرضت ما ألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهي تخيل فى أعين الناس وعين فرعون أنها
تسعى فجعلت تلقفها وتبلعها واحدا واحدا حتى لم ير فى الوادى لا قليلا ولا كثيرا مما ألقوا وانهزم قوم
فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضا حتى مات منهم يومئذ فى ذلك الزحام
خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم متخوفا مرعوبا ذاهبا عقله وقد استطلق عليه
بطنه من يومه ذلك أربعمائة مرة فصار يحصل له ذلك أربعين مرة فى كل يوم وليلة على الدوام الى
أن هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ما عاينوا قالوا لبعضهم لو كان ساحرا ما غلبنا ولا خفى علينا
أمره ولو كان سحرا فأين حبالنا وعصينا فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهرون وكان فيهما اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء ورؤساء
وكان رؤس السحرة خمسة نفر سابور وغادور وحفظ وخطط ومصفا وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا
من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدا آمنتم له قبل أن آذن لكم انه
لكبيركم الذى علمكم السحر الى قوله تعالى أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات
الآية فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم فى جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا
سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مهزوما مكسورا ثم أبى الا الاقامة على
الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عليه الآية وأخذه وقومه بالسنين الى أن أهلكهم ثم ان موسى
عاد راجعا الى قومه والعصا على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الالوف بصاحبه
والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها وقد ملؤا رعبا فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون
وينظرون اليها ويتضاعفون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكره بنى اسرائيل فاخذ
برأسها فاذا هي عصا كما كانت أول مرة وشتت الله على فرعون أمره ولم يجد الى موسى سبيلا واعتزل
موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره وكانوا مجتمعين الى أن صاروا ظافرين

(الباب الثانى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده رضى الله عنهم أجمعين)

قالت الرواة كان حزقيل من أصحاب فرعون نجارا وهو الذى صنع لام موسى التابوت حين ولدته
وألقته فى البحر وقيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه الى أن
ظهر موسى على السحرة فاظهر حزقيل أمره فاخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلبا وهو الذى ذكره الله

يقول من الهوى بيت
لو قطعنى الغرام اربا اربا
ما ازددت الى لقائك الا حبا
مازلت بأسير وجد وضنى
حتى يقضى على هواك نحبا
قال فلما صعد موسى عليه
السلام الى المناجاة قال الهى
أنت أعلم بما قال عبدك
العابد فقال الله عز وجل
ياموسى اذهب اليه وبشره
أنه من أهل الجنة وقد
أدركته الرحمة والمنة وقل له
تلقيت قضائى بالصبر والرضا
ورضيت منى بأصعب الحكم
والقضا فلو ملأت ذنوبك
السموات والارض والفضا
وملأت جميع الاقطار
لغفرتها لك وأنا العزيز
الغفار قال ففرح موسى
عليه السلام وأخبره بما قاله
العزيز العلام فخر العابد
ساجدا لله تعالى وجهر به
فما زال فى سجوده حتى
قضى نحبه رضى الله تعالى
عنه ونفعنا به وغفر لنا وله
آمين
(وحكى عن الضحاك
رضى الله تعالى عنه) انه
قال خرجت ليلة جمعة
بالكوفة أريد المسجد
وكانت ليلة مقمرة فاذا
بشاب حسن الثياب
نظيف الاثواب فى بعض
أرجاء المسجد ساجدا لله
تعالى وهو يجود بالبكاء

فى القرآن فى قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم وأما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من اماء الله الصالحات الا أنها كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكان من قصتها ما أخبرنا به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسرى بى مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ما هذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبى قالت لا بل ربى ورب أبيك فقالت لها لاخبرن بذلك أبى فلما أخبرته دعا بها وبولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربى وربك الله فامر بتنور من نحاس فاحمى وأمر بها وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له ان لى اليك حاجة فقال وما هى قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنها قال ولك ذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فألقوا واحدا واحدا فى التنور حتى اذا كان آخر أولادها وكان صبيا رضيعا فقال اصبرى يا أماه فانك على الحق فالقيت فى التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم فى المهد فقال تكلم فى المهد أربعة عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبى

﴿ الباب الثانى عشر فى ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى ﴾

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بنى اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتعلل فى قضاء حاجتها فتبرز فتصلى يومها فى متبرزها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة فى قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هى كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذى اعترى صاحبتك فقالت ما اعترانى جنون ولكنى آمنت بالله ربى وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذى أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن باله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فابت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فامر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذى الاوتاد عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها لتدخل فى دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت اليه باصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى أن ماتت فى عذاب فرعون فقالت وهى فى العذاب رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى الآية فاوحى الله اليها أن ارفعى رأسك ففعلت فرأت البيت فى الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذى بها تضحك وهى فى العذاب

﴿ الباب الثالث عشر فى بناء الصرح ﴾

قال الله تعالى وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أملى لفرعون فى كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعم والترفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتى من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة

فلم أشك أنه ولى لله تعالى فدنوت منه لاسمع منه ما يقول فاذا هو يقول

عليك ياذا الجلال معتمدى
طوبى لعبد تكون مولاه
طوبى لمن بات خائفا وجلا
يشكو الى ذى الجلال بلواه
وما به علة ولا سقم
أكثر من حبه لمولاه
اذا خلا فى الظلام مبتهلا
أجابه الله ثم لباه

قال ولم يزل يكرر من قول عليك ياذا الجلال معتمدى وهو يبكى وأنا أبكى شفقة عليه ثم ذكر كلاما معناه أنه رأى نورا ساطعا وسمع قائلا يقول هذا الجواب

لبيك عبدى فأنت فى كنفى
وكل ما قلت قد سمعناه
صوتك تشتاقه ملائكتى
وذنبك الآن قد غفرناه

قال فقلت لعل هذه الرؤية والسماع المذكورين فى حالة النوم أو فى غيبة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له بارك الله لك فى لبيك وبارك فيك من أنت يرحمك الله فقال راشد بن سليمان فعرفته لما كنت أسمع من أمره وخبره وكنت أتمنى لقاءه فلم أقدر على ذلك حتى يسره الله تعالى لى فقلت له هل لك أن تصحبنى فقال هيهات وهل يأنس بالمخلوقين من

تركيبه و بنيته أنهر بما لبث أربعين يوما وليلة لايخرج منه شئ الاصرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يمخط ولا يتنحنح ولا يسعل ولا يأخذه وجع في بطنه ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهة قالوا و بلغ من املاء الله تعالى له انه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروها ولو كان في تلك المدة أدرك جوع يوم أو حمى ليلة لما ادعى الربوبية وتقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدراجا منه فلما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويحلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد أركانه فقال لوزيره يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا فأمر هامان ببنيانه فجمع العمال والفعلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص و يتخذ الخشب والابواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح و يسر الله تعالى له أمره استدراجا منه وأتاه الامر على ما يريده الى أن فرغ منه في سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه ان دعه وما يريد فاني مستدرجه وآخذه بغتة واني مبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما تم بناؤه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفي ألف رجل قالوا ولم يبق أحد ممن عمل فيه الا أصابه موت أو حريق أو عاهة فما من نجار أو حداد أو بناء الا يبست يده وأما الذين كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم وأما القهارمة والعمال فماتوا وكان تدمير فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيأ فعزم على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم ان عسكر فرعون قالوا لموسى انك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته ونسيت احسانه اليك ومنته عليك حيث ألقتك أمك في اليم قبحا بك و بغضا لك لما علمت ما أنت صائر اليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدركك من الموت فآواك وكفلك وربالك واتخذك ولدا ثم فررت منه آبقا كافرا وجئته عدوا محاربا فلسنا بممتنعين عنك حتى نردك الى عبادته وخدمته أو نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا يغني عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالعذاب و بالآيات

﴿ الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دنا هلاكهم اظهارا لقدرته والزاما لحجته ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات (قال قتادة) أما السنون فكانت ببواديهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان

يتلذذ بمناجاة رب العالمين أما والله لو خرج على عصرنا هذا أحد من أصحاب النيات الصحيحة لقالوا هؤلاء أحزاب لا يؤمنون بيوم الحساب ثم غاب عن بصري فلم أره فاشتقت الى مرافقته ثم سألت الله تعالى أن يجمعني به قبل الموت فلما كان بعض الاعوام خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فاذا به في ظل الكعبة واذا بنفر يقرؤن عليه سورة الانعام فلما نظر الي تبسم وقال هذا لطف العلماء أو تواضع الاولياء ثم قام الي واعتنقني وسلم علي وقال هل سألت الله تعالى أن يجمع بيننا قبل الموت قلت نعم فقال الحمد لله على ذلك ثم قلت له يرحمك الله أخبرني عما رأيت تلك الليلة وسمعت فشهق شهقة فظننت أنه قد انفتق حجاب قلبه وخر مغشيا عليه ثم تفرق النفر الذين كانوا يقرؤن عليه فلما أفاق قلت يا أخي ما هؤلاء النفر الذين كانوا يقرؤن عليك فقال هم نفر من الجن فهم يقرؤن على القرآن ويحجون معي في كل عام ثم ودعني وقال جمع الله بيني و بينك في الجنة حيث لا فرقة ولا نصب ولا

فى أمصارهم قال الله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآية (واختلف المفسرون) فى ذلك الطوفان ماهو (قال) ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فاهلكها وقال الضحاك هو الغرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون فافتضهن فى ليلة فلم يبق منهن باقية وقال أبو قلابة الطوفان الجدرى فهم أول من عذب به فبقى فى الارض والجراد والقمل (واختلفوا) فى القمل ماهو فقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وروى عن أبى طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدى وقتادة والكلبى وغيرهم الجراد الطيارة التى لها أجنحة والقمل الصغار التى لا أجنحة لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو الحنان وهو ضرب من القردان قال أبو العالية أرسل الله الحنان على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شئ ولم يقدروا على المسير قال أمية بن أبى الصلت الثقفى

أرسل الذر والجراد عليهم ❊ وسناما فاهلكتهم دبورا

﴿ باب فى صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها ﴾

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم فى حديث بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف موسى وهرون الى عسكر بنى اسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكلفوا بنى اسرائيل مالا يطيقون فكان الرجل من القبط يجىء الى الرجل من بنى اسرائيل يقول له انطلق معى فاكنس حشى واعلف دوابى واستق لى ويجىء القبطية الى الكريمة من بنى اسرائيل فتكلفها مالا تطيق ولا يطعمونهم فى كل ذلك خبزا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لأنفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا ياموسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا كانطعم اذا استعملونا من قبل أن تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى عسى ربكم أن يهلك عدوكم يعنى فرعون والقبط ويستخلفكم فى الارض يعنى الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادى على الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يارب ان عبدك فرعون قد طغى فى الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك ربخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم من الامم اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها فى أثر بعض فاخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون و بيوت بنى اسرائيل و بيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها فى بعض فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدروا على أن يحرثوا ولا يعملوا شيأ حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل وعادوا الى أشر ما كانوا عليه فانبت الله تعالى لهم فى تلك السنة من الكلأ والزرع والثمرة مالم ينبت قبل ذلك فاعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا ما كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة لنا وما يسرنا انا لم نمطر فاقاموا شهرا فى عافية ثم بعث الله

نصب ثم غلب من بصرى فلم أر رضى الله تعالى عنه ﴿وحكى عن عبدالله بن الاحنف رضى الله عنه﴾ أنه قال خرجت من مصر أريد الرملة لزيارة الشيخ الزيادى رضى الله تعالى عنه فرأى عيسى بن يونس المصرى فى الطريق فقال هل أدلك على خير لك فقلت نعم فقال عليك بصور فان فيه شيخا وشابا اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغنتك باقى عمرك قال فسرت اليهما حتى دخلت عليهما وأنا جائع عطشان وليس على مايسترنى من الشمس فوجدتهما مستقبلين للقبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلمانى فقلت أقسمت عليكما بالله العظيم الا ما كلمتمانى فرفع الشيخ رأسه وقال يا ابن الاحنف ما أقل سعيك حتى تفرغت الينا ثم أطرق رأسه فاقمت بين أيديهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب عنى الجوع والعطش والتعب فقلت للشاب عظنى بشئ يا سيدى أنتفع به فقال نحن أهل المصائب ليس لنا لسان العظة فاقمت عندهما ثلاثة أيام بلياليها لم آكل ولم أشرب فلما كان

عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والثياب والامتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لايشبع وكان لايدخل بيوت بني اسرائيل ولايصيبهم من ذلك شئ فعجبوا وضجوا وقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فاعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فاشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كان لم يكن

﴿ فصل في بعض ماورد من الاخبار الغريبة في الجراد ﴾

أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك أنت سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يارسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابره فقال انما الجراد نثرة حوت من البحر (قال ابن علاثة) وحدثني من رأى الحوت ينثره وباسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم * وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يخبر عنه بشئ فاغتم لذلك فارسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيأ من الجراد أولا فاتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فالقاها في يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فاول شئ يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه * وباسناده عن أبي امامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحما لادم له فاطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع فقلت ياأبا المضيء ما الشياع قال الصوت وباسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء هن شبكتي التي لاتخطئ أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحرين وهو يقول الدنيا باطل باطل مافيها ويقول بيده هكذا حيثما أشار استاق الجراد الى ذلك الموضع فيلعنا أن ذلك الرجل ملك الجراد قال فاقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك أن موسى أمر أن يمشي الى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فاكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص ويزلقها حتى لايرتقي فوقها شئ ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملئ قملا فما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليها ومنعهم النوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد ابن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا ياأيها الساحر أي أيها العالم انا

عشية اليوم الرابع قلت في نفسي لابد من سؤالها في موعظة أنتفع بها فرفع الشاب رأسه وقال عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى بنظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم أرهما فحزنت على فراقهما رضي الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وبيركاتهما آمين

﴿وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه﴾ أنه قال وصف لي رجل من السادة باليمن من الخائفين مماء في المجتهدين وهو بصلاح الناس معروف وباللب والحكمة والخشوع موصوف قال فخرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فلما قضيت حجي قصدت زيارته لاسمع كلامه وأنتفع بموعظته وكان معي جماعة يطلبون كما أطلب من البركة والدعاء وكان في جملتهم شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين مصفر اللون من غير سقم أعمش العينين من غير رمد يحب الخلوة ويأنس بالوحدة كأنه قريب عهد بمصيبة فقيل له أن يرفق بنفسه فلم يجب وأنشد يقول شعرا

أيها العاذلون في الحب مهلا

تتوب ولا نعود فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا فى أقطار الارض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أن موسى ساحر منا الا اليوم فيجعل الرمل دواب فعلى ماذا نؤمن ونرسل معه بنى اسرائيل فقد أهلك زرعنا وحروثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا نصدق به أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعد ما أقاموا شهرا فى عافية وقيل أربعين يوما فأوحى الله تعالى اليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا الى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتتابعت له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضا وأسمع أدناها أقصاها ثم انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم فى بيوتهم بغتة وامتلأت منه أفنيتهم وآنيتهم وأبنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع فى فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينصرف الى شقه الايمن ولا الايسر وكان أحدهم يفتح فاه لأكلته فتسبقه الضفدعة الى فيه وكانوا لا يعجنون شيأ من العجين الا انشدخت فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلأت منه وكانت تثب فى نيرانهم فتطفئها وفى طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها فى القدور وهى تفور وفى التنانير وهى مسجورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقها مملوءة جيفا من كثرة ما يطؤنها بأقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا نعود فأخذ على هذا عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما يروى أن موسى أمر أن يهتف بعصاه ويميلها ففعل ذلك فانقشع ما كان منها حيا فلحق بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحا فنحتها عن مدينتهم بعدما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فأقاموا شهرا فى عافية وقيل أربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب الى شاطئ البحر فيضرب بعصاه ففعل ذلك فسال عليهم النيل دما وصارت مياههم كلها دما وما يستقون من الانهار والآبار الا وجدوه دما أحمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطى والاسرائيلى فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما عبيطا وكان القبطى والاسرائيلى يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطى دما وماء الاسرائيلى ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التى فيها الماء فيخرج للاسرائيلى ماء وللقبطى دم حتى ان المرأة من آل فرعون تأتى الى المرأة من بنى اسرائيل حين يجهدها العطش فتقول اسقينى من مائك فتسكب لها من جرتها أو تصب لها من قربتها فتعود فى الاناء دما حتى انها تقول لها اجعليه فى فيك ثم مجيه فى فى فتأخذ فى فيها ماء فاذا مجته صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش فى تلك الايام حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها ملحا أجاجا مرا زعاقا فمكثوا فى ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن أسلم) كان الدم الذى سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا

حاش لى عن هواه انى أسلا
كيف أسلو وقد تزايد وجدى
وتبدلت بعد عزى ذلا
قيل تبلى فقلت تبلى عظامى فهوا كم وحبكم ليس يبلى
حبكم قد سرى لوسط فؤادى
من قديم الزمان مذ كنت طفلا
قال ولم يزل الشاب فى جلتنا حتى انتهينا الى اليمن فسألنا عن منزل الشيخ فأرشدنا اليه فطرقنا عليه الباب فخرج الينا كأنه قد خرج من القبور فلما جلسنا بين يديه بدأ الشيخ الشاب بالسلام والكلام والمصافحة وابدى له البشر والترحيب من دوننا فقال الشاب ياسيدى ان الله جعلكم اطباء القلوب ولأوجاع الذنوب وان بى جرحا أعضل وداء تمكن وأعضل فان قدرت أن تتلطف ببعض مراهمك فافعل وأنشد يقول شعرا
ان داء الذنوب داء عظيم
كيف لى بالخلاص من داء ذنبى
هل طبيب مناصح لى فانى
أعجز الخلق والاطباء طبى
آه واخجلتى و ياطول حزنى
من وقوفى اذا وصلت لربى

من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة أخرى فضربه فتحوّل ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالى ابن امرأة كعب الاحبار مكث موسى فى آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون الا الطغيان والكفر والتمادى والكبر دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاجاب الله دعاءهما كما قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا وكانت لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة واليواقيت وأنواع الحلى والجواهر ما لا يحصيه الا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام فى زمانه أيام القحط فبقى ذلك فى يد القبط فاوحى الله الى موسى عليه السلام انى مورث بنى اسرائيل ما فى أيدى آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم جهازا وعيادا الى الارض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تعتكف عليه أنت وقومك تشكروننى وتذكروننى وتعظموننى ذلك اليوم وتعبدوننى فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا لعيدكم من آل فرعون الحلى وأنواع الزينة فانهم لا يمتنعون عنكم للبلاء الحال بهم فى ذلك الوقت ولما قذفت فى قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فامر فرعون بزينة أهله وولده وما كان فى خزائنه من أنواع الحلى فاصيرت لبنى اسرائيل لما أراد الله بذلك أن يفىء على موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا رجل لطفا منه بهم وافضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التى بقيت فى أيديهم حجارة كلها حتى المنخل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظى سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال عمر لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا أموال فرعون فاخرج البيضة مشقوقة نصفين وانها لحجر والجوزة مشقوقة وانها لحجر والحمصة والعدسة (وروى) محمد بن اسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وانها لحجر وقال لقد رأيت انسانا وما شككت أنه انسان وانه لحجر وكان ذلك المسخ فى أرقائهم دون أحرارهم اذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ما خلا الذى بأيدى بنى اسرائيل من الحلى والجواهر وأنواع الزينه (وقال) ابن عباس أول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا وبلغنا أن الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة

﴿الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل وخبر فلق البحر لهم﴾

قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون قال العلماء بأخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين أراد اظهاره على عدوه أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة بيوت فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب فانى مرسل على أعدائكم عذابا وانى سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه الدم وسآمرها أن تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسلمون أنتم ويهلكون هم ثم اخبزوا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادى حتى تنتهى بهم الى البحر

فاتيك

والقطاع الجواب منى ولم لا وبلائى قد جل عن كل خطب

فقال له الشيخ سل عما بدا لك فقال الشاب ياسيدى ما علامة الخوف من الله تعالى فقال أن يؤنسك خوفه من كل خوف قال فخر الفتى مغشيا عليه فلما أفاق قال يرحمك الله متى يتيقن العبد خوفه من الله تعالى فقال اذا أنزل العبد نفسه من الدنيا منزلة العليل فهو يحتمى من الطعام مخافة طول السقام ويصبر على غصص الدواء مخافة طول الضنى قال فصاح الشاب صيحة وغشى عليه فلما أفاق قال ياسيدى ما علامة المحب لله تعالى فقال الشيخ ان درجة المحبين رفيعة فقال الشاب أحب ياسيدى أن تصفها لى فقال الشيخ ان الله سبحانه وتعالى شق لهم عن قلوبهم فابصروا بنور القلوب الى جلال عظمة المحبوب فصارت أرواحهم روحانية وقلوبهم نورانية وعقولهم سماوية تسرح بين صفوف الملائكة الكرام وتشاكل الامور باليقين والاعيان فعبدوه مبلغ استطاعتهم لا طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره قال فشهق شهقة فمات رحمة

فيأتيك أمرى فأمر موسى بنى اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبنى اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى لمرسل العذاب عليكم فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم فى ليلة واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بنى اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا أن سلروا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالنا معهم فنادى فرعون فى قومه كما قال الله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون ثم ان فرعون تبعهم فى قومه وعلى مقدمته هامان فى ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جريج أرسل فرعون فى أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم فى الدهم وكان فى عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت كما قال الله تعالى فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورأت بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا ياموسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا ان دخلناه غرقنا وفرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا ولقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه ياقوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا لما سار موسى بنى اسرائيل من مصر وأرادوا أن يسير واضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بنى اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على اخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه فى الارض المقدسة فلذلك نالنا هذا الامر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى أنشد الله كل من يعلم موضع قبر يوسف الا أخبرنى ومن لا يعلم صمت أذناه عن قولى فكان يمر بين الرجلين ينادى فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز منهم فقالت له أرأيتك ان دللتك عليه أتعطينى ما سألتك فأبى عليها وقال حتى أستأذن ربى فأمره ربه أن يعطيها مناها فاعطاها ذلك فقالت انى أريد أن لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت فانى عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشى فاحملنى فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه فى جوف هذا الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسره عنه فقالت له احفر ههنا ففعل فاستخرجه وهو فى صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه فى الارض المقدسة قال عروة ابن الزبير وقد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير بنى اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل نبيهم ذلك * أخبرنى الحسن بن محمد باسناده عن ابن أبى موسى الاشعرى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال نزل النبى صلى الله عليه وسلم باعرابى فأكرمه فقال له عليه السلام تعاهدنا فأتاه الاعرابى فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابى ناقة يارسول الله برحلها وأعنز يحلبها أهلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالى حاجة غيرها فقال عليه السلام ان عجوزا بنى اسرائيل كانت أحسن مسئلة من هذا وذكر الحديث الذى فى قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى

الله تعالى عليه فبكى الشيخ عليه بكاء شديدا وقال هكذا مصرع الخائفين رضى الله تعالى عنهم أجمعين (وحكى عن أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه) أنه قال كنت فى مسجدى واذا برجل قد دخل على وصلى ركعتين ثم امتد فى ناحية من المسجد وأشار الى فلما جئته قال لى ياأبا القاسم قد آن لقاء الله تعالى فغسلنى وكفنى وصل على وادفنى فاذا فرغت من أمرى فسيدخل عليك شاب مصرى مغن فاذا حضر اليك فادفع له مرقعتى وعصاى وركوتى هذه قال الجنيد كيف يكون ذلك الى مغن قال ياجنيد انه بلغ رتبة القيام بخدمة الله تعالى وأقيم فى مقامى قال فلما قضى الرجل نحبه وفرغنا من مواراته فى التراب دخل علينا شاب مصرى وسلم وقال أين الوديعة ياأبا القاسم فقلت له وكيف ذلك أخبرنا أيها الشاب بحالك فقال ياسيدى انى كنت فى مشربة بنى فلان فهتف بى هاتف ان قم الى الجنيد واستلم ما عنده من الوديعة التى تركها لك فلان وهى كذا وكذا فانك قد جعلت مكانه من

البحر هاجت الريح وعادت ترمى بموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء وقال الذى يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب فى الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر وكان الماء فى ذلك الوقت فى غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فأوحى الله تعالى اليه أن كنه فضربه ثانيا وقال انفلق يا أبا خالد باذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذى أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وظهر فى البحر اثنا عشر طريقا لاثنى عشر سبطا لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد بن جبير أرسل معاوية الى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فارسل اليه انه المكان الذى انفلق عنه البحر لبنى اسرائيل (أخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شئ والمكوّن لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا فرجا ومخرجا فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم الكلمات التى تكلم بها موسى حين جاز البحر ببنى اسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عبد الله فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فأوحى الله الى جبال الماء أن تشبكى فصار الماء شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فاخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أى فلقناه بين الكم الماء يمينا وشمالا فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وذلك أنه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فأراد موسى أن يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فأوحى الله اليه أن اترك البحر رهوا أى ساكنا على حاله انهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر رأوه منفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائى وعبيدى الذين أبقوا منى فاقتحموا فادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن فى خيل فرعون أنثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له أنثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فظن أصحاب فرعون أن الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر فى أثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له انى قد أتيت الى هذا الموضع مرارا ومالى عهد بهذا الطريق وانى أخاف ولا آمن أن يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب معاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاءه جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فمحم اليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون وأقحمه البحر فلما توافوا فى البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم

الابدال قال الجنيد فدفعت اليه تلك الوديعة فنزع ثيابه واغتسل ولبس المرقعة وأخذ الركوة والعصا وتوجه نحو الشام فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال كان لى مسجد وكان بجانبه جار شرطى كنت أعرف منه أخذ أموال المسلمين فلما حضرته الوفاة أتوا به الى مسجدى لاصلى عليه فامتنعت من الصلاة عليه وقلت خذوه عنى وصلوا عليه فى أى مسجد كان بعيدا عن مسجدى فاخذوه ومضوا به من عندى فلما كان الليل رأيت الشرطى وعليه ثياب خضر وهو يتبختر فى الجنة قال الجنيد فقلت له ألست الذى طردتك بالامس فقال نعم فقلت له أخبرنى بحالك فقال لما كان من أمرى ما كان وطردتنى وامتنعت من الصلاة على دخل عندى رعب شديد فلما مضوا بى من عندك سمعت قائلا يقول لا تحزن فانك قادم على كريم فزال ما كان عندى من الخوف فلما وقفت بين يديه جعلت اعتمادى عليه فقال الله

فغرقهم أجمعين وذلك بمرأى من بني اسرائيل فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون يعني الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدركه فرعون الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل أراه فتياه وتوقيعه الذي فيه وقال انما هذا فتياك التي أفتيت به ثم جعل يدس في فيه من حمأ البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة وفي الحديث ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت أحدا من الخلق ما بغضت رجلين أما أحدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين أبى أن يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال أنا ربكم الأعلى ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حمأ البحر وأدسه في فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ما هذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت ألم تر أنه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه الانسان فأمر الله تعالى البحر فألقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فيقال انه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى ببني اسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودي الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت أقدامكم من حمأ البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فأمر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله تعالى فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين

﴿ الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه وصفة ايتاء الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك ﴾

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر واذ واعدنا موسى أربعين ليلة قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين ان موسى كان وعد بني اسرائيل وهو بمصر اذا خرجوا منها وهلك عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بني اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب (قال أبو العالية) أخذ من لحاء الشجر فمصه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة أيام أخر وقال له أما

عز وجل يا عبدي ما قال الجنيد فقلت يا سيدي أنت أعلم بمقالته فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي ان كان قد طردك الجنيد فقد قبلتك فانا أقبل المطرودين وأعفو عن المذنبين امضوا بعبدي الى الجنة برحمتي وأنا أرحم الراحمين اللهم ارحمنا كما رحمته وارحم جميع المسلمين (وحكي عن أبي العباس الخضر عليه السلام) أنه قال كنت بصنعاء اليمن في مسجد عبد الرزاق الواعظ وكان من أكابر العلماء والاولياء أسمع منه ما يقول فنظرت الى شاب منفرد بناحية من المسجد مختل بنفسه واضعا رأسه بين ركبتيه فأتيت اليه ووكزته وقلت يا هذا لم لا تحضر مجلس عبد الرزاق وتسمع منه ما يقول فقال قد سمعت من الله عز وجل فادهشني ذلك فقلت له ان كنت صادقا فمن أنا فقال ان صحت الفراسة فانت الخضر عليك السلام ثم غاب عن بصري فلم أره نفعنا الله تعالى به آمين (وحكي عن عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه) أنه قال غزا والدي سنة من السنين مع المجاهدين في

علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندى من رائحة المسك وكانت فتنتهم فى العشرة الايام التى زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها بعشر يعنى من ذى الحجة (أخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن أبى هريرة أن جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر أى من ذى الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة فلما مضت أربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه لميقات ربه فلما أتى طور سيناء كلمه ربه وناجاه وقربه وأدناه كما قال تعالى وقربناه نجيا (قال وهب) كان بين الله وبين موسى سبعون حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا واحدا فتخلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرنى أنظر اليك (قال السدى) لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس فى الارض حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس فى قلبه وقال ان مكلمك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى لن ترانى وليس يطيق البشر النظر الىّ فى الدنيا من نظر الىّ مات فقال الهى سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الىّ من أن أعيش ولا أراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل فى مدين يقال له زبير وذلك أن الجبال لما علمت أن الله يريد أن يتجلى لجبل منها تعاظمت وتشامخت رجاء أن يتجلى الله لها وجعل زبير يتواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهن وخصه بالتجلى قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى فتجلى الله تعالى للجبل (واختلف العلماء) فى معرفة التجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحاك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل يعنى غار وقال الحسن أوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتى فغار الجبل وساخ فى الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حكى عن سهل بن سعد الساعدى أن الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نورا قدر درهم فجعل الجبل دكا قال أبو بكر فعذب اذ ذاك كل ماء وأفاق كل مجنون وبرئ كل مريض وزال الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وأزهرت وخمدت نار المجوس وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدى ما تجلى للجبل الا قدر جناح بعوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى وقع فى البحر قال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبى جعله دكا أى مكسرا جبالا صغارا ● وبالاسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة فى المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة ثور وثبير وحراء وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقال الكلبى خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت الملائكة ما لابن عمران وسؤاله الرؤية (وفى بعض الكتب) أن ملائكة السموات والارض أتوا موسى وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وقال وهب لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فأحاطت بالجبل الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى أربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثيرا مثل البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى

سبيل الله تعالى فلما كان بين الصفين وقع المهر الذى كان تحته فمات فقال والدى يارب أعرنى اياه حتى أرجع من مجاهدتى الى قريتى فليس معى غيره قال فما تم كلامه حتى قام المهر فى الحال حيا باذن الله تعالى فغزا والدى عليه فلما رجع قال ياولدى خذ السرج عن المهر فقلت ياوالدى انه عرقان حتى يستريح فقال ياولدى انه عارية فلما أخذت السرج عنه وقع المهر فى الحال ميتا وهذا من بعض كراماته رضى الله تعالى عنه

(وحكى عن بعض الصالحين نفعنا الله تعالى بهم) أنه قال كان عندنا رجل نباش كان يسرق الاكفان من القبور فماتت امرأة من المتعبدات فصلى عليها كثير من الناس وصلى النباش معهم وخرجوا الى قبرها والنباش معهم ليعرف قبرها فلما جن الليل أتى النباش الى قبرها ونزل اليها فأنطقها الله عز وجل وقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها فقال النباش ان الله غفر لك فكيف غفر لى فقالت ان الله غفر لى ولمن صلى علىّ

فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه شئ ان خرجت احترقت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس والتهليل كلجب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى مالا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شئ من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من أصوات الذين مروا به ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة فى سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى أراد رؤيتى فاعترضوا عليه فهبطوا وفى يد كل ملك منهم حربة طويلة تلتهب نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سبحوا وقدسوا جاوبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت وفى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه وصوته يسبح معهم ويبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك لا أدرى هل أتخلص مما أنا فيه أولا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذى سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله تعالى أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة السموات أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذى كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بأنك ربى وصدقت بأنه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ تبت اليك لك الحمد لا شريك لك أنت رب العالمين (قال السدى) حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (أخبرنى) الحسن باسناده عن عروة بن رديم اللخمى قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صماء ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التى اتخذ منها الالواح من زمرد أخضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور قلما أطول مما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى أن يأخذها بقوة ويقرئها قومه فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها لثقل العهود والمواثيق التى فيها فقالت يارب كيف أطيق أن أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطق حملها فقال يارب من يطيق حمل

قال فخرج النباش من عندها وتاب الى الله تعالى وحسنت توبته ببركتها ولزم العبادة حتى مات رحمة الله تعالى عليه وعلينا وعلى أموات المسلمين آمين (وحكى عن عبد الواحد بن زيد رضى الله تعالى عنه) أنه قال بينا نحن جلوس ذات يوم فى مجلسنا اذ قد تهيأنا للخروج للغزو فى سبيل الله تعالى وقد أمرت أصحابى أن يتهيؤا فقرأ رجل منهم فى مجلسنا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقلت نعم فقال غلام يا عبد الواحد اشهد انى بعته نفسى ومالى بأن لى الجنة فقلت له يا غلام ان حد السيف أشد من ذلك وأنت صغير السن يخاف عليك أن لا تصبر وتعجز عن ذلك فقال الغلام يا عبد الواحد أبايع الله تعالى بالجنة ثم أعجز أشهد الله أنى بعته نفسى ومالى فى سبيله قال عبد الواحد فتعجبنا من ذلك وقلنا صبى يعقل ونحن لا نعقل فخرج من عندنا وتصدق بجميع ماله فى سبيل الله الا فرسه

هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا له الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا في القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله ياموسى انى اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له في الالواح الآية

﴿ فصل في نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه في الالواح وهي معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة ﴾

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران أن سبحني وقدسني لا اله الا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيأ واشكر لي ولوالديك الىّ المصير أحييك حياة طيبة ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء باقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمي كاذبا فاني لا أطهر ولا أزكي من لا يعظم اسمي ولا تشهد بما لا يعي سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فاني أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة وأسألهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي ورزقي فان الحاسد عدو نعمتي ساخط لقسمتي ولا تزن ولا تسرق فاحجب عنك وجهي وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيري فانه لا يصعد الىّ من قربان الارض الا ماذكر عليه اسمي ولا تفجرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندي وأحب للناس ماتحب لنفسك واكره لهم ماتكره لنفسك فهذه نسخة العشر الكلمات وقد أعطاها الله جميعها لمحمد صلى الله عليه وسلم في ثمان عشرة آية وهي قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها في ثلاث آيات من سورة الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (أخبرنا) أبو عمر محمد الفريابي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعطى موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحدا من العالمين قبلي قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين أي بقوة وجد ومحافظة وتموت على حب محمد عليه السلام قال موسى يارب ومن محمد قال أحمد الذي أثبت اسمه على عرشي قبل أن أخلق السموات والارض بألفي عام وانه نبيي وصفيي وخيرتي من خلقي وهو أحب الىّ من جميع خلقي وجميع ملائكتي فقال موسى يارب ان كان محمد أحب اليك من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمتي قال الله تعالى ان فضل أمة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلي على جميع الخلق قال يارب ليتني أراه وأراهم قال ياموسى انك لن تراهم ولو أردت أن تسمع كلامهم أسمعتك قال يارب فاني أريد أن أسمع كلامهم قال الله تعالى ياأمة محمد فأجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فقال الله تعالى ياأمة محمد ان رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد أعطيتكم من قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل أن تدعوني وقد غفرت لكم من قبل أن تعصوني من جاء يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله

وسلاحه ونفقته فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا هو فقال السلام عليك ياعبد الواحد فقلت وعليك السلام ياحبيبي ربح البيع ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا نمنا حتى انتهينا الى بلاد الروم فبينا نحن جلوس اذا به قد أقبل وهو ينادي واشوقاه الى العيناء المرضية فقال أصحابي لعل هذا الغلام وسوس واختلط عقله قال عبد الواحد فقلت له ياحبيبي وما هذه العيناء المرضية فقال الغلام ياسيدي اني غفوت قليلا فرأيت في منامي كأنه قد أتاني آت فقال لي اذهب الى العيناء المرضية ثم أخذ بيدي وهجم بي على روضة فيها ماء غير آسن واذا على شاطئ ذلك النهر جوار عليهن من الحلي والحلل مالا أقدر أن أصفه فلما رأينني استبشرن بي وقلن هذا زوج العيناء المرضية فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن نحن خدمها وأماؤها امض أمامك فمضيت أمامي فاذا بنهر من لبن لم يتغير طعمه فروضة فيها من كل زينة

وأن محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى
وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا (أخبرنا) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن نصير المكى قال أخبرنا أبو العباس
محمد بن اسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المعافرى عن
أبيه أن كعب الاحبار رأى حبرا من اليهود يبكى فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال
كعب الاحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما أبكاك لتصدقنى قال نعم قال أنشدك الله هل تجد فى كتاب
الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن موسى نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة هم خير الامم
أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون
أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتى قال هم أمة محمد يا موسى قال له
الحبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد فى كتاب الله المنزل على موسى أن موسى نظر فى التوراة
فقال انى أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعله ان شاء الله
تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتى فقال هم أمة محمد يا موسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد
فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم
وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير ان موسى كان يجمع صدقات بنى اسرائيل فلا يجد عبدا
مملوكا ولا أمة الا اشتراه من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم دفنه كى
لا يرجعوا فيه وهم المسبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى
يارب اجعلهم أمتى قال هى أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله
المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى
واذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة
طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم
أمتى قال هى أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى التورارة أن موسى
نظر فيها فقال يارب انى أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها
كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت
عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك
الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مرحومة أصفياء
يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما
فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد ياموسى فقال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل
أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل
الجنة يصطفون فى صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل
لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يرى الحساب الا مثل ما يرى الحر من وراء الشجر فاجعلهم
أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذى أعطاه الله لامة محمد
صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى ياليتنى من أصحاب محمد فاوحى الله تعالى اليه بثلاث
آيات يرضيه بهن فقال تعالى ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك
وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه
يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما صار موسى الى طور سيناء الى الميقات

وجوار حين رأيتهن فتنت
بحسنهن وجمالهن فلما
رأينى استبشرن وقلن
هذا زوج العيناء المرضية
فقلت السلام عليكن
أفيكن العيناء المرضية
فقلن وعليك السلام
ياولى الله نحن خدمها
واماؤها امض امامك
فمضيت أمامى فوصلت الى
خيمة من درة بيضاء وعلى
باب تلك الخيمة جارية عليها
من الحلى والحلل ما لا أقدر
أن أصفه فلما رأتنى
استبشرت بى ونادت من
فى الخيمة أيتها العيناء
المرضية هذا بعلك قد قدم
قال فدنوت من تلك الخيمة
ودخلت اليها فاذا هى قاعدة
على سرير من ذهب أحمر
مكلل بالدر والياقوت
والجوهر فلما رأيتها افتتنت
بها فقالت مرحبا بك ياولى
الله قد دنا لك القدوم علينا
فتقدمت لأعانقها فقالت
مهلا فانه لم يؤذن لك أن
تعانقنى لان فيك روح
الحياة ولكن أنت تفطر
الليلة عندنا ان شاء الله تعالى
فانتبهت من منامى وليس
لى صبر ياعبد الواحد عنها
قال عبد الواحد فما فرغ من
كلامه حتى أقبلت علينا
سرية من العدو فحمل
الغلام فيهم فعددنا تسعة

قال لهم بماتبتغى قال جئت أبتغى الهدى قال وجدته ياموسى قال موسى يارب أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى (وقال عبدالله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طورسيناء رأى عبدا فى ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله بر بوالديه لا يمشى بالنميمة قال موسى يارب اغفرلى ما مضى من ذنبى وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به منى أعوذ بك من وسوسة نفسى وأعوذ بك من سوء عملى قال قد كفيت ذلك ياموسى قال موسى يارب أى الاعمال أحب اليك أن أعمل به قال تذكرنى ولا تنسانى قال أى عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فرجه مؤمن فى خلق حسن قال فأى عبادك شر عملا قال فاجر فى خلق سيئ جيفة بالليل بطال بالنهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد آتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها و يعملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التى كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور و بعث نارا من قبل وجوههم وأتاهم البحر ملحا من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم فى هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة فى اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا ياموسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك (وروى) قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تغشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدى وجهه لاحد مخافة أن يموت (وأخبرنى) أبو عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال حدثنا محمد بن أبى شيبة قال حدثنا أبو عبدالله محمد ابن عبدالله القزوينى قال حدثنا محمد بن مرزوق النضرى قال حدثنا هانئ بن يحيى السلمى قال حدثنا الحسن بن أبى سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النملة فى الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبدالله الثقفى قال حدثنا عبدالله بن شيبة قال حدثنا أبو حامد المستملى قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبدالله بن زيد بن أسلم عن أبيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نار الشدته

(باب فى ذكر قصة بنى اسرائيل وهرون مع السامرى حين اتخذ لهم العجل)

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى انى ذاهب الى الجبل لميقات ربى وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهى بلقاء أنثى لا تصيب شيأ الا حيى فلما رآه السامرى على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدى (وقال الكلبى) انما اتخذ السامرى من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر و بعث الله تعالى جبريل على فرس باقاء خطوتها مد البصر عليها تركب الانبياء

كلهم

رجال قتلهم وكان هو العاشر فجئت اليه وهو يتشحط فى دمه وهو يضحك حتى فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبدالواحد فحزنت عليه وأنشدت

يامن يعانق دنيا لا بقاء لها
يمسى و يصبح مغرورا وغرارا
هلا تركت لذى الدنيا معانقة
حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها
فينبغى لك أن لا تأمن النارا

(وحكى عن عبدالواحد رضى الله تعالى عنه) انه قال أصابتنى علة فى ساق سنة من السنين فكنت أتحامل عليها الصلاة فقمت عليها من الليل فاجهدنى وجعى منها فجلست ثم لففت ازارى فى محرابى ووضعت رأسى عليه ونمت فبينما أنا نائم اذا أنا بجارية تفوق الدنيا حسنا وهى تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت على رأسى والجوارى من خلفها ثم قالت لبعضهن ارفعنه ولا توقظنه فاقبلن نحوى واحتملننى وأنا أنظر اليهن فى منامى ثم قالت للجوارى اللاتى معها افرشن له ومهدنه ووسدنه قال عبدالواحد ففرشن

كلهم وخاض البحر وشمت خيول قوم فرعون ريحها فخاضت فى أثرها قالوا وانما عرف السامرى جبريل دون بنى اسرائيل لان فرعون حين أمر بذبح أولاد بنى اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا فى جوف الليل الى صحراء أو واد أو غار فى جبل فاخفته فيقيض الله ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذى ربى السامرى جبريل عليه السلام فجعل يمص من أحد ابهاميه سمنا ومن الآخر عسلا فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذا جاع الطفل يمص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام وكل بالسامرى وعلا لبونا تسقيه اللبن بالغداة والعشى حتى كبر واختلط بالناس فلذلك عرفه دون سائر بنى اسرائيل لانه هو الذى رباه (٢) وكان أبو عمرو السكندرى يقول داية موسى وفرعون داية موسى أز أهل بهشت وفرعون أز أهل دوزخ وداية السامرى وجبريل داية جبريل أز أهل بهشت والسامرى أز أهل دوزخ بود قال قتادة والسدى كان عظيما من عظماء بنى اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامرى من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا صائغا من أهل باجرى واسمه منجا وقال ابن عباس اسمه موسى ظفر وكان رجلا منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل فى قلبه حب البقر فلما ذهب موسى لميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر حتى صارت أربعين فعد بنو اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم افتتنوا وقالوا ان موسى أخلفنا الوعد فافتتنهما السامرى حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى قد وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا اتاهم السامرى وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فينبغى لكم أن تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم وقد تم الميقات فينبغى لكم أن تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامرى لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الآية فافتتنهما السامرى فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضى من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد وأهلك الله فرعون وقومه وبقى ذلك الحلى بايدى بنى اسرائيل فلما خرج موسى قال هرون لبنى اسرائيل ان حلى القبط الذى استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامرى بالقبضة التى أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يانبى الله هل أقذفها فيه فظن هرون أنه من الحلى يريد به ما يريد أصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) أوقد هرون نارا وأمرهم أن يقذفوها فيه فقذف السامرى تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك أن السامرى قال لهرون ألقى ما فى يدى وهو يظن أنه من تلك الحلى فقال نعم ويقال ان الذى قال لبنى اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامرى فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيه القبضة فجثا وخار خورة ثم لم يعد وقال السدى كان يخور ويمشى فلما أخرج السامرى العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كأحسن ما يكون وقال هذا الهكم واله موسى فنسى أى أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك ابطأ عليكم وأخلف الموعد وفى بعض الروايات ان السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل وعدا وخار فصار له لحم ودم ويروى ان ابليس خار فى وسطه ويقال ان السامرى جعل مؤخر العجل الى الحائط وحفر فى الجانب الآخر فى الارض واجلس فيه انسانا فوضع فمه فى دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم واله موسى فلبس

يحتى سبع فرش لم أر مثلهن فى الدنيا مثلا ووضعن يحتى مرافق خضرا حسانا ثم قالت للاتى حلننى اجعلنه على الفراش رويدا قال فجعلت على الفراش وصرت أنظر اليهن متعجبا مما أمر به من شأنى ثم قالت أين العلة فاشرت اليها فوضعت يدها عليها وقالت قم شفاك الله الى صلاتك غير مضرور فاستيقظت من منامى كأنى والله قد نشطت من عقال فما شكوت بعد ذلك اليوم بهذه العلة أبدا ولا ذهبت عن قلبى حلاوة منطقها وحسن قولها قم الى صلاتك غير مضرور وهذا من مناقبهم عفا الله تعالى عنهم ونفعنا ببركاتهم (وحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال سألت الله تعالى ليلة من الليالى أن يرينى رفيقى فى الجنة فقيل لى ياعبد الواحد رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء فقلت وأين هى فقيل لى فى

---

(٢) قوله وكان أبو عمرو الخ عبارة فارسية معناها داية موسى وجبريل عليهما السلام من أهل الجنة وداية فرعون والسامرى من أهل جهنم اه من هامش الاصل

السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجهالهم حتى أضلهم وقال لهم ان موسى قد أخطأ ربه فاتا كم ربه
أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم الى نفسه بنفسه وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه اليه وأنه قد أظهر
اليكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة قال على بن أبى طالب رضى الله عنه انما
سمى العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم (وقال الحسن البصرى) اسم عجل بنى اسرائيل
الذى عبدوه يهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر ألفا وكان
مع هرون ستمائة ألف فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيأ قط فقال لهم
هرون يابنى اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه
عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته
وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بنى
اسرائيل وكان لهما تابعا مطيعا وقال قتادة فى هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم (أخبرنى)
الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما واعد الله موسى أربعين يوما قال الله تعالى ياموسى ان قومك
قد افتتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم
قال انهم اتخذوا العجل الها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب فمن نفخ فيه الروح قال أنا
قال أنت وعزتك فتنتهم ان هى الا فتنتك الآية فقال الله تعالى ياموسى يارأس النبيين ياأبا الاحكام انى
رأيت ذلك فى قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسى من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول
العجل وكانوا يعزفون ويرقصون حوله ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث
العجل فقالوا هذا قتال فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله
فذلك قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما يصنعون به ألقى
الالواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذى كان فيها ولم يبق فيها الا سدسها ثم أعيدت له فى
لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالمخبر قال الله تعالى
لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها (عن تميم الدارى) قال قلت
يارسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبا من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك
انطاكية أما ان فى غار من غيرانها رضاضا من ألواح موسى ومامن سحابة شرقية ولا غربية تمر بها
الا ألقت عليها من بركاتها ولن تذهب الايام والليالى حتى يسكنها رجل من أهل بيتى يملؤها عدلا وقسطا
كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما رأى موسى ماصنع قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس
أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم فى اثنى عشر ألفا لم يعبدوا العجل فقال لهرون
مامنعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمرى هلا قاتلتهم اذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم
على كفرهم فقال هرون يابن أم الآية قال المفسرون كان هرون أخا موسى لابيه وأمه ولكنه أراد
بقوله يابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى أى بذوائبى انى خشيت ان قاتلتهم أن
يصيروا أحزابا يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى أى ولم تحفظ وصيتى
حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم ان موسى أقبل على السامرى وقال له
ماخطبك ياسامرى أى ما أمرك وشأنك فقال السامرى بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من
أثر الرسول يعنى أخذت ترابا من أثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتها فى العجل وكذلك سولت لى نفسى
أى زينت لى قالوا فلما علم بنو اسرائيل أنهم قد اخطؤا وضلوا فى عبادتهم العجل ندموا على ذلك
واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا

بنى فلان بالكوفة فخرجت
الى زيارتها فلما وصلت
الكوفة سألت عنها فقيل
لى هى امرأة عجوز مجنونة
ترعى غنيمات فقلت أريد
أن أراها فقالوا اخرج الى
البساتين فانك تراها
فخرجت فاذا هى قائمة تصلى
وبين يديها عكازة وعليها
جبة من صوف مكتوب
عليها لا تباع ولا تشترى
ورأيت الغنم مع الذئاب
ترعى فلا الذئاب تأكل الغنم
ولا الغنم تخاف من الذئاب
فلما رأتنى أوجزت فى
صلاتها ثم قالت ارجع يا ابن
زيد ليس الموعد هنا فقلت
لها يرحمك الله فمن أعلمك
باسمى فقالت ياعبد الواحد
أما علمت ان الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها
اختلف فقلت لها عظينى
فقالت واعجبا لواعظ يوعظ
ثم قالت مامن عبد أعطى
شيأ فابتغى اليه ثانيا الا سلبه
الله حب الخلوة معه وبدله
بعد القرب وحشة ثم
أنشدت تقول

يا واعظا قام لاحتساب
يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا
هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا
عيبك أو تبت من قريب

ويغفرلنا لنكونن من الخاسرين فقال لهم موسى ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل قالوا له
فأى شئ نصنعه وما الحيلة قال توبوا الى بارئكم أى ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال فاقتلوا
أنفسكم أى ليقتل البرىء المجرم ذلكم يعنى القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس أبى الله أن يقبل
توبة بنى اسرائيل الا بالحال التى كرهوا أن يقاتلهم حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة
عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا
لامره وقالوا انصبر لامر الله فجلسوا فى الافنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان
الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه الا امضاء أمر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نصنع
فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء حتى لايبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أومد طرفه الى
قاتله أواتقاه بيد أورجل فهو ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر فيهم
القتل و بلغ عدة القتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون ربهما وبكيا وجزعا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنو
اسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل عنهم
فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه أما يرضيك أن أدخل
القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى منهم مكفرا ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب
عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى أن يبرد العجل بالمبرد ويحرقه ثم يذروه فى النيل
فمن شرب ماءه من عبدة العجل اصفر لون وجهه واسودت شفتاه وقيل نبت على شاربه الذهب فكان
علامة جرمه فاخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامرى بالبول
عليه استخفافا به وتصغيرا له ثم ذراه فى الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا
الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه
واسودت شفاههم فاقروا بحب العجل وعبادته وقالوا ياموسى انا قد ندمنا على ماصنعنا وتبنا الى الله
فاؤمرنا أن نقتل نفوسنا لتقبل توبتنا قتلناها فقيل لهم فاقتلوا أنفسكم ثم ان موسى هم بقتل
السامرى فاوحى الله تعالى اليه لاتقتله فانه سخى فلعنه موسى وقال له فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول
لامساس وان لك موعدا لن تخلفه أى بعذابك فى القيامة ثم أمر موسى بنى اسرائيل أن لايخالطوه
ولايقربوه فصار السامرى وحشيا لايألف أحدا ولايؤلف ولايدنو من الناس ولايمس أحدا منهم
فمن مسه قرض ذلك الموضع بالمقراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون
ذلك أى لامساس وفى بعض الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أوواحدا منهم حم كلاهما فى
الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه فى ناس من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة
قومهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل كما أمره الله تعالى وأمره أن يكونوا
شيوخا فلم يصب الاستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا
شيوخا (وروى) انه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال انما أمرت
بسبعين رجلا فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل أجر من خرج
فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فأمر موسى السبعين أن يصوموا و يتطهروا و يطهروا أثوابهم ثم
خرج بهم الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان
لايأتيه الا باذن منه فلما دنا موسى الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى
ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لايستطيع أحد من
بنى اسرائيل أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا فى الغمام وخروا سجدا وسمعوا

تنهى عن الغى والتمادى
وأنت فانى كالمريب
قال عبد الواحد فدهشت
عند سماع ذلك وقلت لها
ياميمونة انى أرى هذه
الاغنام مع الذئاب ترعى
فلا الغنم تخاف من الذئاب
ولا الذئاب تأكل الغنم
فقالت اليك عنى يابطال
فانى أصلحت مابينى وبين
سيدى فاصلح مابين الذئاب
وغنمى قال فمضيت من
عندها وقلت من أطاع الله
أطاعه كل شئ نفعنا الله
تعالى بهم وغفر لنا ببركاتهم
وأسرارهم ومددهم آمين
(وحكى عنه أيضا رضى الله
تعالى عنه) انه قال اشتريت
غلاما للخدمة فلما كان
الليل طلبته فلم أجده
ورأيت الابواب مغلقة على
حالها فلما أصبحت اذا به
قد أعطانى درهما مكتوبا
عليه سورة الاخلاص بقلم
القدرة الربانية فقلت له
ياغلام من أين لك هذا
فقال ياسيدى لك عندى
فى كل يوم مثل هذا بشرط
انك لاتطلبنى فى الليل
فقلت له نعم فكان يغيب
كل ليلة ويأتى بعد صلاة
الصبح بذلك الدرهم
المكتوب قال فمكث على
ذلك مدة من الزمان فبينما
أنا جالس ببيتى اذ جاءنى

الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى نار جاءت من السماء فاحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا احسهم ماتوا يوما وليلة فذلك قوله تعالى واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يارب كيف أرجع الى بنى اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد به حتى أحياهم الله جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم الآية (أخبرنى) الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راحمنا الى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفد بهم موسى الحجر بهم وأفضل

﴿ باب فى قصة قارون حين عصى ربه واستكبر وأورثه ماله الطغيان والبطر حتى أهلكه الله تعالى ﴾

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية قالت العلماء باخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماريب بن بركيا ابن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران بخيب بنت شمويل ابن بركيا بن يقشان فولدت هارون وموسى ابنى عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخى قارون وقارون عمه لابيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجلهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن فى بنى اسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرى فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا فى معنى هذا البغى قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بنى اسرائيل حين كانوا بمصر (وأخبرنى) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراسانى وشهر بن حوشب زاد عليهم فى الثياب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم كما قال تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء الآية أى لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها واختلف المفسرون فى عدد العصبة فى هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن خيثمة قال وجدت فى الانجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد منها مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا واختلفوا فى سبب جمع تلك الأموال فقيل كان عنده علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وفى الخبر أن الله تعالى علم موسى الكيمياء فعلم موسى أخته فعلمته قارون فكان ذلك

بعض أصحابى وقال يا ابن زيد أما غلامك هذا فانه نباش القبور قال فغمنى ما سمعته منهم وقلت لهم اسكتوا فانى أحفظه فى هذه الليلة فلما صلينا العشاء قام ليخرج والابواب مغلقة فأشار بيده فانفتح له كل باب أشار اليه وأنا أنظر اليه فتبعته ومضيت خلفه حتى بلغ أرضا فلاة فنزع ثيابه ولبس مسحا وصلى الى الفجر فلما فرغ من صلاته رفع رأسه نحو السماء وقال ياسيدى الكبير هات أجرة سيدى الصغير فوقع عليه من السماء درهم فاخذه فتحيرت فى أمره ودهشت من حاله فقمت وتوضأت وصليت واستغفرت الله تعالى مما كان منى ونويت عتقه ثم طلبته فلم أجده فانصرفت حزينا متحيرا وما كنت أعرف تلك الارض فبينما أنا متحير اذا بفارس قد أقبل على فرس أشهب فقال ياعبد الواحد ما سبب جلوسك ههنا فاخبرته بقصتى فقال لا تعترض أتدرى كم بينك وبين بلدك فقلت الله أعلم فقال مسيرة سنتين للفارس المجد المسرع فدهشت من ذلك فقال لا تبرح من هذا المكان حتى يأتيك غلامك

سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندى أو بالتصرف فى التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل فى سبب جمعه تلك الأموال ما أخبرنا الثقفى باسناده عن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى كان يقول تبدى ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بنى اسرائيل فى العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هوله وجعل يتعبد مع قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون وقال له ابليس ياقارون قد رضينا بهذا الذى نحن فيه لانشهد لبنى اسرائيل جماعة ولانعود لهم مريضا ولانشهد جنازة قال فاحدره من الجبل الى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له ابليس ياقارون قد رضينا أن نكون هكذا كلا على بنى اسرائيل فقال له قارون فاى رأى عندك قال نكتسب يوما فى الجمعة ونتعبد بقية الجمعة قال فنكتسب يوما فى الجمعة ونتعبد بقيتها فقال ابليس قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأى الرأى عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فنتصدق ونعطى قال فلما كسبا يوما وتعبدا يوما جلس ابليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فنجويه باسناده عن المسيب بن شريك قال ماإن مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف أربعين خزانة فصار فى الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال أنشدنى أبو العباس سهل بن محمد المروزى عن بعضهم

وعدتنى وعدك حتى اذا ◆ أطمعتنى فى كنز قارون
جئت من الليل بغسالة ◆ تغسل ما قلت بصابون

فبغى قارون وطغى وتجبر حين استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال فكان يخرج فى زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه فى زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج فى سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات فى الارض ◆ فيما كان أبى يذكر لى عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليه الارجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيه فقالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم فأنكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أى لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة فى كل طرف خيط أخضر لونه كلون السماء فقال موسى يارب لم أمرت بنى اسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضر فى أرديتهم فقال الله تعالى ان بنى اسرائيل فى غفلة وقد أردت أن أجعل لهم علما فى ثيابهم ليذكرونى به اذا نظروا اليه ويذكرون اله السماء ويعلمون أنى منزل منها كلامى فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بنى اسرائيل تحقر هذه الخيوط قال له ياموسى ان الصغير من أمرى ليس بصغير وان لم يطيعونى فى الامر الصغير لم يطيعونى فى الامر الكبير قال فدعا موسى بنى اسرائيل ثم قال لهم ان الله أمركم أن تعلقوا فى أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما أمرهم به واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل

قال عبد الواحد فكنت يومى الى أن جن الليل فما أفقت الا وقد أقبل ومعه سفرة عليها من كل الطعام فقال لى ياسيدى كل ولا تعطلنلها فاكلنا فلما فرغنا قال ياسيدى الكبير هات أجرة سيدى الصغير واذا بدرهمين سقطا فى حجره فاعطانيهما ثم قام فصلى الى الفجر ثم أخذ بيدى وخطا بى خطوات يسيرة فاذا بى على باب دارى فقال ياسيدى أنت نويت عتقى فقلت نعم أنت حر لوجه الله تعالى قال وكان خلف باب الدار حجر عظيم كنا نغلق به الباب فقال ياسيدى خذ هذا ثمنى وأنت ماجور ان شاء الله تعالى واذا بالحجر صار ذهبا فدهشت من ذلك وأسرعت نحو أصحابى لاقص عليهم ما رأيت فطرق الغلام الباب فخرجت اليه ابنتى الصغيرة وقالت ياعبد السوء أين والدى أنت قتلته من أجل نبشك القبور ثم لطمته على عينه لطمة ففقأتها فلما رجعت الى المنزل وجدت الغلام على تلك الحالة فعلمت ان ذلك فعل ابنتى الصغيرة فقطعت يدها ثم أخذت فى الاعتذار اليه

هذه الا الأرباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان أيضا هذا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى بني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي رياسة المذبح و بيت القربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك فأتى موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما ولا صبر لي على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا في هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضراء فهو أحق بالحبارة فجمعوا العصي وجاؤا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هرون قد اهتزت ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا من فعلي فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله أنزل الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم أتى قارون موسى فصالحه عن كل ألف دينار دينارا واحدا وعن كل ألف درهم درهما واحدا وعن كل ألف شاة شاة واحدة وعن كل شيء شيء ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم يا قوم ان موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيؤا بفلانة البغي فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها أنا أمونك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم خطيبا ووعظهم وقال فيما قال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لموسى و بني اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذي رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يد قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكي ويقول يا رب ان عدوك هذا قد آذاني وأراد فضيحتي وشيني اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه فأوحى الله تعالى اليه أن ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعك فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله تعالى قد بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الى كعابهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم

فأخذ الغلام عينه بيده ووضعها مكانها ورمق بها الى السماء فاذا هي أحسن ما كانت ثم أخذ بيدا بني وتفل عليها فاذا هي كما كانت فلما رأيت ذلك منه قلت هذا نباش النور لا نباش القبور ثم ذهب الغلام عن يني فحزنت على فراقه ولم أدر أين ذهب رضي الله تعالى عنه

﴿ وحكى عنه رضي الله تعالى عنه ﴾ أنه قال ركبت في مركب سنة من السنين ومعي جماعة من التجار فثارت علينا ريح شديدة حتى طرحتنا الى جزيرة من جزائر البحر فاذا رجل فيها يعبد صنما فلما رأيناه قلنا له يا رجل ماذا تعبد فاومأ الى الصنم فقلت له ان الهك هذا مصنوع وما هو باله يعبد فقال الرجل وما تعبدون أنتم قلنا نعبد الها في السماء عرشه وفي الارض بطشه وفي الاحياء والاموات قضاؤه وقدرته تقدست أسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه فقال ومن أعلمكم بهذا قلنا وجه الينا رسولا كريما أخبرنا بذلك فقال وما فعل بالرسول قلنا لما أدى الرسالة قبضه الملك اليه واختار له ما لديه قال وهل ترك الرسول عندكم

الى ركبهم ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى جنوبهم ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى أحقابهم ثم قال ياأرض خذيهم فاخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه فى كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روى فى بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى فى جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال ياأرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى ياموسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتى وجلالى لو اياى دعوا لوجدونى قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا أن الله تعالى يخسف بهم فى كل يوم قامة وأنه يجلجلهم فيها لا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبدالله بن حمدون بقراءتى عليه قال أحمد بن محمد بن الحسين أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ابن راشد عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر فى برديه وينظر فى عطفيه وقد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنوا سرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الارض وأوحى الله تعالى اليه أنى لا أعيد الارض لأحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين أى لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس وماله وحاله كما قال الله وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض الآيات

(باب فى قصة موسى حين لقى الخضر وما جرى بينهما من العجائب الى أن بلغ من أمرهما ما بلغ)

قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء فى السبب الذى قصد موسى لأجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم ياابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى عليه السلام الذى طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثنى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبى بنى اسرائيل سأل ربه فقال يارب ان كان فى عبادك أحد هو أعلم منى فدلنى عليه فقال الله عز وجل نعم فى عبادى من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له فى لقائه وروى هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يارب أى عبادك أحب اليك فقال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى قال فهل فى الارض أحد أعلم منى قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت وجعل الحوت علما له ودليلا وقال اذا حيى هذا الحوت فان

من علامة الملك قلنا نعم ترك عندنا كتابا يسمى قرآنا فقال ائتونى بكتاب الملك فانه ينبغى أن تكون كتب الملوك حسانا قال فاتيناه بالمصحف الشريف فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكى حتى ختمنا السورة ثم قال ينبغى لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى ثم أسلم وحسن اسلامه فعلمناه شرائع الاسلام وسورة من القرآن فلما كان بعض الليالى صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال ياقوم هذا الاله الذى دللتمونى عليه اذا جن عليه الليل ينام كما تنامون فقلنا لا ياعبدالله هو حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فقال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام قال فأعجبنا كلامه فلما أصبحنا قلت لأصحابى هذا قريب عهد بالاسلام فاجمعوا له دراهم ينفقها فجمعنا له ذلك فلما رآها قال ما هذا قلنا دراهم تنفقها قال لا اله الا الله دللتمونى على طريق اسلكها ولم تسلكوها انى كنت أعبد صنما من دونه ولم يضيعنى وأنا لا أعرفه فكيف يضيعنى الآن وأنا أعرفه فتعجبنا من كلامه قال عبد الواحد فلما كان بعد ثلاثة

صاحبك هناك وكان قد تزود سمكا مملحا وروى عطية العوفى عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه
على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله
من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم فى الارض قال وكلم الله
نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض
وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من
بنى اسرائيل قد عرفنا الذى تقول فهل على وجه الارض أحد أعلم منك يا نبى الله قال لا قال فعتب الله
عليه حيث لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له يا موسى ما يدريك أين أضع علمى
بل ان لى عبدا بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه أن يريه اياه فأوحى الله اليه أن ائت البحر
فانك تجد على شاطئ البحر حوتا فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فاذا نسيت الحوت وهلك
منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام
ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعنى ابن عمران لفتاه أى لصاحبه يوشع بن نون ابن
افرائيم بن يوسف عليه السلام لا أبرح أى لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين يعنى بحر فارس والروم مما
يلى المشرق قال قتادة وقال أبى بن كعب هو افريقية وقال محمد بن كعب طنجة أو أمضى حقبا دهرا
وزمانا طويلا فذهبا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين
ليلا قال معقل بن زياد وهى الصخرة التى دون نهر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب
ذلك الماء شيأ الا عاد حيا فلما أصاب السمك روح الماء وبرده اضطربت فى المكتل وعاشت ودخلت
البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعنى موسى وفتاه مجمع بينهما يعنى البحرين نسيا حوتهما وانما
كان الحوت مع يوشع وهو الذى نسيه يدل عليه قوله تعالى انى نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان
اليهما والمراد به أحدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من المالح دون العذب
فاتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا أى مذهبا ومسلكا واختلفوا فى كيفية ذلك فروى أبى بن كعب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة فلم يلتئم فدخل موسى
الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس رأى أثر جناحيه فى الطين حين
وقع فى الماء وجعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن أبى
ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب
الحوت فى المكتل فخرج منه وسقط فى البحر هاربا فاتخذ سبيله فى البحر سربا فامسك الله تعالى عن
الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسى صاحبه أن يخبره بالحوت
فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد
الله الى الحوت روحه فسرب حتى أفضى الى البحر ثم سلكه فجعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا
طريقا يبسا وقال الكلبى توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك
الماء وهو فى المكتل فعاش ووثب فى الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيأ من الماء
وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار الاول سفر الهرب وهو قوله
تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثانى سفر الطور وهو قوله تعالى فلما أتاها نودى أن بورك
من فى النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن الآية والثالث سفر
الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى والرابع سفر
الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قول قومه فاذهب أنت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب

أيام قيل لى انه فى
سكرات قال فأتيت اليه
وقلت له هل من حاجة فقال
نعم فقضيت حوائجه وقعدت
عند رأسه فغلبنى النوم
فنمت فرأيت روضة
خضراء وفيها قبة عظيمة
وفى القبة سرير وعلى ذلك
السرير جارية حسناء لم
أر أحسن منها وهى تقول
بالله الا ما عجلتم به فقد اشتد
شوقى اليه فاستيقظت من
منامى فوجدت الرجل قد
فارق الدنيا رحمة الله تعالى
عليه فغسلته وكفنته وصلينا
عليه ودفناه فلما نمت رأيته
فى المنام فى تلك القبة على
السرير والجارية بجانبه
وهما يقرآن هذه الآية
لمثل هذا فليعمل العاملون
رضى الله تعالى عنهم أجمعين
ونفعنا بهم آمين (وحكى
عن ذى النون المصرى
رضى الله تعالى عنه) أنه
قال بينما أنا أسير فى نواحى
الشام اذ وقعت على روضة
خضراء وفيها شاب يصلى
تحت شجرة تفاح فتقدمت
اليه وسلمت عليه فلم يرد على
السلام فسلمت عليه ثانيا
فأوجز فى صلاته وكتب
باصبعه فى الارض هذا
الشعر
منع اللسان من الكلام لانه

وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت أي تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فانى نسيت أن أذكر أمر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أي شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جرى الحوت أخدود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحرين واذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أي نطلب فارتدا على آثارهما الذي جاآ منه قصصا أي يقصان الأثر فوجدا عبدا من عبادنا يعني الخضر عليه السلام

﴿ فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله ﴾

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتى عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقي قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق قال أنبأنا مكي بن عبدان قال أنبأنا أبو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء وأخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعى قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف الفريابي قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه أينما صلى اخضر حوله

﴿ فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام ﴾

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل معه اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال أصحاب الاخبار وكان أبو ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فالفه وكان يجلس عنده والمعلم يظن أنه في المنزل وأبوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشا وأخذ من العابد شيئا لله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فابى ثم عاوده فعرض عليه فرضي فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها انى مخبرك بامر ان أنت سمعتيه صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أفشيت سرى عذبك الله في الدنيا والآخرة قالت وما ذاك قال انى رجل مسلم لست على دين أبي وليست النساء من حاجتي فان رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك اليك وان أنت أبيت لحقت باهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لابيها ما نظن ابنك الا عاقرا لا يولد له ولد فساله أبوه فقال ما ذلك بيدى وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسالها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر فمكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه وأزوجك امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا فكره ذلك الخضر وألح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت أقيم معك فلبثا زمانا ثم ان أباه استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدي ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال

كهف البلاء وجالب الآفات
فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا
لاتنسه واحده في الحالات
قال ذو النون فبكيت بكاء شديدا ثم كتبت باصبعي في الارض
ومامن كاتب الاسيبلى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه
قال فصاح الشاب صيحة فمات رحمه الله تعالى فقمت لأغسله فاذا بقائل يقول خل عنه فان الله تعالى وعده أن لا يتولى أمره الا الملائكة قال ذو النون رضى الله تعالى عنه فملت الى شجرة فركعت عندها ركعات ثم أتيت الموضع الذى مات فيه الشاب فلم أجد له أثرا ولا وقفت له على خبر رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وببركته آمين

(ومن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه) أنه قال كنت ماشيا في أزقة البصرة يوما من الايام فرأيت جارية من جوارى الملوك راكبة ومعها خدم وغلمان فأتيت اليها وقلت أيتها الجارية أيبيعك مولاك فقالت الجارية ولو باعني مولاى كان مثلك يشتريني

لها أنت امرأة شابة ولود وقد كنت وأنت عنده غير ابي ولست تلدين عند ابني فقالت ما مسني منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وعيره وعنفه ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل فأرسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فانطلقوا في طلبه فادركه منهم عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم اني أقول لكم شيئا واحدا فاكتموه عني فان كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أبيتم ذلك وأفشيتم سري عذبكم الله في الدنيا وفي الآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبي في طلبي أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا فاكتموا أمري ولا تخبروا أبي أنكم رأيتموني وقولوا مثل قول نظرائكم الذين أرسلهم في طلبي فلم يروني لانكم لو أخبرتموه بي أو ذهبتم بي اليه قتلني وصرتم أنتم مؤاخذين بدمي قال فخلوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا عنه وقال العاشر ما لنا به علم وما لي به خبر والتسعة قالوا بلى قد ظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا في طلبه وأتوني به وان الخضر خاف أن يظفروا به فقاتل من ذلك الموضع الى موضع آخر فأتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقتلهم أبوه قال وان أباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها أنت صنعت هذا بابني حتى هرب فقتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذي أنكر رؤية الخضر ما يؤمنني أن يقتلني كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا في تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنت فأخبرته خبرها فقال يا هذه أنا العاشر خرجت خوف القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاتخذا بيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا أنا مت فادفنيني في هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فاني لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصي أن يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم انهم يوحدون الله ويعبدونه فجيء بالمرأة الى حضرته فأمرها أن ترجع عن دينها فأبت فأمر بقدر من نحاس فملئت ماء وأغلى غليا ما شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما أحضروا قال لها ارجعي عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك في هذا القدر فأبت عليه فأمر بولدها الاكبر فألقي فيه فتفسخ فيه وكذلك الثاني وكان في حجرها ابن رضيع فارادوا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم في شأنه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبري فانا جميعا في الجنة فلما أرادوا أن يلقوها في القدر قالت لهم لي اليكم حاجة يسيرة قالوا وما هي قالت اذا رميتموني في القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا في بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال ما هذه يا جبريل فأخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم ويروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر في تجارتهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فأفلت منهم رجلان على لوح من ألواحها فضربتهم الامواج حتى أسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا يجولان في الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلي فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من أنتما فقالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما أن تقيما في هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتأتيكما أرزاقكما وان شئتما أردكما الى منازلكما قالا بل تردنا الى منازلنا فقال لهما على أن تعطياني عهد الله وميثاقه على انكما لا تخبران بشيء مما تريانه فاعطياه العهد

قلت نعم وخير أمنك قال فضحكت وأمرت بي أن أحمل معها الى بيت مولاها فحملت معها فلما دخلت الى مولاها أخبرته بذلك فضحك وأمر أن أدخل اليه فدخلت اليه وسلمت عليه فلما رآني قال ما حاجتك قلت بعني جاريتك فقال مولاها أتطيق أداء ثمنها فقلت نعم قيمتها عندي نواتان مسوستان قال فضحك وقال كيف يكون ثمنها عندك هذا القدر فقلت لكثرة عيوبها فقال وما عيوبها فقلت ان لم تتعطر ذفرت وان لم تستك بخرت وان لم تمتشط وتدهن قملت وان عمرت هرمت ذات حيض وبول وأقذار وحزن وغم وأكدار ولعلها لا تودك الا لنفسها ولا تحبك الا لتنعمها لا تفي بعهدك ولا تصدق في ودك ولا تخلف عليها أحد ابعدك الا رأته مثلك وأنا أجد بدون ما سألت من الثمن في جاريتك هذه جارية خلقت من سلاسل الكافور ومن المسك والعنبر والنور لو مزج بريقها أجاج لطاب ولو دعي بكلامها ميت لأجاب ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت وكسفت ولو بدا جبينها في الظلمات لأنارت

• للمشرق

والميثاق على الكتمان فنظر فاذا سحائب تمر فحطهن وسألهن فقالت كل واحدة منهن أريد بلد كذا وكذا فدعا التي تريد بلادهما فقال لها احملي هذين حتى تضعيهما على سطوحيهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومشت حتى وضعتهما على سطوحيهما فعزم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فأدخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابنك في موضع كذا وكذا وصنع بي كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك قال فلان كان رفيقي فبعث اليه وسأله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم تزل الأمواج تضرب بنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا أرض وتضعنا أخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معي رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم أن هذا قد كذب فأمر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيأ فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا أكذب خلق الله ما رأينا مما قال شيأ فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصي حتى غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثني الله تعالى اليهم فادخلت جناحي تحتها واقتلعتها فرفعتها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتها فجاءت تهوى بمن فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقي بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فخلا يدوران في حدود المدينة فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما أن كثر ذلك قال الرجل أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم يفلت غيري وغيرك فبأي شئ نجوت فاخبريني وأنا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة وانما نجاهما الكتمان فقال لها هل لك أن تزوجيني نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدن فاكتسب عليك وتكتسبين علي حتى يقضي الله من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذا لهما بيتا وولد لهما أولاد وتعلقت المرأة لآل فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها أمن الله قالت نعم قالت لها وان لك الها غير أبي فقالت نعم هو ربي ورب أبيك ورب كل شئ فهبطت الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم ان فلانة تقول قولا عجيبا تقول كذا وكذا فأرسل اليها فحضرت فقال لها ما هذا الذي بلغني عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم بعلي وصبيتي فبعث اليهم وامتحنهم فاذاهم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لا نقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فأمر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا الكفر فأبوا أن يكفروا فأخذهم وطرحهم في القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فالقاه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان أنت رجعت الى ديننا والا ألقيناك في القدر فقالت له اصنع ما أنت صانع ثم انها قالت له لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فى بيتنا أن يحفر فيه حفرة ثم تأمر بالقدر فتحمل بما فيها ثم يأتون بها منزلنا فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة رائحة المسك تسطع من بيتهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدء أمره وكان في زمن أفريدون الملك ابن القباء على قول عامة أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين

وأشرقت ولو واجهت الآفاق بعليها وحللها لتعطرت وتزخرفت نشأت بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان وقصرت في خيام النعيم وغذيت بماء التسنيم لا تخلف عهدها ولا تبدل ودها فانها حينئذ أحق برفع الثمن من جاريتك هذه فقال الملك يا أخي فاين التي وصفت قلت الموجودة الثمن القريبة المطلب في كل زمن فقال ما قيمتها يرحمك الله قلت اليسير المبذول لنيل الخطير المأمول وهو أن تتفرغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتين تخلصهما لربك وأن تضع طعامك فتؤثر جائعك وأن ترفع عن الطريق حجرا وقذرا وان تقطع أيامك بقلة البلغة وأن ترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش في الدنيا بعز القناعة وتأتي الى الموقف آمنا غدا وتنزل في الجنة دار النعيم في جوار المولى الكريم مخلدا فقال الملك يا جارية أسمعت ما قال شيخنا هذا فقالت نعم قال أصدق أم كذب فقالت بل صدق ونصح فقال مولاها فانت حرة لوجه الله تعالى وضيعة

الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى ببئر السبع وهي بئر كان احتفرها ابراهيم عليه السلام لماشيته في صحراء الاردن وان قوما من أهل الاردن ادعوا الارض التي احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فحاكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذي القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو في الحياة الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو أفريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل (وروى) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو أرميا بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي بعثه الله نبيا في أيام ناشئة بن اموص ملك بني اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق وأولى بالعدل والصدق لان ناشئة بن أموص كان في عصر كرفشت بن كرارشت في أيام بختنصر و بين افريدون وكرفشت من الدهور والازمان مالا يجهله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم * وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبيّ بن كعب ان صاحب موسى بن عمران الذي أمر بطلبه و بالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران انما بعث في عصر منوشهر الملك وكان منوشهر الملك ملك بعد جده افريدون فدل هذا على خطأ من قال انه أرميا بن خلقيا لان أرميا كان في أيام بختنصر و بين عهد موسى و بختنصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم اللهم الا أن يكون الامر كما قال من قال انه كان على مقدمة ذي القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فخلد ولم يبعث في أيام ابراهيم ومن بعده الى أيام ناشئة بن أموص فبعث حينئذ نبيا والله أعلم والصحيح انه نبي معمر محجوب عن الابصار (وروى) محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان في كل عام في الموسم وأخبرني محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن يعقوب قال أخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطي أخبرنا علي ابن المنذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض مادام القرآن فيها فاذا رفع القرآن ماتا وأخبرني أبو عمرو العمراني أخبرنا أبو أحمد بن محمد علي الرازي أخبرنا ابراهيم بن اسحق الانماطي أخبرنا أبو همام الوليد بن شجاع السلمي أخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمي عن ابن ثوبان عن بعض أهل العلم عن أنس بن مالك قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجيء من شعب فقال يا أنس انطلق فابصر ماهذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلي و يقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمته بذلك فقال لي انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام و يقول لك من أنت فأتيته فأعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له أخوك الخضر يقول لك ادع الله أن يجعلني من أمتك المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها (رجعنا الى حديث موسى وفتاه) قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم قال ياموسى لقد كان في بني اسرائيل شغل قال موسى ان ربي أرسلني اليك لاتبعك وأتعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر ياموسى خطر ببالك أنك أعلم

كذا وكذا اصدقه فعليك وأنتم أيها الجواري والخدم أحرار لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة لكم وهذه الدار وما فيها صدقة وجميع مالي في سبيل الله ثم مد يده الى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه من الحرير والديباج فلما رأت الجارية ما فعل مولاها قالت لا عيش لي بعدك يامولاي ثم رمت كسوتها ولبست مثل مولاها وخرجت معه فودعهما مالك ودعا لهما وأخذ طريقه فتعبدا حتى جاء الموت ولقيهما على حال العبادة عفا الله عنهما ونفعنا الله بهما آمين (وحكي عن جعفر بن سليمان رضي الله تعالى عنه) انه قال مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة فبينما نحن ندور بها اذ مررنا بقصر واذا بشاب جالس ما رأيت أحسن منه وجها وهو يأمر ببناء القصر ويقول افعلوا كذا واصنعوا كذا فقال مالك أما ترى ياجعفر الى هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على بناء هذا القصر ما أشوقني الى أن أسأل ربي أن يخلصه فيجعله من شباب الجنة ثم قال ياجعفر ادخل

أهل الارض ما علمك وعلمي وعلم جميع الاولين والآخرين في جنب علم الله تعالى إلا أقل من الماء الذي حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وحكمة وعلمناه من لدنا علما (وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا لاني أعلم علم الباطن علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا يعني على مالم تعلمه قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ علمته مما تنكر حتى أحدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال أصحاب السفينة هؤلاء لصوص وأمروهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ماهؤلاء بلصوص ولكني أرى وجوههم وجوه الانبياء وقال أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا يمشيان على ساحل البحر اذ مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما دخلوا في البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسا فخرق لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسى بثوبه وقال له أخرقتها لتغرق أهلها وقد حملونا وأحسنوا الينا فخرقت سفينتهم ماهكذا جزاؤهم منا لقد جئت شيئا إمرا أي عجبا منكرا قال الخضر ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يعني لا تكلفني ولا تضيق على أمري (قال ابن عباس) لما خرق الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال في نفسه ما كنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني اسرائيل أتلو عليهم كتاب الله غدوة وعشية وآمرهم فيطيعوني فقال له الخضر ياموسى أتريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت فانطلقا يمشيان حتى أتيا أيلة فاذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو أظرفهم وأضوؤهم وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد فتأذى منه أبواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا أصبح لجأ الى أبويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه حسنود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحمة قال فاخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية أخرى أدخل أصبعه في سرة لصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى أقتلت نفسا زاكية يعني طاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا * ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله ابن حامد أخبرنا أحمد بن عبيد الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سابان أخبرنا يحيي أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراق (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا بدعا له بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني

بنا اليه قال فدخلنا اليه وسلمنا عليه فرد علينا السلام وكان لم يعرف مالك ابن دينار فلما عرفه قام اليه وقال هل من حاجة يامولاي فقال مالك كم نويت أن تنفق على هذا القصر قال مائة ألف درهم فقال مالك ألا تعطيني هذا المال فاصرفه لمستحقه وأضمن لك على الله تعالى قصرا خيرا لك من قصرك هذا بولدانه وخدمه مكللا بالدر والياقوت مرصعا بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لا يخرب ولا تمسه يدان ولا يبنيه بان قال له الجليل كن فكان فقال له الشاب ياسيدي فامهلني الليلة الى غد فقال نعم قال جعفر فبات مالك متفكرا في الشاب فلما كان وقت السحر دعا الله تعالى فأكثر من دعائه فلما أصبحنا غدونا اليه فاذا بالشاب جالس فلما عاين مالك بن دينار قال ماتقول بالامس فقال تفعل قال نعم فاحضر المال لوقته وأحضر دواة وقرطاسا فكتب مالك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماضمنه مالك بن دينار لفلان بن فلان اني ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته كما وصف والزيادة

قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا يمشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي
انطاكية وقال محمد بن سيرين وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها
ناصرة واليها ينسب النصارى قالوا فوافياها قبل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فأبوا
أن يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآيات شر القرى لا تضيف الضيف
ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة
باردة فالتجئوا الى حائط على شارع الطريق يريد أن ينقض أي يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يمر به
أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي بعض الاخبار ان
سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع
وعرضه خمسون ذراعا فأقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبير مسح
الجدار وسواه بيده ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا ليكون لنا قوتا وبلغة
على سفرنا اذا استضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع
عليه صبرا ثم أخذ يفسر له فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر الآية قال كعب وغيره
كانت لعشرة أخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها من أبيهم خمسة منهم يعملون في السفينة في
البحر وخمسة لا يطيقون العمل فأما العمال منهم فأحدهم كان مجذوما والثاني أعور والثالث أعرج
والرابع آدر والخامس محموم لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل
أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم
(وروى) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله أما السفينة فكانت لمساكين كانوا مساكين
والسفينة تساوي ألف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه ألف دينار ولهذا قيل ان المسافر
وماله على قلة الا ما وقى الله تعالى فأردت أن أعيبها قطعا لطمع الطامعين فيها ودفعا لشرهم وكان وراءهم
ملك يأخذ كل سفينة غصبا وراءهم أي أمامهم قال الله تعالى من ورائهم جهنم ومن ورائهم برزخ الى
يوم يبعثون أي أمامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره
فأعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرؤها ابن عباس
فخرقتها وعبتها كيلا يتعرض لها ذلك الملك واختلفوا في اسم ذلك الملك فقال أكثر العلماء اسمه
جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان اسمه منواه بن جلندى الازدي وقال شعيب الجبائي كان
اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا في كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا
الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أي فعلمنا أن يرهقهما
يغشاهما طغيانا وكفرا فيهلكهما وقيل خشي أن يدرك فيدعو أبويه الى الكفر فيجيباه ويدخلا
معه في دينه لفرط محبتهما له وقيل خشي على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتغافل أبواه فيدخلان
النار فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما (قال ابن عباس) يعني واصلا
للرحم وبرا بوالديه فأبدلهما الله جارية مؤمنة أدركت يونس بن متى وتزوجها نبي من الانبياء فولدت
له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم (وأخبرنا) عبد الله بن حامد قال أخبرنا حامد بن أحمد قال أخبرنا
أبو محمد عبد الله بن يحيى بن الحرث أخبرنا عبد الوهاب بن فليح أخبرنا ميمون بن عبد الله القداح
عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه في هذه الآية قال أبدلهما جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن
جريج أبدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة في هذه الآية قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا
عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه

على الله تعالى أو اشتريت
لك بهذا المال قصرا في
الجنة أفسح من قصرك
في ظل ظليل بقرب العزيز
الجليل ثم طوى الكتاب
ودفعه الى الشاب وحملنا
المال من عنده فأمسى
مالك حتى لم يبق معه
مقدار قوت يوم واحد وما
أتى على الشاب أربعون
يوما حتى وجد مالك كتابا
موضوعا في محرابه عند
ما فرغ من صلاة الغداة
فأخذه مالك فاذا في ظهره
مكتوب بلا مداد هذه براءة
من الله العزيز الحكيم
لمالك بن دينار قد وفينا
الشاب القصر الذي ضمنته
له وزيادة على ذلك بسبعين
ضعفا قال فتعجبت من
ذلك وذهبت أنا وجعفر
الى منزل الشاب فاذا الباب
مسدود والبكاء في الدار
فقلت ما فعل بالشاب فقيل
مات بالامس فأحضرنا
الغاسل وقلنا أنت غسلته
فقال نعم فقال مالك حدثنا
كيف صنعت فقال الغاسل
ياسيدي انه أحضرني قبل
موته وقال اذا غسلتني
وكفنتني اجعل هذا
الكتاب بين كفني وبدني
ففعلت ذلك ودفنته معه
قال فأخرج مالك الكتاب
فقرأه الغاسل وقال له

فيا عجبه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة واسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنز لهما واختلفوا فى ذلك الكنز ما هو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الحشادى المزكى أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن فيلوس الطرائفى أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان بن صالح الدمشقى أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعانى عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالحا تقيا أمينا فحفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الاب الذى حفظا به سبعة آباء (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدى أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التى هو فيها والدويرات التى حوله فما يزالون فى حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب أنه كان اذا رأى ابنه قال يابنى لأزيدن فى صلاتى من أجلك لعلى أحفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لى أخت أسن منى فاختلطت وذهب عقلها فتوحشت وكانت فى غرفة فى أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذ أنا بباب بيتى يدق نصف الليل فقلت من هذا فقالت بجة فقلت أختى قالت أختك فقلت لبيك فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها فى البيت أكثر من عشر بن سنة فقلت يا أختى خيرا فقالت خيرا يا أخى بت الليلة فأتانى آت فى منامى فقال لى السلام عليك يا بجة فقلت وعليك السلام فقال لى ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى لحب أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختيارى أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع الفضل لخلقه لا يتعاظمه شئ فى حكمه ولو شاء لجمعهما لى قالت فقيل لى قد جمعهما الله لك ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر فانزلى فان الله أذهب ما كان بك (ويحكى) عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظنى منه لصلاح آبائى فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار وما فعلته عن أمرى وانما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاتب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسبا مجانا قال له يا موسى أتلومنى على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير فى اليم ضعيف فحفظك الله وتلومنى على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطى بغير أمر وتلومنى على ترك أخذ الاجرة فى اقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا لاجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا فى التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم فى التيه (ويروى) عن على بن أبى طالب وغيره ان موسى لما أراد فراق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال لموسى

يا سيدى والله انه هذا الكتاب بعينه قال فكثر البكاء والنحيب ثم قام شاب آخر وقال يا مالك خذ منى مائتى ألف درهم واضمن لى مثل ما ضمنت للشاب المتوفى فقال مالك هيهات كان ما كان وفات ما فات والله يحكم ما يريد فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى وقال هنيأ له ودعا له بالرحمة رحمنا الله بهم أجمعين (وحكى عن محمد بن السماك رضى الله عنه) أنه قال كان محمد بن سليمان ابن موسى الهاشمى من أنعم بنى أمية عيشا وأكرمهم بالاعطاء نفسا وكان منهمكا فى شهوات نفسه من أصناف اللذات فى المأكل والمشرب والملبس والطيب والجوارى والغلمان ليس له فكرة ولا همة الا فى الذى هو فيه من ذلك وكان شابا جميلا وجهه كاستدارة القمر وكانت نعمة الله سابغة عليه فكان يستغل كل حول نحو ثلثمائة ألف وثلاثة آلاف دينار ذهبا يصرف كل ذلك فيما هو فيه من عيشه ولذته وكان له مستشرف عال يقعد فيه يشرف على الناس وله أبواب مشرعة الى بساتينه وقد ضرب

أوصنى فقال له الخضر لاتكن مشاء فى غير حاجة وإياك واللجاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) أبو أمامه الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يارسول الله قال بينما الخضر يمشى فى سوق من أسواق بنى اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون مامعى من شئ أعطيكه فقال له الرجل تصدق على بارك الله عليك فانى أرى الخير فى وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون مامعى شئ أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت على فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضى الله من أمر سيكون مامعى شئ أعطيكه الا أن تأخذ بيدى وتدخلنى فى السوق فتبيعنى قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتنى بعظيم سألتنى بوجه ربى وقد أجبتك فخذ بيدى وأدخلنى السوق فبعنى فأخذ بيد الخضر فادخله السوق فباعه بأربعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله فى شئ فقال له الخضر استعملنى فقال له انك شيخ كبير وأكره ان أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا ستة نفر فى يوم تام فقام ونقلها فى ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر انى أراك أمينا صالحا ناصحا فاخلفنى فى أهلى قال نعم ان شاء الله تعالى فاستعملنى فى شئ قال أكره ان أشق عليك قال لا يشق ذلك على فقال اضرب لى لبنا أريده لقصر لى ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذ هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذى كنت اشتريتنى فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرنى من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذى أوقعنى فى العبودية اما أنا فسأخبرك أنا الخضر سألنى سائل بوجه ربى ان أعطيه ولم يكن معى شئ أعطيه فامكنته من نفسى حتى باعنى وبلغنى ان من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدى ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بأبى أنت وأمى شققت عليك ولم أعرفك فاحكم على فى مالى وأهلى وان أحببت ان أخلى سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلى سبيلى أعبد ربى وكان الرجل كافرا فاسلم على يديه وأعطاه أربعمائة دينار وخلى سبيله فاوحى الله اليه قد نجيتك من الرق وأسلم الكافر على يديك وأعطاك مكان كل درهم دينارا لتعلم أن لا يخسر أحد فى معاملتى فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله أعلم

﴿ باب فى ذكر قصة عاميل قتيل بنى اسرائيل وقصة البقرة ﴾

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل فى بنى اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا فى قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدى كان فى بنى اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له ما لها فى بنى اسرائيل مثل فى الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية الى قرية أخرى فالقاه هناك وقال عكرمة كان لبنى اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختصم أهلهما وجاء أولياؤه الى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه أمر

قبة من عاج مطلية بالفضة والذهب وهو على سريره عليه غلالة من قصب وعلى رأسه عمامة مكللة باللآلئ ومعه فى تلك القبة ندماؤه وجلساؤه وقد أوقف على رأسه الخدم والغلمان فى مجلس خارج القبة بحيث يراهم فاذا اشتهى سماع القيان نظر نحو الستارة واذا أراد سكوتهم أومأ بيده نحو الستارة فهذا كان دأبه الى أن يذهب الليل فتخرج الندماء ويخلو مع من شاء فاذا أصبح اشتغل بالنظر الى اللاعبين بالشطرنج وغيره لا يذكر بين يديه موت ولا سقم ولا مرض ولا حزن ولا غم ولا هم الا ذكر الفرح والسرور والنوادر المضحكة وينثر كل يوم من أنواع الطيب والشمامات وما يكون فى أوانه حتى مضت له سبعة وعشرون سنة فبينما هو ذات ليلة من الليالى فى قبته وقد مضى نصف الليل اذ سمع نغمة من صوت شجى بخلاف ما يسمع من مطرباته فأخذت بقلبه وصار وطنا عما كان فيه فأومأ الى جلسائه ان أمسكوا ثم أخرج رأسه من بعض طاقات القصر الى جهة

القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم أمر ذلك القتيل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا جئناك لنسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين في الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال لهم موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم أن ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد لزمهم سألوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ولو أنهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على أنفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره أن رجلا في بني اسرائيل كان بارا بأبيه وبلغ من بره أن رجلا أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل وربح فقال البائع أعطني ثمن اللؤلؤة فقال ان أبي نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمهلني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك وأعطني المال فقال ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وأنظرني حتى ينتبه أبي فقال الرجل أنا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أباك وعجلت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فقعد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له أحسنت يا بني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لأجل البر (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل الكتب) كان في بني اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطي والدته ثلثه قالت له أمه يوما يا بني ان أباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها باله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يتخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت اسمها المذهبة لحسن خلقها وصفاء لونها وصفرتها فأتى الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تردي علي فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك أهون لك فقال ان أمي لم تأمرني بذلك وانما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة واله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله ابليس في صورة راع فقال له أيها الفتى اني راع من رعاة البقر اشتقت الى أهلي فأخذت ثورا من ثيراني وحملت عليه زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لأقضي حاجتي فعدا وسط الجبل وما قدرت عليه واني لاخشى على نفسي الهلكة فان رأيت أن تحملني على بقرتك هذه وتنجيني من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملني عليها وأعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى ان أمي لم تأمرني بهذا فبينما الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدي البقرة فنفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعاها الفتى وقال بسم اله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته

الخلاء يسمع الذي وقع بقلبه فاذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه فصاح بغلمانه أن اطلبوا صاحب هذه النغمة وكان يومئذ قد عمل فيه الشراب فخرج الغلمان يطوفون فاذا هم بشاب نحيف الجسم مصفر اللون قد لصق بطنه بظهره وعليه طمران لا يتوارى بغيرهما حافي القدمين ذابل الشفتين قائم في المسجد يناجي ربه عز وجل قال فأخرجوه من المسجد وانطلقوا به حتى أوقفوه بين يديه فنظر اليه وقال من هذا فقالوا صاحب النغمة التي سمعتها فقال أين أصبتموه قالوا في المسجد قائما يصلي ويقرأ فقال أيها الشاب ما كنت تقرأ قال كلام الله تعالى قال فاسمعني تلك النغمة فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ثم قال أيها المغرور انها خلاف مجالسك و[illegible] تشرفك انها

ألم تر الى الطائر الذى طار فانه ابليس عدو الله اختلسنى أما انه لو ركبنى لماقدرت على أبدا فلما دعوت باله ابراهيم جاء فى ملك انتزعنى من يد ابليس وردنى اليك لبرك بأمك وطاعتك لها فجاء بها الفتى الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاى ومشورتى وكان ثمن البقرة فى ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاى فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق فأتى الملك فقال له استأمرت والدتك فقال الفتى نعم أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك انى اعطيك اثنى عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذى يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنى أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها أمسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل ولا تبيعيها الا بملء مسكها دنانير فامسكا البقرة وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى وما سنها قال موسى انه يعنى الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أى لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لأن العين تسر وتولع بالنظر الى الشئ الحسن وقال على بن أبى طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لأن الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى أسائبة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لولم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقى الحرث مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أى بالوصف الثابت التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بأمه فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا وقال السدى اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلاء ثمنها وقال القرطبى وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعنى عاميل وهذه الآية أول القصة فادارأتم فيها أى فاختلفتم فيها والله مخرج أى مظهر ما كنتم تكتمون أى تخفون فقلنا اضربوه يعنى القتيل ببعضها أى ببعض البقرة واختلفوا فى هذا البعض ماهو قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلة وقال سعيد ابن جبير بعجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب أساس البدن الذى ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى وقال مجاهد بذنبها وقال عكرمة والكلبى بفخذها الايمن وقال السدى بالبضعة التى بين كتفيها وقيل باذنها ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا

أرائك مفروشة بطائنها من استبرق على رفرف خضر وعبقرى حسان يشرف ولى الله تعالى منها على جنتين فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان لا مقطوعة ولا ممنوعة فى عيشة راضية فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة فى ظلال وعيون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار نار وأى نار ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى فى جهد جهيد وعذاب شديد ومقت من رب العالمين وماهم منها بمخرجين قال فقام الهاشمى من مجلسه وعانق الشاب

باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة ببني اسرائيل لينظر الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى أهله وان لم يعلموا تخيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة حولية ويذبحوها ببطن واد يسميه لهم ثم لتضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض اله بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل انا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برؤا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضي بالقسامة بينهم الى أن مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

﴿باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك﴾

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية (أنبأنا) محمد بن حمدويه باسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الله الى موسى أن يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيت قدس للتوراة والتابوت والسكينة وقبابا للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها وأن تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمد بها من أصواف تلك الذبائح وعهد اليه أن لا يغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعا ويجعل فيها اثني عشر قسما مسرجا فاذا انقضى وصار اثني عشر جزأ جعل على كل جزء بما فيه من العمد سبطا من أسباط بني اسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع في ستمائة ذراع وان ينصب فيه سبع قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعا وعليها أربعة دسوت من ثياب جلالات الباطن الاول سندس أخضر والثاني أرجوان أحمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار وحبالها التي تمدبها من صوف القربان وأن يجعل سعتها أربعين ذراعا وان ينصب في جوفها موائد من فضة مربعة يوضع عليها القربان سعة كل مائدة منها أربعة أذرع في أربعة أذرع كل مائدة منها على أربع قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة أذرع لا ينال الرجل منها الا قائما وأمره أن ينصب بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يضعه على سبيكة من ذهب أحمر طولها تسعون ذراعا مرصع بأنواع الجواهر وأن يجعل أسفله مشتبكا بقضبان الذهب والفضة وأن يجعل حبالها التي تمدها من أصواف القربان وأن يجعله مصبوغا بألوان من أحمر وأصفر وأخضر وان يلبسه سبعة من الجلال جلالة الباطن الاول منها سندس أخضر والثاني أرجوان أحمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من الحرير الاصفر وكذلك أثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشي والظاهر له غاشية من جلود القربان وقاية من الاذى والندى وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعا وأن يفرش القباب بالقز الاحمر وأمره أن ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصع بألوان الجواهر واليواقيت الاحمر والاشهب والزمرذ الاخضر وقوائمه من ذهب وأن يجعل سعته سبعة أذرع في أربعة أذرع وعلوه قامة موسى وأن يجعل له أربعة أبواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هرون وباب يدخل منه أولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وأمر الله نبيه موسى

وبكى على نفسه وقال لجلسائه انصرفوا عني وخرج الى صحن داره وقعد على حصير مع الشاب ينوح على شبابه ويندب نفسه هذا والشاب يعظه الى أن أصبح وقد عاهد الله تعالى ان لا يعود الى معصية أبدا فلما أصبح أظهر توبته وأمر بالفضة والذهب والجواهر وأنواع الملابس فباعها كلها وتصدق بها وقطع الاجور عن نفسه ورد الضياع المقتطعة وباع ضياعه وعبيده وجواريه وأعتق من اختار العتق وتصدق بجميع ماله كله ولبس الصوف الخشن وأكل الشعير بعد التنعم بأفخر المأكل والمشرب ولزم المسجد والعبادة فكان يحيي الليل ويصوم النهار حتى كان يزوره الصالحون والابرار ويقولون له ارفق بنفسك فان المولى كريم يشكر اليسير ويعفو عن الكثير فيقول يا قوم دعوني فان أعرف بنفسي ان جرمي عظيم عصيت مولاي بالليل والنهار ويبكي ويكثر البكاء ثم خرج حاجا على قدميه حافيا ما عليه غير خيشة وما معه غير ركوة وجراب حتى قدم مكة وقضى حجه فأقام بها الى أن

عليه السلام أن يأخذ من كل محتلم فيهما من بني اسرائيل مثقالا من ذهب فينفقه على هذا البيت وأن يجعل باقي ذلك المال الذي لا يحتاج اليه من الحلي والحلل التي ورثها الله بني اسرائيل وموسى وأصحابه من فرعون وقومه دفينا في أرض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة ألف وسبعة وخمسين رجلا فأخذ منهم ذلك المال وأوحى الله اليه اني منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيأ ولا تطفأ أبدا لتأكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التي في بيت المقدس وهي من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر وأمره أن يضع في وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام و ينقر فيها نقرة لتكون كانون لتلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له ان الله قد اصطفاني بنار تنزل من السماء تأكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصاني بها واني قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها فدعا هرون ابنيه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى موسى بأمر وأوصاه به وانه قد اصطفاني له وأوصاني به واني قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وكان أولاد هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فاحرقتهما وموسى وهرون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من أمر الله شيأ فأوحى الله تعالى الى موسى هكذا أفعل بمن عصاني ممن يعرفني فكيف أفعل بمن لا يعرفني من أعدائي وهذا آخر القصة والله أعلم

(باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الارض المقدسة ما هي فقال مجاهد هي الطور وما حوله وقال مقاتل هي ايليا و بيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والارض وقال عكرمة والسدي هي أريحاء وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين و بعض الاردن وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشام وأهله) قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشام قيل يا رسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم عن عبد الله بن حوالة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جندا بالشام وجندا بالعراق وجندا باليمن فقلت يا رسول الله اختر لي ان أدركني ذلك فقال أختار لك الشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبي صفوته من عباده يا أهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لي بالشام وأهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء في الشام وواحدا في العراق وقسم الله الشر عشرة أجزاء فجعل منه تسعة في العراق وواحدا بالشام ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله

توفي الى رحمة الله تعالى وكان يدخل الحجر بالليل ويبكي على نفسه و يقول يا سيدي ذهبت شهواتي و بقيت تبعاتي فالويل لي يوم ألقاك والويل ثم الويل لي من صحيفتي اذا نشرت مملوأة من فضائحي وخطاياي ثم أنشد يقول شعرا

عصيتك جاهلا يا ذا المعالي
ففرج ما ترى من سوء حالي
الى من يرجع المملوك الا
الى مولاه يا مولى الموالي
فانك أهل مغفرة وعفو
وتواب ومفضال النوال

(وحكي عن عبد الله بن مهران رضي الله تعالى عنه أنه قال) حج الرشيد هرون رحمه الله تعالى سنة من السنين فأتى الكوفة فاقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس يودعونه وخرج بهلول المجنون رضي الله تعالى عنه فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه و يولعون به حتى اذا أقبلت هوادج هرون الرشيد كف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن

لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدي أمركم أن تدخلوها

﴿ ذكر قصة بلعام بن باعوراء ﴾

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن عوراء بن باعر بن أيد بن مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهي مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافوراء وكانت قصة بلعام على ماذكره ابن عباس وابن اسحق والسدي والكلبي وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وأنه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني اسرائيل وانا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا وأشر علينا في هذا الرجل العدو الذي قد أرهقنا فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم واني ان فعلت ذلك ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فتأمر في الدعاء عليهم في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد آمرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أؤامر ثانيا فآمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لي شيأ فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل في المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به ويناشدونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقالوا لبعضهم اهدوا اليه فيقال انهم أهدوا اليه هدية فقبلها ويقال ان بلعام بن باعوراء لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها فقيرة وانه يصغي الى رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوأة ورقا فاهدوها لها فأقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى قالت له ارجع الى ربك فاسأله أن يأذن لك في مؤازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يجب اليه بشئ فقالت له انه قد خيرك في الدعاء عليهم فلو لم يأذن لك لنهاك قالوا فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له حسان وكانت مراكب العباد الاولين الاتن فما سار عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى أزلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أزلقها أذن الله تعالى لها في الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت عنه الملائكة ثم رفع رأسه فجاءه الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب أتانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى أشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعو عليهم بشئ من الشر الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه أتدري ما تصنع يا بلعام انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا أمر لا أملك منه شيأ قد غلبني الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسآمر لكم وأحتال جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى المعسكر يبعن فيه ويشترين وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم لو زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين

نأثل عن قدامة بن عبد الله العامري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي على جمل وتحته رحل رث فما طرد ولا ضرب وكان متواضعا في سفره فتواضع في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير امن تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون الرشيد حتى تساقطت دموعه على الارض ثم قال زدنا يا بهلول فانشد

فهب ذا أن ملكت الارض طرا
ودان لك العباد فكان ماذا
أليس ترى مقيلك جوف قبر
ويحثون التراب عليك هذا

قال فبكى هرون ثم قال أحسنت يا بهلول هل غيره فقال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فانفق من ماله وعف في جماله كتبه الله تعالى في ديوان الابرار فقال أحسنت يا بهلول مر مع الجائزة فقال اردد الجائزة على من أخذتها منه فلا حاجة لي بها فقال يا بهلول ان كان عليك دين قضيناه فقال يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين اردد الحق الى أهله واقض دين نفسك بنفسك قال يا بهلول اذكر الينا حاجة فنجري عليك

اسمها كبثا بنت صور يا برجل من عظماء بنى اسرائيل يقال له زمرى بن سالوم من سبط شمعون ابن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم فقام اليها وأخذ بيدها حين أعجبه حسنها وجمالها ثم وقف على موسى وقال انى سأظنك أن تقول هذه حرام عليك فقال أجل هى حرام عليك لا تقربها قال والله لا أطيعك فى هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فأرسل الله الطاعون على بنى اسرائيل فى الوقت وكان فنحاص ابن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع زمرى بن سالوم ماصنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما فى حربته ثم خرج بهما رافعهما بيديه الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بنى اسرائيل من الطاعون فيما بين أن أصاب زمرى المرأة الى أن قتله فنحاص فوجدوه قد أهلك الله منهم سبعين ألف نفس فى ساعة واحدة فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففى بلعام أنزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية (قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى والاقتلتك فقال انه من أهل دينى ولا أدعو عليهم فجىء بخشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت له لم تضربنى وأنا مأمورة فلا تظلمنى وهذه نار أمامى قد منعتنى أن أمشى فرجع فأخبر الملك فقال له لتدعون عليه والاصلبتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى و بنو اسرائيل فى التيه بدعائه فقال موسى يارب بأى ذنب وقعنا فى التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علىّ فاسمع دعائى عليه أن تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال آخرون) هو نبى من بنى اسرائيل يقال له بلعام أوتى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه (وقال) عبد الله بن عمرو وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية فى أمية بن أبى الصلت الثقفى كانت قصته أنه كان فى ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ماقتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد اذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه أوعى قال وعى قال أزكا قال أزكا قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بى ثم قطرت عينه ثم غشى عليه فلما أفاق قال

كل عيش وان تطاول دهرا ✽ صائر أمره الى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ماقد بدالى ✽ فى قلال الجبال أرعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم ✽ شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سألتك بالله أن تنشدى شعر أخيك فانشدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ✽ فلا شئ أعلى منك جدا وأمجد

ما يكفيك فرفع البهلول رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك و ينسانى فاسبل هرون السجاف ومضى فلما قضى حجه وأتى أوان الحج ثانيا خرج هرون الرشيد حاجا وحلف أن لا يحج الا ماشيا الى مكة ففرش له من جوف العراق الى الحجاز لبود من فراء فاستند يوما الى ميل وكان قد تعب من المشى فبينا هو كذلك اذا بسعدون المجنون قد عارضه فى الطريق وأنشد يقول

هب الدنيا تواتيكا
أليس الموت يأتيكا
فما تصنع بالدنيا
وظل الميل يكفيكا
ألا يا طالب الدنيا
دع الدنيا لشانيكا
كما أضحكك الدهر
كذلك الدهر يبكيكا

قال فشهق هرون الرشيد شهقة وأغشى عليه حتى فاتته ثلاث صلوات فلما أفاق طلب سعدون فلم يجده رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ونفعنا بهم و ببركاتهم آمين (وحكى عن نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام انه قال) بينما أنا جالس على سرير ملكى

مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة حتى أنشدته حتى أتت على آخرها ثم انها أنشدته قصيدته التي يقول فيها

عند ذي العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا
يوم نأتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ماقال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا
أسعيد سعادة أنا أرجو * أم مهان بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافاة ظني * أو تعاقب فلم تعاقب بريا
ان أؤاخذ بما اجترمت فاني * سوف ألقى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت في أبي عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماهذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك أدخلت فيها ماليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا في مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشام وأرسل الى المنافقين أعدوا القوة والسلاح وابنوا المسجدا فاني ذاهب الى قيصر وآتي بجند لنخرج محمدا وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني انتظار المجيئه فمات في الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت في البسوس وكان رجلا قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة واسمها والد فقالت له اجعل لي منها واحدة فقال لك منها دعوة فما تريدين قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيروننا بها فادع الله أن يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

﴿ باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثه اياهم الى أرض كنعان جواسيس لموله ﴾

قال الله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى ان يورثه وقومه الارض المقدسة وهي الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ووعده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بني اسرائيل فلما استقرت بني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى اريحاء من أرض الشام وهي الارض المقدسة فقال ياموسى اني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فاني ناصركم عليهم فخذ من قومك اثني عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمره عليهم وهذه أسماؤهم من سبط روبيل شموع بن ذكور ومن سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط جاد جابذ بن يوسف ومن سبط ريالون حدي بن سوري ومن سبط أشير شابور بن مليكيك ومن سبط يقالي حي بن وقسي ومن سبط دان حمل بن وكيل بن خمل ومن سبط لاوي خولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرائيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن

شاكر الله على ما أولاني من النعم اذ أوحى الي أن اخرج الى ساحل البحر الفلاني ترى عجبا من خلق الله تعالى قال سليمان عليه السلام فخرجت ومعي من الانس والجن والوحوش والطيور وما أشبه ذلك فلما وصلت الى الساحل نظرت يمينا وشمالا فلم أر شيأ فقلت لعفريت من الجن غص في هذا البحر واتني بما تجده فيه فغاص العفريت ورجع بعد ساعة قال يانبي الله غصت مسيرة كذا وكذا فلم أصل الى قاعه ولا نظرت فيه شيأ فقال سليمان عليه السلام لعفريت آخر غص في هذا البحر واتني بما تجده فغاص العفريت ورجع بعد ساعتين وقال مثل ما قاله الاول فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك فقال العفريت يانبي الله غصته مثل ماغاصه الاول مرتين فلم أجد شيأ فقال سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا وزيره امض في هذا البحر واتني بما فيه قال فغاص آصف في البحر ساعة وأتاه بقبة عظيمة من الكافور الابيض لها أربعة أبواب باب من الدر وباب من الياقوت

سبط ميشا بن موسى ومن سبط بنيامين ناظم بن زقون ثم انه سار ببني اسرائيل قاصداً أريحاء فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسون الاخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

﴿ فصل في ذكر جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله ﴾

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً بالذراع الاول وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله (ويروى) انه أتى نوحاً في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينتك فقال له اذهب يا عدو الله فاني لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فاقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه الا كعبه وهو مصروع في الارض فقتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجسره سنة قالوا وكانت أمه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت أول من بغى على وجه الارض وكان كل أصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين في كل أصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها جريبة من الارض ولما بغت بعث الله اليها أسوداً كالفيلة وذئاباً ونموراً كالابل ونسوراً كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها (قالوا) فلما لقيهم عوج يعني أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب أخذ الاثني عشر نقيباً وجعلهم في حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لأطحننهم برجلي فقالت له امرأته لا تفعل بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم في خشبة ويدخل في قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان أخبرتم بني اسرائيل خبر القوم فشلوا وارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا شأنهم وأخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بحبة من عنبهم وقشرة من قشور رمانهم وأخبروه بما رأوا ثم ان النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم وأخبروهم بما رأوا من حالهم الا رجلين منهم وفيا بما قالا وهما يوشع بن نون بن افرائيم فتى موسى وكالب بن يوفنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل منهم يقول لأصحابه تعالوا نجعل علينا رئيساً وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخباراً عنهم قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين الآية قال قتادة كان لهم أجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذي أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر هو الذي ينفعكم ويظفركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمره وهموا بالانصراف الى مصر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوفنا الى القوم وهما اللذان أخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة

وباب من الجوهر وباب من الزبرجد الاخضر والابواب كلها مفتحة ولم يدخل فيها قطرة من الماء وهي في مكان عميق فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام فنظر فيها فاذا في وسطها شاب جميل حسن الشباب نظيف الأثواب قائم يصلي فدخل سليمان اليه وسلم عليه وقال ما أنزلك الى قاع هذا البحر فقال يا نبي الله أحدثك بقصتي قال نعم فقال كان لي أب مقعد ووالدة عمياء فاقمت في خدمتهما سبعين سنة فلما حضرت وفاة والدتي قالت عند موتها اللهم أطل حياة ولدي في طاعتك ولما توفي والدي قال عند موته اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل فاجاب الله دعاءهما فخرجت يوماً من الايام أريد النزهة فجئت الى ساحل هذا البحر فنظرت الى هذه القبة موضوعة على ساحل البحر فدخلتها لأنظر ما فيها فاحتملها ملك من الملائكة وأنزلها في قاع هذا البحر كما ترى يا نبي الله فقال سليمان في أي زمان كان قال في زمان ابراهيم عليه السلام فحسب سليمان عليه السلام التاريخ

فى قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعنى باب مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فانا رأيناهم وخبرناهم فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فاراد بنوا اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم الحديبية حين صدّ عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند البيت فاستشار أصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندى اما والله لانقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك و بين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسنمت جبلا لعلوناه ولو ذهبت بنا الى برك الغماد يعنى مدينة بالحبشة لتبعناك فلما سمع ذلك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فاشرق لذلك وجه النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان أكون صاحب هذا المشهد أحب الى من الدنيا وما فيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل مافعلت من معصيتهم نبيهم وخالفهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب انى لاأملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين أى العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وأوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصينى هذا الشعب والى متى لايصدقون بهذه الآيات لأهلكنهم جميعا ولأجعلن لك شعبا أقوى وأكثر منهم فقال موسى الهى لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الأمم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل انه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم فى البرية وانك طويل صبرك كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولاتوبقهم فقال الله تعالى لموسى انى قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتى لأحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولأتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما ولياتينهم حتفهم فى هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا هم أمسوا فاذا هم بالموضع الذى منه ارتحلوا وسئموا الموضع الذى هم فيه مفارتحلوا وماتت أولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات فى تلك المدة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أحد أريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين وفتح الله لهم

(باب فى ذكر النعمة التى أنعم الله بها على بنى اسرائيل فى التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام)

قال الله تعالى يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها والعد لايقع على الواحد التى أنعمت عليكم أى على أجدادكم وأسلافكم وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شئ يحتاجون اليه وأعطاهم ما أعطاهم فى التيه وذلك أنهم قالوا لموسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لاظل فيها ولا كن فانزل الله تعالى عليهم غمامة

فوجدته ألفى سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لم يشب فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك وقال له فاطعامك وشرابك فى هذا البحر فقال يانبى الله يأتينى طائر أخضر كل يوم فى منقاره شئ أصفر مثل رأس الانسان فآكله فاجد فيه طعم كل نعيم فى دار الدنيا فيذهب عنى الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والوحشة فقال سليمان أتحب أن تكون معنا أو ترجع الى موضعك فقال ردنى الى موضعى يانبى الله فقال سليمان رده يا آصف الى مكانه فرده الى مكانه فقال سليمان انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاء والديه فاحذروا عقوق والديكم يرحمكم الله ثم مضى سليمان عليه السلام متعجبا من ذلك والله أعلم (وحكى عن الشيخ عبد العزيز الديرينى رضى الله تعالى عنه أنه قال) كنت سائحا فى جماعة من أصحابى فانتهينا الى قبر فى بعض البرارى كنت أعرف صاحبه وكان من أولياء الله فجلست عند قبره أبكى فسألنى بعض أصحابى عن ذلك فقلت اتفق لى مع صاحب هذا القبر حكاية

بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فاظلهم وكانت تسير بسيرهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعني في التيه تقيكم حر الشمس ومنها انه جعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن ضوء القمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فاين الطعام فانزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو الترنجبين وقال وهب هو الخبز الرقاق وقال السدي كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاجي المن ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب وقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا ياموسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله ربك ان يطعمنا اللحم فدعا موسى فانزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السماني وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فامطر به السماء في عرض ميل قدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد تمعط ريشه وزغبه وكانت الريح تاتي به اليهم فيصبحون وهو في معسكرهم وقيل انه كان يأتيهم فيسترسل اليهم فيأخذونه بايديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهدا لأنتم ٭ ألذ من السلوى اذا ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم ياخذ ما يكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا أي قلنا لهم كلوا من طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبؤا لغد فداد وفسد ما ادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال الله تعالى وما ظلمونا أي ما أضرونا بالمعصية ومخالفة الامر ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستحبابهم الغداء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعة في العقبى (أخبرنا) شعيب بن محمد قال أخبرنا مكي بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عون بن عبد الله عن خلاس بن عمرو عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها ومنها انهم عطشوا في التيه فقالوا ياموسى من أين نشرب فاستسقى لهم موسى فاوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر في أرض الحجارة فينفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين في جدول السبط الذي أمر بسببهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرعن الحجارة بالعصا ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا الى الرمل والى الارض التي ليس فيها حجارة فامر موسى أن يحمل معه حجرا فحيثما نزل ألقاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا في ذلك الحجر ما هو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل أمر أن يحمله فكان يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضرب بعصاه فينفجر عيونا كما ذكرنا فسقاهم قال قال أبو روق كان الحجر من الكذان وكان فيه اثنتا عشرة عينا

عجيبة وذلك انه عرض لي حاجة في بعض البلاد فسافرت لها فادركتني الصلاة فعدلت عن الطريق الى المسجد الذي كان يصلي فيه فصليت خلفه فاذا هو يلحن في قراءته فتشوش بالي من ذلك وقلت في نفسي سرا أقيم عند هذا الفقير أعلمه وأترك حاجتي فهذا أولى فلما سلمنا من الصلاة التفت الي وقال ياعبد العزيز الحق حاجتك التي جئت بطلبها وما عليك من اللحن والتعليم فتعجبت من مكاشفته علي وخرجت في الحال مسرعا الى حاجتي كما أشار فلما دخلت البلد وجدت صاحبي الذي عنده حاجتي يريد السفر ورجله في الركاب كما قال فلما رآني ترحل وترحب بي وقضى حاجتي وسافرت فازددت تعجبا من ذلك فما لبث الامدة يسيرة وتوفي الى رحمة الله تعالى وهذا قبره رضي الله عنه آمين (وحكي عن الشيخ أبي بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه) أنه قال خرجت يوما مع أصحابي وكانوا نيفا وأربعين رجلا فقلت لهم ياقوم ان الله تعالى قد تكفل بارزاق العباد فقال عز من قائل ومن يتق الله يجعل له مخرجا

أى حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فيأخذونه فاذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقى ستمائة ألف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذى وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال ياموسى ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلى فيه قدرتى ولك فيه معجزة وهو الذى ذكره الله تعالى فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد المخلدى باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله مايمنع موسى أن يغتسل معنا الا أنه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح فى أثره موسى يقول ثوبى ياحجر ثوبى ياحجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله مابموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر اليه بنو اسرائيل فاخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان أثر ضرب موسى بالحجر ستة أو سبعة قال عبد العزيز السكتانى كان موسى ضرب الحجر اثنتى عشرة ضربة فكان يظهر فى كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة ثم يتفجر بالانهار المطردة فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) انهم قالوا لموسى فى التيه من أين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التى عليهم حتى لا تؤثر فيها على الايام ومرور الاعوام الا جدة وطراوة ولا تخلق ولا تبلى وتنمو على صبيانهم كما تنمو فمكثوا على ذلك زمانا طويلا والله أعلم

(باب فتح اريحاء ونزول بنى اسرائيل الشام)

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح اريحاء موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فى التيه ولم يمت فى التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببنى اسرائيل فقام فيها ماشاء الله أن يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الأقاويل بالصدق وأقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار الانبياء ان عوج بن عنق قتله موسى وقال آخرون ماقاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان أبى المسير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام فى التيه

(قصة وفاة هرون عليه السلام)

قال السدى أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام انى متوف هرون فائت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير مثلها وبيت مبنى وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال ياموسى انى أحب أن أنام على هذا السرير فقال نم عليه فقال انى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على فقال له موسى لا تخف أنا أكفيك رب هذا البيت فنم فقال ياموسى نم معى فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال ياموسى خدعتنى فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون أخى ووزيرى فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون فى التيه ومات هرون قبل موسى وكانا

ويرزقهم من حيث لا يحتسب فتوكلوا على الله واعتمدوا ثم تركتهم ومضيت فاقاموا ثلاثة أيام لم يفتح عليهم بشئ فلما كان اليوم الرابع دخلت عليهم وقلت لهم ياقوم ان الله تعالى قد أباح التسبب للعباد فقال تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه فانظروا الى أصدقكم نية فليخرج عسى أن يأتيكم بشئ من القوت قال فاختاروا رجلا فقيرا منهم فخرج ومشى فى شوارع بغداد فلم يفتح الله عليه بشئ فاخذه الجوع وأعياه العطش فجلس عند دكان طبيب نصرانى عليه من الناس جمع كثير وهو يصف لكل منهم دواءه فنظر النصرانى الى الفقير وقال مابك وما عليك فكره الفقير أن يشكو الجوع الى نصرانى ثم مد يده اليه ليجسها فلما جسها النصرانى قال أنا أعرف علتك هذه وعندى دواؤها ثم التفت الى غلامه وقال له امض الى السوق وائتنى برطل خبز ورطل شوى ورطل حلوى فمضى الغلام الى السوق وأتاه بذلك فقال خذ هذا دواء علتك فقال الفقير للنصرانى ان

ثم جاء الى التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا أين هرون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا في بني اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا الى ربه مالقي من بني اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فاني باعثه حتى يخبرهم انه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه ياهرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكني مت فعادوا وانصرفوا والله أعلم

﴿ ذكر وفاة موسى عليه السلام ﴾

قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد الله أن يحبب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يانبي الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يانبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق ببني اسرائيل ذرعا لما كثر واعليه فبعث الله اليه ألف نبي يكونون أعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى في نفسه غيرة فأماتهم الله لكرامته في يوم واحد واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يارب انك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت وفقأ عيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدي وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعر فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يارب فادنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد الشرقي يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها الا كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية (قال السدي) في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشي وفتاه يوشع بن نون اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فقال ياقوم أظن انها الساعة واني ملتزم بموسى نبي الله فانسل من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي الله فقال والله ماقتلته ولكنه انسل مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله فقال لهم اذ لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه آت في المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسى وانما قد رفعناه الينا فتركوه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضي حاجة فمر برهط من الملائكة فمر فيهم فاقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذا هم يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ولم ير مثل ما فيه قط في الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم على ربه فقال موسى ان هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة ياصفي الله أتحب أن يكون لك قال وددت ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس أسهل نفس تنفسه

كنت صادقا في حكمتك فهذه العلة بأربعين رجلا مثلي فقال النصراني لغلامه امض الى السوق مسرعا وأتني بأربعين رطلا من ذلك فمضى الغلام الى السوق وأتى بذلك جميعه على حال فقال النصراني اذهب بذلك الى أصحابك فذهب الفقير والحمال معه وتبعهما النصراني من بعيد ليختبر صدق ذلك الفقير فلما دخل الفقير الى أصحابه بالجويرة وقف النصراني خلف طاقة ينظر اليهم فوضع الفقير ذلك بينهم ثم نادوا الشيخ أبي بكر الشبلي فحضر فسألهم عن ذلك فاخبره الفقير بقصته مع ذلك النصراني فقال لهم الشبلي أترضون أن تأكلوا طعام نصراني بغير مكافأة فقالوا وما مكافأته قال أن تدعوا له بالاسلام قبل أن تأكلوا طعامه قال فدعوا له بالاسلام وهو يسمع فلما رأى النصراني امساكهم عن الطعام مع حاجتهم له ترك الطاقة وقطع الزنار ودخل اليهم وقال ياشبلي امدد يدك فاني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله وحسن اسلامه وصار من جملة أصحاب

فاضطجع فيه ثم توجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل انه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (ويروى) أن يوشع بن نون رآه بعد موته فى المنام فقال له كيف وجدت الموت يا نبى الله قال كشاة تسلخ وهى فى الحياة (ويروى) أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفى الله موسى بن عمران فمن الذى يطمع فى البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون منها فى ملك افريدون ومائة سنة فى ملك منوجهر (قال الاستاذ رجعنا الى قصة حرب أريحاء وخبر الفتح) قال فلما انقضت أربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا فأخبرهم أنه نبى الله وأن الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببنى اسرائيل الى أريحاء ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان فى الشهر السابع نفخوا فى القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم فكانت العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقى منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فخشى يوشع أن يعجزوه فقال اللهم اردد الشمس علىّ أو انه قال للشمس انك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له فى النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين (أخبرنا) أحمد بن عبد الله بن حامد الاصفهانى باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علىّ رضوان الله عليهما فرأيت فى عنقها خرزا ورأيت فى يدها مسكتين غليظتين وهى عجوز كبيرة فقلت لها ما هذا فقالت انه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجل ثم حدثتنى ان أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها ان على بن أبى طالب رضى الله عنه كان مع نبى الله وقد أوحى الله اليه فجلله بثوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو أرادت أن تغيب ثم ان نبى الله سرى عنه فقال أصليت يا على قال لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت حتى بلغت نصف المسجد • قال ثم أرسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فأرسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلهم على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتى أهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله بأحجار البرد فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا فى غار فأمر بهم يوشع فأخرجهم وصلبهم ثم أنزلهم فطرحهم فى ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصار الشام كله لبنى اسرائيل وفرق عماله فى نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فامرهم أن يبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال له هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غله فجعله فى القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبى من الانبياء فقال للقوم لا يتبعنى رجل كان قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولا آخر قد بنى له بيتا ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال ان فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فأخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فألقوه فى الغنيمة وهى بالصعيد فجاءت النار فأكلتها قال النبى صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك أن الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا

الشبلى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم) قال رأيت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم تسعة من الاولياء أصحاب الخطوة فتبعتهم فالتفت الى أحدهم وقال أين تريد فقلت لهم أن أسير معكم أين تسيرون لحبى فيكم فقال أحدهم انك لا تقدر على المسير الى الموضع الذى تقصده فانه لا يصل اليه الا من بلغ عمره أربعين سنة فقال الآخر دعه لعل الله يرزقه قال فسرت معهم والارض تطوى من تحتنا طيا والحب يقول للعشاق هنيا فلم نزل نسير حتى اتينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة وأشجارها متعانقة وأنهارها رائقة وفواكهها فائقة قال فدخلناها وأكلنا من ثمرها ثم أخذت معى ثلاث تفاحات فلم يمنعونى من أخذها فسألتهم عند الانصراف عن هذه المدينة فقالوا هذه مدينة الاولياء فاذا أراد الاولياء النزهة ظهرت لهم تلك المدينة أينما كانوا فما دخل فيها أحد قبل الاربعين غيرك قال فلما رجعنا ودخلنا مكة أعطيت

قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحاء متواضعين مستغفرين خافضين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم سبعة أبواب سجدا أى منحنين متواضعين وقولوا حطة أى حط عنا خطايانا قال وهب انهم أذنبوا ذنبا آثما وكان توبتهم اذا أذنبوا دخول أريحاء فلما فصلوا من التيه أحب الله أن يستنقذهم من الخطيئة قال ابن عباس حطة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم وذلك انهم دخلوا متزحفين على استاههم وقالوا هطا سمقاثا يعنى حنطة حمراء استخفافا بأمر الله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء أى عذابا من السماء بما كانوا يفسقون وذلك ان الله تعالى أرسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا فى ساعة واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفى الله نبيه يوشع ودفن فى جبل افرائيم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتدبيره أمر بنى اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة

﴿ مجلس فى ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمور بنى اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام ﴾

قالت العلماء بأخبار الماضين وأمور الأمم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بنى اسرائيل كالب بن يوفنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فأحسن الخلافة حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بنى اسرائيل ابنه يوساقوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام فى الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه و ينظرون اليه و يقولون له أيها العبد الصالح جئنا نسلم عليك وهو يستحى أن يردهم فلما أكثروا خاف الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدرى فصار مجدورا ماقوجا فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله أعلم

﴿ ذكر خبر حزقيل عليه السلام ﴾

قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بعث الله تعالى حزقيل الى بنى اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بورى و يلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لان أمه سالت الله تعالى الولد وهى عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذى أحيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فاحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته فى قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال) أكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان قرية قبل واسط وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون و بقيت طائفة فهلك أكثر من بقى فى القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التى لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذى يبتغون فيه النجاة والحياة اذاهم بملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعى يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشى يسوق الحمار فطفق العبد يرتجز ويقول لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة خطار * قد أصبح الله أمام السارى

فربح الرجل لما سمع من قوله بعياله (وروى) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سمعتم بالوباء فى بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك

ومقاتل

الطعمنى تفاحة فقلتها فلامنى أصحابى وقالوا ردد ما أعطيت الى مكانه فكنت كلما جعت أكلت من تلك التفاحة وهى لا تتغير فرجعت الى اهلى وقد بقى منها تفاحة واحدة غير التى ادخرتها لنفسى فعانقتنى اختى وقالت اين الذى اتحفتنا به من سفرك فقلت لها وما الذى اتحفكم به وانا بعيد عن الدنيا وعن الراحة فقير الحال فقالت اختى فاين التفاحة فقلت واى تفاحة فقالت يامسكين والله لقد أدخلونى تلك المدينة وانا بنت عشرين سنة ولما انتظر ترها الا بعد ان طردوك وانا والله جذبت اليها جذبة وخطوت اليها خطوة قال فتعجبت من كلامها وقلت يا اختى ان البدل الكبير منهم قال لى لم يدخلها احد قبل الا ربعين غيرك قالت نعم يا اخى من المريدين واما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى شئت اريتكها فقلت قد شئت فقالت يامدينة احضرى فوالله لقد رايت تلك المدينة بعينها وهى تتدلى عليها وتدفع اليها فمدت يدها وقالت ابن تفاحتك قال فقسا قطعا على من التفاح

ومقاتل والكلبي انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم أن يخرجوا
الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا لملكهم ان في الارض التي
نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء منها فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا أن الموت قد كثر فيهم
خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية
عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا
قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم موت رجل واحد فما أتى عليهم ثلاثة أيام حتى انتفخوا
وأروحوا وأروحت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع
وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال عطاء الخراساني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس
ووهب كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو روق عشرة آلاف وقال
أبو مالك ثلاثين ألفا وقال السدى بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن أبي
رباح سبعين ألفا قال فأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر
عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد أن
أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يارب فأحياهم الله جميعا هذا قول السدى وجماعة من المفسرين
وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزقيل فلما أصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم
يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك
قال الله تعالى أوتحب أن أفعل ذلك قال نعم يارب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم
حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم
وقالوا ياليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا
أنهم ودوا لو ماتوا استراحوا وأي راحة لهم في الموت أيظنون أني لا أقدر أبعثهم بعد الموت فانطلق الى
جبانة كذا فان فيها ألوفا ماتوا فأتاهم فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت أجسادهم
وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطير والسباع فنادى حزقيل أيتها العظام ان الله يأمرك أن تعودي
وتكتسي اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودماء وعصبا وعروقا فكانت أجسادا فنادى
أيتها الارواح ان الله تعالى يأمرك أن تعودي الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التي ماتوا فيها
وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم
ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعدما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون أنهم
كانوا موتى بسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد رميما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي
كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله
على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فأماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت
آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد وقال وقاتلوا في سبيل الله
واعلموا أن الله سميع عليم

(باب في قصة الياس عليه السلام)

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحق والعلماء من أصحاب الاخبار لما
قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد
الله اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس
نبيا وهو الياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى

شيء كثير فضحكت وقالت من عند هذا الملك يحتاج الى تفاحتك قال فاستحقرت نفسي والله عند ذلك وما كنت أعرف أن أختي من أكابر الاولياء رضي الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين وأمدنا من مددهم وأنفاسهم الطاهرة آمين (وحكي عن الشيخ أبي الربيع المالقي عفا الله عنه) أنه قال سمعت بامرأة من المتعبدات الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها للاطلاع على كراماتها فنزلنا القرية التي هي بها فذكروا لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شيء ثم مضينا اليها وسلمنا عليها وقلنا لها نريد هذه البركة التي ذكرت لنا عنك من هذه الشاة فقالت حبا وكرامة ثم أحضرت لنا الشاة فحلبناها في ذلك القدح ثم شربنا فوجدناه لبنا وعسلا كما وصف فلما رأينا ذلك سألناها أن تعلمنا قصة هذه الشاة فقالت نعم أخبركم بها وذلك أنه كان لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن عندنا شيء فقال لي زوجي وكان رجلا

يبعثون اليهم بتجديد مانسوا وضيعوا من أحكام التوراة و بنو اسرائيل يومئذ متفرقون فى أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بنى اسرائيل وقسمها بينهم فأخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر لاجب الملك الذى كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم أمره ويسدده و يرشده وكان للاجب امرأة يقال لها أربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم فى غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس فى مجلس القضاء وتقضى بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبى كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت فى نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهى مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بنى اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة و يقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بنى اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنينة يعيش منها و يقبل على عمارتها و يزينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها و يأكلان و يشربان و يقيلان فيها حينا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامرأته أربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها و يقولون ما أحرى أن تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر و يتعجبون من أمر الملك وامرأته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى فى أن تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته أربيل أن تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكى فى أن تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت أربيل جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكى بالزور أنه يسب لاجب الملك فأجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم فى ذلك الزمان على من يسب الملك القتل ان قامت البينة فأحضرت مزدكى وقالت له بلغنا عنك انك شتمت الملك واغتبته فأنكر مزدكى ذلك فأقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت بقتله فقتل وأخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا أرانا نفلح بعدها أبدا وانا كنا عن جنينته لاغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فأحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك فى العواقب فقالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها اما كان يسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقالت قد كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليه لوليه حين قتلوه بين أظهرهم ظلما وقد آلى على نفسه انهما ان لم يتوبا من صنعهما و يردا الجنينة على ورثة مزدكى والا يهلكهما يعنى لاجب وامرأته فى جوف الجنينة أشر ما يكون يسفك دمهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى

صالحا امضى بنا حتى نذبح هذه الشاة فى هذا اليوم وهو يوم العيد فقلت له لاتفعل ذلك فان الله تعالى قد رخص لنا فى الترك والله يعلم حاجتنا اليها فبينما نحن كذلك اذا استضافنا ضيف فى ذلك اليوم ولم يكن عندنا ما نقرى به هذا الضيف فاحتجنا لذبحها فقلت له يارجل هذا ضيف وقد أمرنا باكرامه فخذ تلك الشاة واذبحها فقال نخاف أن تبكى عليها صغارنا فقلت له خذها واخرج بها من البيت واذبحها وراء الجدار فاخذها ومضى فلما أراق دمها فرفرت من أعلى الجدار ونزلت الينا فحسبت أنها قد انفلتت منه فخرجت لانظرها فاذا هو يسلخ فيها فقلت له يارجل رأيت عجبا وذكرت له قصة هذه الشاة التى نزلت من أعلى الجدار فقال الرجل لعل الله تعالى أبدلنا خيرا منها فكان كذلك فكانت تلك الشاة تحلب لبنا وهذه تحلب لبنا وعسلا وهذا كله ببركة اكرام الضيف قال فتعجبنا من ذلك ثم قالت يا أولادى ان شويهتنا هذه ترعى فى قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها واذا تغيرت قلوبهم تغير

تتعرى عظامهما عن لحومهما ولا يتمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبر الملك بما أوحى الله اليه فى أمره وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وسمى ملوكا منهم عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون مملكين ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذى تزعم أنه باطل شئ وما نرى لكم علينا من فضل قال ثم هم بتعذيب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل فارتقى الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقى فيه سبع سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوى الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره ويجتهدون فى أخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى فى اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمرض الله تعالى ابن الملك لاجب وكان أحب أولاده اليه وأعزهم عليه وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل فعظموه حتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بعلبك وجعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناءه وجعل الشيطان يدخل فى جوف الصنم فيكلمهم بأنواع الكلام والار بعمائة يصغون بآذانهم لما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الانبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن يشفعوا له الى بعل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه فلم يجبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج فى جوفه ولا الكلام وهم مجتهدون فى التضرع اليه والمريض لا يزداد بذلك الا ألما ووجعا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب أيها الملك ان فى ناحية الشأم آلهة أخرى وهى فى العظم مثل الهك فابعث اليها الانبياء يشفعون لك اليها فلعلها أن تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لأى شئ غضب على وأنا أطيعه وأطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط قالوا من أجل أنك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجا سالما وهو كافر بالهك يعبد غيره فذلك الذى أغضبه عليك قال لاجب وكيف لى أن أقتله فى يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابنى وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفى ابنى تفرغت لطلبه ولم يكن لى هم ولا شغل غيره حتى آخذه وأقتله وأريح الهى منه وأرضيه قال ثم انه بعث الار بعمائة نبى ليشفعوا الى الآلهة التى بالشأم ويسألوها أن تشفع الى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان الولوج فى الاصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبروه بذلك فقال الملك وكيف لى أن أقتل الياس فى هذا اليوم قال فخرج أربعمائة حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذى فيه الياس أوحى الله اليه أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فانى سأصرف عنك شرهم وألقى الرعب فى قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله أرسلنى اليكم والى من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوها صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم يالاجب انى أنا الله لا اله الا أنا اله بنى اسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك بى وتطلب الشفاء لابنك من غيرى ممن لا يملكون لأنفسهم شيأ الا ماشئت وانى آليت باسمى لأغيظنك فى ابنك ولأميتنه من فوره هذا حتى تعلم ان أحدا لا يملك له شيأ دونى فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما صاروا الى الملك ووصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الياس وأخبروه بان الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقحل وتمعط شعره ويبس جلده وعليه جبة من شعر

لبنها فطيبوا قلوبكم (قلت) وقد عنت بذلك نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى فى ذلك لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب ما عندكم رضى الله تعالى عنها آمين (وحكى عن بعض أصحاب السرى السقطى رضى الله تعالى عنه) أنه قال كان للسرى السقطى تلميذة وكانت امرأة صالحة وكان لها ولد عند المعلم فبعثه المعلم يوما الى الرحا فنزل الصبى فى الماء فغرق فخاف المعلم على نفسه وأتى الى السرى السقطى فأخبره بذلك فاغتم وقال قوموا بنا الى أمه وكان معهم الجنيد فتكلم السرى السقطى مع أم الصبى فى علم الصبر وعلم الرضا فقالت المرأة يا أستاذى وأى شئ تريد بذلك فقال لها السرى ان ولدك قد غرق فقالت ان الله عز وجل لم يفعل ذلك ثم قالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى النهر فقالت المرأة أين

وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا صار معنا فقذف له فى قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت ألسنتنا ونحن فى هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه ونراجعه وملأ أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا أنتفع بالحياة ما دام الياس حيا ما الذى منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به وأنتم تعلمون انه طلبتى وعدوى قالوا له قد أخبرناك بالذى منعنا عنه ومن كلامه والبطش به فقال لاجب اذا ما نطيق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والباس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وأن يطمعوه بانهم قد آمنوا بهم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويغتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبى الله ابرز لنا واشرف علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرؤن عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنا بك وأجبناك الى ما دعوتنا اليه فهلم الينا فانت نبينا ورسول ربنا فاقم بين أظهرنا واحكم بيننا فاننا ننقاد الى ما أمرتنا ونتنهى عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف عنا بعد ايماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع الينا وكل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقع فى قلبه ايمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لو أنى دعوت الله تعالى فسألته أن يعلمنى ما فى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة أمرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لى فى البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم جميعا فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعون قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء واحتال ثانيا فى أمر الياس فقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فاقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبى الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته انا لسنا كالذين أتوك قبلنا أولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليمكروا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفاك الله أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فامطر عليهم نارا فاحترقوا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك فى البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غيظا الى غيظه وأراد أن يخرج فى طلب الياس بنفسه الا انه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس اليه فينزل معه وأظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما أظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وعهد اليهم دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوه به ان أراد التخلف عنهم وان جاء معهم آنسا بالكاتب وواثقا به كانتم لم يوحشوه ولم يروعوه ثم انه أظهر للكاتب لانابة فقال له انه قد آن لى أن أتوب وأنيب فقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذى فيه ابنى وقد عرفت أن ذلك بدعوة الياس ولست آمن أن يدعو على وعلى جميع قومى فنهلك بدعوته فكن رسولنا اليه وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا وأنه لا يصلحنا فى توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا الا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا قال ثم انه أمر قومه ان يعتزلوا الاصنام وقال له أخبر الياس بانا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وقد أهملنا أمرها حتى ينزل

فرقوالدى فقال اطلع ههنا فصاحت به ابنى محمد فاجابها من النهر لبيك يا أماه فنزلت وأخذت بيده ومضت الى منزلها فالتفت السرى الى الجنيد وقال أى شئ هذا فقال الجنيد أقول ان هذه المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها وهذا حكم من كان مراعيا لما لله عز وجل عليه فلهذا لا تحدث حادثة حتى تعلم بها فلما كان دأبها ذلك لم تكن حادثة الا علمتها فانكرت ذلك وقالت ان ربى لم يفعل ذلك وهذا من صدقها مع مولاها رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها فى الدنيا والآخرة وأمدنا من مددها آمين (وحكى عن مالك بن دينار رضى الله عنه أنه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة من السنين فبينما أنا فى الطريق واذا بشاب يمشى بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت أيها الشاب ومن أين أنت قال من عنده فقلت والى أين قال اليه فقلت وأين الزاد والراحلة فقال عليه فقلت له ان الطريق لا تقطع الا بالمأكل والمشرب فهل معك شئ قال نعم قد تزودت عند خروجى من بلدى بخمسة أحرف فقلت

الينا فيكون هو الذى يحرقها و يهلكها وكان ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وأنس به وكان مشتاقا الى لقائه فأوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام أن ابرز الى أخيك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثنى اليك هذا الجبار الطاغى وقومه وقص عليه ما قاله وقال له انى لخائف ان رجعت اليه ولست معى أن يقتلنى فأمرنى بما شئت أن أفعله وأنتهى اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وان شئت أرسلتنى اليه بما تحب فابلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا فأوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان أخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه يتهمه و يعرف انه قد داهن فى أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذره و براءته عند لاجب وانى سأشغله عنكما وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون لهم غيره ثم أميته على شر حال فاذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لاجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك لاجب وأصحابه عن الياس ورجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لاجب وفرغوا من أمره وقر جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذى جاء به فقال له ليس لى به علم وذلك أنه قد شغلنى عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك الا قد استوثقت منه فاطرق عنه لاجب وتركه لما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث فى الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس نزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بنى اسرائيل وهى أم يونس بن متى ذى النون فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام سئم ضيق البيوت بعد قعوده فى الجبال ودوحها فاحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه فى الجبال فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت فى طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له انى فجعت بعدك بموت ابنى وعظمت به مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمنى وادع ربك تعالى أن يحيى لى ابنى ويجبر مصيبتى فانى قد تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما أمرت به وانما أنا عبد مأمور أعمل بما أمرنى ربى به ولم يأمرنى بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك فقالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى الى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فاحيا الله يونس بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا وأجهده البلاء فأوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى على وحيى وحجتى فى أرضى وصفوتى من خلقى فاسألنى أعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت بنى اسرائيل وملونى وأبغضتهم فيك وابغضونى فأوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذى أعرى منك الارض وأهلها وانما قوامها وصلاحها بك وأشباهك ولكن سلنى أعطك قال الياس فان لم تمتنى يا الهى فاعطنى ثارى من بنى اسرائيل فأوحى الله تعالى اليه فأى شئ تريد أن أعطيك يا الياس قال تمكننى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتى فانهم لا يذلهم الا ذلك

وماهى فقال قوله تعالى كهيعص فقلت وما معنى كهيعص فقال أما قوله كاف فهو الكافى وأما الهاء فهو الهادى وأما الياء فهو الذى يأوى وأما العين فهو العالم وأما الصاد فهو الصادق فمن صحب كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا فلا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج الى الزاد والراحلة قال مالك فلما سمعت منه هذا الكلام نزعت قميصى لألبسه فأبى أن يقبله وقال ياشيخ العرى خير من ثياب الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب فكان اذا جن الليل يرفع وجهه نحو السماء ويقول يامن لا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصى هب لى ما لا ينفعك واغفر لى ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا قلت له لم لا تلبى فقال ياشيخ أخاف أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك ثم مضى وغاب عن بصرى فما رأيته الا بمنى وهو يبكى ويقول

ان الحبيب الذى يرضيه سفك دمى
دمى حلال له فى الحل والحرم
والله لو علمت روحى لمن عشقت

قال الله تعالى يا الياس أنا أرحم بعبادى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فأربع سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين ولكننى أعطيك ثارك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أنشر عليهم سحابة الا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فبأى شئ أعيش قال أسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التى لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشى والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه بموضع يتساق له فيه الرزق ويأتيه حيثما كان وقد عرف بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه ويلقى منهم أهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس أصاب بنى اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شئ من دقيق وزيت قليل فجاءته بشئ من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله فى ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر بى رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا هذا ذلك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله أعلم

(قصة اليسع عليه السلام)

ثم ان الياس أتى الى بيت امرأة من بنى اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن أخطوب وكان به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا له فعوفى من الضر الذى كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس عليه السلام انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعصونى سوى بنى اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بنى اسرائيل فيزعمون والله أعلم ان الياس قال رب دعنى أكون الذى أدعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذى أصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بنى اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون أن تعلموا أن أصنامكم التى تدعونها من دون الله لن تغنى عنكم شيأ فاخرجوا باصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم انكم على باطل وغرور فنزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم أرسل الله عليهم المطر فاغاثهم وأحيت بلادهم قال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذر وقالوا ليست لنا حبوب فاوحى الله تعالى اليه أن يأمرهم بان يبذروا الملح فى الارض ففعلوا فانبت الله لهم منه الحمص وأمرهم أن يبذروا الرمل فأنبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه أن يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذى أمر بالخروج اليه

قامت على رأسها فضلا عن القدم
يا لائمى لا تلمنى فى هواه فلو
عاينت منه الذى عاينت لم تلم
يطوف بالبيت قوم لو بجارحة
لله طافوا لأغناهم عن الحرم
ضحى الحبيب بنفسى يوم عيدهم
والناس ضحوا بمثل الشاة والغنم
للناس حج ولى حج الى سكنى
تهدى الاضاحى وأهدى مهجتى ودمى
ثم قال اللهم ان الناس ذبحوا وتقربوا اليك بضحاياهم وهديهم وليس لى شئ أتقرب به اليك سوى نفسى فتقبلها منى ثم شهق شهقة فخر ميتا رحمة الله تعالى عليه واذا بقائل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل بسيف الله قال فجهزته وواريته بالتراب ثم بت تلك الليلة متفكرا فى أمره فرأيته فى المنام وعليه ثياب من السندس والاستبرق فقلت له ما فعل الله بك فقال فعل بى كما فعل بالشهداء يوم بدر فهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بمحبة الملك العزيز الجبار قال فتعجبت منه رضى الله تعالى عنه (وحكى عن البهلول رضى الله عنه

أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا ملكيا سماويا أرضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان من دكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بعده اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله تعالى اليه وأيده بمثل ما أيد به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون الى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع (أخبرنا) أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام (وأخبرني) ابن فنجويه عن رجل من أهل عسقلان أنه كان يمشي بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من أنت فقال أنا الياس قال فوقعت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله أن يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك واعقل عنك قال فدعا لي بثمان دعوات وهن يابر يارحيم ياحنان يامنان ياحي ياقيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما وقيل هما باهيا شراهيا فرفع الله عني ما كنت أجد ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت له أيوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الي قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم أحياء قال أربعة اثنان في الارض واثنان في السماء أما اللذان في السماء فعيسى وادريس عليهما السلام وأما اللذان في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما أذهب الله واحدا منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر أين يكون قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان بن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول والشاهد في النار قلت فاني قد شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام ان أعود الى مثلها أبدا قال أحسنت فهكذا فكن قال فبينما أنا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضا من الثلج فكان أنا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفع باقي الرغيف الآخر فما رأيت أحدا وضعه ولا رأيت أحدا رفعه قال وله ناقة ترعى في وادي الاردن فرفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت له اني أريد أن أصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني خلو لا زوجة لي ولا عيال قال تزوج واياك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت اني أحب أن ألقاك قال فاذا رأيتني فقد لقيتني اني أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدري كيف ذهب وهذا آخر القصة

﴿ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام ﴾

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لي

أنه قال ﴾ بينما أنا في يوم من الأيام مار في شوارع البصرة فاذا بصبيان يلعبون بالجوز واللوز واذا بصبي ينظر اليهم وهو يبكي فقلت في نفسي هذا الصبي يبكي تحسرا على ما في أيدي هؤلاء الصبيان ولا شئ معه فتقدمت اليه وقلت له ياولدي ما يبكيك أشتري لك من ذلك ما تلعب به مع الصبيان قال فرفع الصبي رأسه وقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت له ياولدي فلماذا خلقنا فقال للعلم والعبادة فقلت له من أين لك هذا بارك الله فيك فقال من قوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون قال البهلول فتعجبت من كلام الصبي على صغر سنه فقلت له ياولدي أراك حكيما فعظني فانشد يقول شعرا

أرى الدنيا تجهز بانطلاق
مشمرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحي
ولا حي على الدنيا بباق
كأن الموت والحدثان فيها
الى نفس الفتى فرسا سباق
فيا مغرور بالدنيا رويدا
فمنها خذ لنفسك بالوثاق

قال ثم رمق بطرفه الى السماء وأشار اليها بكفه ودموعه تجري على خده وخر مغشيا

بثلاث استخلفته يصوم النهار و يقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال أنا فجعل ذلك فاستخلفه قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال دعوني واياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة و يقول ان بيني و بين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فأتني آخذ لك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس و ينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قعدت فأتني فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا رحت فأتني وفاتته القائلة فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أقوم فانه قد شق علي عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فاذا كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم آمرك أن لا تأذن لاحد علي فقال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من قبل من أتي فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الشيخ معه في البيت فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال له يا عدو الله ما ألجأك الى هذه الفعال فقال له انك أعييتني في كل شئ أردت بك ففعلت معك ما ترى لاغضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به (أخبرنا) ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن الفضل عن أبي هاشم (أخبرنا) ابن الفضل قال أخبرنا الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين لم أحدث به سمعته منه أكثر من سبع مرات يقول كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن تعطيه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت و بكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فاني ما فعلته قط فقال لها أكرهتك قالت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فهي لك ثم انه قال والله لا أعصي الله بعدها أبدا فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا ان الله تعالى قد غفر لذي الكفل ● وقال أبو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب

﴿ مجلس في قصة عيلي وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة ﴾

قال الله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل الآية

(فصل في سياق الآية ومقدمة القصة) قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بني اسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف عظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة و بقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت و يزحفون به معهم الا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في أرزاقهم فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على

صخرة

عليه فرفعت رأسه الى حجري ومسحت التراب عن وجهه فلما أفاق قلت له يا ولدي ما نزل بك وأنت صبي صغير ولم يكن عليك ذنب فقال اليك عني يا بهلول فاني رأيت أمي توقد النار في صغار الحطب قبل الكبار فقلت لها لم لا توقدين النار في الكبار فقط فقالت يا ولدي لا توقد الكبار الا بالصغار واني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم قال البهلول فغشي علي ساعة وانصرف الغلام من بين يدي فلما أفقت نظرت الى الصبيان فلم أر الصبي بينهم فسألتهم من يكون ذلك الصبي فقالوا أو ما تعرفه فقلت لا فقالوا هذا من أولاد الحسين بن علي ابن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ونفعنا بهم و بأنفاسهم الطاهرة (وحكي عن حبيب العجمي رضي الله تعالى عنه) انه قال كان لي زوجة سيئة الخلق كنت أخشاها لسوء خلقها فقالت لي يوما من الايام اذا لم يفتح عليك فلا تدخل الينا ولا ترنا وجهك قال فخرجت من عندها الى الجبانة مهموما مغموما فصرت أصلي الى العشاء ثم أتيت الى البيت

صخرة ثم يبذر فيه الحب فيخرج الله ما يأكل منه هو وعياله ويكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة فلما كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا عهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتمادون أحيانا في غيهم وضلالتهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا الى التوبة أحيانا ويكفيهم الله شر من بغى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع ابن نون التي آل أمر بني اسرائيل في بعضها الى الساسة منهم وفي بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويملك عليهم الى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام أربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر أمرهم فيما كه شيخ كبير يقال له عيلى الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم مدة بعث الله شمويل نبيا

(القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم)

قال وهب بن منبه كان لابي شمويل امرأتان احداهما عجوز عاقر لم تلد له ولدا وهي أم شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة أولاد قال وكان لبني اسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين فحضر أبو شمويل وامرأتاه وأولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة أنصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغي فقالت أم الاولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرني بولدي وقللك فوجمت العجوز وجوما شديدا فلما كان عند السحر عمدت الى متعبدها فقالت اللهم بعلمك وسمعك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها علي بنعمك التي أنعمتها عليها وأنت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفي وارزقني ولدا تقيا رضيا واجعله لك ذخرا في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فألم بها زوجها فحملت وكتمت أمرها ولقي بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من أمرها وقالوا ما حملت هذه الا نبي لان اليائسات لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وايشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فأخذوها وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلى وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلى الكاهن وكان لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا شمويل فقام الغلام فزعا مرعوبا الى الشيخ وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فانتبه الغلام وقال أدعوتني يا أبتاه فقال الشيخ ما شأنك قال أما دعوتني قال لا فقال

بخلا من توبيخها مشغول القلب من شرها فلما دخلت البيت قامت علي وقالت أين أجرتك التي أتيت بها فقلت لها ان الذي استأجرني كريم واستحييت ان أستعجله في الاجرة قال فسكتت عني فكنت على ذلك الحال أياما وأنا أذهب الى الجبانة وأصلي الى الليل وارجع فلما طال عليها الحال قامت علي وقالت اطلب أجرتك منه أو أجر نفسك لغيره فصبر على ذلك ووعدتها بان أفعل ذلك ثم خرجت الى عادتي فلما جاء الليل رجعت الى منزلي خائفا منها فلما وصلت البيت رأيت دخانا ومائدة منصوبة وزوجتي فرحة مسرورة فتعجبت من ذلك فلما دخلت البيت أتت زوجتي وقالت ان الذي استأجرك بعث الينا ما تبعث الكرماء الى الفقراء وقال رسوله الذي جاء بهذا قولي لحبيب يجد في العمل فان مستأجره لا يؤخر الاجرة بخلا ولا عدما فيقر عينا ويطيب نفسا ثم ذهبت الى بيت آخر في الدار وأحضرت منه أكياسا مملوأة دنانير ذهبا أحمر قال حبيب فبكيت عند ذلك وقلت لها أتدرين من بعث الينا

شمويل فانى سمعت صوتا فى البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فاجب وقل لبيك أنا طوعك فأمرنى بماشئت أفعل ما تأمرنى به ففعل ذلك الغلام فنودى ثالثة فقال لبيك أنا طوعك فأمرنى بامرك أفعل ما تأمرنى به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عزوجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذراك يوم ذراك النبوة ورحم وحدتامك ذلك اليوم الذى نامت عليها ضرتها فيه فلاأحد اليوم أشد منها عضدا ولا ملاذا فانطلق الى عيلى فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمت زمانا بأمرهما كما بكتابه محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ودق عظمك وذهبت قوتك وفنى عمرك وقرب أجلك وصرت أفقر ما يكون الى الله تعالى ولم تزل فقيرا اليه عطلت الحدود وجرت بين الخصوم وعملت بالرشا والمصانعات وأضعفت حكم الحق حتى عز الباطل وأهله وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفى المعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك فبئسما ختمت به عملك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وقم بعده بالخلافة فلما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلى وو بخه عليه انه كان له ابنان شابان فاحدثا شيأ فى القربان لم يكن فيه وذلك انه كان مسواط القربان الذى كانوا يسوطونه به كلابين فما أخرجا كان للكاهن الذى كان يسوطه فجعل ابناه كلاليب فاوحى الله الى شمويل أن انطلق الى عيلى فقل له منعك حب الولد أن تزجر ابنيك أن يحدثا فى قربانى وأن يعصيانى فلا نزعن الكهانة منك ومن ولديك ولاهلكنك واياهما فاخبر شمويل عيلى ففزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فامر عيلى ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تأهبوا للقتال جعل عيلى يتوقع ماذا صنع القوم فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فاخبره بان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبران التابوت قد سلب وان عيلى قد مات فمات كمدا فلما مات الامير والوزير وأخذ التابوت مرج أمر بنى اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله وذلك بعد ما دبر شمويل أمرهم عشر سنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسبى من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه فى سبيل الله وانما كان قوام أمر بنى اسرائيل بالاجتماع على الملك وطاعة الملك للانبياء وكان الملك هو الذى يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبى منهم هو الذى يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى (قال وهب ابن منبه) بعث الله شمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة فى أحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله يعنى شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالى بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفاقا ولم ينسبه أكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا فاجابوا بما قص الله فى كتابه قالوا ومالنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما أخذ شويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا

(ذكر قصة الملك طالوت واتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به)

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما

ذلك فقالت الذى استأجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كريم بيده خزائن السموات والارض قال فلما سمعت ذلك تغيرلونها وارتعدت وتابت الى الله تعالى عما كان منها وأقسمت أن لا تعود الى ذلك أبدا رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بهم أجمعين (وحكى عن عطاء بن الازرق رضى الله تعالى عنه أنه قال) دفعت الى زوجتى درهمين لاشترى بهما دقيقا ولم يكن عندنا شئ نقتات به فى ذلك اليوم فخرجت الى السوق لشراء الدقيق فرأيت مملوكا فى السوق يبكى فقلت له ما يبكيك فقال ياسيدى ان مولاى دفع الى درهمين لاشترى له بهما شيأ فسقطا من يدى وأخاف أن أرجع له خالبا فيضربنى قال عطاء فحزنت عليه ودفعت له الدرهمين فاخذهما ومضى الى حاجته ثم توجهت الى المسجد فصرت أصلى الى وقت المغرب وانتظرت شيأ فلم يفتح على بشئ فخرجت من المسجد عند الغروب وجلست فى السوق على دكان صديق لى وكان نجارا فلما رأى الجراب معى قال خذ هذه النجارة فى جرابك لتحمى بها التنور

قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذى فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا امثلها وكان طالوت بطولها واسمه بالسريانية سادل و بالعبرانية شاول بن قيس بن أفيل بن صارو بن نحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان رجلا دباغا يعمل الادم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدى يقولان كان سقاء يستقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج فى طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لابى طالوت فارسله وغلاما له يطلبانها فمرا ببيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى فسألناه فى أمر الحمر ليرشدنا و يدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر اذ نش الدهن فى القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل قرب رأسك الى فدهنه بدهن القدس ثم انه قال له أنت ملك بنى اسرائيل وقد أمرنى ربى ان أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أوما علمت ان سبطى أدنى أسباط بنى اسرائيل قال بلى قال أوما علمت ان بيتى أدنى بيت فى بنى اسرائيل قال بلى قال فبأى آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبنى اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد أميرا على الجيش فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وانما قالوا ذلك لانه كان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا أنكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ومع ذلك انه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم بالحرب والجسم يعنى بالطول فى قومه والقوة وانما سمى طالوت لطوله ولذلك كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن كيسان بالجمال وكان طالوت أجمل رجل فى بنى اسرائيل وأعلمهم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت الآية

(قصة التابوت وصفته وابتداء أمره الى انتهائه)

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة حين أهبط الى الارض فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلى وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بار من البررة ومن بين يديه على بن أبى طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء أنصار الله وأنصار رسوله نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس فى دار الدنيا وكان التابوت

قال فأخذت منه شيأ من النشارة فى الجراب وذهبت الى البيت خائفا من شرها فطرحت الجراب فى البيت ورجعت مسرعا الى صلاة العشاء ثم جلست فى المسجد حتى مضى نصف الليل خوفا منها ثم جئت الى البيت ونظرت من وراء الحائط فوجدتها تخبز خبزا ذا رائحة مفرحة فتعجبت من ذلك وقلت من أين أتاهم هذا الدقيق ثم دخلت وأنا متعجب ثم قلت من أين لكم هذا الخبز فقالوا من الدقيق الذى فى الجراب ثم قالت لى زوجتى من هذا اليوم لا تشتر لنا الا منه لانه دقيق طيب قال فحمدت الله تعالى على لطفه بعباده وكرمه وفضله (وحكى عن شقيق البلخى رضى الله تعالى عنه أنه قال) خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما أنا أنظر الى الناس وزينتهم وكثرتهم اذ نظرت الى فتى من أحسن الناس وجها وهو متوشح بثوب من صوف من فوق ثيابه مشتمل بشملة وفى رجليه نعلان من خوص قد جلس منفردا عن الناس فقلت فى نفسى هذا الفتى من

نحوا من ثلاثة أذرع فى ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذى يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى أن مات ثم عند شيث الى أن مات ثم توارثه أولاد آدم الى أن بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل كان عند ولده قيذار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعنى نور محمد صلى الله عليه وسلم فاعطنا التابوت فكان يمتنع عليهم ويقول انه وصية أبى ولا أعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فناداه مناد من السماء مهلا ياقيذار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبى ولا يفتحه الا نبى فادفعه الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه اقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار سبق اليه باكيا وقال ياقيذار مالى أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أأرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك اسمعيل قال ما أرهقنى عدو ولا أتيت معصية ولكن أثقل ظهرى نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لونى وضعف ركنى قال يعقوب أفى بنات اسحق قال لا ولكن فى العربية الجرهمية وهى العاصرية فقال يعقوب بخ بخ شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا فى العربيات الطاهرات ياقيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وماهى قال اعلم ان العامرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما علمك ياابن عمى وأنت بارض الشام وهى بارض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لانى رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر الممدود بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى أهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حملا وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت فى بنى اسرائيل الى أن وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى ان مات ثم تداولته أنبياء بنى اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان فيه ما ذكر الله فى كتابه فيه سكينة من ربكم (واختلفوا فى السكينة) ماهى فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه السكينة ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بنى اسرائيل فى السكينة رأس هرة كانت اذا صرخت فى التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح (وروى) السدى عن أبى مالك عن ابن عباس قال هى طست من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء (وروى) بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هى روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا فى شئ فتخبرهم ببيان ما يريدون وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصا موسى ورضاض الالواح وذلك أن موسى لما ألقى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع مابقى فجعله فى التابوت وكان فيه أيضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بنى اسرائيل اذا اختلفوا فى شئ تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم ولما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك فى أيام عيلى الكاهن الذى ربى شمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت

الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس فى طريقهم والله لامضين اليه وأمتحنه وأوبخه فدنوت منه فلما رآنى قال ياشقيق ان الله تعالى قال فى كتابه العزيز ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ثم تركنى ومضى فقلت فى نفسى ان هذا لامر عظيم قد تكلم على مافى نفسى ونطق باسمى ماهذا الا عبد صالح والله لالحقنه وأستحله مما كان منى فاسرعت نحوه فلم ألحقه وغاب عن عينى فلما نزلنا وأقضت اذا به قائم يصلى وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجرى فقلت هذا صاحبى فمضيت اليه وصبرت حتى فرغ من صلاته وأقبلت نحوه فلما رآنى مقبلا قال ياشقيق اقرأ قوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركنى ومضى فقلت ان هذا الفتى لمن الابدال قد تكلم على مافى سرى مرتين فلما نزلنا الى منى اذا بالفتى واقف على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقى بها فسقطت الركوة من يده فى البئر وأنا أنظر اليه فرمق بطرفه الى السماء وقال

يوم سبى قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بنى اسرائيل الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه فقال لهم شمويل ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت (وكانت قصة) ذلك التابوت أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها الردن وجعلوه فى بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فأصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فأخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمى الصنم على التابوت فأصبحوا من الغد وقد قطعت يد الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فأصبحت الاصنام كلها منكسة فأخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه فى ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بنى اسرائيل لا يقوم لهشئ فأخرجوه من مدينتكم قال فأخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا يبيت الرجل صحيحا فيقرضه الفار فيصبح ميتا وقد أكل ما فى جوفه فأخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه فى مجرى لهم فكان كل من تبرز هنالك أخذه الباسور والقولنج فأخرجوه ووضعوه فى بيت فمكث فيهم عشر سنين وسبعة أشهر لا يدنوا أحد منه الا احترق وأصابهم فى المدينة الآفات والعاهات وفى مواشيهم الموت وفى نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بنى اسرائيل من أولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فأقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بأرض الا كانت مقدسة فأقبلا حتى وقفا على أرض فيها حصاد لبنى اسرائيل فكسر نيرهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى أرضهما فلم تدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أى تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته فى دار طالوت فأقروا بملكه قال الله تعالى ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى فى بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله أعلم

﴿ باب فى قصة شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بنى اسرائيل وصفة نهر الابتلاء ﴾

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما أوحى الله الى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير لضره أو معذور لعذره وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو نصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لى فيما أرى لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يشتغل بها ولا يتبعنى الا الشاب النشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكان فى حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجرى لنا نهرا فقال لهم طالوت بأمر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذب يقال له ادى فمن شرب منه فليس منى أى من أهل دينى وطاعتى ومن لم يطعمه لم يشرب به فانه منى ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهو ملء الكف ومن فتح الفين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال السدى) كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن

أنت ربى اذا ظمئت من الماء وقوتى اذا أردت الطعاما ثم قال اللهم مالى سواها فلا تعدمنى اياها قال شقيق فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد الفتى يده وأخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى أربع ركعات ومال الى كثيب رمل فصار يقبض بيده من ذلك الرمل ويطرحه فى الركوة ويحركه ويشرب قال شقيق فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا أخى أطعمنى من فضل ما أنعم الله عليك فقال يا شقيق كم ترى نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولنى الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ماشربت ألذ منه ولا أطيب رائحة فشبعت ورويت وأقمت أياما لم أشته طعاما ولا شرابا ثم مضى فلم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة من الليالى وهو فى جنب قبة الشراب وهو قائم يصلى بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس فى مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلى صلاة الصبح فلما سلم من الصلاة طاف سبعا ثم خرج

عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبر والنهر وما جاوز معه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوي قلبه وصح وحسن ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أي يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية قوم واقاصدين الجهاد

﴿ باب في ذكر أمر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله ﴾

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابناله وكان داود أصغرهم وأحقرهم فأتى ذات يوم أباه فقال يا أبتاه ما أقذفت بمقلاعي هذه شيأ الا أصبته وصرعته فقال أبشر يا بني فان الله قد جعل رزقك في قذافتك يعني في مقلاعك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت بأذنيه فلم يهمني فقبضت على فكيه ففطرتهما برأسه وعنقه الى لبته بيدي من غير سكين ولا ضرب بعصى بدوتراه هناك مقتولا فقال له أبوه أبشر يا بني فان هذا خيرا أعطاكه الله ثم أتاه يوما آخر وقال يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الاسبح معي قال أبشر يا بني فان هذا خيرا أعطاكه الله وسيكون لك شأن عظيم قال فلما وصلت غزاة بني اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت أرسل جالوت الى طالوت أن ابرز الي أو أبرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته مملكتي فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فأتي بقرن فيه دهن القدس وشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداء بني اسرائيل وأقوياءهم فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأوحى الله الى شمويل عليه السلام ان في ولد ايشا من يقتل جالوت واني أريد أن أجعله خليفة في الارض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعي الغنم فقل لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له اعرض علي بنيك فأخرج له اثني عشر ولدا أمثال السواري وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا يرى شيأ ويقول لذلك الجسم ارجع فيردده على التنور فأوحى الله تعالى اليه انا لا نأخذ الرجال على صورهم ولكنا نأخذهم على صلاح همهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا فقال شمويل رب قد زعم أنه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا ان ربي كذبك قال صدق الله يا نبي الله ان لي ابنا صغيرا يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا اسقيما مصفرا أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادي قد سال بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض وأجلسه في التنور فملأه فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل

فتبعته فاذا الحاشية والموالي وهو على خلاف ما رأيته في الطريق ودار به الناس من حوله وهم يسلمون عليه فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى فقال هو موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم في الدنيا والآخرة آمين ﴿وحكي عن أبي عبد الله الجوهري رضي الله تعالى عنه﴾ أنه قال كنت سنة من السنين في عرفات فلما جن الليل نمت فرأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه كم وقف على هذا الجبل في هذه السنة من الحجاج قال ستمائة ألف نفس فلم يقبل الله تعالى منهم غير ستة أنفس فهممت أن ألطم وجهي وأنوح على نفسي فقال له ما فعل الله بباقي الجمع قال نظر الله اليهم حتى لا يخيب سعيهم فوهب لكل واحد من الستة مائة ألف فغفر الله بستة أنفس لستمائة ألف نفس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال عبد الله فحمدت الله تعالى وزال ما كان عندي ﴿وحكي عن الشيخ أبي الفوارس شاه بن

جالوت وأزوجك ابنتي وأجري حكمك في مملكتي قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا راعي الغنم فيجيء الاسد والنمر والذئب ليأخذ شيأ فأقوم اليه وأقبضه وأفتح لحييه منها وأخرقهما الى قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك رده الى عسكره فمر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه ياداود احملني فاني حجر هرون الذي قتل به ملك كذا وكذا فوضعه في مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه ياداود احملني فاني حجر موسى عليه السلام الذي قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت وقد خبأني الله لك فوضعه في مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا فوجد في نفسه زهوا فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرني فما يغني عني هذا السلاح شيأ فدعني أقاتل كما أريد فقال له طالوت افعل ما تريد فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديد وكان له فرس أبلق مثله في الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الي قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يابني تأتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر قال نعم أنت أشر من الكلب قال لاجرم لأقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال له داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع وطير السماء وأخذ حجرا منها وقال بسم الله اله ابراهيم ووضعه في مقلاعه وأخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله اله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم أخرج ثالثا وقال بسم الله اله يعقوب ووضعه في مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وأدار المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من بعد ما خرج من قفاه تكسر وتفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد الا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا الحثوة من التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا وأسرع داود عليه السلام فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين

﴿ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت﴾

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في أنفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له أنجز الي ما وعدتني وأعطني امرأتي فقال له طالوت أتريد ابنة الملك بغير صداق فقال صداق ابنتي وشانك بها فقال داود لطالوت ما شرطت علي صداقا وليس لي شيء فتحكم في الصداق بما تريد وأقرضني مهرها وعلى الاداء والوفاء لك به فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لاتظلمه وأنجز له ما وعدته فلما رأى طالوت ميل بني اسرائيل الى داود وأحسن ثناءه عليه وقال لاحاجة لابنتي في المال ولا أكلفك ما لا تطيق أنت رجل جريء وفي جبالنا أعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني برؤسهم زوجتك ابنتي فأتاهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل منهم رجلا احتز رأسه ونظمه في خيط حتى نظم رؤسهم ثم جاء بهم الى طالوت وألقاهم بين يديه وقال له ادفع الي امرأتي فزوجه امرأته وأجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام وأحبه بنو اسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فاراد قتله (قال وهب بن منبه) كانت الانبياء والملوك

الشجاع الكرماني عفا الله عنه) أنه قال خرجت يوما للصيد والنزهة وكنت يومئذ ملك كرمان فامعنت نظري في صيد رأيته وسرت في طلبه حتى وقعت في برية مقفرة ولم يكن عندي من عسكري أحد فبينا أنا كذلك اذا بشاب جميل الخلقة راكب على سبع وحوله سباع كثيرة فلما رأتني السباع ابتدرت الي فزجرها الشاب فتأخرت عني فسلم علي وقال ياشاه ما هذه الغفلة عن الله تعالى اشتغلت بدنياك عن أخراك وبلذتك عن خدمة مولاك انما أعطاك الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة الى الاشتغال عنه فلما سمعت ذلك منه طاش عقلي ودهشت في نفسي فبينا هو يحدثني اذ خرجت عجوز بيدها كوز فيه ماء فتناوله الشاب منها وشرب ودفع الباقي الي فشربته فما رأيت ألذ من ذلك ولا أحلى منه ثم غابت العجوز عن عيني فتعجبت من ذلك وقلت للشاب من أين هذه العجوز فقال ياشاه هذه الدنيا وقد وكلها الله تعالى علي تخدمني فكلما احتجت

يومئذ يتوكؤن على العصى ويغرزون فى أطراف العصى أزجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا فى ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالصابغة ليقتله بها صبرا فلما أحس داود بذلك حاد عن رميته وأمال نفسه من غير أن يبرح من مكانه فارتكزت العكازة فى الجدار فقال له داود أردت قتلى قال له طالوت لا بل أردت أن أقف على ثباتك عند الطعان وربط جأشك للاقران فقال له داود عليه السلام أفلقيته على ماقصرته فى قال نعم ولكنك لعلك فزعت قال معاذ الله أن أخاف الا الله ولا ألجأ الا اليه ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعها من الجدار وهزها هزة منكرة وقال له اثبت لى كما ثبت لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له أنشدك بالله وبحرمة المصاهرة التى بينى وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان منه التخويف والتحذير فقال داود لطالوت ان الله قد كتب فى التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واحدة والبادى أظلم قال طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين فقال داود قد عفوت عنك لوجه الله تعالى فلبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله فى داره فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود وأخبرها رجل يقال له ذو العينين فقالت له داود انك لمقتول الليلة قال ومن يقتلنى قالت أبى قال وهل أجرمت جرما قالت حدثنى من لا يكذب ولا عليك بأس أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان أراد ذلك لا أستطيع خروجا ولكن ائتينى بزق من خمر فأتته به فوضعه فى مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير قال فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ماطلبت لخليق أن لايدعنى حتى يدرك ثاره منى ثم انه استتر بحجابه وحراسه وأغلق دونه الابواب قال فأتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب وفتح الله الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير منى ظفرت به فقصدت قتله وظفر بى فكف عنى لوشاء لوضع هذا السهم فى حلقى وما أنا بالذى آمنه فلما كانت الليلة القابلة أتاه داود ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فأخذ ابريق طالوت الذى كان يتوضأ منه وكوزه الذى كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيأ من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وشدد فى طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشى فى البرية فقال طالوت فى نفسه اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش وكان داود اذا فر لم يدرك فركض طالوت فى أثره واشتد داود فى الجرى فدخل غارا فأوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضى خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت فى شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر فى بنى اسرائيل على عالم ويطيق قتله الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر خبازة بقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله فى قلب طالوت التوبة فندم على مافعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكى وينادى أنشد الله عبدا يعلم لى توبة الا أخبرنى بها فلما أكثر عليهم بكاؤه ناداه مناد من القبور ياطالوت أما ترضى أنك قتلتنا أحياء حتى تؤذينا

الى شئ حضرنى لطلبه حين يخطر ببالى ثم قال ياشاه أما بلغك ان الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يادنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال شاه فلما رأيت ذلك وسمعته منه تركت الدنيا وتنزهت عن الملك وتبت الى الله من وقتى واشتغلت بخدمة مولاى وخالقى ولله الحمد على ذلك اللهم انا نسألك التوبة والتوفيق آمين (وحكى عن بعض الاكراد ممن كان يقطع الطريق وينهب الاموال أنه قال) بينما أنا وأصحابى قد خرجنا لقطع الطريق وأخذ أسباب الناس اذ اتينا الى مكان فيه ثلاث نخلات فواحدة منها ليس عليها ثمر والنخلتان عليهما الثمر فنظرت فاذا بعصفور يحمل رطبا من النخلة المثمرة الى النخلة التى ليس عليها ثمر ففعل ذلك عشر مرات فتعجبت منه ثم خطر بنفسى أن أنظر ذلك فقمت وصعدت على النخلة فنظرت فاذا بحية عمياء قاعدة فاها والعصفور يضع ذلك الثمر فى فيها فلما رأيت ذلك بكيت وقلت هذه حية أمر نبينا بقتلها فلما أعماها

أمواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز وقال له مالك أيها الملك فقال هل تعلم لي في الارض عالما أسأله هل لي من توبة فقال له الخباز أيها الملك هل تدري ما مثلك قال لا قال ما مثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لأصحابه اذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وأنت هل تركت عالما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيت ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالأيمان فأخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها أسألها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألست أعظم الناس عليك منة أنجيتك من القتل وأويتك عندي قالت بلى قال لي اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكره غشي عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل من توبة قالت لا والله ماله من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادت يا صاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل ما فعلت يا طالوت بعدي قال لم أدع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت أطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار أكنتم تفدونني قالوا نعم نفديك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فأعرض علينا مقالتك فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز بأولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره يقول له قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بعده فضرب عنقه

﴿ مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها ﴾

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت العلماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت أتى بنو اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

﴿ باب في ذكر نسبه ﴾

هو داود بن ايشا بن عوفيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارص ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

﴿ باب في ذكر صفته وحليته ﴾

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرقة العينين يمن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه

الله تعالى سخر لها عصفورا يقوم لها بالقوت وأنا عبد من عباده أقامني لقطع الطريق وخيانة السبيل ثم قلت اللهم اني تائب اليك مما كان مني ولا أعود أبدا ثم كسرت سيفي ووضعت التراب على رأسي وناديت الاقالة الاقالة فسمعت قائلا يقول قد أقلناك فأتيت رفاقي فلما رأوني قالوا ما بالك بتلك الحالة فقلت لهم اني كنت مهجورا وصولحت ثم قصصت عليهم ما رأيت فلما سمعوا ذلك قالوا ونحن نصالح كما صولحت فرموا أسلحتهم جميعا وتابوا الى الله تعالى ثم أحرمنا وقصدنا مكة شرفها الله تعالى فمشينا ثلاثة أيام حتى اتينا الى قرية فيها امرأة عجوز عمياء وكانت من الصالحات فخرجت الينا وقالت أفيكم فلان الكردي فقلنا نعم فاخرجت ثيابا وقالت ان ولدي مات عن قريب وخلف هذه الثياب فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي أعط هذه الثياب لفلان الكردي هو وأصحابه قال فأخذنا الثياب وسرنا من عندها حتى دخلنا مكة والحمد لله على ذلك ﴿ وحكي عن الامام

دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقيه

﴿ باب في ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامة حين أعطاه الله النبوة والملك ﴾

(فنها) انه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسون سورة في خمسين منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل ايرون وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم ويفيق المغمى عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويؤخذ باعناقها وتظله الطيور مصحية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما صنعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته وذلك أن ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته ألا ترون ما دهاكم فقالوا مرنا بما شئت فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا ما يضاده ويعادله في مثل حاله فهيؤا المزامير والعيدان والاوتار والملاهي على أجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا اليها فاغتروا بها ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغى له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلها ونقصت نغمته فقال الهي ما هذا فأوحى الله تعالى اليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود ان الخطيئة هي التي غيرت صوتك وحالك فقال الهي أوليس قد غفرتها لي قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التي بيني وبينك من الود والقرب فلن تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه قال حدثنا ماجد ثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدوابه أن تسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور ● وبالاسناد أخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الاشعري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا (وأخبرنا أبو بكر) قال أخبرنا أبو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى فقال كأن صوت هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ويقال ان داود عليه السلام كان اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليلة من الليالي لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها فصعد الجبل فلما كان في جوف الليل داخلته وحشة فأوحى الله تعالى الى الجبال ان آنسي داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الأصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفجر له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض فانتهى به الى الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع (قوله

أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه أنه قال) كنت جالسا ببغداد أنتظر جنازة لأصلي عليها وأهل بغداد في طرقاتهم جلوس ينتظرون ما أنتظره فاذا بفقير عليه آثار الدلال والنسك يسأل الناس فقلت في سري لو عمل هذا عملا يصون به نفسه عن السؤال كان خيرا له فلما انصرفت الى منزلي وكان على شيء من الورد في الليل من الذكر والصلاة والبكاء وغير ذلك فثقل على جميعه وسهرت سهرا شديدا ثم غلبني النوم فنمت فرأيت في نومي ذلك الفقير وقد جاؤا به في خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشفوا لي عن الخوان فقلت أنا ما اغتبته انما قلت في نفسي شيأ فقيل لي ما أنت ممن يرضى منهم بمثل هذا اذهب اليه فاستحله مما كان منك قال الجنيد فأصبحت ولم أزل مترددا عليه حتى رأيته في موضع ظاهر البلد وهو يلتقط من الماء ما يتساقط من أوراق البقل فأتيت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال لا تعد الى مثلها يا أبا القاسم فقلت

تعالى يسبحن بالعشي والاشراق) قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الأوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى علم الحكم والتظرف في القضاء كان لا يتتعتع في القضاء بين الناس وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت نزيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والأيمان عن الشعبي قال سمعت نزيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطي داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف الحق من المبطل في المحاكمة اليه (وهو ما روى) الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر ومدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهواء خلل الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الابرأ وكان علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون بأكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه وأنكر ماله من حق أتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فينالها ومن كان كاذبا ظالما لم ينلها فكانت فيهم الى أن ظهر فيهم المكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتحاكما الى السلسلة فعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر مع غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال صاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وتفكروا فيها فأصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحاكمان اليه يقول ما أحوجكما الى سلسلة بني اسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره الى الحق جرا (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الأيد يعني القوة في العبادة انه أواب أي تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل وما مرت به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيهم منهم صائم (ومنها) قوة المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أي قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل وقال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقال المتعدي ان هذا قد غصبني بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى اليه في منامه أن يقتل الرجل الذي تعدى فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال

أستغفر الله العظيم فقال اذهب غفر الله لي ولك ثم ولي فزاره رضي الله تعالى عنه ورضي عنا بهم أجمعين آمين (وحكي عن الجنيد أيضا رضي الله تعالى عنه أنه قال) دخلت الكوفة في بعض أسفاري فرأيت دارا كانت لبعض الرؤساء عليها أثر النعيم وعلى بابها عبيد وغلمان وفي بعض أروقتها جارية تغني وتنشد هذه الأبيات

ألا يا دار لا يدخلك حزن ... ولا يعبث بساكنك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف ... اذا ما الضيف أعوزه المكان

قال الجنيد فمررت بعد ذلك بمدة يسيرة فاذا بذلك الباب مسود والجمع مبدود وقد ظهر عليها كآبة الذل والهوان وعلى ذلك الباب مكتوب هذان البيتان

ذهبت محاسنها وبان شجونها ... والدهر لا يبقي مكانا سالما
فاستبدلت من أنسها بتوحش ... بعد السرور بها عزاء دائما

قال الجنيد فسألت عن خبرها فقيل مات صاحبها وصار أمرها الى ما ترى قال الجنيد فقرعت الباب

هذه مرة يا فأوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله فأرسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الى أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك انى والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الانبياء وعلى يساره ألف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش فيروى انه ما فر ولا انحاز من عدو له قط (ومنها) الانة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى فى الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول فى داود واليكم هذا أى الرجل هو فيثنى عليه ويقول خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا فى صورة الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال ما هى يا عبد الله قال ان داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله فالان له الحديد فصار فى يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بحديد وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أى دروعا كوامل واسعات وقدر فى السرد أى لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اقتنى من ذلك مالا (وروى) ان لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان ما يراد به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

﴿ باب فى قصه داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك ﴾

قال الله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء باخبار الانبياء فى سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم كان سبب ذلك أنه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وسأله أن يمتحنه بمثل الذى كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذى أعطاهم (فروى) السدى والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضى فيه بين الناس ويوما يخلو فيه بنسائه ويوما لعبادة ربه وقراءة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها أحد فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه السلام بنار النمروذ وبذبح ولده وابتلى اسحق بالذبح وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وانك لم تبتل بشئ من ذلك فقال داود عليه السلام يارب فابتلنى كما ابتليتهم واعطنى كما أعطيتهم فأوحى الله تعالى اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس على الصبر فلما كان فى اليوم الذى وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت

الذى كان لا يقدر أحد أن يصل اليه فكلمتنى جارية بكلام ضعيف فقلت لها ياجارية أين بهجة ذلك المكان وأنواره وأين شموسه وأقماره وأين قصاده وزواره فبكت الجارية بكاء شديدا وقالت ياشيخ كانوا فيه على سبيل العارية ثم نقلتهم الأقدار الى دار القرار وهكذا حالة الدنيا ترحل من سكن اليها وتسيء من أحسن اليها قال فقلت لها ياجارية مررت فى بعض الأعوام على هذا القصر فسمعت فيه جارية تغنى بصوت شجى فمن تلك الجارية فقال فبكت وقالت هو أنا ولم يبق أحد من أهل هذه الدار غيرى فالويل لمن عرفته الدنيا فقلت لها يا جارية كيف يقر بك القرار فى هذا الموضع الخراب فقالت ياشيخ ما أعظم جفاك أما علمت أن هذا منزل الأحباب فكيف أفارقه ثم جعلت تقول هذه الابيات

قالوا أتفنى وقوفا فى منازلهم
ونفس مثلك لا يفنى تحملها

فقلت والقلب قد ضجت اضالعه
والروح تنزع والاشواق تبذلها

بين يديه فمد يده ليأخذها (وفى بعض الروايات) ليدفعها الى ابن له صغير فلما أهوى اليها طارت غير
بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت فوقعت فى كوة فذهب
ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث اليها من يصيدها فنظر الى امرأة فى بستان على
شط بركة تغتسل هذا قول الكلبى وقال السدى رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أحسن النساء
خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى
بدنها كله فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل له هى سايغ بنت شايع امرأة أوريا بن حنان وزوجها
فى غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء
أن ابعث أوريا الى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع
الى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود
أيضا أن ابعثه الى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأسا فبعثه فقتل فى المرة الثانية فلما انقضت عدتها
تزوجها داود فهى أم سليمان عليه السلام وقال آخرون انما سبب امتحانه ان نفسه حدثته انه يطيق قطع
يوم بغير مقارفة سيئة وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة
أجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة و يوما لقضاء حوائج المسلمين ويوما لبنى اسرائيل يذاكرهم
ويذاكرونه يسألهم ويسألونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم
لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود فى نفسه انه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق أبوابه
وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل
شئ حسن قد وقعت بين يديه فاهوى اليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من
نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فاعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله فى الارض
جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها فى بعض جيوشه فكتب
اليه ان سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فاصيب فخطبها داود
وتزوجها وقال بعضهم فى سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد أن داود عليه السلام
قال لبنى اسرائيل حين ملك والله لاعدلن فيكم ولم يستثن فابتلى (وقال أبو بكر) بن محمد بن
عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فاعجب بعمله فقال هل فى
الارض أحد يعمل عملى فاتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك
والعجب يأكل العبادة فان أعجبت ثانيا وكلتك الى نفسك فقال داود يارب كلنى الى نفسى سنة
فقال انها لكثير قال فشهرا قال انه لكثير قال فاسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما قال انه لكثير
قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين
يديه فبينما هو فى نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل
داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين فى صورة رجلين فطلبا أن يدخلا
عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحراس أن يدخلا عليه فتسوروا المحراب وهو يصلى فما شعر الا
وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود
ففزع منهم حين هجما عليه فى محرابه بغير اذنه قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا
بالحق ولا تشطط أى ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى وسط الطريق المستقيم
ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج
عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا تورى عن النساء وتكنى عنها بالقاب كالظباء والنعاج والبقر وهو

منازل الحب فى قلبى معظمة
وان خلا من نعيم الوصل
منزلها
فكيف أتركها والقلب
يتبعها
حبا بمن كان قبل الموت
ينزلها
قال الجنيد فتركتها ومضيت
وازداد قلبى تولها ووقع
شعرها فى قلبى موقعا وانما
أعجبنى قولها لانها ذكرت
صفة الحب والمحبوب
وصدقت فى الوصف الذى
ذكرته وصبرت على منازل
الاحباب وملازمتها على
ما هى فيه من شظف الحال
وتجدد أحزان الفراق
فسبحان من قهر العباد
بكأس الموت (وحكى عن
ابراهيم الخواص رضى الله
تعالى عنه أنه قال) خرجت
سنة من السنين الى بيت
الله الحرام وزيارة النبى صلى
الله عليه وسلم فبينما أنا
أمشى اذ عارضنى عارض
فى طريقى يقتضى الخلوة
والخروج عن الطريق
الجادة فاخذت طريقا
غير الطريق التى كنت
ماشيا فيها فصرت أمشى
ثلاثة أيام بلياليها ما خطر
على ذكر طعام ولا شراب
ولا حاجة مطلقا حتى انتهيت
الى برية خضراء فيها من
كل الثمرات والرياحين

كثير فاش في أشعارهم فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال الضحاك أعطنيها وتحول لي عنها واجعلها كفلي أي نصيبي وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح مني وان حارب كان أبطش مني فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدي) باسناده ان أحدهما لما قال ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول فقال ان لي تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فأنا أريد ان آخذها منه وأكمل نعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا ندعك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل يا داود أنت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا الا امرأة واحدة فلم تزل تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية الآن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر قال واتم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود أنما فتناه أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذا أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير في قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحرث الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص معتقدا صحته جلدته حدين لعظيم ما ارتكب وجليل ما احتقب يعني ما اكتسب من الوزر والاثم برمي من قد رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون) بتنزيه المرسلين في هذه القصة ان لا ذنب انما كان تمنى أن تكون له امرأة أوريا حلالا وحدثته نفسه بذلك فاتفق له غزوة فأرسل أوريا فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ومما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المعافري عن زكريا عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة قطع على بني اسرائيل بعثا وأوصى صاحب البعث اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقصا عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجوده زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلائق من بعده فجاءه جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود قد علمت ان الله قادر على أن يغفر الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعني أوريا اذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني

ورأيت في وسطها بحيرة فلما رأيتها قلت هذه جنة وصرت متعجبا فبينما أنا كذلك اذا بنفر قد أقبلوا على سيماهم سيما الآدميين وعليهم المرقعات الحسان فأتوا الي وسلموا علي فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم وقع في خاطري سؤالهم عن كونهم من الجن أم من الانس وان البقعة بقعة غريبة فقال قائل منهم قد جرت بيننا مسئلة واختلفنا فيها ونحن نفر من الجن قد سمعنا كلام الله من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي فسلبتنا نغمة كلامه جميع الدنيا وقد قيض الله لنا هذه البحيرة في هذه البرية قال ابراهيم فقلت كم بيني وبين أصحابي وهل حضر هذا الموضع غيري فقالوا ان هذا الموضع لم يحضر اليه آدمي قبلك غير شاب من أصحابك وتوفي هنا وهذا قبره ثم أشاروا الى شفير تلك البحيرة فرأيت قبرا حوله رياحين وروضة خضراء لم أر أحسن منها ثم قالوا أتدري كم بينك وبين أصحابك فقلت الله أعلم فقالوا مسيرة سنة قال ابراهيم فتعجبت من ذلك فقلت أخبروني عن الشاب صاحب

فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول هب لى دمك الذى عند داود فيقول هولك يارب فاقول ان لك فى الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا عن دمك أخبرنا ابن فتحويه باسناده عن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا فى صورتهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنما فتناه فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لابد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه تعالى ويسأله التوبة وكان يقول فى سجوده سبحان الملك الاعظم الذى يبتلى الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب الهى خليت بينى وبين عدوى ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزل بى قدمى سبحان خالق النور الهى تبكى الثكلى على ولدها اذا فقدته ويبكى داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لى لاتذهب عنى سبحان خالق النور الهى لم أتعظ بما وعظت به غيرى سبحان خالق النور الهى أمرتنى أن أكون لليتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور الهى خلقتنى وفى سابق علمك كان ما أنا صائر اليه سبحان خالق النور الهى الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهى بأى عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور الهى بأى قدم أقوم أمامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهى مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها فتؤنسنى فتركتنى والخطيئة لازمة لى سبحان خالق النور الهى أمطرت السماء ولم تمطر حولى وأعشبت الارض ولم تعشب حولى بخطيئتى سبحان خالق النور الهى أنا الذى لاأطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهى أنا الذى لاأطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهى كنت تستر الخاطئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور الهى رق القلب وجمدت العينان من مخافة الحريق على جسدى سبحان خالق النور الهى الطير تسبح لك وأنا العبد الخاطئ الضعيف الذى لم أرع وصيتك سبحان خالق النور الهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصاب ولا علم له بذلك سبحان خالق النور الهى أنا المستغيث وأنت المغيث فما يدعو المستغيث الا المغيث سبحان خالق النور الهى أسألك بأبى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تعطينى سؤلى سبحان خالق النور اللهم برحمتك اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهواى فانك أرحم الراحمين سبحان خالق النور الهى انى أعوذ بك من دعوة لاتستجاب وصلاة لاتقبل وذنب لايغفر وعذاب لايفتر سبحان خالق النور الهى انى أعوذ بك وبنور وجهك الكريم من ذنوبى التى أوبقتنى سبحان خالق النور الهى فررت اليك من ذنوبى واعترفت بخطيئتى فلا تجعلنى من القانطين ولا تخزنى يوم يبعثون سبحان خالق النور الهى فرغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتى وخطيئتى ألزم لى من جلدى سبحان خالق النور قالوا فاتاه النداء أجائع أنت فتطعم أو ظمآن أنت فتسقى أو مظلوم أنت فتنتصر ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشئ فصاح صيحة فهاج منها ما حوله ثم نادى يارب الذنب الذى أصبته فنودى ياداود ارفع رأسك فقد غفرت لك فلم يرفع رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام أتاه نداء انى قد غفرت لك فقال يارب كيف وأنت لاتظلم أحدا فقال اذهب الى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم ناداه ياأورياه فقال لبيك من هذا الذى قطع على لذتى وأيقظنى قال أنا داود قال ما جاء بك يانبى الله قال جئت أتحلل مما كان

هذا القبر فقال قائل منهم بينما نحن قعود على شفير هذه البحيرة نتذاكر المحبة ونتحاور فيها اذا نحن بشخص قد أقبل الينا وسلم علينا فرددنا عليه السلام وقلنا له من أين أقبل الشاب فقال من مدينة سابور فقلنا له متى خرجت منها فقال منذ سبعة أيام فقلنا له وما الذى أزعجك منها وأخرجك من وطنك فقال سمعت قوله تعالى وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون فقلنا له ما معنى الانابة وما معنى التسليم وما معنى العذاب فقال الانابة أن يرجع بك منك اليه ولم يذكر التسليم فى الاصل ولعله أراد أن العبد يسلم نفسه لله تعالى ويعلم انه أولى به ثم قال والعذاب وصاح صيحة عظيمة ومات رحمة الله عليه فواريناه بالتراب وهذا قبره رضى الله تعالى عنه قال ابراهيم فتعجبت مما وصفوه لى فدنوت الى قبره فوجدت عنده باقة نرجس كأنها رحا عظيمة ومكتوب على ورقة منها هذا حبيب الله قتيل الغيرة وعلى ورقة أخرى صفة الانابة قال ابراهيم فقرأت لهم ما هو مكتوب على

منى اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال عرضتنى للجنة وأنت فى حل فاوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ألم تعلم أنى حكم عدل لاأقضى الا بالحق ألا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه فناداه يا أورياء فأجابه فقال من هذا الذى قطع على لذتى قال أنا داود قال يانبى الله ماحاجتك أليس قدعفوت عنك قال نعم لكن أنما فعلت بك ذلك الا لمكان امرأتك وانى قد تزوجتها قال فسكت أورياء ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور قال فأتاه النداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمتك ورثيت لطول مكانك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف لى أن تعفو عنى وصاحبى لم يعف عنى قال ياداود وان يعف أولم يعف فانا أعطيه يوم القيامة مالم تر عيناه ولم تسمع أذناه فاقول له قد رضيت عبدى فيقول يارب من أين هذا ولم يبلغه عملى فاقول هذا عوض من أجل عبدى داود فاستوهبك منه فيهبك لى فقال داود يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لى فذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وروى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا فى قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ان أول من يشرب الكاس يوم القيامة داود عليه السلام (أخبرنا) أبو الحسين محمد بن محمد بن على أخبرنا بكر بن أحمد بن معقل أخبرنا عمر بن محمد الشرقى قال النضر الكعبى قال حدثنا أبو سعيد عبد الله المزنى قال حدثنا محمد بن المنكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثنى أبو سعيد الخدرى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انى رأيت الليلة فى منامى كأنى تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة الى السجدة سجدت فسمعتها تقول فى سجودها اللهم اكتب لى بها أجرا واحطط عنى بها وزرا وارزقنى بها شكرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسجدت أنت ياأبا سعيد قال قلت لا يارسول الله فقال أنت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة (قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لاترقأ له دمعة ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعنى أربعة أيام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما للنساء ويوما يسيح فى الفيافى والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو فى داره وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافى فيرفع صوته كالمزامير ويبكى فيبكى معه الشجر والمدر والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجىء الى الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكى وتبكى معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجىء الى الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التى فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها ويجىء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح

النرجس وفسرته لهم فوقع بهم الطرب فلما أفاقوا قالوا قد وجدنا جواب مسئلتنا فوقع النوم على فما انتبهت الا قريبا من أصحابى بمسجد عائشة رضى الله تعالى عنها فوجدت فى وطائى باقة نرجس فمكثت معى سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد مدة يسيرة فقدتها فتأسفت عليها أسفا شديدا ورجعت باكيا حزينا (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه أنه قال) رأيت فى منامى كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم الى ظاهر المقبرة فاذا هم يلتقطون شيأ لاأدرى ماهو فتعجبت من ذلك ورأيت رجلا منهم جالسا منفردا وحده لم يلتقط معهم فدنوت منه فسلمت عليه وسألته ماالذى يلتقطه هؤلاء فقال يلتقطون مايهدى المسلمون من القراءة والصدقة والدعاء فقلت له لم لاتلتقط معهم فقال انى غنى عن ذلك فقلت له بأى شئ أنت غنى فقال بختمة يقرؤها ولدى يهديها الى فى كل يوم وليلة فقلت وأين هو فقال شاب يبيع الزلابية فى السوق الفلانى قال فلما استيقظت

وفى أيديهم العصى ثم يجلسون فى تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه أصواتهم
فلا يزال يبكى حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجىء ابنه سليمان
عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر لى ما ترى
فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء أهل الارض ودموعهم لعدلها (أخبرنا) ابن فنجويه عن عثمان
ابن أبى عاتكة أنه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانك الهى اذا ذكرت خطيئتى ضاقت على
الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الىّ روحى الهى أتيت أطباء عبادك ليداوونى فكلهم
عليك دلونى وقال صلى الله عليه وسلم خد الدمع فى وجه داود مثل خد الماء فى الارض أخبرنا ابن فنجويه
عن الحسن بن عبد الله القرشى قال لما أصاب داود الخطيئة فزع الى العبادة فأتى راهبا فى قلة جبل
فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذى ينادينى قال أنا داود
نبى الله قال صاحب القصور الحسنة الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات لئن نلت الجنة
بهذا لأنت أنت قال داود فمن أنت قال أنا راهب راهب متعبد ومترقب قال فمن أنيسك ومن جليسك
قال اصعد تره ان كنت تريد ذلك قال فتخلل داود الجبل ورقى الى القلة فاذا هو بميت مسجى فقال له
هذا أنيسك هذا جليسك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة فى لوح من نحاس عند رأسه فقرأ
داود الكتاب فاذا فيه أنا فلان بن فلان ملك الملوك عشت ألف عام وبنيت ألف قصر وألف مدينة
وهزمت ألف عسكر وتزوجت ألف امرأة وافتضضت ألف بكر فبينا أنا فى ملكى اذ أتانى ملك الموت
فأخذنى وأخرجنى عما كنت فيه فهذا التراب فراشى والدود جيرانى قال فخر داود عليه السلام مغشيا
عليه * وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعودون داود عليه
السلام فيظنون أنه مريض وما به الا الحياء والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما تاب الله
على داود كان يبدأ اذا دعا فيستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر للخاطئين فعساك أن
تغفر لداود معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين ثم يقول
تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس
فى قصعته ولا يزال يبكى حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل
الخاطئين قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان
من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله
عليه قال يارب أغفرت لى قال نعم قال فكيف لى أن لا أنسى خطيئتى فأستغفر منها لى وللخاطئين الى
يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته فى يده اليمنى فما رفع بها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا
فى الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم الخطيئة (وأخبرنا) عبد الله بن حامد عن ثابت
قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تعالى تخلعت أوصاله ولا يشدها الا الأنين فاذا ذكر رحمة
الله تعالى تراجعت (وعن أبى عبد الله البجلى) قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء قط
حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

{ باب فى ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما }

قال وهب وغيره من أهل الكتب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى أن كان من
أمره وأمر امرأة أورياه ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخف به بنو اسرائيل
واستضعفوه واجتمع أهل الزيغ من بنى اسرائيل وذهبوا الى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له شالون
وقيل ايشا وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك

من نومى ذهبت الى السوق فاذا بشاب جالس يبيع الزلابية ويحرك شفتيه فأتيت اليه وقلت له بأى شئ تحرك شفتيك فقال ختمة أقرؤها وأهدى ثوابها الى والدى فى قبره قال فكنت بعد ذلك مدة من الزمان فرأيت فى بعض الليالى كما رأيت أولا وهو أن أهل القبور يلتقطون واذا بالرجل يلتقط معهم كما يلتقطون فاستيقظت متعجبا وذهبت الى السوق لانظر ما فعل بالشاب فوجدته قد مات رحمة الله تعالى عليه فسألت الله تعالى أن يرينى مقامات أهل المقابر فرأيت فى نومى كأن القيامة قد قامت والقبور قد انشقت فاذا منهم النائم على السندس ومنهم النائم على الحرير والديباج ومنهم النائم على الريحان ومنهم النائم على السرير ومنهم الضاحك ومنهم الباكى فقلت يارب لو شئت ساويت بينهم فى الكرامة الواحدة فنادى مناد من أهل القبور ياهذا انما هى منازل الاعمال وعطات الرجال (فأما) أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن (وأما) أصحاب الحرير والديباج فهم

فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعاهم الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له نواب وتوغل فى الجبال فاشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت أنت بنبي أذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد أذن لك فى هلاكه فلا تباشره أنت فانه لا يحصل فى الآخرة تحوته منك فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود و بقى ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فخاف ابنه فهزمه ووجه فى طلبه قائدا من قواده وأوصاه أن يتوقى حتفه و يتلطف فى أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فر بغصن بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فسمع لحقه القائد فقتله مخالفا الأمر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر للقائد وكان له بأس شديد فى ملاقاة العدو فكره داود أن يقتله فتركه لأجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحى الى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سنتين

(باب فى قصة أصحاب السبت)

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت الآية (قال) ابن عباس ووهب بن منبه ان قوما من بنى اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها ايلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك فى زمان داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهن حتى اذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقر البحر لا يرى منهن الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا و يوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت أبا القاسم) قال سمعت أبى يقول سئل الحسن بن الفضيل هل تجد فى كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم فى قصة داود عليه السلام وأهل أيلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا و يوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الحبال والشخوص يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفى غير يوم السبت لا يأتيهم حوت واحد فأخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة فى الساحل ثم تركه فى الماء الى يوم الاحد فأخذه فشواه فوجد جاره ريح الحوت فقال له يا فلان انى أجد فى بيتك ريح الحوت فانكره فاطلع الجار فى تنوره فاذا هو فى بيته فقال له انى أرى الله سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ فى السبت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فاثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقست قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لأنهم قتلوا أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثنى عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون والممسكون والله لنخرجن من القرية ولانسا كنكم فى قرية واحدة ثم قسموا القرية

الشهداء (وأما) أصحاب الريحان فهم الصادقون (وأما) أصحاب الضحك فهم أصحاب التوبة (وأما) أصحاب البكاء فهم المذنبون قال فاستيقظت من نومى مفكرا فيهم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ورحمنا والمسلمين آمين بجاه سيد المرسلين (وحكى عن صالح المرى رضى الله تعالى عنه أنه قال) أقبلت ليلة جمعة الى الجامع فمررت على مقبرة فجلست عند قبر هناك فغلبنى النوم فنمت فرأيت فى منامى كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا يتحدثون واذا بشاب عليه ثياب دنسة جالس بجانب القبر مهموما مغموما فريدا بنفسه ثم لم يلبثوا الا ساعة حتى أقبلت الملائكة بايديهم أطباق من نور مغطاة بمناديل من نور فأخذ كل واحد منهم طبقا من تلك الاطباق ودخل فى قبره الا هذا الشاب فتعلقت به وقلت له يا عبد الله مالى أراك حزينا وما هذه الاطباق فقال هذه صدقات الاحياء ودعاؤهم لموتاهم تأتيهم كل ليلة جمعة و يومها ثم بكى بكاء شديدا وذكر أن له والدة قد اشتغلت عنه بالدنيا

بينهم بجدار ومكثوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا لهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذاهم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أى شديد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أى صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود يعنى عصاة أهل ايلة وعيسى بن مريم يعنى كفار أصحاب المائدة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القردة أنسباءهم من الانس ولم تعرف الانس أنسباءهم من القردة فجعل القرد يأتى نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكى فيقول له الرجل ألم ننهكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة فصارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متحيرين ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفهم فى البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو نصر عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة على وجه الارض غير أهل القرية التى كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

(باب فى قصة داود وسليمان عليهما السلام فى الحرث)

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (قال ابن عباس وقتادة) كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا فأفسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعى بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شئ قال ابن عباس وقتادة ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ قال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحرث فمرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع فى القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود وشريح ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فسار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لأنه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمرا بسليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال لهما ما قضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعاد الى داود فأخبراه بذلك فدعا سليمان وقال بحق النبوة والابوة الا ما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعى فى اصلاح الكرم الى أن يعود كهيئته ثم يتسلمه صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا

وتزوجت وتركته وقد تخلف له الحزن والبكاء والنحيب اذ ليس له من يتذكره قال صالح فسألته عن منزل والدته أين هو فوصف لى الموضع فلما أصبحت ذهبت الى بيت والدة الشاب وطرقت عليها الباب فكلمتنى من خلف الستر فقصصت عليها القصة فلما سمعت ذلك بكت بكاء شديدا ثم قالت يا صالح خذ هذه الالف درهم فتصدق بها على ولدى وقرة عينى وأنا لم أنسه بقية عمرى ان شاء الله تعالى قال صالح فتصدقت عليه بتلك الدراهم فلما كانت الجمعة الاخرى أقبلت أريد المسجد على العادة فأتيت المقبرة وأسندت ظهرى الى القبر فنمت فاذا بالناس قد خرجوا من قبورهم واذا بالشاب عليه ثياب بيض وهو فرح مسرور فأقبل نحوى حتى دنا منى وقال جزاك الله عنى خيرا يا صالح قد وصلت الهدية قال صالح فقلت له أنتم تعرفون يوم الجمعة فقال نعم وان الطيور يعرفون يوم الجمعة ويقولون ليوم الجمعة سلام سلام اللهم رحمنا رحمتك واغفر لنا وللمسلمين (وحكى عن ذى

آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ماقضى به سليمان ولم يعنف الله داود فى حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على أن كل مجتهد مصيب

(باب فى قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء أمر الخاتم)

قال أبو هريرة رضى الله عنه أنزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسئلة فاوحى الله تعالى اليه أن سل عنها ابنك سليمان فان هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا وأجلس سليمان بين أيديهم وقال يابنى ان الله تعالى أنزل على كتابا من السماء فيه مسائل وأمرنى أن أسألك عنها فان أخرجتها فانت الخليفة من بعدى فقال سليمان ليسأل نبى الله عما بداله وماتوفيقى الا بالله قال داود يابنى ماأقرب الاشياء وماأبعدها وماآنس الاشياء وماأوحشها وماأحسن الاشياء وماأقبحها وما أقل الاشياء وماأكثرها وماالقائمان وما الساعيان وماالمشتركان وماالمتباغضان وماالامر الذى اذاركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذى اذاركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام أما أقرب الاشياء فالآخرة وأما أبعد الاشياء فمافاتك من الدنيا وأما آنس الاشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الاشياء فجسد لاروح فيه وأما أحسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما أقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وأما أقل الاشياء فاليقين وأما أكثر الاشياء فالشك وأما القائمان فالسماء والارض وأما الساعيان فالشمس والقمر وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة وأما الامر الذى اذاركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب قال ففكوا الخاتم فاذا جواب المسائل سواء على مانزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لانرضى حتى نسأله عن مسئلة فان أخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام سلونى وماتوفيقى الا بالله فقالوا لهما الشئ الذى اذا صلح صلح كل شئ من الانسان واذا فسد فسد كل شئ من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يأمرنى أن أستخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط بنى اسرائيل وقال لهم انه قد بلغنى مقالتكم فارونى عصيكم فاى عصا أثمرت فان صاحبها ولى هذا الامر بعدى قالوا قد رضينا فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسه رؤس أسباط بنى اسرائيل فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم أقبل ففتح الباب فاخرج عصيهم كما هى وأما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت قالوا فسلموا الامر فى ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به فى بنى اسرائيل فقال ان هذا خليفتى عليكم من بعدى (قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يابنى اياك والهزل فان نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شئ واياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شئ فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء اقطع طمعك عن الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك وما يعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت أن يكون يومك خيرا من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولاتجالس السفهاء وتردد على عالم ولاتمار فى الدين واذا غضبت فألصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فانها وسعت كل شئ (قالوا) ثم ان

سليمان

النون المصرى رضى الله تعالى عنه) انه قال بينا أنا سائر فى واد من الاودية اذ مررت على واد كثير الاشجار والنبات فتعجبت من خضرته وأنهاره وكثرة عشبه وأزهاره فسمعت صوتا أهطل مدامعى وهيج بلبالى فتبعت الصوت حتى أوقفنى بباب مغارة فاذا فيها رجل من أهل التعبد والاجتهاد فسمعته يقول سبحان من أوصل الفهم الى عقول ذوى البصائر فهى لاتعتمد الا عليه سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة فهى لاتحن الا اليه ثم أمسك فقلت السلام عليك ياحليف الاحزان وقرين الاشجان فقال عليك السلام ياذا النون ماالذى أوصلك الى من أفرده خوف المسئلة عن الانام فاشتغل بمحاسبة نفسه عن التلفظ بالكلام قال ذو النون فقلت له أوصلتنى اليك الرغبة فى الصفح والاعتذار والتماس المواهب من قلوب المقربين الابرار فقال الرجل بلغنى أن لله سبحانه وتعالى عبادا اقدح فى قلوبهم زند الشغف ونار الاسف فارواحهم لشدة فرحها تسرح فى رياض

سليمان بعد ان استخلف أخي أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بابي أنت وأمي ما أكمل خصالك وأطيب رائحتك ولا أعلم لك خصلة أكرهها الا أنك في مؤنة أبي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت أن لا يخيبك الله فقال سليمان انى ما عملت عملا قط ولا أحسنه ثم انه يدخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شئ فرجع فأخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك أن أعينك وتعطيني شيأ قال نعم قال فاعانه فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصره في ثوبه وحمد الله عز وجل وأخذ السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه في أصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث أبوها ان مات فحملت حل المرأة وأباها الى اصطخر والله أعلم

(باب في ذكر وفاة داود عليه السلام)

(قال الشيخ أبو يزيد) سمعت الشيخ أبا عمرو الفاراني يروي أن داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة فاغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما في وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور فقد حذرك فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفا يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فاتاه فقال داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير اذن فقال له أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له اذا فانت ملك الموت قال نعم قال أجئت داعيا أم ناعيا فقال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا أرسلت الى قبل ذلك وآذنتني لاستعد للموت فقال كم أرسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التي أرسلت الى فقال يا داود أين أبوك ايشا أين أمك أين أخوك وأين جارك أين قهارمتك أين فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال أما علمت أنهم رسلي اليك وأن النوبة تبلغك (قال) الاستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرء ينعى أخاه حتى يكونه وقصير جو الرجاء فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال

واذا حملت الى القبور جنازة ◆ فاعلم بأنك بعدها محمول
واذا وليت أمور قوم مدة ◆ فاعلم بأنك عنهم معزول

وقال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وقد مضى في قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

(مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به)

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من أبيه داود وأقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه ما بين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالنمروذ بن كنعان وبختنصر

(باب في صفة حليته عليه السلام)

الملكوت وتنظر الى دخولها في حجب الجبروت قال ذوالنون فقلت له ياسيدي صفهم لي فقال أولئك هم قوم آووا الى كهف رحمته وشربوا من كؤس شرب محبته وخلوا بمنادمة أنسه ثم أنشد يقول

قد كان لي دمع فأفنيته
وكان لي جفن فادميته
وكان لي جسم فأبليته
وكان لي قلب فأضنيته
وكان لي ياسيدي ناظر
أرى به الخلق فاعميته
عبدك أضحى سيدي موثقا
لو شئت قبل الموت أطلقته

ثم قال مخاطبا الله تعالى

سيدي بهم فألحقني
ولما وفقتهم وفقني

قال ذوالنون فقلت سيدي أوصني بوصية أنتفع بها فقال عليك بتقوى الله في السر والعلانية فان من أحبه الله شوقه الى لقائه فان له يوما يتجلى فيه على أوليائه ثم غاب عن بصري فلم أره نفعنا الله تعالى بهم وبعلومهم ومدنا من مددهم آمين (وحكي عن الواسطي رضي الله تعالى عنه) انه قال بينما أنا سائر في البادية اذ رأيت اعرابيا جالسا منفردا بنفسه فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام فأردت أن أكلمه فقال اشتغل بذكر الله

(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار) كان سليمان أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان أبوه في أيام ملكه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا وعليه وسلم

﴿ باب في ما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى اخبارا عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب فاستجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحدا من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب أي أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من أصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الارض الا أتاه حتى يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا احتمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها حتى اذا اقلتها أمر الرخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روحته الى حيث أراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكر لي ان رجلا نزل منزلا من ناحية دجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا كتبه بعض أصحاب سليمان اما من الجن أو من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون ان شاء الله تعالى فبائتون الشام قال وكان فيما بلغني تمر بعسكره الريح الرخاء تهوي به الى حيث أراد وانها لتمر بالمزرعة فلا تحركها وأخبرنا الحسن بن محمد بن فنجويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمرت بحراث فنظر اليها الحراث وقال لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه وألقته في أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له اني سمعت قولك وانما نزلت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ان تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتي آل داود فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير باجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومسيرة شهر من الرواح الى الصباح (أخبرنا) ابن فنجويه باسناده عن محمد ابن كعب القرظي قال بلغني ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح به اليك فاخبرتك به (ومنها) تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال الله تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فنجويه) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لدوا للموت وابنوا

تعالى فان ذكره شفاء القلوب ثم قال كيف يفتر ابن آدم عن خدمة خالقه ورازقه وكيف يشتغل عن ذكره والموت في أثره وكيف يستعين بغيره وهو ناظر اليه ثم بكى فبكيت معه شفقة عليه ثم قلت له يا حبيبي مالي أراك وحيدا فقال ما أنا بوحيد والله معي وما أنا بفريد والواحد يؤنسني ثم قام ومضى مسرعا وقال سيدي ان أكثر خلقك مشغول عنك بغيرك وأنت عوض عن جميع ما فات مني يا صاحب كل غريب ويا مؤنس كل فريد وجعل يمشي وأنا خلفه فالتفت الي وقال ارجع عافاك الله الى من هو خير لك مني ولا تشغلني عمن هو خير لي منك ثم غاب عن بصري فلم أره رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وبمدنا من مدده في الدين والدنيا والآخرة آمين

﴿ وحكي عن ذي النون المصري أيضا رضي الله تعالى عنه ﴾ أنه قال بينما أنا في الطواف اذ لمع نور ملحق بعنان السماء فتعجبت من ذلك النور فأتممت طوافي وأسندت ظهري الى الكعبة متفكرا في ذلك النور فسمعت صوتا شجيا بنغمة ذي خشية فتبعت

للخراب

للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يامذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح الطيطوى فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمري فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحي الذي لا يموت أبدا وصاح غراب فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال فانه يلعن العشارين والحدأة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطا تقول من سكت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازي يقول سبحان ربي الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن ميمون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المري عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح اذكروا الله ياغافلون (وروى) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام أنه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد عن الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القارئ (وقال فرقد السبخي) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون مايقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء (وأخبرنا) أبو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فاخذناهما فجاءت الحمامة فشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما (وروى) أن قنبرة باضت في طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى ألم أنهك أن تبيضي في طريق سليمان الملك لو ركب الينا لحطم بيضنا فقالت الانثى ويحك ان نبي الله أرحم بنا من ذلك فسمع سليمان قولهما فبعث اليهما جنيا حين أراد أن يركب وقال اجعل بيضهما تحت رجليك واياك أن تصيبه بشيء فلما مر سليمان في موكبه وجاوزهما قالت الانثى ألم أقل لك ان نبي الله أرحم بنا من ذلك فقال الذكر للانثى عندي للملك هدية قالت وما عندك قال عندي جرادة ادخرتها لولدي فقالت الانثى عندي تمرة ادخرتها لولدي قال فاخذا التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا بين يدي سليمان وهو على سريره في مجلسه فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما ومسح بيده على رؤسهما فيروى ان هذه القشرة التي على رأس القنبر من مسح سليمان عليه السلام اياهما * قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتي آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال ألا أنبئكم بخبر هو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقول اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب والرضا (وروى) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانس والجن فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لا غنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا

الصوت حتى أوقفني بجارية متعلقة باستار الكعبة وهي تبكي وتنشد وتقول

أنت تدري ياحبيبي ... من حبيبي أنت تدري

ونحول الجسم والدمع ... يبوحان بسري

قد كتمت الحب حتى ... ضاق بالكتمان صدري

قال ذو النون فلما رأيتها وسمعت ذلك بكيت فقالت الهي وسيدي ومولاي بحبك الا ما غفرت لي فقلت لها ياجارية أما تتقين الله في مثل هذا المقام تتكلمين بمثل هذا الكلام وتقولين بحبك لي من أين عرفت أنه يحبك فقالت اليك عني ياذا النون أما علمت أن لله سبحانه وتعالى أقواما يحبهم ويحبونه فهو أحبهم قبل أن يحبوه أما سمعت قوله تعالى في كتابه العزيز فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له قال ذو النون فقلت ياجارية من أين عرفت أني ذو النون ولم تريني قبل ذلك اليوم فقالت اليك عني يابطال جالت القلوب في ميدان الاسرار فعرفني بك العزيز الغفار قال ذو النون فقلت لها ياجارية

فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكي) ان نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ماهذه الصولة وماهذا البطش أماعلمت انى أمة من أنت عبده فغشى على سليمان فلما أفاق قال ائتونى بها فاتوه بها فسألها فقالت له جلدى رقيق و بدنى ضعيف وأخذتنى ورميتنى فقال لها سليمان اجعلينى فى حل فانى لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق فى شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك الا بذلته له قال قد فعلت ذلك قالت فانت فى حل (ومنها قصة وادى النمل) قال الله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أى يحبس أولهم على آخرهم حتى اذا أتوا على وادى النمل الآية قال الشعبي وكعب وغيرهما من أهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمه وكتابه فى مركبه الذى هى له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون و يخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوى بهم فسار من اصطخر الى اليمن وتوغل فى البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبى يبعث فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم أتى أرض الحرم فرأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوز سليمان بكى البيت فاوحى الله تعالى الى البيت مايبكيك فقال يارب هذا نبى من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا على فلم يهبطوا فى ولم يصلوا عندى ولم يذكروك بحضرتى وهذه الاصنام تعبد حولى من دونك قال فاوحى الله تعالى اليه لا تبك فانى سوف املؤك وجوها سجدا لى وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك فى آخر الزمان نبيا هو أحب الانبياء الى وأجعل فيك عبادا من خلقى يعبدوننى وافرض على عبادى فريضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النسور الى أوكارها و يحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها وأطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم أمر الله سليمان عليه السلام أن ينزل عليه و يصلى فيه و يقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبى عربى ويعطى النصر على جميع من ناواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا تأخذه فى الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه وصدقه قالوا فكم بيننا و بين خروجه يانبى الله قال لقرب بمن ألف عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى أتى على وادى السدير واد من الطائف فأتى على وادى النمل فقامت نملة تمشى وكانت عرجاء تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقال الشعبي كانت ذات جناحين واختلفوا فى اسمها فاخبرنى ابن ميمونة باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل حرمى فنادت لما رأت سليمان فى موكبه يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وكان لا يتكلم خلق الا حملته الريح وألقته فى مسامع سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى الآية وفى بعض الاخبار ان سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال ائتونى بها فاتوه بها فقال لها لم حذرت النمل هل سمعتم انى ظالم أماعلمتم أنى نبى عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده قالت النملة يانبى الله أما سمعت قولى وهم لا يشعرون مع انى ما أردت حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب خشيت أن يتمنين ما أعطيت فيفتتن و يشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظينى فقالت له النملة هل علمت لم سمى أبوك داود قال لا

مالى أراك ضعيفة البدن نحيلة الجسم ومابك سقم فانشدت تقول

محب الله فى الدنيا عليل
تطاول سقمه فدواه داه
كذا من كان للبارى محبا
يهيم بذكره حتى يراه

ثم قالت ياذا النون انظر الى من خلفك فالتفت خلفى فلم أر أحدا فرددت وجهى نحوها فلم أرها ولم أدر أين ذهبت فتأسفت على فراقها وتوسلت الى الله تعالى بها فرأيت بركتها الاجابة والقبول وحصول الخير نفعنا الله بها (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه أنه قال) أمسك الغيث عن بغداد سنة من السنين حتى كاد أهلها أن يهلكوا فاغتسلوا وتطهروا وخرجوا الى الصحراء يسألون الله تعالى أن يسقيهم غيثا فلم يسقوا وكان ذلك فى أيام خلافة هرون الرشيد رحمة الله تعالى عليه فبيناهم يلوذون و يتوسلون الى الله تعالى واذا برجل من أهل الخير والصلاح والعبادة قد أقبل من ظاهر البرية أشعث أغبر لا يلتفت اليه ومعه ثلاث بنات عذارى كأنهن الاقمار فوقف بينا هو فى الطريق فرعليه الناس

قالت لانه داوى بجراحة قلبه ثم قالت وهل تدرى لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم ركنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك أن تلحق بأبيك داود ثم قالت أتدرى لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى الآية (أخبرنى) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الدواب الهدهد والصرد والنحلة والنملة (ومنها قصة العنقاء فى اثبات القضاء والقدر) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير فى بعض عتابه فقال لها انك تأتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى انا لنحرص على الهدى ولكن قضاء الله يأتى الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة فى القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان ألا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان فى أمنع المواضع بقدرة الله تعالى وأمرهما على سفاح فى جزيرة فى وسط البحر فقالت العنقاء يا نبى الله أوقد ولد هذان الولدان المذكوران قال نعم الليلة قالت فهل أخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم أبيهما قال بلى اسمهما كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يا نبى الله أنا أبطل القدر وأفرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فأشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فمرت العنقاء وكانت فى كبر الجمل عظما ووجهها وجه انسان ويداها يدا انسان وثدياها ثديا امرأة وأصابعها كذلك فحلقت فى الهواء حتى أشرفت على الدنيا فأبصرت كل دار وما فيها وكل انسان وأبصرت الجارية وهى فى مهدها وقد أجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق فى السماء فى جوف البحر وسط جزيرة وفى الجزيرة شجرة عالية لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن كأعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا فى وسط الشجرة عجيبا واسعا مضيئا وطيئا وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بانواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها كى يتم أمرها وهى تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبو ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزجره عنه حتى نال منه سنا الا طويلا وأمرا عظيما فقال يوما لأصحابه كل صيد البر وفلواته ومفازاته قد نلت منه فلو ركبت البحر فانال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر شئ من خلق الله صيدا وعجائب فامر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شئ علكه وأخلص من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجوارى والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون مما يريدونه ويشتهونه من الملاهى وركب السفن ومر فى البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيئا غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فارسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فضربتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهى مسيرة خمسين سنة فى منتهى خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركدت سفينته باذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فاخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق فى وسط جزيرة فى البحر فى لون الزعفران طويلة لا يدرى أين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء فى رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورقها فى عرض آذان الفيلة تفوح بريح الاقحوان ليس لها ثمر بيضاء الساق فقال لاصحابه انى

وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال يا قوم ما بالكم مجتمعين فقالوا له يا شيخ خرجنا الى الصحراء ندعو الله تعالى أن يسقينا غيثه فلم يسقنا فقال لهم الشيخ هل هو غائب عنكم من المدينة حتى خرجتم الى الصحراء تسألونه أليس هو فى كل مكان موجودا وبساط اجابته لجميع خلقه ممدودا أما سمعتم قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير قال فبلغ هرون كلامه فقال هذا كلام رجل بينه وبين مولاه سريرة ثم قال ائتونى به فلما حضر بين يديه وسلم بعضهم على بعض صافحه هرون وأجلسه بجانبه ثم قال له يا شيخ ادع الله تعالى أن يسقينا غيثه عسى أن يكون لك عند الله جاه قال فتبسم الشيخ وقال يا هرون أتريد أن أسأل لك الهى ومولاى فقال نعم فقال توبوا بنا الى الله تعالى قال فنودى بالتوبة فتابوا الى الله تعالى ثم تقدم الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم أخذ بنانه عن يمينه وعن شماله وبسط يده الى خالقه وأسبل دمعه على خده وجعل يدعو بدعوات لم يسمع أحسن منها قال فما استتم

أرى عجبا أرى جبلا شاهقا فى وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبنى منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها الى الجزيرة التى فيها الجبل وأرساها عندها وقال لأصحابه أقيموا ههنا حتى أمضى وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذى فى وسطها هل عمارة أو أثر آدمى فى تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا فى الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمى قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهى جارية فلم تعرف ما هى لانها أخذت صغيرة ولم تر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك فبينما هى متفكرة فى أمر السفينة اذ احس حديث الآدميين فاخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت فى أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقى متعجبا من عظم تلك الشجرة وورقها فى السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها لتنظر الى السفينة فحانت منها التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها فى عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنية أنت أم انسية قالت لا والله أنا من خيار الانس فمن أنت فافهمها لغته فقالت لا أدرى ما تقول وما أنت الا انى أرى وجهك كوجهى وكلامك ككلامى وانى لا أعرف شيأ غير العنقاء وهى أمى التى ربتنى وحضنتنى وهى تاتينى كل ليلة وتسمينى بنتها فقال لها الغلام وأين العنقاء فقالت هى فى نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئنى وتحدثنى بكل ما يحكم به سليمان وانه لملك عظيم على ما تصفه لى أمى العنقاء من ملكه وانها تخبرنى أنه أحسن الناس وجها وأتم خلقا منى قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل أبى وسيد ولتموا الى لمن طلقائه وممن يؤدى اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت له الجارية ما يبكيك قال وجدتك فى مثل هذا الموضع الذى لا انس فيه ولا أحد وان مثلك فى الدنيا عدد الشجر والمدر وكلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنىء والرغد واللذة الحسنة مع الازواج يتعانقون ويتنعمون ويتوالدون الاولاد مثل خلقك وخلقى أرأيت ان هاجت الريح فازعجتك من وكرك من يمنعك أن تقعى فى البحر وان وقعت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك قال ففزعت الجارية من قوله قالت وكيف لى أن يكون معى انسى مثلك فحدثنى بمثل حديثك ويحفظنى بما ذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير هو الذى رحمك وساقنى اليك لأكون لك الفا وصاحبا وأنيسا وانى لمن أولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصبر لى وأصير اليك وان العنقاء هذه تروح وتجىء وتحضننى الى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكاءك على العنقاء ليلتك هذه فاذا جاءت اليك وقالت لك ما تحبين وما تريدين وما شأنك فاخبريها بوحدتك فى نهارك ثم انظرى ما يكون من ردها عليك فاخبرينى بذلك ففعلت وان العنقاء رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يا بنية ما لك فقالت الوحدة والوحشة قتلتنى وانى لمنزعجة على نفسى من ذلك فقالت لها يا بنية لا تخافى ولا تحزنى فانى أستامر سليمان عليه السلام أن آتيه يوما ويوما لا آتيه فيكون ذلك أنسا لك فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال لها أوتصبرين على ذلك لا ولكنى سآمر من دوابى هذه فرسا أو بقرا بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب معى وأدخل أنا فى جوفه وألقيه على رأس سفينتى هذه فاذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجبا أرى خلقة ملقاة على كوثل هذه السفينة فلو اختطفتيها وحملتيها الى فكانت معى فى وكرى فانظر اليها وآنس بها كان أحب الى من

دعاءه حتى تجللت السماء بالسحاب وأرعدت بالبرق وأمطرت كافواه القرب قال ففرح الرشيد بذلك واجتمع اليه خواص رعيته وأهل مملكته يهنئونه ويبشرونه بذلك فقال هرون على بالرجل الصالح فطلبوه فوجدوه ساجدا فى الصحراء فى الماء والطين لله رب العالمين فقالوا للبنات ما بال أبيكن لم يرفع رأسه فقالت انه من عادته اذا سجد لله عز وجل لا يرفع رأسه الا بعد ثلاثة أيام قال فاخبروا الرشيد بذلك فبكى وقال اللهم انى أسألك وأتوسل اليك بحرمة الصالحين عندك أن تهبنا لهم وأن تفيض علينا من بركاتهم فى الدارين وجميع المسلمين يا أرحم الراحمين (وحكى عن مالك بن دينار عفا الله عنه انه قال) أمسك الغيث عنا سنة من السنين فخرجنا الى الصحراء نسأل الله تعالى أن يسقينا غيثه حتى خرج معنا أكابرنا وأصاغرنا واولاد المكاتب فلم نزل ندعو ونتضرع الى الله تعالى وهم يؤمنون على دعائنا ولم يزدد النهار الا صحوا ولا الشمس الا حرا فقل الناس ومضوا الى حوائجهم حتى صرت انا ورفيق فى الصحراء

كونك عندي نهارا وامساكك عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العنقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استئذانها اياه في المقام يوما والغدو يوما فقالت لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل عني اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل اليه قالت لها اني لا أريد أن تتخلفي عنه نهار المكان أخبار سليمان وأخبار المسلمين واني أرى عجبا في البحر أرى شيأ مرتفعا فما هو قالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سيارة راكبين في البحر قالت فما الذي أراه ملتقى على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة ألقوها قالت فاحمليها الي لا ستأنس بها وانظر اليها فانقضت العنقاء فاختطفت الفرس وكان الغلام في بطنها فحملتها الى عشها فقالت الجارية يا أماه ما أحسنه وضحكت ففرحت العنقاء بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت أتيتك بمثل هذا منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها ولامسها وافتضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر باجتماعهما من قبل الريح وان العنقاء راحت وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان عليه السلام الطير في مرتبته ودعا بعرفاء الطير وأمرها أن لا تدع طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن أن يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر والهواء والمغارات والفلوات والامصار فحشروا اليه وأمر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كهيئتهم ثم كل دابة تدب على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا في أنفسهم نشهد بالله ان نبي الله قد أهمه أمر عظيم فأول سهم قد خرج في تقديم الطير سهم الحدأة وكانت الطير لا تتقدم الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحدأة تدعي على زوجها وكان قد جحدها ولدها فقالت يا نبي الله انه سفدني حتى اذا احتضنت بيضي وأخرجت ولدي جحدنيه فقال سليمان للذكر ما تقول فقال يا نبي الله انها لا تمتنع من الطير وهي تحوم البراري فلا أدري هل هو مني أو من غيري قال فأمر سليمان بولدها فجيء به فوجد الشبه واحدا فالحقه بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدي عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يجحدك بعدها أبدا الى يوم القيامة فهي اذا سفدها الذكر صاحت وقالت يا طيور سفدني اشهدوا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك في القدر فقالت يا نبي الله لي من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان فأين الشرط الذي كان بيني وبينك زعمت أنك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فائتني بها الساعة والخلق شهود لاعلم صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتي بها فمرت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها فيبادر الغلام ويدخل جوف الفرس فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة ان لك شأنا اذ رجعت من ساعتك قالت لها أي لعمري ان لي شأنا فان سليمان قد أمر باحضارك الساعة لأمر كان بيني وبينه في أمرك واني لأرجو نصرتي اليوم فيك قالت لها كيف تحمليني قالت على ظهري قالت وهل أستقر على ظهرك واني أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزل فاسقط وأهلك قالت في منقاري قالت فكيف أصبر في منقارك قالت لها وكيف أصنع ولا بد لي من احضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معي وقد دعا بكفيلتي البومة فقالت لها أدخل في جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على ظهرك أو في منقارك فلا أرى شيأ ولا أسقط ولا أفزع من شئ قالت أصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدي سليمان عليه السلام فقالت يا نبي الله هي الآن في جوف الفرس فأين الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم

فجلسنا بمسجد خرب هناك فبينما نحن جلوس اذ أقبل علينا غلام أسود عليه خرقتان قد بعتان تساوي قيمتهما درهمين فدخل المسجد وصلى ركعتين فلما سلم قال الهي وسيدي ومولاي لم رددت عبادك وفقراءك وعيالك أفرغ ما عندك أم نفدت خزائنك ثم قال بحبك لي الا ما سقيتهم الغيث قال مالك فوالله ما فرغ من دعائه حتى تجللت السماء بالسحاب وأرعدت بالبرق وأسبلت مطرا كأفواه القرب قال مالك فقلت والله ان هذا لعظيم الجاه عند الله تعالى ثم قام وخرج من المسجد فتبعناه ونحن نخوض في الماء المركب فما زال يمشي ونحن نتبعه من بعيد حتى دخل بيت رجل نخاس كنا نعرفه فلما دخل البيت انصرفنا الى بيوتنا وقد اشتغلت بحبه فلما أصبح الصبح جئت الى النخاس لشراء الغلام فلما رآني سلم علي وقال ما تريد يا مالك فقلت أريد غلاما عندك فقال النخاس وأي غلام هو فان عندي مائة غلام قال مالك فصرت في نفسي حيرة شديدة اذ لم أكن أعرف للغلام اسما فقلت

قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه لاحيلة لأحد فى دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أومن بالله وأقول ان المشيئة الى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ماجعل الله من المشيئة للعباد شيأ ولكن من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وان الغلام الذى قد ولد بالمغرب مع الجارية التى ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن فى مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لاتقل يانبى الله هذا فان الجارية معى فى جوف هذا الفرس فقال سليمان الله أكبر أين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يانبى الله قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على قضائه ومشيئته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس فأما العنقاء ففزعت وذهبت وطارت فى السماء فأخذت نحو المغرب واختفت فى بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لاتنظر فى وجه طير أبدا استحياء منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت أما بالنهار فلا خروج لى ولا سبيل الى المعاش فهى اذا خرجت نهارا وبختها الطير واجتمعت عليها وقالت لها ياقدرية فهى تخضع لهذا وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة فى القضاء والقدر والله أعلم بالغيب (ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخيل الجياد العراب التى أخرجها له من البحر فى قول أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغنى أنها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبى غزا سليمان أهل نصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلمه أحد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فردوها فعرقبها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقى منها مائة فرس فما فى أيدى الناس من الخيل العراب فهى من نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه أربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لأجل الله تعالى أبدله الله تعالى مكانها خيرا منها وأسرع وهى الريح تجرى بأمره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من ايلياء فيقيل فى اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل (ويروى) ان سليمان سار من أرض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزها الى أرض الصين ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام الى العراق أن يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفى ذلك يقول الشاعر

وان كرسليمان اذ قال المليك له ● قم فى البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجيش انى قد أبحت لهم ● بناء تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة فى صخرة بأرض كسكر أنشأها بعض أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام

اعرض على الغلمان فعرض على ثمانين غلاما واحدا بعد واحد فلم أرفيهم ذلك الغلام ثم التفت خلفى فرأيت موضعا تو بافمضيت الى ذلك الموضع فاذا بالغلام قائم يصلى فلما نظرت اليه قلت هو هذا ورب الكعبة فقال النخاس وما تصنع بهذا الغلام يامالك وهو غلام مشؤم مكار قال مالك وما شؤمه ومكره فقال النخاس خذه وأرحنى منه قال مالك فأخذته بعشرين دينارا فقال النخاس يامالك هذا الثمن كثير فى هذا العبد فقال مالك والله انه قليل فى ثمنه وانى راغب فيه ثم أخذت بيده فقلت له ما اسمك ياغلام فقال ميمون قال فلما مضينا من عند النخاس قال الغلام يامولاى ماتصنع بى فقلت للخدمة فقال والله لم أخدم أحدا من المخلوقين وانما خدمتى لرب العالمين فما حملك على شراء الغلام المشؤم قال مالك حملنى على ذلك ما رأيته منك بالامس فى المسجد الخرب الذى بالصحراء قال مالك فتغير وجه الغلام عند سماع ذلك فلما أقبلنا الى مسجد كان قريبا من المنزل قال يامولاى تأذن لى أن أصلى فى هذا

ونحن ولا حول سوى حول ربنا ❊ نروح الى الاوطان من أرض تدمر
اذا نحن رحنا كان أمر رواحنا ❊ مسيرة شهر والغدو لآخر
أناس سروا والله طوع نفوسهم ❊ لنصرة دين النبي المطهر
لهم في معالي الدين فضل ورأفة ❊ وان نسبوا يوما فمن خير معشر
متى ركبوا الريح المطيعة أسرعت ❊ مبادرة عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوفا عليهم ❊ متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

(رجعنا الى القصة) وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهرى مسح سوقها وأعناقها من الغبار قال وهي رواية الواقدى عن ابن عباس قال قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم ان الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر في وقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصارى باسناده عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب انى خالق منك خلقا فأجعله عزا لاوليائى ومذلة لاعدائى وجمالا لأهل طاعتى فقالت الريح الهى وسيدى ومولاى افعل ما تشاء قبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وأنت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحوني ويحمدوني ويكبروني فتسبحني اذا سبحوا وتهللي اذا هللوا وتكبرني اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن تسبيحة وتحميدة وتمجيدة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعها الا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة صفتها ونظروا خلقتها قالوا رب نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا فخلق الله لهم خيلا بلقا أعناقها كأعناق البخت فلما أرسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها صهل فقيل له بوركت من دابة اذ بصهيلك أذل الله المشركين وأذل بك أعناقهم وملأ بك آذانهم وأرعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شئ قال له اختر من خلقى ماشئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا بركتى عليك وعليهم ماخلقت خلقا أحب الى منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأسلناله عين القطر أذبناله عين النحاس أسيلت ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بأرض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما أخرجه الله لسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس والطير والوحوش والشياطين يعملون له مايشاء كما قال الله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته فما عملته له الشياطين بأمره وأحدثوه له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون وأشياء كثيرة واستفروا له نهر الملك والقوارير به بين شانقين وقصر شيرين ومما عملوا له القياسة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع اللآلئ والدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرذ وأنواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم أول من فعل ذلك

(حديث القبة)

قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه

المسجد ركعتين فقلت لم فدخل وصلى ركعتين وجلست على باب المسجد أنتظره فلما فرغ من صلاته قال الهى وسيدى ومولاى كانت المعاملة بينى وبينك سرا والان قد علم بها المخلوقون فاقبضنى اليك الساعة ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه قال مالك فدخلت اليه فوجدته يضحك في موته فتأسفت عليه فبينما أنا كذلك اذا بشابين جميلين كأنهما الاقمار قد دخلا من باب المسجد فسلما على وقالا اعظم الله أجرنا وأجرك فيميمون ثم أعطانى أحدهما كفنا جديدا يفوح منه رائحة المسك قال مالك فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه أنه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام وكانت سنة كثيرة الحر فلما كانت ذات ليلة نغفوت قليلا فلما استيقظت اذا بى قد انقطعت عن الركب وصرت وحدى في البرية ولم أدر كيف أصنع فبينما أنا كذلك اذ لاح لى

والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى معظم أمواج البحر فدعته نفسه ان يعلم ما فى قعر البحر فأمر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسى ملكه ثم دعا رأس الغواصين فقال له اختر لى من أصحابك مائة رجل فاختار له مائة رجل فقال له اختر لى من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لى من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لى من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر البحر وتأتينى بالخبر فقال سمعا وطاعة لك يانبى الله فغاص البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذى رأيت قال يانبى الله ما رأيت الا أمواجا وحيتانا غير انى رأيت ملكا عظيما فقال لى أين تريد فقلت له ان نبى الله سليمان أرسلنى أنظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقرأ عليه منى السلام وقل له ان قوما ركبوا هذا البحر منذ أربعين عاما فغاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجلجل فى البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه وأخبره بالخبر فتعجب نبى الله سليمان عليه السلام من ذلك ومما كان قصة قال فبينما هو على شاطئ البحر اذ رأى قبة من زجاج تضربها الامواج فى لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا فى أثرها فغاصوا فأخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان بمصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدى سليمان فقال له سليمان يافتى من الجن أنت أم من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يانبى الله كانت لى والدة وكنت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدى ولا أترك شيأ من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعو لى فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت بر ولدى بى فارزقه العبادة فى موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فخرجت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتنى نفسى أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وتزاخرت الامواج وكان هذا آخر عهدى يانبى الله فقال له سليمان فمن أين مطعمك ومشربك فقال يانبى الله اذا كان الليل جاء نى طائر أبيض فى منقاره شئ أبيض فيدفعه الى فآكله فهو يغنينى من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت فى ظلمة هذا البحر قال يانبى الله فى القبة خيطان خيط أبيض وخيط أسود فاذا رأيت الخيط الابيض زائدا علمت أنه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت أنه الليل فقال له سليمان هل لك فى صحبتنا رغبة قال يانبى الله ان تشأ تأذن لى ان أعود الى قبتى فأذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاخرت به الأمواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام ألف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لاتزول يسع القدر الواحد عشرة جزر

﴿ قصة مدينة سليمان عليه السلام التى كان يسافر بها فى الهواء ﴾

(ومنها) عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع فى عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع فى كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق أسفلها أغلظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضئ به فى الليل الداجى العسكر كله يتلألأ شعاعه مد البصر وبها من الاركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويتمتع بها وفى أسفلها مرابط واصطبلات وأوارى وأواخى

شخص أمامى فأسرعت نحوه فاذا هو غلام لا نبات بعارضيه كأنه القمر المنير أو الشمس الضاحية وهو يمشى ويتبختر كأنه فى صحن داره فتقدمت اليه وسلمت عليه فقال وعليك السلام ياابراهيم فتعجبت منه ثم قلت سبحان الله من أين عرفتنى ولم ترنى قبل ذلك اليوم فقال ماجهلت منذ عرفت ولا قطعت منذ وصلت قال ابراهيم فقلت له ما الذى أوصلك الى هذه البرية فى مثل هذه السنة الكثيرة الحر قال ياابراهيم ما أنست بسواه ولا رافقت أحدا غيره وانى منقطع اليه بالكلية مقر له بالربوبية قال ابراهيم فقلت له من أين المأكول والمشروب فقال تكفل بى المحبوب قال ابراهيم فقلت له ياغلام أما تخاف من بعد السفر وطول المشقة فأنشد يقول شعرا

من ذا يخوفنى بالبر أقطعه * الى الحبيب وقد قدمت ايمانا
الحب أقلقنى والشوق أزعجنى
فلا يخاف محب الله انسانا
فان أجوع فذكر الله يشبعنى
ولا أكون بحمد الله عطشانا

خيله ودوابه (ومنها) عملوا الكرسي ملكه

﴿صفة كرسي سليمان عليه السلام﴾

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبي الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسي يقعد عليه للقضاء وأمر أن يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت قال فعملوا له كرسيا من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرذ الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرذ الاخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسي قالوا وكان سليمان اذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي ورجله فيها ويدور دوران الرحى المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض بأذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتانهما عليه ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسي التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال ويجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهي ألف كرسي على يمينه وتجيء عظماء الجن فيجلسون على كراسي الفضة عن يساره وهي ألف كرسي حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دوران الرحا المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذي كان يدير ذلك الكرسي قال بلبلان من ذهب وذلك الكرسي مما عمله صخر الجني قالوا فاذا دار الكرسي بسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض بأذنابهما وينشر النسران والطاوسان أجنحتهما فتفزع منه الشهود ويداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فأخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة فدقها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات وبقي الكرسي بانطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداد فهزم خليفة بختنصر ورد الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدري أين هو والله أعلم (ومنها) بيت المقدس

﴿صفة بنيانه وبدء أمره﴾

قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت أصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق في الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين (وروى) خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضي الله عنهما ينظمان حلي أهل الجنة الى يوم القيامة * وأما بدء بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ما ذكره أهل البصيرة بالسير هو أن الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى

وان ضعفت فوجدي فيه يحملني
الى الحجاز ومن أقصى خراسانا

قال ابراهيم فتعجبت من كلامه على صغر سنه ثم قلت له بالله عليك يا غلام ما عمرك فقال اثنتا عشرة سنة فقلت والله لقد أدهشني ما سمعت منك فتبسم وقال الحمد لله الذي أولانا من نعمه وفضلنا على كثير من عباده فتعجبت من حسن وجهه وحلاوة منطقه وقلت سبحان الخالق المصور فأطرق رأسه ساعة ونظر الي وقال يا ابراهيم ان المنقطع من قطعه الحبيب والمواصل من أخذ من الطاعة بنصيب فهل أنت منقطع عن الحجاج يا ابراهيم قلت له نعم سألتك بالله أن تدعو لي أن ألحق من سبقني من أصحابي قال فنظر الى السماء وحرك شفتيه فأخذتني سنة من النوم فاستيقظت الا وأنا في وسط الحجاج ورفيقي يقول لي احذر أن تقع من على الراحلة ولم أدر أين ذهب الغلام فسألت الله أن يجمعني به قبل الموت فلما دخلنا مكة اذا بالغلام متعلق بأستار الكعبة وهو يبكي

جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بأرض
فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني اسرائيل كم هم فأمر
بعدّهم وبعث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم أن يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا
من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى اليه يا داود قد علمت اني وعدت أباك
ابراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصبر وأتم أمري بان أبارك له في ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء
وأجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيري واني قد أقسمت
لابتلينهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بهم وبكثرتهم فاختاروا اما أن أبتليكم
بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود
بني اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا
فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فان كان ولا بد فالموت لانه بيده
لا بيد غيره فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا الى
صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراري والاهلين وأمرهم أن يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا
اليه لعله أن يرحمهم فأرسل الله اليهم الطاعون فأهلك منهم في يوم وليلة ألوفا كثيرة لا يدرى عددهم
ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد موتهم بشهر فلما أصبحوا في اليوم الثاني خرّ داود عليه السلام ساجدا
لله تعالى يبتهل الى الله تعالى ويقول يارب أنا آكل الحامض وبنو اسرائيل يضرسون يعني
أذنبت وبنو اسرائيل يعاقبون فما كان من شئ فيّ أنزله واعف عن بني اسرائيل فاستجاب الله
دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم
فغمدوها وارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبني اسرائيل ان
الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم أن تتخذوا في هذا
الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكر لله تعالى فأخذ داود في بنائه
فلما أرادوا أن يبتدؤا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال
لبني اسرائيل ان لي فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم أن تحجبوني عن حقي فقالوا يا هذا ما من
أحد من بني اسرائيل الا وله في هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه
فقال أنا أعرف حقي وأنتم لا تعرفون حقكم فقالوا له أما أن ترضى وتطيب نفسك والا أخذناه منك
كرها فقال لهم أتجدون هذا في حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال أرضوه
فقالوا بكم نأخذ منه يا نبي الله قال خذوه بمائة شاة فقال الرجل زدني يا نبي الله قال داود خذوه بمائة بقرة
قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يا نبي الله فانما تشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث
قلت هذا فاحتكم أعطكه قال تشتريه بحائط مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل أنت
تشتريه لله تعالى فلا تبخل قال سل ما شئت قال أنت أكرم على الله مني ولكن ابن لي حوله جدارا
مشرفا ثم تملؤه ذهبا وان شئت ورقا قال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بني اسرائيل وقال لهم هذا
هو التائب المخلص ثم قال لداود يا نبي الله لأن يغفر الله لي ذنبا واحدا أحب الي من كل شئ وهبت لي
ولكني كنت اختبرتكم فجدوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من
ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك أخيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة وعجزوا
فأوحى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك الدماء ولست ببانيه ولكن ابن لك أملكه
بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضي اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره وأجره

ويتشدو يقول شعرا

تعلقت بالاستار والقبر زرته
وأنت بما في القلب والسر أعلم
أتيت اليه ماشيا غير راكب
واني على صغري محب متيم
هويتك طفلا حيث لا أعرف الهوى
فلا تعذلوني اني متعلم
وان كان قد جاءت الحي منيتي
لعلي بوصل منك أحظى وأغنم

قال ابراهيم ثم أرخى عينيه وخر ساجدا فأتيت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه فتأسفت لذلك ومضيت الى الرجل لآخذ منه كفنا واستعنت برفيق حتى يساعدني على تجهيزه فأتينا اليه فلم نجده فتعجبت من ذلك وسألت عنه من الحجاج فلم يخبرني به أحد فعرفت أنه مستتر عن أعين الناس وما رآه أحد غيري فرجعت الى مكاني ولم أفتر عن ذكره فلما جن الليل نمت فرأيته في المنام وهو في موكب عظيم وعليه نور ساطع وعليه من الحلي والحلل ما يعجز عن وصفه الواصفون قال ابراهيم فقلت له ألست

لك باقيا فصاوا فيه زمانا الى أن توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان فأمره الله تعالى باتمام
بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح
لها وأرسل الجن والشياطين فى تحصيل حمل الرخام والبلور الابيض الصافى من معادنه وأمر ببناء
المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثنى عشر ربضا لكل ربض منها سبط من الاسباط وكانوا اثنى عشر
سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منهم يستخرجون
الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون فى البحر ويستخرجون أنواع الدر وفريق
يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وأنواع الطيب
من أماكنها فأتى بشئ من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى ثم انه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة
وتنضيدها ألواحا واصلاح تلك الجواهر وثقبها فكانوا يعالجونها فتصوت صوتا شديدا لصلابتها
فكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة فى نحت هذه الجواهر من غير
تصويت فقالوا يانبى الله ليس فى الجن أكثر تجارب ولا أكثر علما من صخر العفريت فأرسل اليه من
يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا
طبع بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله
تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو فى بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر اليه
كاد أن يصعق خوفا فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما أحدث
العفريت فى طريقه فقالوا يانبى الله انه كان يضحك فى بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان مارضيت
بتمردك على وتركك المجىء الى طاعتى حتى صرت تسخر من الناس فقال يانبى الله انى لست أسخر منهم
غير أن ضحكى كان تعجبا مما كنت أسمع وأرى فى طريقى فقال له سليمان وماذاك قال مررت على شط
نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريد أن يسقيها وجرة يريد أن يستقى بها فسقى البغلة وملأ الجرة ثم أراد
أن يقضى حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل حيث
توهم أن الجرة تحبس البغلة ومررت أيضا برجل آخر وهو جالس عند اسكاف يستعمله فى اصلاح
خفه فسمعته يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسى نزول ملك الموت اليه من قبله
فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لا يعلمون من أمور السماء
وقد كنت عهدت رجلا دفن فى موضع فراشها ذهبا كثيرا فى الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا
وتحت رأسها ذهب كثير وهى لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس بأمر السماء فضحكت منها ومررت برجل فى
بعض المدن وقد كان به داء فأقبل فأكل البصل فبرأ من دائه فصار يطب الناس وكان لا يأتيه أحد
يسأله عن علة الا أمره بأكل البصل وانه لأضر شئ حتى ان ضرره يصل الى الدماغ فضحكت منه
ومررت فى بعض الاسواق فرأيت الثوم وهو أفضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من
السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة
فمل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجلسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم وأخطأت الذين كانوا من قبل
وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك
وجولانك فى البحار شيأ ينحت لى هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا صوت قال نعم يانبى
الله أعرف حجرا أبيض كاللبن يقال له السامور غير انى لا أعرف معدنه الذى هو فيه وليس فى الطير
شئ أحيل ولا أهدى من العقاب فأمر بفراخه أن تجعل فى صندوق من تلك الجواهر فانه يأتى بذلك
الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى أولاده قال فأمر سليمان بفراخ العقاب أن تضع فى

صاحبى بالامس فقال لم
فقلت له والله لقد طلبتك
لاغسلك وأكفنك فلم
أجدك فقال ياابراهيم ان
الذى أخرجنى وبعثه
شوقى وهن أهلى غربى
هو الذى كفننى وما أحوجنى
قال ابراهيم فقلت له مافعل
الله بك بعد ذلك قال
أوقفنى بين يديه وقال
مابغيتك قلت أنت بغيتى
فقال الله عز وجل أنت
عبدى حقا ولا أحجب عنك
كل ماتريد فقلت سيدى
أريد أن تشفعنى فى القرن
الذى مت فيه فقال الله عز
وجل قد شفعتك فيه قال
ابراهيم ثم صافحنى فاستيقظت
من منامى فرحا مسرورا
فلما أصبحت قضيت ما كان
على من فرائض الحج ولم
يفتر قلبى عن ذكر الغلام
ومررت فى جملة الحاج
والناس يقولون ياابراهيم
أزعجت الناس من طيب
رائحتك قال ولم تزل الرائحة
الطيب تفوح من يد
ابراهيم حتى مات (وحكى
عن ابراهيم الخواص رحمه
الله تعالى) أنه قال كنت
سائرا فى طريق مكة على
الوحدة فضللت عن الطريق
فكنت أمشى يومى وليلتى
حتى أدركنى المساء
فاغتممت لذلك غما شديدا

صندوق من حجر منها يوما وليلة فحجب عن أفراخه فرمسرعا وجاءبالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل الى أفراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى أتوه منه بقدر ماعلم أن فيه الكفاية واستعمل ذلك فى أدوات الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل فى نقش الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده من المها الصافى وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلئ والبواقيت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن يوجد يومئذ فى الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضيء فى الليل كالقمر فى ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بنى اسرائيل وأعلمهم أنه بناه لله تعالى وكل شئ منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيدا لم يتخذ فى الارض قط أعظم عيد من ذلك اليوم ولا أطعمة أكثر منه فلمج فيه من الجزر ألف جزور ومن البقر خمسة وعشرين ألفا معلوفة ومن الغنم أربعمائة ألف شاة ● قالوا ومن عجائب ما اتخذه سليمان ببيت المقدس أنه بنى بيتا وطين حائطه بالجص وصقله فكان اذا دخله البار استبان خياله فى ذلك الحائط أبيض واذا دخله الفاجر استبان خياله فى ذلك الحائط أسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب فى زاوية من زوايا المسجد عصا أبنوس فكان من مسها من أولاد الانبياء لم يضره مسها شئ ومن مسها من غيرهم احترقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قربانا على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لى هذا الملك منا منك على وجعلتنى خليفتك على أرضك وأكرمتنى به من قبل ان أكون شيأ فلك الحمد اللهم انى أسألك لمن دخل هذا المسجد خصالا ان لا يدخله أحد يصلى فيه ركعتين مخلصا فيهما الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولا يدخله مذنب الا تبت عليه ولا خائف الا أمنته ولا سقيم الا شفيته ولا مجدب الا أخصبته وأغنيته واذا أجبت دعوتى وأعطيتنى طلبتى فاجعل علامته أن تتقبل قربانى قال فنزلت نار من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاستمل القربان وصعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر بنى اسرائيل فخرب بيت المقدس والقى فيه الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية الى أرض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون فى زمن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بامره والله أعلم

﴿ باب فى قصة بلقيس ملكة سبا والهدهد وما يتصل به ﴾

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين الآية قالت العلماء باخبار القدماء ان نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وأمر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام به ماشاء الله أن يقيم وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر أهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت فى زبورهم ثم أحب أن يسير الى أرض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يؤم نجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا بيضاء حسنة تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب يستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا غطى له بقدر أصبع من

لا ينل الوضوء وفقد الماء وكانت ليلة مقمرة فسمعت صوتا ضعيفا وهو يقول لى يا أبا اسحق فدنوت منه فاذا هو شاب حسن الشباب نظيف الأثواب فسلمت عليه فرد على السلام فوجدته منطرحا على الارض وليس فيه حركة وعند رأسه رياحين مختلفة الالوان فتعجبت من ذلك وقلت له ما الذى أتى بك الى هذه البرية وهى مقفرة فقال يا أبا اسحق قد دنت وفاتى وقد سألت الله أن يحضر عندى وليا من أوليائه فنوديت يحضر وفاتك ابراهيم الخواص وها أنا منتظرك فقلت له يا أخى ما الذى حبسك ههنا فقال يا أخى أنا كنت عند أهلى فى عزة وسرور فخطر على السفر واشتهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت فى هذه البقعة منذ شهرين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت ألك والدان فقال نعم ولى أخت صالحة فقلت له هل اشتقت لهم وخطر بالك بهم فقال لا الا اليوم فانى أحببت ان أشم منهم نفحة وأجدد بهم عهدا قال ابراهيم فاجتمعت اليه وحوش

تراب قال ويحك اكإ اجاءالقدر عمى البصر وروى قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبأ بنبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك أنه لما نزل سليمان قال الهدهد فى نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الدنيا وعرضها ونظر يمينا وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت والى أين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان ابن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثناعشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل والقيل هو القائد بلغة أهل اليمن فهل أنت منطلق معى حتى تنظر الى ملكها قال فانى أخاف أن يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليمانى ان صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ملكها ومارجع الى سليمان الا وقت العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) فى بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدرى أين هو وما أرسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه واختلف العلماء فى العذاب الشديد ماهو فقال أكثر المفسرين كان عذابه أن ينتف ريشه وذنبه ويدعه ممعطا ثم يلقيه فى بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لأنتفنه ولأشدن رجليه ولأشمسنه وقال مقاتل لأطلينه بالقطران ولأشمسنه وقيل لأودعنه القفص وقيل لأفرقن بينه وبين الفه وقيل لأمنعنه من خدمتى أو ليأتينى بسلطان مبين أى حجة واضحة (وروى) عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان فى القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له على بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدى أحدكم فنظر يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد أن العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال بحق الذى قواك وأقدرك على الا رحمتنى ولا تتعرض لى بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك أمك ان نبى الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاهم النسر والطير كله وقالوا له أين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبى الله سليمان وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبى الله قالوا بلى انه قال أو ليأتينى بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبى الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده الى رأسه فجذبها وقال أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه (أخبرنى الحسين) بن محمد الثقفى باسناده عن عكرمة فقال انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد بره بوالديه ثم سأله ما الذى أبطأك عنى قال الهدهد ما أخبر الله به أحطت بما لم تحط به أى علمت ما لم تعلم به وجئتك من سبأ بنبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ

كثير قوا أتوه بهذه الرياحين فبكيت وبكوا معى وصرت متحيرا فى أمره متفكرا فى حاله ووقع حب الشاب فى قلبى وانجذب اليه سرى فبينما أنا كذلك اذ أقبلت حية عظيمة وفى فمها باقة نرجس لم أر أحسن منها ولا أذكى من رائحتها فوضعتها عند رأسه وقالت بلسان فصيح يا ابراهيم اعدل عن ولى الله تعالى فان الله تعالى يغير على أوليائه قال ابراهيم فلحقنى من ذلك حال وصحت صيحة عظيمة وغشى على فلما أفقت وجدت الشاب قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فقلت انا لله وانا اليه راجعون ما هذه الا محنة عظيمة كيف أصنع فى تجهيزه قال فارسل الله على النوم فنمت فما أفقت الا بعد ليلة وقد طلعت على الشمس فنظرت لموضع الشاب فلم أجد له أثرا فتعجبت من ذلك وسرت حتى دخلت مكة فلما قضيت حجى توجهت الى بلد الشاب فاستقبلنى نساء عليهن مرقعات وفى أوائلهن امرأة عليها مرقعة وثوب من شعر وبيدها ركوة وهى لا تفتر عن ذكر الله تعالى فتأملتها فما رأيت أشبه

واسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهدهاذ وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذى جدن بن البشرخ بن الحرث بن قيس بن صنعاء بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبو بلقيس الذى يسمى البشرخ ويلقب بالهدهاذ ملكا عظيم الشأن وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لى وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك ترى الجن ويخالطهم فولدت له بلعمة وهى بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة باسناده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كان أحد أبوى بلقيس جنيا قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها طمعت فى الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من أرض اليمن ثم ان هذا الرجل الذى ملكوه أساء السيرة فى أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته يفجر بهن فاراد أصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فارسلت اليه وعرضت نفسها عليه فأجابها الملك الى ذلك وقال ما منعنى أن أبتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجالى وقومى واخطبنى منهم فجمعهم وخطبها منهم فقالوا الا نراها تفعل هذا فقال انما هى التى ابتدأتنى وانى أحب أن تسمعوا قولها فتشهدوا عليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم انى أحببت الولد ولم أحبه منذ كنت أرغب عن هذا والساعة قد رضيت له فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت فى أناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصت منازله ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما أصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب داره علموا أن تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها أنت أحق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والنار ما قتلته ولكن رأيته قد عم فساده فأخذتنى الحمية ففعلت به ما فعلت فملكوها واستتب أمرها فى المملكة وروى ابن ميمونة باسناده عن الحسن بن على عن أبى بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

﴿ صفة القصر الذى بنته بلقيس ﴾

قال الشعبى روى أن بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام طول كل اسطوانة خمسون ذراعا فامرت بها فنصبت على تل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة أذرع ثم جعلت فيها سقفا منظومة بألواح الرخام وألحم بعضها الى بعض بالرصاص حتى صارت كأنها لوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص فى كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة فى الهواء وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بألوان الجواهر المربعة وجعلت فيه أى فى باب ذلك القصر مما يلى المدينة برجا من الرخام الأبيض والأخضر والأحمر وفى جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم

﴿ صفة عرشها ﴾

كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرذ الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرذ أخضر وقائمة من در أصفر وصفائح السرير من الذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا فى ثمانين ذراعا فى الهواء فذلك قوله عز وجل وأوتيت من كل شئ أى مما تحتاج اليه فى الملك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم أى سرير ضخم حسن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك

انما

بالشاب منها فقالت يا أبا اسحق انى فى انتظارك لتحدثنى عن أخى وقرة عينى ثم بكت وارتفع بكاؤها فبكيت معها ثم وصفت لها الشاب وما كان عنده من الرياحين فلما بلغت قوله أحببت أن أشم منهم رائحة وأجدد بهم عهدا قالت أخته قد بلغ الشم ثم سقطت الى الارض ميتة فاحتوشها أهلها وقالوا جزاك الله خيرا يا أبا اسحق لقد أرحتها مما كانت فيه قال ابراهيم فلم يبق أحد فى مدينة شمشاط حتى حضر جنازتها فلما دفنت أقمت عند قبرها الى الليل فلما نمت رأيتها فى روضة خضراء والشاب بجانبها وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون ﴿ وحكى عن الشيخ أبى بكر الشبلى رضى الله تعالى عنه ﴾ أنه قال مررت بمجنون فى بعض الايام والصبيان يرجمونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه فزجرتهم عنه وهم يقولون دعنا نقتله فانه كافر فقلت وما الذى تبين لكم من كفره فقالوا يزعم انه يرى ربه ويخاطبه قال الشبلى فنحيتهم عنه وتقدمت اليه فوجدته يحدث نفسه

أنها قالت لوزرائها ما كان يعبد آبائي الماضون قالوا كانوا يعبدون اله السماء قالت وأين هو قالوا هو في السماء وعلمه في الارض قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف شيأ أشد من نور الشمس فهي أولى ما ينبغي لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الماء فاحتفروا الركايا وهي الآبار التي لم تطو ببطن كل واد فروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان ابن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا على وأتوني مسلمين قال ابن جريج وغيره ولم يزد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيأ وكان أبلغ الناس في كتابه وأقله املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون أي يردون من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها في قصرها وقد غلقت الأبواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على ظهرها فألقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة يعني طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة في وجهها قالوا فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميرى فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذى أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا تكون رسله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فاذا حزبها أمر أسفرت عن وجهها فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس انى ألقى الى كتاب كريم أى شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لأنه كان مختوما يدل عليه ما أخبرني به أبو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وأتوني مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمرى وأشيروا على فيما عرض لى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أى تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عند الحرب والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين نجدنا لامرك طائعين فقالت لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أى أهانوا أشرافها وكبراءها لكى يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون أنشدني أبو القاسم الجنيد في هذا المعنى قال أنشدني أبي في معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك في أكنافهم ظل
ماذا تأمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا

ويضحك ويقول أجل منك أن تسلط على هؤلاء الصبيان يفعلون بي هكذا قال الشبلي فقلت له يا أخي ما يقول عنك هؤلاء الصبيان حتى فقال ما الذى يقولون عنى فقلت له يقولون انك ترى ربك وتخاطبه قال فصاح صيحة وغشى عليه فلما أفاق قال يا شبلي وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بقربه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين قال الشبلي فعرفت انه من الخواص أرباب الاخلاص ثم قلت يا سيدى فما علامة المحبة فقال يا شبلي لو قطرت منها قطرة في البحار لصارت سعيرا ولو وضعت منها ذرة على الجبال لصارت هباء منثورا فكيف بقلوب كثرها الغرام فلقاوز فيرا وزادها الهيام حرقا وتحييرا ثم جعل يقول شعرا

كشف الحبيب لمن دعاه ستورا
وسقاه كاسا فاغتدى مخمورا
واعتاده حر اللهيب ولم يرد
الا الحبيب فنال منه حبورا
يا فوز من كان الحبيب نديمه
وغدا اليه من الجميع مشيرا
فاذا رأيت محبه في سكره
خلع العذار رأيته معذورا
من ذا يطيق الصبر عن

وان مدحتهم خالوك مخـادعهم ٭ واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما ٭ ان الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبراعنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وجربت الامر وساسته انى مرسلة اليهم الى سليمان وقومه بهدية أصانعه عن ملكى وأختبره بها أملك أم نبي فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه ثم انها أهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يكون يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد ألبست الغلمان لباس الجوارى وألبست الجوارى لباس الغلمان واختلفوا فى عددهم فقال الكلبى عشرة جوار وعشرة غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأرسلت اليه أيضا بصفائح الذهب واختلفوا فى كيفيتها وعددها (أخبرنى) ابن ميمونة أيضا باسناده عن ثابت البنانى فى قوله تعالى وانى مرسلة اليهم بهدية قال أهدت له صفائح الذهب فى أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فالقى فى الطريق فى كل مكان فلما جاؤا رأوه ملقى فى الطريق فى كل مكان قالوا قد جئنا نحمل شيأ نراه ههنا ملقى لا يلتفت اليه فصغر فى أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت أربع لبنات من ذهب (وقال وهب) بن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فألبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى سواعدهم أساور من ذهب وفى أعناقهم أطواقا من ذهب وفى آذانهم أقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه أيضا بالمسك والعنبر والعود والالنجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأى وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت فى الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء وأخبرنا بما فى الحقة قبل أن تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل خيطا فى الخرزة ثم أمرت بلقيس الغلمان فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعز منه وان رأيت رجلا بشاشا لطيفا فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان وأخبره بالخبر كله فأمر سليمان الجن أن يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يبسطوا له من موضعه الذى هو فيه الى تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم أى الدواب أحسن مما رأيتم فى البر والبحر فقالوا يا نبي الله انا رأينا فى بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص فقال سليمان على بها الساعة فأتوا بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفة فيها ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فاقامهم فيها عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن

محبوبه
حاشا المحب يكون عنـه صبورا
(وحكى عن ذى النـون المصرى رضى الله تعالى عنه) أنه قال مررت يوما فى بعض الاسواق فرأيت جنازة محمولة على أربعـة رجال وليس معها أحد فقلت والله لامضين مع هؤلاء وأكون خامسهم لانال الاجر فمضيت معهم لما أتوا الى الجبانة قلت لهم يا قوم أين ولى هذه الجنازة حتى يصلى عليها فقالوا يا شيخ كلنا فى الاجر سواء ليس فينا أحد يعرفه قال ذو النون فتعجبت من ذلك عجبا شديدا ثم تقدمت وصليت عليه وأنزلناه فى لحده وواريناه بالتراب فلما هموا بالانصراف قلت لهم ما شأن هذا الميت أخبرونى بحاله فقالوا لا نعلم غير ان امرأة اكترتنا لنحمله وهى لاحقة بنا فبينما نحن فى الحديث اذ أقبلت امرأة علينا عليها سيما الخير والصلاح وهى باكية العين حزينة القلب فلما وقفت على القبر كشفت وجهها ونشرت شعرها ورفعت يديها الى السماء وهى تتضرع وتبكى ساعة وتدعو ساعة ثم سقطت الى الارض

يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما أقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم ترأعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا (وفى بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وأمرهم أن يتركوا فى طريقهم على قدر البنات التى معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا أن يتهموهم بذلك فطرحوا ما معهم فى ذلك المكان قال فلما جاؤا الى الميدان ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا منهم فقيل لهم جوزوا فلا خوف عليكم قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا به وأعطوه كتاب الملكة فلما نظر اليه وقرأه قال لهم أين الحقة فأتى بها فحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فى الحقة فقال ان فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لى بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له أرسل الى الارضة فأرسل اليها فلما أتت أخذت شعرة فى فيها ومرت فى الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك قالت أن تصير رزقى فى الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبى الله فأخذت الدودة خيطا فى فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت أن تصير رزقى فى الفواكه قال لها لك ذلك ثم انه ميز بين الجوارى والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله فى اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذه من الاناء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لأنكم أهل المفاخرة والمكاثرة فى الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وليست الدنيا من حاجتى لان الله تعالى قد مكننى منها وأعطانى ما لم يعط أحدا من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمنى بالنبوة والحكمة ثم انه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان لم يأتونى مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها قالت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعوا اليه من دينك ثم ان بلقيس أمرت بعرشها فجعل فى سبعة أبيات بعضها داخل بعض فى آخر قصر من قصورها ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى فلا تخلص اليه أحدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها أمرت مناديا ينادى فى أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان فى اثنى عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا رسول الله قال أوقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل سليمان على

مغشيا عليها ثم أفاقت بعد ذلك وهى تضحك قال ذو النون فقلت لها أخبرينى بخبر هذا الشاب المتوفى وكيف الضحك بعد البكاء فقالت من أنت يرحمك الله فقلت لها ذو النون فقالت والله لولا انك من أعيان الصالحين ما أخبرتك بخبره ثم قالت يا أخى ان هذا الشاب ولدى وقرة عينى وكان تائها بشبابه لابسا ثياب المجانة لم يترك سيئة الا ارتكبها ولا معصية الا سعى اليها وطلبها قد بارز مولاه بالمعاصى والآثام فحصل له ألم عظيم منذ ثلاثة أيام فلما كان فى معاناة الموت قال لى يا أماه أسألك بالله الا ما قضيت وصيتى اذا أنا مت فلا تعلمى بموتى أحدا فانهم لا يترحمون على لسوء فعلى وكثرة ذنوبى ثم بكى وأنشد يقول شعرا

لى ذنوب شغلتنى
عن صيامى وصلاتى
تركت جسمى عليلا
مات من قبل وفاتى
ليتنى تبت لربى
من جميع السيآت
أنا عبد لاهى
مغضب فى الخلوات
بحت جهرا بذنوبى
وعيوبى قاتلات
قد توالت سيآتى
وتلاشت حسناتى

جنوده وقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين أى طائعين خاضعين واختلف العلماء فى السبب الذى لأجله أمر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها (وقال قتادة) لانه أعجبه صفته لما وصفه الهدهد فأراد أن يراه قبل أن يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه فى معجزة يأتى بها فى عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوى أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك أى مجلسك الذى تقضى فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه الى نصف النهار * واختلفوا فى اسمه فقال وهب انه كودى وقال شعيب انه كوذان وانى عليه لقوى أى قوى على حمله أمين على مافيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذى عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بنى آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهى طرفك قال فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمين فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدى سليمان واختلف العلماء فى الدعاء الذى دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش (فروى) عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها أن الاسم الأعظم الذى دعا به آصف بن برخيا ياحى ياقيوم وروى عن الزهرى قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتنى بعرشها وقال مجاهد ياذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الذى عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان فى جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الارض وهل يعبد الله أولا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من أسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فأتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد اليه طرفه * وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهيل بن حرب قال زعم ابن أبى بردة ان اسم الذى عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه مليخا وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بنى اسرائيل أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال أنت النبى ابن النبى وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجىء بالعرش فى الوقت فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه أى لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم الافضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أى زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ننظر أتهتدى الى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه أراد أن يختبر عقلها وانما حمل سليمان على ذلك ماذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل العلم أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان ويستولدها فتفشى اليه أسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأرادوا أن يزهدوه فيها فأساؤا الثناء عليها وقالوا له ان فى عقلها شيأ وان رجليها كحافر حمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا

عرشك

قالت ثم بكى بكاء شديدا وقال آه عما فرطت فى جنب الله آه على قلبى ما أقساه ثم قال بالله عليك يا أماه اذا أنا مت فضعى خدى على التراب وضعى قدمك على وجهى وقولى هذا جزاء من عصى مولاه وترك أمره واتبع هواه فاذا دفنتنى فقفى على قبرى وارفعى يديك الى السماء وقولى اللهم انى رضيت عنه فارض عنه ففعلت ما أمرنى به وجميع ما أوصانى عليه ياذا النون فلما رفعت طرفى الى السماء سمعت صوتا بلسان فصيح وهو يقول انصرفى يا أماه قد قدمت على كريم فوجدته راضيا عنى غير غضبان فلما سمعت ذلك ضحكت واستبشرت وهذا حديثى يا أخى فانظر الى كرم الله تعالى ولطفه بعباده المذنبين والله تعالى أعلم ﴿ وحكى عن مالك ابن دينار رضى الله تعالى عنه ﴾ أنه قال رأيت بالبصرة قوما يحملون جنازة وليس معهم أحد يشيع الجنازة فسألت عن ذلك فقيل هذا رجل كان من كبار المذنبين والعصاة المسرفين قال مالك فسرت معهم حتى صلينا عليه وأنزلناه فى

عرشك قالت كأنه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بابتلائها وبحينها لما تعتمن قبلها أي من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبلها أي من قبل هذه الآية وكنا مسلمين أي منقادين لك مطيعين لامرك من قبل أن جئناك فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تريده أمر الشياطين فبنوا الصرح أي قصرا من زجاج كأنه الماء بياضا وأجروا من تحته الماء وألقى فيه السمك ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما أمر ببناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان ما سخر و بلقيس ملكة سبا ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية والسخرة أبدا فأرادوا أن يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء الساقين لان أمها كانت جنية فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك وينظر قدميها وساقيها فأمر ببناء الصرح (وقال وهب بن منبه) انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها يعاييها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكر والانثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معظم الماء فكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له يا سليمان اني أريد أن أسألك عن شئ قال سلي قالت أسألك عن ماء ليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا جاءه شئ لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما أهون ذلك أوم بالخيل أن تجري ثم املأ الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل فقالت صدقت ثم قالت اخبرني عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وصعق فقامت عنه وتفرقت جنوده فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك قال يا جبريل ربي أعلم بما قالت قال فان الله يأمرك أن تعود الى سريرك فترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال لها عما ذا سألتيني قالت عن ماء ليس من أرض ولا من سماء فأجبت قال وعن أي شئ سألتيني أيضا قالت ما سألتك عن شئ الا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فأجابت وقالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء) في أمرها بعد الاسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فمنعه من ذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما أقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة ما مسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندري فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام (أخبرني) ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم

لحده وانصرف عنه من كان معه ثم ملت الى ظل عند قبره فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل أحدهما اليه وقال لصاحبه أكتبه من أهل النار فما فيه جارحة سلمت من المعاصي والاوزار فقال له صاحبه يا أخي لا تعجل عليه واختبر عينيه فقال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوأتين بالنظر الى محارم الله تعالى قال فاختبر سمعه فقال اختبرته فوجدته مملوأ بسماع الفواحش والمنكرات قال فاختبر لسانه فقال اختبرته فوجدته مملوأ بالخوض وارتكاب المحرمات قال فاختبر يديه فقال اختبرتهما فوجدتهما مملوأتين بتناول الحرام وما لا يحل من اللذات والشهوات قال فاختبر رجليه فقال اختبرتهما فوجدتهما في سعي النجاسات والامور المذمومات فقال الآخر يا أخي لا تعجل عليه ودعني أنزل اليه فنزل الملك الثاني اليه ومكث عنده ساعة وقال يا أخي قد اختبرت قلبه فوجدته مملوأ بالايمان فاكتبه سعيدا مرحوما ففضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شئ قال مالك

قال أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أوّاه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حباشديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان و بينون ثم ان سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردّها الى ملكها و يقيم عندها ثلاثة أيام ثم يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (وروى) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختاري رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت ومثلي ينكح الرجال يانبي الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذاك ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لك قالت زوّجني ان كان ولابد من تبع الا كبر ملك همدان فزوّجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذاتبع على اليمن ودعا سليمان زو بعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول و بلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يامعشر الجن ان سليمان نبي الله قدمات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعني خط الحمير نحن بنينا سلحين وا بنيين و بنينا صرواح ومرواح وفنقون وهنـدة وهنيدة ودلوم وهـذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لمارفعوا أيديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم

﴿ باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه ﴾

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وروى محمد بن اسحق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ في بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها فأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على يده في الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فأحبها حبا شديدا لم يحبه أحدا من نسائه وكانت منزلتها عنـده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنـده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ فقالت اني أذكر أبي وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزنني ذلك فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو انك أمرت الشياطين يصوّرون لي صورته في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسليني عن بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوها لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه في ولائدها فتسجد له و يسجدن لها معها كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح اليه

فانتبهت من منامي متعجبا مما رأيت فسمعت قائلا يقول هذا الكلام

لما رأوه مبعدا عن طاعتي
حكموا بأني لا أجود برحمتي
حلمي أجل ولن يضيق على الورى
من ذا يحد أوامري ومشيئتي

قال مالك وماحصلت هذه السعادة لهذا الرجل الا بعناية سابقة وما تحصل هذه لكل عاص فلا يغتر الانسان بهذه فالعاصون كلهم في خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بماذا يختم لهم فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة والعفو والمغفرة بمحمد وحنه وعفوه وفضله وكرمه واحسانه وجوده ومنه آمين (وحكي عنه أيضا عفا الله تعالى عنه) أنه قال سألني بعض أصحابي عن سبب توبتي فقلت له كنت منهمكا على شرب الخمر فاشتريت جارية جميلة فاستولدتها فولدت لي بنتا نفيسة ذات حسن وجمال فأحببتها وشغفت بها فلما كبرت وترعرعت ألفتني وألفتها فكنت اذا وضعت آنية السكر تجاذبني عليه وتهريقه على الارض فلما بلغ عمرها سنتين ماتت فأكمدني الحزن عليها فلما

كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أى ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فاتاه فقال يانبي الله كبرسني ودق عظمى ونفد عمرى وقد حان الذهاب منى وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثني عليهم بعلمى فيهم وأعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحكمك فى صغرك وأورعك فى صغرك وأفضلك فى صغرك وأحكم أمرك فى صغرك وأبعدك من كل ما يكره فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا فى كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتني أثنيت على بخير فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى فقال له ان غير الله يعبد فى دارك أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال نعم فى دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت أنك ما قلت ما قلت الا عن شئ بلغك ثم ان سليمان رجع الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم انه أمر بثياب الطهر فأتى بها وهى ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا تمسها امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره ويقول فيما يقول رب ما كان ينبغى لآل داود أن يعبدوا غيرك وان يقروا فى دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذا يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فاتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرا فظنته سليمان لانها لم تنكر منه شيأ فقال يا أمينة خاتمي فناولته اياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فخرج سليمان فأتى الى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهودا منه عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار من دور بنى اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون وأى شئ يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها فمكث كذلك أربعين صباحا عدتما كان ذلك الوثن يعبد فى داره فانكر آصف بن برخيا وعلماء بنى اسرائيل حكم عدو الله الشيطان فى تلك الاربعين يوما فقال آصف يا معشر بنى اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم فقال امهلونى حتى ادخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه فى خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن

كان ليلة النصف من شهر شعبان وكانت ليلة جمعة بت عاوياً بالحرفلما نمت رأيت كأن أهل القبور قد قاموا من قبورهم وحشروا الى الله عز وجل وكأني قد حشرت معهم فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا من خلفى فالتفت نحوه فاذا بثعبان كأنه نخلة سحوق قد لحق بى وفتح فاه ليلقمنى ففررت منه مسرعا فزعا مرعوبا واذا بشيخ نقى الثياب عليه رائحة طيبة وهو جالس فى طريق فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له أجرنى وأغثنى من هذا الثعبان فقال الشيخ انى ضعيف وهذا أقوى منى ولكن أسرع فى الهرب فلعل الله تعالى يسخر لك من ينجيك منه ففررت هاربا حتى صعدت على شرف من شرائف القيامة وأشرفت على طبقات النيران والثعبان فى طلبى فكدت أن أسقط فى النار من فزعى منه فصاح صائح من النار يا عزيز ارجع لست من أهلها فاطمأن قلبى لذلك ورجعت الى الشيخ فقلت له ياشيخ استغثت بك واستجرت فيك فأبيت أن تجيرنى من هذا الثعبان فلم تجرنى قال فبكى وقال

هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرنا فقلنا أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج الى بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضت أربعون صباحا زال الشيطان عن مجلسه ثم مر في البحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التي ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذي دخل عليه لما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتوني بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به فنحت له صخرة فادخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر فهذا حديث وهب بن منبه ﴿وقال السدي﴾ في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتي حاجته أو دخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الايام وقالت له ان أخي بينه و بين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله فاعطاها خاتمه ودخل المخدع فخرج الشيطان في صورته فقال لها هات الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها ان تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قال لا فخرج من مكانه تائبا ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فانكر الناس حكمه واجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا لهن ما أنكروا فقلن ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فليس لنا صبر على ذلك و بكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه وأحدقوا به وأخذوا مجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى الى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال اني سليمان بن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم أنه سليمان بن داود فاعطوه سمكتين مما ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن احداهما فأخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه و بهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن يأتوا بالشيطان الذي أخذ خاتمه فأتي به فجعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ثم أمر به فألقي في البحر وهو فيه كذلك الى الساعة (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك أربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عملك وأهل بيوتك بسيرتك الى أن يتوب الله عليك و يردك الى ملكك ففر سليمان هاربا الى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وان الجسد الذي قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فأقام

يا مالك اما بلغك اني ضعيف سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين عسى أن يكون لك فيها وديعة تنصرك وتجيرك من عدوك وهو اقوى مني قال مالك فسرت الى الجبل فاذا هو جبل عظيم وفيه كوات غزمة وستور معلقة على كل كوة ستر من الذهب الاحمر مرصع باليواقيت والدر واللؤلؤ والجوهر واذا بملك ينادي ارفعوا الستور واشرفوا كلكم فلعل أن يكون لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه وقال مالك فرفعت الستور واشرفت اطفال على بوجوه كالاقمار فصاح بعضهم على بعض أشرفوا كلكم فقد قرب منه الثعبان وهو متحير في أمره قال مالك فاشرفوا كلهم فنظرت فاذا ابنتي فيهم فلما رأتني بكت وقالت هذا أبي والله ثم اشارت بيدها الى الثعبان فولى هاربا ومدت يدها الى فتعلقت بها فجلست في وأدخلتني مكانا هي فيه يكل عنه الوصف فحمدت الله تعالى على ذلك فقرأت ابنتي قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال مالك فبكيت عند ذلك وقلت لها

آصف فى ملك سليمان وعلله يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوما الى أن رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم فى يده فثبت (وقيل) سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد البجلى باسناده عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه أن يا سليمان احتجبت عن عبادى ثلاثة أيام فلم تنظر فى أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال فى آخره قال على كرم الله وجهه ذكرت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول أصح الاقوال وأليق بانبياء الله تعالى وأقرب الى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان أنه أمر أن لا يتزوج امرأة الا من بنى اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك صيدون أعجبها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له ان أكرهتنى على الاسلام قتلت نفسى فخاف سليمان أن تقتل نفسها فتزوج بها مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة أربعين صباحا فى خفية من سليمان الى أن أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما (وقال الشعبى) فى سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم سليمان ذلك فامر السحاب أن تأخذ ابنه وأمر الريح فحملته وغدا ابنه فى السحاب خاما من مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فالقى على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب والله تعالى أعلم

(باب فى ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال أهل التاريخ لبث سليمان فى ملكه بعد أن رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فتزيا لهم ابليس وهم دائبون فى العمل فقال كيف أنتم قالوا ما لنا طاقة بما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لا تحملون شيأ قالوا نعم قال فانتم فى راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فامرهم أن يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف أنتم فشكوا اليه وأخبروه أنهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس أتنامون بالليل قالوا نعم قال فانتم فى راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فامرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم ابليس فشكوا اليه أنهم يعملون بالليل والنهار وأنهم دائبون فى العمل فقال كيف أنتم قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فعله قالوا نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا وقدمات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله فى المرة التى مات فيها وكان بدء أمره فى ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا تنبت له ببيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فيقول لاى شئ أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس كتب عليها غرسها فى مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلى يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه

أنتم تعرفون القرآن فقالت نعم فقلت لها اخبريني عن هذا الثعبان الذى أراد أن يهلكنى فقالت يا هذا هذا عملك السوء قويته على نفسك حتى كاد أن يلقيك فى النار فلولا أنك لم تكن من أهلها لوقعت فيها فقلت لها ومن هذا الشيخ الضعيف الذى استغثت به فلم يغثنى فقالت هذا عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له قدرة على أن يدفع عنك شيأ فقلت لها وما تصنعون ههنا فقالت نحن مقيمون ههنا حتى تقوم الساعة ننتظر قدومكم علينا فننفع لكم قال مالك فانتبهت من منامى فلما أصبحت كسرت أوانى الخمر وتبت الى الله تعالى فكان هذا سبب توبتى والحمد لله على ذلك والله أعلم (وحكى عن بعضهم رضى الله سبحانه وتعالى عنه) أنه قال بينما أنا فى الطواف وكانت ليلة مظلمة اذ سمعت صوت حنين ينطق بحال حزين وهو يقول يا كريم لطفك القديم فان قلبى على العهد مقيم قال فتطاير قلبى لسماع ذلك حتى أشرفت على الموت فقصدت نحوه فاذا هى امرأة فقلت السلام عليك يا أمة الله فقالت وعليك السلام

فقال لها ما اسمك قالت الخرنوبة قال ولاى شئ نبتك قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون فى غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ثم بقى على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم (وقال) عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بى فأعلمنى قال فأتاه فقال ياسليمان قد أمرت بك وقد بقى لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا له صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفى رواية أخرى) ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آتانى من الملك ما ترون وما مر على يوم فى ملكى صاف من الكدر وقد أحببت أن يكون لى يوم واحد يصفو لى الى الليل ولا أغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصره وأمر باغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيأ يسوؤه ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى ممالكه اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك ياسليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذنى وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما هبتنى حين دخلت قصرى بغير اذنى فقال أنا الذى لا يحجبنى حاجب ولا يدفعنى البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان فمن أذن لك فى دخوله فقال له ربى قال فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت فقال له أنت ملك الموت قال نعم قال فيم جئت قال لاقبض روحك قال ياملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لى ولا أسمع فيه ما يغمنى فقال ياسليمان انك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شئ وذلك يوم لم يخلق فى الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لا مرد له قال فاقبض كما أمرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذى بين يديه واخرج من الباب الذى خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان فى المحراب الا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط ميتا فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهى العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الارضة فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسبون أنه حى ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك (وفى رواية ابن مسعود) فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا فايقن الناس أن الجن كانوا يكذبون فى ادعائهم علم الغيب فلو انهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا فى العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لاتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك أعذب الشراب ولكنا ننقل اليك الماء والطين شكرا لك فالذى يكون فى جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته الآية (قال أهل التاريخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعون سنة وذلك

ياعبد الله فقلت لها أسألك بالله العظيم ما العهد القديم الذى قلبك عليه مقيم فقالت ياهذا لولا أنك أقسمت على بالجبار ما أطلعتك على الاسرار أنظر الى هذا الصبى الذى بين يدى فنظرت فاذا بصبى يغط فى نومه ووجهه كالقمر فقالت خرجت من بلدى وأنا حاملة به لاحج هذا البيت فركبت البحر فى سفينة وسرنا فبينما نحن كذلك اذ خرجت علينا ريح فكسرت المركب وغرق ركابها فنجوت على لوح فبينما أنا على تلك الحالة اذ أخذنى الطلق فوضعت هذا الصبى فبينما هو فى حجرى اذا رجل ملاح من رجال السفينة قد وصل الى وصل معى على ذلك اللوح فقال والله مازلت أهواك وأنا فى السفينة وقد حصلت معك الآن فمكنينى من نفسك والا رميتك فى البحر فقلت ياهذا ويحك أما كان لك فيما رأيت تذكرة وعبرة فقال لى قد رأيت ذلك مرارا عديدة ونجوت وأنا لا أبالى ثم ألح على فخفت منه وقلت له مهلا حتى ينام هذا الصبى فأخذه من حجرى ورمى به فى البحر فلما رأيت جراءته وما فعل بالصبى طار قلبى وزاد كربى

أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم ملك بعده ابنه أسا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعتريه عرق النسا فطمع فيه الملوك لضعفه وافترقت ملوك بنى اسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند فى جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها فى بعض فتكسرت وفرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى ألقت أثقالهم وأموالهم وسلبهم الى محلة بنى اسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيملكهم الله تعالى الى أن ظهر فيهم الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصى وعبد بعض ملوك بنى اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

(مجلس فى قصة بختنصر وما يتصل به وخبر شعياء وأرمياء ودانيال وعزير عليهم وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام)

قال الله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

(قصة شعياء عليه السلام)

قال محمد بن اسحق وغيره من أهل السير والأخبار كان مما أنزل الله تعالى على موسى خبر بنى اسرائيل من احداثهم وما هم فاعلون بعده كما قال الله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ان ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتابا وانما يأمرهم أن يأمروهم باحكام التوراة والنهى عن المعاصى والمنكرات والدعاء الى ما تركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن أمصياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء هو الذى بشر بيت المقدس حين شكا اليه الخراب فقال أبشر فانه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بنى اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشعياء معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده فى ستمائة ألف راية فأقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة شديدة فجاء اليه شعياء فقال يا ملك بنى اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده فى ستمائة ألف راية وأقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا عنهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبى الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبعدونا سنجاريب وجنوده فقال النبى لم يأتنى وحى فبينما هم كذلك اذ أوحى الله تعالى الى شعياء عليه السلام أن ائت ملك بنى اسرائيل فأمره أن يوصى بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من أهل بيته وعترته فأتى شعياء صديقة فقال ان ربك قد أوحى الى أن آمرك أن توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما

فرفعت طرفى الى السماء وقلت يا من يحول بين المرء وقلبه حل بينى وبين هذا الفاسق فوعزته وجلاله ما فرغت من الكلام الا ودابة عظيمة من دواب البحر أخرجت رأسها واختطفته من على اللوح وغاصت به فى الماء فحمدت الله تعالى على ذلك وصرت وحدى على ذلك اللوح فزاد شوقى الى ولدى وقرة عينى وبكيت على فقده بكاء شديدا وأنشدت شعرا

قرة العين حبيبى ولدى
ضاع منى للتنائى جلدى
ان يكن جسمى غريقا فلقد
ظلت أشكو باحتراق الكبد
يا الهى قد ترى ما حل بى
فأفرغ الصبر على سيدى
فاجمع الشمل وكن لى راحما
فرجائى فيك أقوى عددى

قالت ثم بقيت يومى الى الليل وحيدة فريدة فلما أصبح الله بالصباح اذا أنا بقلع يلوح فى البحر فما زالت الامواج تقذفه والرياح تسوقه حتى وصل الى فاذا هو بسفينة عظيمة فأخذونى من على ذلك اللوح ووضعونى بينهم فنظرت فاذا بولدى هذا بينهم فترامبت عليه وقلت

قال ذلك شعياء لصديقة أقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال فى دعائه وهو يبكى و يتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وتلن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة القدوس المقدس يارحمن يارحيم يارؤف يامن لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بنيتى وفعلى وحسن قضائى فى بنى اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به منى سرى وعلانيتى لك ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبدا صالحا فأوحى الله تعالى الى شعياء وأمره أن يخبر صديقة الملك ان ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه الله من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعياء اليه وأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يا الهى واله آبائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى الى شعياء أن قل للملك صديقة أن يأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء قل له انى كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة ياملك بنى اسرائيل قد كفاك الله عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فأدركه الطلب هو ومن معه فى خمسة نفر من كبرائه فى مغارة أحدهم بختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال ياسنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أتانى خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى فلو سمعت وعقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى قال فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفاناكم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكن انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقاوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم ولعن معكم ولدمك ودم من معك أهون عند الله من دم قرادة لو قتلت * ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر أمير جيشه فقذف فى رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بنى اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما أردت فأمر بهم الملك الى سجن القتل فأوحى الله الى شعياء ان قل للملك يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرموا وليحملوا حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع سنجاريب الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته ياملك قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم ووحى الله اليه فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد وكان فى أمر سنجاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بختنصر وكان ابن ابنه وكان بختنصر يعمل كما يعمل جده و يقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بنى اسرائيل صديقة فمرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا فى الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغى والفساد ونبيهم شعياء فيهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشعياء عليه السلام قم فى قومك يوح على لسانك فلما قام النبى أطلق

لهم ياقوم من أين لكم هذا الصبى فقالوا بينما نحن سائرون اذ جنت السفينة بنا فنظرنا فاذا بدابة كأنها المدينة العظيمة وهذا الصبى على ظهرها يمص ابهاميه ثم حدثتهم بقصتى وشكرت ربى على ما أنالنى وعاهدته أن لا أبرح عن بيته ولا ألهو عن خدمته وما سألته بعد ذلك شيأ الا أعطانى اياه قال فمددت يدى اليها بنفقة فلم تقبلها وقالت اليك عنى أحدثك بافضاله وكرمه ونواله وآخذ الرفد من بغيره فلم أقدر عليها أن تأخذ شيأ فتركتها وانصرفت عنها رحمها الله تعالى ونفعنا بها والمسلمين آمين (وحكى عن عبد الله الموصلى رضى الله تعالى عنه أنه قال) كان عندنا رجل وطان يسمى قضيب البان وكان لا يقدر أحد أن يكلمه من عظم هيبته وحرمته وكان كثير البكاء فجمعنى به المقادير فى خلوة فقلت له يا أخى ما الذى أشغلك به عن سواه ما كان سبب توطنك وانفرادك عن الناس فنظر الى نظرة منكرة ثم بكى واصفر لونه وغشى عليه فلما أفاق آنسته بالكلام ولاطفته بالخطاب وسألته

الله لسانه بالوحي فقال ياسماء اسمعي ويا أرض انصتي فان الله أراد أن يقضي شأن بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أين جاءهم الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الآري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المسرح الذي يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير اني ضارب لهم مثلا فليسمعوه وقل لهم كيف ترون في أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأي حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خرنوبا فقال بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرها وقصرها ويدفن نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي والغراس هم وان الخرنوب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة واني قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فرهم يتقربوا الي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ولكن يتقربون الي بالتقوى والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وبناهم مزملة بدمائها ويشيدون لي البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فاي حاجة لي الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأي حاجة لي الى تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها وأسبح ولتكن معلما لمن أراد أن يصلي فيها يقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمد الى عودين يابسين ثم ائت بهما وهم في أجمع ما يكون فقل للعودين ان الله يأمركما ان تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم اني قدرت على أن أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا أقدر على ألفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذي صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا وان دعونا بمثل حنين الجمال وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين أذات يدي قلت كيف ويداي مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء مفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها غيري أم يقولون رحمتي ضاقت فكيف ورحمتي وسعت كل شئ انما يتراحم المتراحمون بفضلي أم يقولون البخل يعتريني أولست أكرم الاكرمين وأنا الفتاح بالخيرات ألست أجود من أعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التي نورت في قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا أن أنفسهم هي أعدى العداة لهم فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربني وينتهك محارمي أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم وانما أجزي عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاء وانما هو قول بألسنتهم والعمل من ذلك بعيد انما أستجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا

من ذلك وأقسمت عليه بالله ان يحدثني عن سبب ذلك فحدثني وهو يبكي فقال يا أخي كنت أخدم شيخا وكان من الابدال خدمته أربعين سنة فكان مجتهدا في العبادة فلما كان قبل موته بثلاثة أيام دعاني وقال لي يا عبد الله لي عليك حق ولك علي حق ومن تمام حقي عليك أن تصغي لما أقول لك وتحفظ وصيتي فقلت نعم يا سيدي حبا وكرامة فقال يا ولدي قد بقي من عمري ثلاثة أيام وأموت على غير دين الاسلام فاذا أنا مت فضعني في تابوت بثيابي واحمل التابوت في الليل الى أرض كذا وكذا من ظاهر البلد وامكث حتى تطلع الشمس فاذا رأيت جماعة قد أقبلوا ومعهم تابوت يضعونه الى جانب تابوتي فخذ التابوت الذي يأتون به وعد به الى الزاوية وأخرج الرجل الذي فيه وافعل معه ما كان يجب عليك ان تفعله معي فقلت له يا سيدي كيف هذا الحال فقال يا ولدي كان ذلك في الكتاب مسطورا هذا ما جرى في اللوح المحفوظ فلله الامر من قبل ومن بعد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال فلما كان بعد

المظلوم ونصروا المغصوب وعالوا الغائب وأدوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغي لي أن أكلم البشر اذا لكلمتهم وكنت نور أبصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وامرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم الا أنهم يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتآليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاؤا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وان يطلعوا على علم الغيب بما توحي اليهم الشياطين اذا طلعوا وكلهم يستخفي بالذي يقول ويسر وهم يعلمون اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما يبدون وما يكتمون واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء يثبته على نفسي وجعلت له أجلا مؤجلا لابد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه وفي أي زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أقضي فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التي أدبر بها أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فاني قضيت يوم خلقت السموات والارض بأن أجعل النبوة في الاحرار وأجعل الملك في الرعاء واجعل العز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والآجام في المفاوز والبرى في الغيطان والعلم في الجهلة والحكم في الاميين فسلهم من هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من أنشئه ومن أعوان هذا الامر وأنصاره فاني باعث لذلك نبيا أميا الاعمى من العميان ولا ضالا من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الاسواق ولا متزيا بالفحش ولا قوالا بالخنا أسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد الفقر وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوبا مختلفة وأهواء مشتتة وأمما متفرقة واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله ألهمهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤوس الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فادركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه وهو في وسطها والله أعلم

(قصة أرمياء عليه السلام)

فاستخلف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شعياء رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص وبعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر أرمياء بن خلقياء وكان من سبط هرون بن عمران وانما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تزهر خضراء فقال الله تعالى لارمياء حين بعثه الى بني اسرائيل يا أرمياء من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك ولامر عظيم

ثلاثة أيام اضطرب الشيخ وتغير لونه واسود وجهه واندار الى الشرق وانكب على وجهه فبكيت على ذلك بكاء شديدا ولحقني عليه من الحزن مالا يعلمه الا الله تعالى ثم اني تذكرت وصية الشيخ فوضعته في تابوت فلما جاء الليل خرجت به الى المكان الذي قال لي عليه فسكنت به حتى طلعت الشمس فاذا بجماعة قد أقبلوا ومعهم تابوت فوضعوه الى جانب تابوت الشيخ فتقدم رجل وهم أن يحمل ذلك التابوت فمنعته عنه وقلت له لا سبيل لاخذه حتى تخبرني بخبر صاحب هذا التابوت فقال الرجل نعم يا أخي أنا خادم هذا البترك الذي في هذا التابوت أربعين سنة فلما كان قبل موته بثلاثة أيام أحضرني وقال يا ولدي لي عليك حق ولك علي حق ومن تمام حقي عليك أن تحفظ وصيتي وتسمع لما أقول لك قلت نعم فقال يا ولدي بقي من عمري ثلاثة أيام وأموت على دين الاسلام فاذا مت فضعني في تابوت بثيابي ليلا واخرج بي الى المكان الفلاني تجد تابوتا موضوعا فضع تابوتي بجانبه وخذ التابوت الذي

اجتبيتك فذكر قومك نعمى وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال أرمياه انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تنصرنى فقال الله تعالى أنا ألهمك فقام أرمياه فيهم خطيبا ولم يدر ما يقول فألهمه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم فى آخرها ان الله قال انى أحلف بعزتى وجلالى ان لم ينتهوا لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى أرمياه عليه السلام انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع أرمياه بكى وصاح وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع أرمياه و بكاءه ناداه يا أرمياه أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يارب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى اسرائيل ما لا أسر به فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لا أهلك أحدا من بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح أرمياه بذلك وطابت نفسه وقال والذى بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى اسرائيل ثم أتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وتماديا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وقل الوحى ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك أتى الملك الخبر فقال الملك لارمياه أنت زعمت أن الله أوحى اليك فقال أرمياه ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل وأراد الله هلاكهم بعث الله الى أرمياه ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له يا نبى الله انى أستفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم ولم أزل اليهم محسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا استخفافا بى فافتنى فيهم فقال له أحسن فيما بينك و بين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فما مكث الا أياما ثم أقبل عليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياه أو ما طهرت أخلاقهم لك بعد قال يا نبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا قدمتها اليهم وأفضل قال أرمياه عليه السلام ارجع الى أهلك فأحسن اليهم وسل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس با كثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياه يا نبى الله أين ما وعدك الله به قال انى بربى لواثق ثم أقبل الملك على أرمياه وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه وقال له أنا الذى أتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له أرمياه عليه السلام ألم يأن لهم أن ينتهوا من الذى هم فيه فقال له يا نبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياه عليه السلام على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك وأتيتك لأخبرك وانى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبيا الا ما دعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال أرمياه يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فم أرمياه عليه السلام أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرمياه صاح و بكى وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والارض أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى انه لم يصبهم الذى أصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن أرمياه عليه السلام انها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربه فسار أرمياه حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بنى اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان فى بيت المقدس فجمعوا كل صغير

هناك وارجع به الى الكنيسة ومهما كان يجب عليك أن تفعله معى فافعله مع صاحب ذلك التابوت فانه كان من الابدال فلما كان بعد ثلاثة أيام تهلل وجه البترك بالفرح ونطق بالشهادتين ومات مسلما ففعلت ما أمرنى به وأتيت الى ههنا وهذا حديثى يا أخى قال فحملت ذلك التابوت الذى جاؤا به وأخذوا تابوت الشيخ ومضوا به فجئت بذلك التابوت الى الزاوية وأحضرت الفقراء وفتحت لهم التابوت فاذا فيه شيخ عليه نور ساطع فاخرجته من التابوت ونزعت ثيابه وغسلته أنا والفقراء وصلينا عليه ودفناه فى الزاوية وكان يوما مشهودا فهذا حديثى يا أخى ثم خرجت بعد دفنه هائما على وجهى من خوف سوء الخاتمة وهذا سبب توبتى فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونعوذ به من مكره وغضبه وعقابه

يا ويح من خلى سبيل الهدى
وفاته منك بلوغ المرام
فن أى حصنك آويته
فركنه فى عزه لا يضام
كم صالح قد صف أقدامه
فى الليل يبكى بالدموع السجام

وكبيرمن بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم في جنده قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى اسرائيل ففعل ذلك فاصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ومن بقى من بنى اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقره بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بآوانى بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التى أنزلها الله على بنى اسرائيل باحداثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد يعنى بختنصر وجنوده وكان بدء أمر بختنصر على ماروى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بنى اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد بكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يارب أرنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى اسرائيل على يديه فارى فى المنام انه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال وأعبده وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد فقال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقى مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برئ فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن الاسرائيلى فى الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلى ما يبكيك فقال أبكى لأنك فعلت معى ما فعلت ولا أجد شيأ أجازيك به فقال بلى شئ يسير قال وما هو قال له ان صرت ملكا وملكت بيت المقدس أتعطينى ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستهزئ بى ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله الا أنه يرى أنه يستهزئ به قال فبكى الاسرائيلى وقال قد علمت ما يمنعك أن تعطينى ما سألتك الا ان الله تعالى يريد أن ينفذ قضاءه فكتب له كتابا وضرب الدهر ضرب بابه فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو أنا أرسلنا طليعة الى الشام قالوا ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف فخرج بختنصر فى مطبخه لم يخرج الا ليأكل فى مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الارض فرسانا ورجالا أجلادا فكبر ذلك فى عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شئ وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجلس مجالس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم أن تغزوا بابل فلو غزوتموها لملتم منها شيأ كثيرا فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى ننتقد مجالس أهل الشام ونعرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعوا فاخبروا ملكهم بما رأوا وكان بختنصر رجع معهم فجعل يقول لفراش الملك لو دعانى الملك لاخبرته غير الخبر الذى أخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعاه فاخبره الخبر وقال ان فلانا لما رأى أكثر أهل الارض كراعا ورجالا أجلادا كبر ذلك فى عينه ولم يسألهم عن شئ وانى لم أدع مجلسا بالشام الا جلست فيه أسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فضحتنى لك مائة ألف دينار وترجع عما قلت فقال له لو أعطيتنى بيت مال بابل ما رجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرب بابه فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مساغا ساغوا والا أمسكوا ما قدروا عليه فقالوا ما ضرك لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذى أخبرنى بما أخبرنى فدعا بختنصر فبعثه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات صيحون الملك فقالوا استخلفوا

ملحقنا

وما له حظ سوى انه
أشقاه مولاه بطول القيام
وكم قريب خاب ظنا وما
نال سوى التعذيب والانتقام
وكم بعيد نال ما يرتجى
وحاز فى عقباه أعلى مقام
من لم يكن للوصل أهلا فما •
يفيده القرب ولا الاعتصام
فسطوة الاقدار لا تعتدى •
فانتبهوا من نومكم يانيام
يا أيها المذنب قم واعتذر
وتب من الذنب وكسب الآثام
الى متى أنت ترى غاديا
ورائحا فى اللهو طول الدوام
أنب الى الله وتب واستقم
من قبل ان تشرب كاس الحمام
فان تخف قبح ذنوب مضت •
فلذ بخير الخلق بدر التمام
محمد المختار من هاشم
أفضل من حج ولبى وصام
صلى عليه الله ما أشرقت
طلائع الصبح وولى الظلام

(وحكى عن منصور بن عمار عفا الله عنه أنه قال) كان لى أخ فى الله تعالى يتفقدنى فى شدتى ورخائى وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء فلما كان بعد أيام فقدته فسألت عنه فقيل لى انه ضعيف فسرت الى بيته وطرقت عليه الباب فخرجت الى ابنته وقالت

ملكا قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فانهم فرسانكم فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه فقسمه بين الناس فقالوا ما رأينا أحدا أحق بالملك منه فهذه القصة الأولى فملكوه على أنفسهم (وقال السدى) باسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاها ثم قعد في جانب البيت فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا وجاء به فأكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلي انى أحب أن تكتب لى أمانا اذا أنت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر أتسخر مني قال لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تجعل عندى لك يدا فكلمته أمه فقالت ما عليك ان كان والا لم ينقصك شيأ فكتب له أمانا فقال أرأيت ان جئتك والناس حولك قد حالوا بيني وبينك فاجعل لى علامة تعرفني بها قال ترفع صحيفتك على قصبة فاعرفك بها فكتب له أمانا وأعطاه اياه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليهما السلام ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه وان الملك هوى أن يتزوج بنت امرأته هذا قول السدى ● وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا عليهم السلام في اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما نهاهم عنه نكاح بنت الاخت قال وكان للملك ابنة أخت تعجبه ويريد ان يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يقضيها لها وذكر الحديث في مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام (رجعنا الى حديث السدى) قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبست ابنتها ثيابا حمرا رقاقا فاخرة وطيبتها وألبستها من الحلى شيأ لا قيمة له من غايته وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر وأن تتعرض له فان راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ويكون الذى تسأله أن تأتى برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أسألك أن تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتيني برأسه في طشت فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث الى يحيى فأتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهي تقول انها لا تحل لك فلما أصبح الملك واذا دم يحيى يغلى فأمر بالتراب فألقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلى فألقى عليه أيضا فارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى فبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنادى في الناس وأراد أن يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فأتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذى أرسلت تلك المرة ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثني فبعث بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان ورآهم أهله تحصنوا في مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بني اسرائيل وقالت أين أمير الجند فأتى بها اليه فقالت له بلغني انك تريد الرجوع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامي وجاع أصحابي فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت أرأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطيني ما سألتك وتقتل من آمرك بقتله وتكف عمن آمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ونادوا يا رب ناد لنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام

ما تريد فقلت لها قولى لابيك فلان اخوك يريد ان يدخل اليك فدخلت وعادت لى وقالت ادخل فدخلت اليه فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على الارض وقد تغيرت صورته واسود وجهه وازرقت عيناه وتقلصت شفتاه فقلت له وانا خائف منه يا اخى اكثر من قول لا اله الا الله ففتح عينيه ونظر الى ثم غشى عليه فلما افاق قلت له يا اخى اكثر من قول لا اله الا الله ففعل كافعل اولا فقلت ثالثا اكثر من قول لا اله الا الله وان لم تقلها لا اغسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك ولا دفنتك قال منصور ففتح عينيه ونظر الى وقال يا اخى يا منصور كلمة حيل بيني وبينها فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قلت يا اخى فاين الصلاة والعبادة والصيام والبكاء والدعاء فقال كل ذلك كان لغير الله تعالى وانما كنت افعل ذلك رياء للناس وسمعة حتى يقال على واذكر به وكنت اذا خلوت بنفسي اغلقت الابواب وارخيت الستور وشربت الخمور وبارزت مولاى بالمعاصي ودمت على ذلك مدة من

فانهم اذا فعلوا ذلك تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر أن تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته فى تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بنى اسرائيل وسراياهم

﴿ قصة دانيال عليه الصلاة والسلام ﴾

وذهب دانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فلك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان فى السجن مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب بما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد أحسنت الىّ وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله علىّ لأعبرها له فجاء السجان وأخبر بختنصر بقصة دانيال فقال علىّ به وكان لا يقف بين يديه أحد الا سجد له فاتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذى منعك من السجود لى فقال له ان لى ربا آتانى العلم والحكمة وأمرنى أن لا أسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره أن ينزع منى العلم الذى آتانى ويهلكنى فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده وأجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تعبيرها قال نعم قال فاخبرنى فاخبره برؤياه التى رآها قبل أن يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بختنصر رأى فى منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها فى الارض وفرعها فى السماء ثم رأى رجلا بيده فاس وسمع مناديا ينادى اضرب جذعها ليتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال اما الصنم الذى رأيت رأسه من ذهب فانت الرأس الذهب وانت أفضل الملوك واما الصدر الذى رأيت من فضة فهو ابنك يملك من بعدك واما البطن الذى رأيت من نحاس فلك يكون بعد ابنك واما ما رأيت من الفخذ الذى من حديد فتتفرق فرقتان فى فارس تكونان أشد الملوك واما الفخار فآخر ملكهم يكون دون الحديد واما الحجر الذى رأيت قد وقع من السماء وربا حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبى يبعثه الله فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كلهم ويربو ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب واما الشجرة التى رأيت والطير الذى عليها والسباع والدواب التى تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طائرا نسرا فتملك الطيور ثم يردك الله ثورا فتملك الدواب ثم يردك الله أسدا فتملك السباع والوحوش وتكون مما مسخك الله على ما ذكرنا سبع سنين فى ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم أن الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها واما ما رأيت من ان اصلها قائم فان ملكك قائم فسئل وهب بن منبه أكان مؤمنا أم لا فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فى ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والكتب التى فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه يومئذ توبته قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه وجعل يقبل عليه ويستشيره فى أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم اليه فحسده المجوس على ذلك فوشوا به

الزمان فاصابنى مرض اشرفت منه على الموت فقلت لابنتى هذه ناولينى المصحف فاتت به الى فقرأت فيه حتى بلغت سورة يس فرفعت المصحف وقلت اللهم بحق هذه السورة الشريفة وبحق ما فى هذا المصحف من كلامك القديم أن تعافينى وتفرج عنى وانا لا اعود الى معصيتك ابدا قال ففرج الله عنى وعافانى فلما شفيت عدت لما كنت فيه من اللهو واللعب والشهوات واللذات وأنسانى الشيطان ذلك العهد الذى بينى وبين مولاى فصرت على ذلك مدة من الزمان فوقعت فى مرض آخر اشرفت منه على الموت فامرت أهلى ان يخرجونى الى وسط الدار ثم طلبت المصحف وقرأت فيه وقلت اللهم بحق هذا القرآن العظيم الا ما عافيتنى وفرجت عنى وانا لا اعود الى المعصية ابدا فاستجاب الله تعالى منى وفرج عنى فعدت الى ما كنت فيه حتى وقعت فى هذا المرض فامرت أهلى أن يخرجونى الى وسط الدار كما ترى ثم طلبت المصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لى فيه حرف واحد فعرفت ان الله

وبأصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال وأصحابه مايعبدون الهك ولايأكلون ذبيحتك فدعاهم وسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بأخدود فخدلهم وألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضاريا ليأكلهم ثم قال انطلقوا لنأكل ونشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم بشئ ووجدوا معهم رجلا زائدا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار في الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدى فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس أيضا ووشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضربه بالطبرزان فان قال أنا بختنصر فقل له كذبت ان بختنصر أمرنى فحبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرنى أن أقتل كل من يخرج أولا ثم ضربه فقتله (وأما) محمد بن اسحق فانه قال فى هلاك بختنصر غير ما قال السدى وذلك أنه قال باسناده لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان فى يده من بنى اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذى خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فاخبرونى ما الذى يطلع بى الى السماء وأطلع عليها فأقتل من فيها وأتخذها ملكا فانى قد فرغت من الارض ومافيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليريه ضعفه وهو بعوضة دخلت فى منخره ثم ساخت فيه حتى عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله اذا أنامت فشقوا رأسى وانظروا ما الذى قتلنى فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأم دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقى فى يده من بنى اسرائيل ورحمهم وردهم الى ايليا والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وسنذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام مسخه نيفا وخمسمائة عام وخمسين يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه فلسطاس وكانت آنية بيت المقدس التى حملها بختنصر الى بابل عنده وكان نجسها بلحوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال فبينما فلسطاس قاعد ذات يوم اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهده ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ماهى فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتأويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعد فأنجز وجمع ففرق فقال أما قوله وزن فخف أى وزن عملك فى الميزان فخف ووعد فأنجز أى وعد ملكك بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق أى جمع لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الى يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى أهلكه الله تعالى وضعف ملكهم وبقى دانيال عليه السلام بأرض بابل الى أن مات بالسوس والله أعلم

سبحانه وتعالى غضب على غضبا شديدا فرفعت بصرى الى السماء وقلت الهى بحرمة هذا المصحف الا ما فرجت عنى وعافيتنى وأنا لا أعود يا جبار السموات والارض فبينما أنا كذلك اذ سمعت قائلا يقول ولا أرى شخصه شعرا

تتوب من الذنوب اذا مرضتا
وترجع للذنوب اذا برئتا
اذا ما الضر مسك أنت باك
وأخبث ما يكون اذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلاء اذا بليتا
أما تخشى هجوم الموت يا ذا
وأنت على الخطايا قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد لطفا
عليك ولا خشيت ولا وعيتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدا
وأنت لكل معروف نسيتا

قال منصور بن عمار فقمت من عنده وخرجت وعينى تسكب العبرات عليه فما وصلت الى بيتى حتى قيل لى انه قد مات فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فكم من نفس مكر بها عند الموت بعد أن كانت صوامة قوامة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم انا نعوذ بك من مكرك وغضبك وعقابك

يا أكرم الاكرمين يا ألله (وحكى عن منصور بن عمار أيضا رضى الله تعالى عنه انه قال) رأيت شابا فى بعض الايام يصلى صلاة الخائفين فقلت فى نفسى هذا الشاب لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له ياشاب ألم تعلم ان فى جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فاوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال زدنى يامنصور يرحمك الله فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قال فخر الشاب ميتا رحمة الله عليه فكشفت عن ثيابه لاغسله فوجدت على صدره مكتوبا بقلم القدرة فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية قال منصور فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته ثم نمت فرأيته فى المنام على سرير من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل باللآلئ وهو فى زينة عظيمة فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لى

(خبر وفاة دانيال عليه السلام)

قال أهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد أبى موسى الاشعرى فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة فغنم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور فى الخزائن فيأخذ ما فيها حتى أفضى الى خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال أبو موسى الاشعرى لاهل السوس ما فى هذه الخزانة فانى أراها مختومة بالرصاص فقالوا له أيها الامير ليس فيها شئ من حاجتك فقال لا بدلى ان أعلم ما فيها فافتحوا بابها حتى أنظر ما فيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر فاذا هو بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال فتعجب أبو موسى من طوله وكل من كان معه ثم انهم شبروا أنفه فاذا هو يزيد على شبر فقال أبو موسى لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق اذا احتبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فاصابنا من قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق فأرسلنا اليهم وسألناهم أن يدفعوه الينا حتى نستسقى به فأبوا علينا فرهناعليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأى أن لا نرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى ان أدركه الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فأقام أبو موسى الاشعرى بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب فى كتابه أمر ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعا أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبى غير مرسل كان فى قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل على بن أبى طالب رضى الله عنه يحدث عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عن قصة دانيال من أولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وأمره أن يصلى عليه ويدفنه فى موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر الى أبى موسى بذلك فلما قرأ أبو موسى كتاب عمر أمر أهل السوس أن يكفوا نهرهم الى موضع آخر ثم أمر بدانيال فكفن بأكفان غير التى كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم أمر بقبر فحفر له فى وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام فى نهر السوس والماء يجرى عليه الى يومنا هذا والله أعلم (قال الاستاذ) رضى الله عنه فهذا الذى ذكرت جميع أمر بختنصر الذى جاء فى التفسير الا أن رواية من روى أن بختنصر هو الذى غزا بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى غلط عند أهل السير والاخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك أنهم مجمعون على أن بختنصر انما غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعياء وفى عهد أرمياء عليه السلام وهى الواقعة الاولى التى قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعنى بختنصر وجنوده قالوا ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة واحدى وستون سنة وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى آخر عمرانه فى عهد كورش ابن اخشويرش بن جاماسب بن لهراسب بيابل من قبل بهمن بن اسفنديار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكها وضمها الى مملكته ثمانية وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاثون سنة وانما الصحيح فى ذلك ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام

وعاد اليها ملكها بعد اخراب بختنصر ايلها وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنورازاذان صاحب القتل فقال له انى قد حلفت بالهي لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا أن لا أجد أحدا أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنورازاذان دخل بيت المقدس فأقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقالوا هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فلذلك هو يغلى كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فتقبل منا الا هذا قال ما صدقتمونى الخبر فقالوا لو كان أول زماننا لقبل منا ولكنه قد انقطعت منا الملوك والأنبياء والوحى فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنورازاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بنورازاذان الدم لا يهدأ قال لهم ويلكم يا بنى اسرائيل أصدقونى قبل أن أفنيكم واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم فى الارض تفعلون فيها ما شئتم أصدقونى قبل أن لا أترك منكم نافخ نار لا أنثى ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل أصدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبى منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنا أطعناه فيها لكان أرشدنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلى فقال بنورازاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى بمثل هذا ينتقم منكم ربكم فلما رأى بنورازاذان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش كردوس وأبقوا من بقى من بنى اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحدا من قومك فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنورازاذان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذى آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت أنه لا رب غيره فأوحى الله تعالى الى رأس من رؤس بقية الانبياء ان بنورازاذان حنون صدوق وحنون بالعبرانية حديث الايمان ثم ان بنورازاذان قال لبنى اسرائيل ان عدو الله كردوس أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لست أستطيع أن أعصيه فقالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا ثم أمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم فى العسكر وأمر بنقل الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كردوس الا أن ما فى الخندق من بنى اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره أرسل الى بنورازاذان أن ارفع عنهم القتل فقد بلغتنى دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد أفنى بنى اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهى الوقعة الاخيرة التى أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين الآيات فكانت الوقعة الاولى لبختنصر وجنوده ثم رد لهم الكرة وكانت لهم الدولة والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها الى الروم واليونانية الى أن تناسل بنو اسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك وأحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط الله عليهم باطوس بن اسنايوس فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة

وأعطانى ثوابا مثل ثواب أهل بدر وزادنى على ذلك أضعافا فقلت لهم ذلك فقال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بمحبة العزيز الغفار رضى الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه أنه قال) كان فى قديم الزمان رجلان أحدهما عابد والآخر فاسق وكانا أخوين شقيقين فكان العابد يتمنى أن يرى ابليس لعنه الله فى محرابه فتمثل له يوما من الايام وقال له يا فلان أسفا عليك ضيعت عمرك فى اتعاب نفسك وهو أربعون سنة وقد بقى من عمرك مثل ما مضى فانطلق الى شهوات نفسك ولذاتها عشرين سنة وتب بعد ذلك وعد الى العبادة العشرين الاخرى فان الله تعالى غفور رحيم فقال العابد انى لانزل الى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على اللهو واللعب والشهوات واللذات عشرين سنة ثم أتوب بعد ذلك وأعبد الله تعالى العشرين الاخرى ولم يعرف ان ذلك مكيدة من ابليس لعنه الله تعالى وقال أخوه المسرف على نفسه قد أفنيت عمرى فى المعاصى فأخى يدخل الجنة وأنا

فلبسوا في أمة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والملك في غيرهم وبقي بيت المقدس خرابا الى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره والله أعلم

﴿ باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ﴾

قال الله تعالى أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي هو عزير بن شرحيا وقال وهب بن منبه وعبد الله بن حبيب وعبيد بن عمير هو أرمياء بن خلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا أيضا في القرية التي مر عليها فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدي هي سلماباد وقال الكلبي هي دير سابر اباذ وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن اسحق ابن يسار عن وهب بن منبه أن بختنصر لما وطئ الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم طار أرمياء حتى خالط الوحوش فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل أقبل أرمياء على حماره ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي ايلياء فلما وقف عليها ورأى خرابها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك فقال له ان الله يأمرك أن تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وأرضها حتى يعودا أعمر ما كانا فانتدب الملك ألف قهرمان (١) مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا أحد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يأمرك أن تكتسي لحما ودما وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يأمرك أن تحيا فقام حماره ينهض باذن الله تعالى وعمر الله أرمياء فهو الذي يوجد في الفلوات (أخبرني) ابن فنجويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار أرمياء الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه * وقال الذين قالوا ان المار كان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فاقتسمه مع سبايا بني اسرائيل الى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فأماته الله مائة عام ثم بعثه فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت

(١) قوله مع كل قهرمان ثلثمائة ألف الخ كذا بالأصل وهو مما لا يمكن عادة كما لا يخفى اه مصححه

أدخل النار والله لا قومن ولا صعدن الى أخي وأوافقه على الطاعة والعبادة باقي عمري لعل الله تعالى أن يغفر لي قال فطلع العاصي على نية التوبة ونزل العابد على نية المعصية فزلقت رجل العابد فوقع على أخيه فمات الاثنان فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصي على نية التوبة فانظر يا أخي كيف ختم للطائع وكيف ختم للعاصي كما قال عليه الصلاة والسلام الاعمال بخواتيمها وقال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونسأله الامان من زوال الايمان آمين ﴿وحكي عن مالك بن دينار رضي الله تعالى عنه ونفعنا به أنه قال﴾ دخلت جبانة البصرة فاذا سعدون المجنون جالس بها فقلت له كيف أنت وكيف حالك يا سعدون فقال كيف حال من أمسى وأصبح يريد سفرا بعيدا بلا زاد ولا راحلة ولا همة ويقدم على ذلك الحاكم بين العباد ثم بكى فقلت له يا سعدون ما يبكيك فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت ولكن بكيت ليوم مضى

يوما أو بعض يوم وذلك أن الله تعالى أماته ضحى وأحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغير وانظر الى حمارك قال قوم وذلك أن الله تعالى لم يمت حماره فأحيا له الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرسن في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشرها وقال آخرون أراد به عظام حماره كما قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو أنه عاد الى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس واللحية (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين ابن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما أحيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة لهم فخرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ما رأيت كذا وكذا سنة أحدا يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فاني أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فاني أنا عزير كان الله قد أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء فيعافيه الله تعالى ويشفيه فادع الله تعالى أن يرد علي بصري حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا ربه ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب الله فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم أخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت أشهد أنك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثمان عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ في المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس وأقبلوا اليه فقال ابنه كانت لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفه فاذا هي بها فعرف عند ذلك أنه عزير عليه الصلاة والسلام

{باب في ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه}

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله روى عطية العوفي عن ابن عباس قال قال كان عزير من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوها وعملوا بالأهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قد أمر علماءهم أن يدعوا الله تعالى فدعا الله هو وإياهم وابتهل أن يرد اليه ما نسخ من صدره فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذي كان ذهب من صدره من التوراة فأذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت

من عمري لم يحسن فيه عملي وأ بكائي والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤود ولم أدر بعد ذلك أصير الى الجنة أم الى النار قال مالك فسمعت منه كلام حكمة فقلت له يا سعدون ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وأنت اغتررت يا مالك بما اغترت به الناس يزعمون اني مجنون وما بي من جنون ولكن حب مولاي قد خالط قلبي وأحشائي وجرى بين لحمي ودمي وعظامي وأنا والله من حبه هائم مشغول قال مالك فقلت له يا سعدون فلم لا تخالط الناس ولا تخالطهم فأنشد يقول

خذ عن الناس جانبا
وارض بالله صاحبا
قلب الناس كيف شئ
ت تجدهم عقاربا

(قيل) وكان سعدون المجنون رضي الله تعالى عنه ونفعنا به يدور في شوارع البصرة ويقف عند كل باب ويقول

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم

ثم يبكي وينشد عند ذلك ويقول

فلو لم يكن فيها سوى الموت والبلى
وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا

عرضوا ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتى عزير هذا الا لأنه ابن الله (قال السدى) وابن عباس فى رواية عمار انما قالت اليهود هذا لأن العمالقة ظهروا عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة فى الجبال وغيرها ولحق عزير بالجبال والوحوش وجعل يتعبد فى رؤس الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد وجعل يبكى ويقول يارب تركت بنى اسرائيل بغير عالم وجعل يبكى حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من تلك القبور وهى تبكى وتقول يا مطعماه يا مكسياه فقال لها عزير ياهذه اتقى الله واصبرى واحتسبى أما علمت أن الموت سبيل الناس ثم قال لها ويحك من كان يطعمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل يعنى زوجها الذى كانت تندبه فقالت الله تعالى قال فان الله عز وجل حى لا يموت أبدا قالت ياعزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله تعالى قالت فلم تبكى عليهم وقد علمت ان الموت حق وأن الله حى لا يموت فلما علم عزير أنه قد خصم ولى مدبرا فقالت له ياعزير انى لست امرأة ولكنى الدنيا أما انه سينبع لك فى مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ ويعطيك شيأ فما أعطاك فخذمنه فلما أصبح نبعت العين فى مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال له افتح فاك ففتح فاه فالقى فيه شيأ كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل هذه العين فامش فيها حتى تبلغ أهلك قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه الا زيد فى علمه فرجع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يابنى اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا ياعزير ما كنت كذابا فربط على كل أصبع له قلما وكتب باصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فاحيا لهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التى دفنوها وقابلوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطى الله هذا الا لأنه ابنه وقال الكلبى ان بختنصر لما ظهر على بنى اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذذاك غلاما صغيرا فاستصغره ولم يقتله ولم يدر أنه قد قرأ التوراة فلما مات مائة سنة ورجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية فاتاهم عزير وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فأمل علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ثم ان رجلا قال ان أبى حدثنى عن جدى أن التوراة جعلت فى خابية دفنت فى كرم فلان فى موضع كذا فانطلقوا معه حتى احتفروا وأخرجوا الخابية والتوراة فيها فاخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فعجبوا وقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة فى قلب رجل واحد منا بعد ما ذهبت من قلوبنا الا أنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

﴿مجلس فى ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور﴾

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين * قال هشام بن محمد الكلبى وغيره كان بدء نزول العرب أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا أن الله تعالى أوحى الى يوحنا بن برخيا بن زربابيل بن سنبسل وسنبسل هذا هو أول من اتخذ الطفيشل كان من ولد يهوذا بن يعقوب أن ائت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بى واتخاذ الآلهة دونى وتكذيبهم أنبيائى ورسلى وذلك بعد قتل أهل حضور وهى بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فأخبره بما أوحى الله تعالى اليه وقص عليه ما أمر به وذلك فى زمن معد بن عدنان فاوحى الله

تعالى

على نائبات الدهر مع كل مسعد

(قال) وكان سعدون رضى الله تعالى عنه اذا اشتد به الجوع ينشد ويقول

الهى أنت قد آليت حقا
بأنك لا تضيع من خلقتا
وانك ضامن للرزق حقا
تؤدى ما ضمنت كما قسمتا
وانى واثق بك يا الهى
ولكن القلوب كما علمتا
الهى أنت رزاق كريم
ومن لى بالعطاء اذا منعتا

(قال) وكان سعدون رضى الله تعالى عنه عليه جبة من صوف مكتوب على كمها الايمن سطر وهو

عصيت مولاك ياسعيد
ما هكذا تفعل العبيد

وعلى الكم الايسر سطران وهما

تبا لمن قوته رغيف
يأتى به السيد اللطيف
يعصى الهه جلاله
وهو به راحم رؤف

ومن خلفه سطران وهما

كل يوم يمر يأخذ بعضى
يذهب الاطيبان منى وبعضى
نفس كفى عن المعاصى وتوبى
ما المعاصى على الانام بفرض

ومن بين يديه سطران وهما

تعالى الى يوحنا انى قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربة لا تتقيه منهم فعليك بمعد بن عدنان الذى من ولده النبى محمد صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه فى آخر الزمان وأختم به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الارض حتى سبق بختنصر فلقى عدنان وقد تلقاه فنظر الى معد وله يومئذ اثنتا عشرة سنة فحمله يوحنا على البراق وأردفه خلفه فاتيا الى أرض نجران من ساعتهما قالوا ووثب بختنصر على من كان فى بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم ديرا على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا ووكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى فى الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه الطوائف منهم مسالمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم يوحنا فقال ان خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم وأحسن اليهم قال فانزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان فى قومه من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى مناد من جوف السماء يالثارات الانبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذاهم منها يركضون أى يسرعون هاربين فاخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم الآية فلما عرفوا انه واقع بهم أقروا بالذنوب قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فالقاهم فى الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليه المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الحير بعد فراغه من غزو العرب وابتنوا لانفسهم بلدين فسموا أحدهما الانبار والاخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا فى حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنبياء بنى اسرائيل حتى أتى مكة فاقام أعلامها وحج الانبياء معه

(مجلس فى ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه)

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعنى العقل والعلم والعمل به والاصابة فى الامور واختلفوا فى نسبه فقال محمد بن اسحق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب وقال الواقدى كان قاضى بنى اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وروى الاوزاعى عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل انك أسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الحمشاوى لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرنى) ابن فنجويه باسناده عن سعيد ابن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الحمشوى عنه باسناده أنه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا عصمه الله تعالى كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه الله فمن عليه

أيها الشامخ الذى لا يرام
نحن من طينة عليها السلام
انما هذه الحياة متاع
ثم موت به تساوى الانام
وعلى عكازه مكتوب بهذان السطران
احمل وأنت بذى الدنيا على وجل
واعلم بانك بعد الموت مبعوث
واعلم بانك ما قدمت من عمل
يحصى عليك وما خلفت موروث
قال مالك فقلت له أنت حكيم ولست بمجنون فقال سعدون أنا مجنون الجوارح ولست بمجنون القلب ثم ولى ولم أره رضى الله تعالى عنه (وحكى عن بشر الحافى رضى الله عنه أنه قال) كنت فى لهو وعندى ندمان يشربون ويطربون فمر بى رجل من الصالحين على باب دارى وطرق الباب فخرجت اليه جارية من الجوارى فلما رآها الرجل قال ياجارية صاحب هذه الدار حر أم عبد فقالت له الجارية بل حر فقال لها صدقت لو كان عبدا لاستعمل آداب العبودية وترك اللهو والطرب ثم تركها ومضى قال بشر فأتت الى

بالحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يالقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة
فى الارض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان
عزم على فسمعا وطاعة فانى أعلم أنه ان فعل بى أعانني وعصمنى فقالت الملائكة لم يالقمان قال لان الحاكم
باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان أصاب فأرجو أن ينجو وان أخطأ أخطأ طريق
الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا تبقى
له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودى داود
بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك و يعفو الله عنه وكان لقمان
يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يالقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطى داود
الخلافة وابتلى بالبلية والفتنة

﴿ باب فى ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة فى القرآن ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم الآيات (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين الدينورى عن عكرمة قال كان لقمان من أهون
مملوك على سيده قال فبعثه مولاه مع رفقة له الى بستان له ليأتوه بشئ من ثمره فجاؤا وليس معهم شئ وقد
أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاسقنى واياهم ماء
حميما ثم أرسلنا لتقذفه ففعل فجعلوا يتقايؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقايا ماء نقيا فعرف صدقه
من كذبهم قال فأول ما روى من حكمته أنه بينا هو مع مولاه اذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه
لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يتجع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس
فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما
على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خبأتك
قال أخرج كرسيك وأباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أى شئ خاطرتمونى قالوا على
ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها موادا فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع
أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (أخبرنا) ابن فتحويه باسناده
عن خالد الربعى قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتنى
بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال له أما كان فيها شئ أطيب من هذا قال لا فسكت
عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتنى بأخبث مضغتين منها فجاءه باللسان والقلب فقال له
أمرتك أن تأتينى بأطيبها مضغتين فأتيتنى باللسان والقلب وأمرتك أن تأتينى بأخبثها مضغتين
فأتيتنى باللسان والقلب فقال له انه ليس بأطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا (وأخبرنا)
عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب
نفس (وأخبرنا) عبد الله باسناده عن أبى هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه
فقال له ألست العبد الاسود الذى كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق
الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنينى (أخبرنى) الحسين بن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب
الوالد لولده كالماء للزرع وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فتلقاه غلامه فى الطريق فقال له
ما فعل أبى قال مات قال الحمد لله ملكت أمرى قال فما فعلت امرأتى قال ماتت قال جدد فراشى
قال ما فعلت أختى قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعل أخى قال مات قال انقطع ظهرى
(أخبرنا) الحسين بن الحسن بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أى الناس أشرف قال الذى

الجارية وأخبرتنى بذلك
فذهبت الى الباب مسرعا
حافيا فوجدت الرجل قد
مضى فتبعته حتى لحقته ثم
قلت له أنت الذى وقفت
بالباب فقال نعم فقلت له
أعد على ما قلته فأعاده على
قال بشر فمرغت خدى على
التراب وقلت بل عبد ابن
عبد ثم همت على وجهى
حافيا حتى عرفت بالحافى
فقيل لى لم لا تلبس نعلين
تقيانك من الحر والبرد
فقلت ما صالحنى مولاى الا
حافيا قال فكان كذلك
حتى مات رحمة الله تعالى
عليه ونفعنا به وبركاته
ومدنا من مدده (وحكى
عن بعضهم رضى الله تعالى
عنه أنه قال) كان ببغداد
رجل من التجار كنت
أسمعه يقع فى حق السادة
الصوفية بكلام قبيح ثم
رأيته بعد ذلك مدة يسيرة
قد صحبهم وأنفق ماله
عليهم فقلت له كنت قبل
الآن تبغضهم قال نعم كان
قلبى مهتما بذلك صليت
الجمعة يوما من الايام بمسجد
بغداد ثم خرجت فرأيت
بشرا الحافى رضى الله عنه
خارجا من المسجد مسرعا
فقلت فى نفسى انظر الى
هذا الرجل الموصوف
بالزهد والورع لم يستقر فى

يستحي أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على الناقش (وروى) البخاري عن سفيان الثوري قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثيرون فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا يابني كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم في كل يوم ينقصون يابني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخلن فيها دخولا فتضر فيها بآخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك عن الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يابني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء أو ترائي به في المجالس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة يابني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدوك علما وان تكن مستأهلا يعلموك ولعل الله أن يظلهم برحمته فتعمك معهم واذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا ينفعهم علمك وان تكن جاهلا يزيدوك جهلا فلعل الله يظلهم بالعقوبة فتعمك معهم يابني لا تضع برك الا عند راعيه كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم يابني كن عبدا للاخيار ولا تكن خليلا للاشرار يابني كن أمينا تكن غنيا ولا تر الناس انك تخشى الله وقلبك فاجر يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم والطف بهم في السؤال اذا تركوك ولا تعجزهم فيملوك يابني لا تطلب من الامر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأي ويزري بالعقل يابني ان تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا يابني اذا سافرت فلا تأمن على دابتك فان ذلك مسريع في أدبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن تكون في محل يمكنك فيه التجدد واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك واياك والسفر في أول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزود من الادوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لاصحابك موافقا موافيا الا في معصية الله يابني اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يابني لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء الناس ويحرق نفسه يابني لا تحقرن من الامور صغارها ان الصغار غدا تصير كبارا يابني اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهان ولا يسمع منك اذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا يابني اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب وألزم نفسك التودد في أمورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه وأظهر بشره وبسطه حظي عند الابرار وأحبه الاخيار وجانبه الفجار يابني لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في أيدي الناس فان ما بلغ الانبياء والصديقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم عما في أيدي الناس يابني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقد بقي قليل من قليل القليل يابني اجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير أهله فتخسر في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولا تكن مبذرا ولا تمسك المال تقتيرا ولا تعطه تبذيرا يابني لزم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل يابني للحاسد ثلاث علامات يغتاب صاحبه

المسجد ساعة فتبعته حتى دخل السوق وتقدم الى الخباز واشترى بدرهم خبزا ثم تقدم الى الشوى فاشترى منه بدرهم ثم اشترى بدرهم حلواء فقلت في نفسي لا أبرح عنه حتى أنظر ماذا يصنع بهذا فخرج الى الصحراء فتبعته وأنا أقول يريد الماء والخضرة فما زال يمشي وأنا خلفه الى قريب العصر حتى دخل مسجدا خرابا فيه مريض فجلس عند رأسه وصار يلقمه لقمة لقمة وأنا أنظر اليه فقمت لانظر ذلك المسجد وما حوله فغبت ساعة ثم رجعت الى المسجد فلم أجد بشرا الحافي فسألت المريض وقلت له أين الذي كان يلقمك فقال بشر الحافي فقلت نعم وأين هو فقال توجه الى بغداد فقلت كم بيني وبين بغداد قال أربعون فرسخا يعني مسيرة خمس مراحل قال فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ماهذا الذي فعلته بنفسي وليس معي شيء أكتري به ما أركبه ولم أقدر على المشي قال فجلست عند المريض في المسجد الى الجمعة الاخرى حتى جاء يوم الجمعة ومعه شيء فوكله المريض فلما

ان غاب ويحلق اذا شهد ويشمت فيه بالمصيبة ﴿تم خبر لقمان الحكيم وما وصى لابنه أنعم والله أعلم﴾

﴿ مجلس في قصة بلوقيا ﴾

(أخبرنا) أبو بكر محمد بن عبد الله الخزرقي بإسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف نعت النبي عليه السلام وأمته في التوراة فخبأه وكتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده ففتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه أوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته مختومة بالمسك ففكها وقرأ ما فيها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بني اسرائيل فرده الى أهله فقال بنو اسرائيل يا بلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لا ضير انما تبع حظ نفسه وخسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالتوراة قال وكانت أم بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا ابو مُدَّة ببلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال أسأل عن محمد وأمته فلعل الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فاذنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينا هو يسير اذ انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كأمثال الابل عظما وفي الطول ما شاء الله وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك فقال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم بلوقيا أيتها الحيات من أنتن فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر في كل سنة مرتين فتلقينا الى ههنا ثم نعود اليها فشدة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم درك من دركاتها ولا باب من أبوابها ولا سرادق من سرادقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا أيتها الحيات هل في جهنم مثلكن أو أكبر منكن فقلن ان في جهنم حيات تدخل احدانا في أنف احداهن وتخرج من فيها ولا تشعر بها لعظمها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى حتى أتى جزيرة أخرى فاذا هو بحيات كأمثال الجذوع والسواري وعلى متن احداهن حية صغيرة صفراء كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا تفحصن دخلن تحت الارض خوفا منها قال فلما رأتها ورأتني قالت أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبريني أيتها الحية من أنت قالت أنا الموكلة بالحيات واسمي تمليخا ولولا أني موكلة بهن لقتلت بني آدم كلهم في يوم واحد ولكني اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتي دخلن تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فأتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الحبر فأتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينك وبينه قرون وسنون ثم قال عفان الحبر يا بلوقيا أرني موضع الحية التي اسمها تمليخا فان قدرت أن أصيدها رجوت ان أنال معك ملكا عظيما ونحيا حياة طيبة الى أن يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل في دينه فمن حرص بلوقيا على الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أنا أريك المكان فقام عفان وأخذ تابوتا من حديد وعمل فيه قدحين من

فرغ من الطعام قال له المريض يا أبا نصر هذا الرجل صحبك من بغداد في الجمعة الماضية وهو مقيم عندي قال فنظر الى بشر كالمغضب وقال لم صحبتني فقلت أخطأت يا سيدي واستغفرت الله العظيم مما كان مني فقال بشر الحافي قم فامش فمشيت معه الى قريب المغرب فدخل بغداد قال أين محلك من بغداد فقلت في المحل الفلاني فقال اذهب ولا تعد لمثل هذا فتبت الى الله تعالى وصحبته رضي الله تعالى عنه ونفعنا به في الدارين آمين (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) أنه قال دخلت الخلوة في أيام جذبتي وعاهدت ربي عز وجل ان لا آكل شيأ الا بعد أربعين يوما فكنت في الخلوة عشرين يوما فاشتد علي الجوع والفاقة والضرورة فخرجت من الخلوة فسرت ولم أشعر بنفسي الا وأنا في السوق فبينما أنا كذلك اذا بفقير يتمنى على الله رطل خبز ورطل شواء ورطل حلواء فتعجبت من ذلك وهو يمر علي ولا يكلمني فقلت في نفسي ان هذا الرجل الثقيل كيف يتمنى هذه الشهوات العزيزة

فضة في احدهما خمر وفي الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى اتيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتنحيا
فجاءت الحية تبغي الرائحة فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ودب الى
التابوت دبيبا خفيفا فأغلق عليها باب التابوت وحصنه وأخذها ومرا جميعا فمرا بشجرة ولا نبت
الا كلمهما باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها القرمل فقالت يا عفان من يأخذني ويقطعني ويدقني
ويعصر ماءى ودهنى ويطلى به قدميه فانه يخوض البحار السبعة فلا تبتل قدماه ولا يغرق فقال عفان
اياك طلبت ثم انه قطع تلك الشجرة فدقها وعصر ماءها وأخرج دهنها وجعله في كوز ثم خلى عن
الحية فطارت بين السماء والارض وهي تقول يا بني آدم ما أجرأكم على ربكم ولن تصلوا الى ما تريدون
قال فذهبت الحية وسار عفان وبلوقيا الى البحر فطليا أقدامهما ثم دخلا في اليم ومشيا في الماء كأنما كانا
يمشيان على الارض حتى قطعا البحر الاول ثم الثاني فاذا هما بجبل في وسط البحر ليس بعال ولا متدان
ترابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق
على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه
تنين وخاتمه بالشمال وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه في خاتمه وكان خاتمه من ذهب وفصه
من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الاعظم وكان عند عفان علم من
الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه
ونرجو الحياة الى أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب
لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فأعطاه اياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان الى يوم القيامة انسان
فقال عفان يا بلوقيا اسكت ان الله معنا ومعنا اسم الله الاعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم
عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين ما أجرأك على ربك ان غلبتنا باسماء الله تعالى
فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى قال فكلما نفخ التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات
التنين فيهما شيأ ودنا عفان من السرير لينزع الخاتم من أصبعه فاشتغل بلوقيا بالنظر الى نزول جبريل
عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الارض والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه
البحار وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب مالحا من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط
بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج من بطنه شعلة كأنها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت
نفخته في البحر فصارت النفخة بشيء الا أحرقته ولا بماء الا سخنته وأغلته وان بلوقيا لما رأى العذاب
ذكر اسم الله الاعظم فلم يصله مكروه ثم تراءى جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له يا ابن آدم
ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين فقال بلوقيا
يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أتعمده قال فبذلك نجوت
ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومضى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدهن فضل الطريق الذي جاء
منه وأخذ في طريق أخرى فسار ومضى ستة أبحر ووقع في السابع فاذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها
الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على
ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة يا خاطئ يا ابن الخاطئ
لا تأخذ مني شيأ فبقي متعجبا واذا بحذاء الشجرة قوم يقرأ كفنون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم
يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأ
فذكر بلوقيا اسم الله فتحيروا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا بأجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله
ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بني آدم فقالوا له ما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقالوا

وأنا أطلب كسرة يابسة لم
تحصل لي قال فلما كان بعد
ساعة حصل لما تمناه فجاءني
بذلك وأعطانيه وقال
يا فلان أتدري من هو
الثقيل الثقيل الذي يخرج
من الخلوة لاجل الشهوات
وينقض العهد يطلب من
الطيبات والنفائس ما يرد
عليه القوة ثم قال ان الذي
يطوى الاربعين يوما
يطويها بالتدريج ثم قال
لا تعد لمثلها أبدا ثم تركني
ومضى فلم أره رضي الله
تعالى عنه ونفعنا بهم أجمعين
وجميع المسلمين آمين
(وحكى عن الشيخ
المسمى بجوهر الشكور
المدفون بعدن رضي الله
تعالى عنه) أنه كان مملوكا
فعتق فكان يبيع ويشترى
في الاسواق الا أنه كان
يحضر مجالس الفقراء
ويعتقدهم اعتقادا شديدا
وكان رجلا أمينا فلما
حضرت وفاة الشيخ
العارف بالله تعالى شيخ
الطريقة بعدن المدفون
بها اجتمعت عليه الفقراء
وقالوا ياسيدى من يكون
شيخا بعدك فقال الذي
يقع على رأسه الطائر
الاخضر في اليوم الثالث
بعد موتى عند اجتماع
الناس والفقراء عند قبرى

نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذى أوقعك الينا فقال انى خرجت فى طلب نبى يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وانى قد ضللت الطريق الذى أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله فى السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامة ولسنا نموت الى يوم القيامة وأنت تسير معنا فقال بلوقيا الملك الجن وكان اسمه صخرا يا صخر أخبرنى عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلقا فى سمائه سماه جبليت وخلقا فى أرضه سماه تمليت فأما جبليت فانه خلق فى صورة أسد وتمليت فى صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما أن ينتفضا فى النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الاسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما أن يتناكحا فحملت الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى الله اليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تثبت مع الانس ولكننى أجلك فرسى وأبرقعه حتى لا يعرف من راكبه واركب عليه على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمال على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هناك فادفع الفرس اليهما وامش فى حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غدوة قالا ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والارض ليريح نفسه منك فكم ترى ما جاب بك قال خمس فراسخ أو أكثر قالا بل جاب بك فى هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال خلوا عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان انقضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله العجيب فقالوا عجائب الله لا تنقضى ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق الخارق قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمى يوحاييل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين قال فى يدى اليمنى ضوء النهار وفى اليد اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدى لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر اسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد يزداد زدت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزداد زدت النهار واذا انتقص نقصت فلذلك الليل فى الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفى الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى فى السماء ويده اليسرى فى الارض وقدماه تحت الثرى وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت وما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال مخاييل قال فمالى أرى يمينك فى السماء

فيكون هو الشيخ عليكم ثم توفى الشيخ الى رحمة الله تعالى فاجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة أيام ينتظرون ماوعدهم الشيخ رضى الله تعالى عنه فبيناهم كذلك اذا بالطير الاخضر قد وقع قريبا منهم وارتفع فصار كل من الفقراء يتمنى أن يكون هو الموعود به فبيناهم منتظرون الوعد الكريم وما يكون فيه من تقدير العزيز العليم اذا بالطير قد وقع على رأس جوهر ولم يكن يخطر له ذلك ولا لاحد من الفقراء فقام الفقراء يزفونه الى الزاوية وينزلونه منزلة الشيخ فبكى جوهر وقال كيف أصلح لذلك وأنا رجل سوق ولم أكن أعرف طريقة الفقراء وعلى تبعات وبينى وبين الناس معاملات فقال له الفقراء هذا أمر من الله عز وجل فالله يتولاك ويعينك ويعلمك وهو يتولى الصالحين فقال لهم جوهر فامهلونى حتى أمضى الى السوق وأبرأ من حقوق الناس فأجابوه لذلك فذهب الى السوق ووفى كل ذى حق حقه ورجع الى الفقراء وترك السوق ولزم الزاوية والفقراء وصار جوهرا كاسمه وله من الكرامات والفضائل ما

وشمالك فى الماء قال أحبس الريح بيمينى والماء بشمالى ولو رفعت شمالى عن الماء لزخرت البحار كلها فى ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليها و بيدى اليمنى فى الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لان فى السماء ريحا تسمى الهائمة ولو أرسلتها لنسفت من فى السماء ومن فى الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فأما الملك الذى رأسه كرأس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعل فى قلوب بنى آدم لها الرأفة والرحمة كيلا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلنى من أهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس النسر فيقول اللهم ارحم الطيور وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعلنى من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس الاسد فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلنى من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلنى من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتى انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له الملك من أنت قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك وأين تريد قال خرجت فى طلب نبى من العرب يقال له محمد ولست أرى أثره ولا أدرى بأى بلاد أنا فقال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قد أمرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمى حزقيائيل قال وما تصنع ههنا قال أنا أمين الله على جبل قاف وفى يده وتر مرة يعقده ومرة يحله وعروق الارض كلها مشدودة عليه والوتر فى كفه قال فاذا أراد الله ان يضيق على عباده أمرنى أن أمد الوتر وأعقده وأوثق عروق الارض فتضيق الدنيا على العباد واذا أراد الله أن يوسع عليهم أمرنى أن أرخى الوتر فأفتق عروق الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا أراد الله أن يخوف قوما أمرنى أن أحرك عروق تلك الارض فمن أجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل قال بلوقيا أيها الملك ماوراء قاف قال وراء قاف أربعون دنيا غير الدنيا التى جئت منها فى كل دنيا أربعمائة ألف باب فى كل باب أربعمائة ألف ضعف مثل الدنيا التى جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وأرضها ذهب عليها حجب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ألهموا ولذلك خلقوا وبه أمروا الى يوم القيامة قال بلوقيا فما وراءهم أيها الملك قال حجب ووراء الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا أخبرنى أيها الملك على أى شىء هذا الجبل موضوع قال بين قرنى ثور واسمه بهموت وهو أبيض رأسه بالمشرق ومؤخره بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هى قال تحت الارض السابعة فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه فى السماء وأسفله فى الماء عليه باب مقفل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملكان أحدهما رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس الكبش وبدنه كبدن الثور وهما يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام وقالا يا بلوقيا أيها الخلق المخلوق ممن أنت وما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم فقالا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ما عرفناها قال كيف تعرفون محمدا

يطول ذكره فسبحان المنان الكريم ذى العرش العظيم فصبر على العبادة حتى مات رضى الله تعالى عنه (وحكى أن الحجاج ابن يوسف الثقفى) بعث الى رجل من أهل الخير والصلاح والعبادة فلما حضر بين يديه لم يمهله دون أن قال لغلمانه اذهبوا به الى السجن وقيدوه واكتبوا على قيده مخلد فلما سمع ذلك الرجل مقالة الحجاج تبسم وقال انك تحتاج الى مسمار كبير يكون وزنه قنطارا فقال الحجاج ما أصنع به فقال له الرجل تسمر به الفلك فلعل هذا من شؤم فعلك وقلة عقلك وتجارئك على مولاك وحلمه عليك قال فاغتاظ الحجاج عند ذلك وأمر السجان أن يأخذه ويقيده ويسلسله ويبنى له بيتا ويضعه فيه ويسد عليه أبوابه حتى يموت فيه فمضى به السجان وأحضر له حدادا ثم وضع القيد فى رجله وأمسك عليه بالرصاص فقال الرجل عند ذلك حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قال ثم وضعوه فى البيت مقيدا مسلسلا فلما جاء الليل مضى السجان الى الرجل

وماتعرفون آدم ومحمد من نبيه فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم ولسرائيل فقال بلوقيا افتحا لى الباب حتى أجوز فقالا لانحسن فتحه وان لله ملكا فى السماء اسمه جبريل عسى أن يقدر على فتحه فدعا بلوقيا ربه قال فأمر الله تعالى جبريل فنزل اليه وفتحه له ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك على الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحرين بحر مالح وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفى البحر المالح جبلا من ذهب وفى البحر العذب جبلا من فضة وبينهما ملك على صورة النملة ومعه ملائكة على تلك الصورة فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فأخبرهم بقصته ثم قال لهم بلوقيا من أنتم قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الاحمر قالوا هذا كنز الله فى الارض فكل ذهب يظهر فى الارض من هذا الجبل الاحمر وكل ماء فى الدنيا من ماء عذب أو ملح انما هو من ماء هذين البحرين وماؤهما انما يجيء من تحت العرش من قبل أن يخلق الله الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة فى الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت عظيم يقضى بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وأنه خرج يطلب النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فاقرئه منى السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم انه قال أيتها الحيتان انى جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما أجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما اذا أكلته تسير أربعين سنة لا تعيا ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش فأطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه رأى شابا يجرى على الماء كأنه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذى خلقنى فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر يمر على الماء ضوؤه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذى خلقنى فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بثالث كأنه القمر يلوح فى آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله الا ما وقفت على فوقف وقال له يا بلوقيا لماذا تستحلفنى قال خشيت أن تفوتنى كما مر من أصحابك الماضين ثم قال له من كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور والثانى ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فماذا تصنعون فى هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وانا أمرنا أن نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة فقال بلوقيا أيكون فى جهنم مثل هذه الحية أو أكبر منها قال نعم ان فى جهنم من الحيات ما تدخل هذه الحية فى أنف احداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى جزيرة أخرى فاذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال يا شاب من أنت وما اسمك قال اسمى صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبى والآخر قبر أمى وكانا صالحين فأنا ههنا وأنا عند قبرهما حتى أموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ ويداه من زعفران وقوائمه من زمرذ واذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوى فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام فقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثنى الى آدم بهذه المائدة لما أهبط من الجنة وانى كنت معه حين أتى حواء وأباح الله الاكل وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا آمين الله عليها الى يوم القيامة

فسمعه قائما يصلى ويقرأ ويدعو الله عز وجل فعجب السجان من ذلك فلما طلع النهار أتى السجان الى الرجل فلم يجده ورأى البيت على حاله والحديد ملقى على الارض قال فخاف السجان على نفسه من ذلك فتوجه الى عياله وأولاده وودعهم وأخذ كفنا ومضى به الى الحجاج وهو مصفر اللون موقن بالموت فلما وقف بين يدى الحجاج قال ما بالك بهذه الحالة فقص عليه القصة فقال الحجاج على بالحداد فحضر بين يديه فقال ما صنعت بالرجل بالامس فقال صنعت به كذا وكذا فقال الحجاج ما كان يقول عند ذلك فقال السجان سمعته يقول عند وضع القيد فى رجليه حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فقال الحجاج نعم ان الذى احتسب به هو الذى خلصه انه على كل شئ قدير (وحكى عن هرون الرشيد رضى الله تعالى عنه) أنه رأى رجلا من أهل الخير فسمعه يأمر بمعروف وينهى عن منكر فشق ذلك على هرون الرشيد فاحضر الرجل بين يديه فلما حضر أمر أن يجعل

فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا فأكل منها قال كل فأكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال معي أبو العباس يأتيني أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فما ذكر الخضر إذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فما خطا خطوة الا نبت الحشيش تحت قدميه قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله فقال بلوقيا طالت غيبتي وأريد الرجوع الى أمي فقال الخضر بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة عام وأنا أوردك اليها في مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر ان كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة فأنا أوردك اليها في مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام فأنا أوردك اليها في ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو جالس عند أمه فسألها من جاء بي اليك قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والارض فوضعك قدامي ثم ان بلوقيا حدث بني اسرائيل بما رأى من العجائب والاخبار فاثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب في البحر والبر سهلا وجبلا والله أعلم

﴿مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام﴾

قال الله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا

﴿باب في نسبه ولقبه﴾

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبش بن بطر يوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومي ابن لطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهي الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدماء أن الاسكندر هو أخو دارا بن دارا وذلك أن دارا الاكبر ابن بهمن بن اسفنديار بن يستاسف كان تزوج أم اسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانة وانها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتال في زوال ذلك منها فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها اسندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها بقية نتنها وعافها فردها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التي غسلت بمائها سكندروس فهذا أصل اسمه ثم خففت فقيل اسكندر وكني بذي القرنين * واختلفوا في سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لأنه كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب وقيل لأنه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لأنه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لأنه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل لأنه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لأنه أعطي علم الظاهر والباطن وقيل لأنه دخل النور والظلمة والله أعلم

﴿باب في قصة ذكر بدء أمره وسبب استكمال ملكه﴾

قال الله تعالى انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا وقال قوم كان فيلبش اليوناني أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الاصغر وكان أبو هلانة جد الاسكندر لامه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التي كان أبو الاسكندر يؤديها

له بيت ويسد عليه بابه ومنافذه حتى يموت فيه قال ففعلوا ذلك معه فلما كان بعد خمسة أيام قال بعض جلساء هرون الرشيد يا مولاي اني رأيت الرجل الذي أمرت بسد البيت عليه وهو يتبختر في بستان الفلاني فقال الرشيد علي به فاحضروه بين يديه فلما رآه الرشيد قال له من أخرجك من البيت قال الذي أدخلني البستان قال ومن أدخلك البستان قال الذي أخرجني من البيت قال فضحك الرشيد وقال هذا عجيب قال الرجل وأي أمر بك ليس بعجيب قال فبكى الرشيد وأمر له بالاحسان وأركبه فرسا من خواص خيله وامر مناديا ينادي بين يديه ويقول هذا عبد أعزه مولاه فأراد هرون اهانته فلم يقدر ثم زاد في احسانه واكرامه واحترامه وهذا من بعض مناقبهم نفعنا الله بهم آمين ﴿وحكي عن الشيخ شاه بن الشجاع الكرماني رضي الله تعالى عنه﴾ أنه كان له بنت تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وكانت بديعة الحسن والجمال فسمع بها ملك كرمان فأتى أباها ليخطبها منه فاستمهله

الى ملوك الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم فقهرهم واستجمع له ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فآنس بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الاصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب اليه دارا بن دارا بقصة الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فاجابه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه فى امتناعه عن حمل الخراج اليه وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيزى سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه انك صبى وانه ينبغى لك أن تلعب بالصولجان والكرة التى بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس به ولا تستعصى والا بعثت اليك من يأتى بك فى وثاق ولو كانت جنودك بعدد حب السمسم الذى بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر فى جواب ذلك انى قد فهمت ما كتبت وقد نظرت ما ذكرت فى كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بارضك وانى عنو على ملكك وأضيفه الى ملكى وأضيف بلادك الى بلادى وانى نظرت الى السمسم الذى بعثته الى كنظرى الى الصولجان والكرة وبعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب انما بعثت اليك بذلك لأن جنودى مثل ذلك فلما وصل الى دارا ابن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة الاسكندر وان الاسكندر أيضا تأهب للقاء ونادى فى عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلى الخزر واقتتلا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته وقيل ان أحدهما كان صنيعته فطعناه فارادياه عن مركبه وأرادا بطعنهما اياه الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا أسيرا ولا يقتل فأخبر بشأن دارا فاسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره انه لم يهم قط بقتله وان الذى أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به ثقاته ثم قال سلنى عما بدا لك فاسعفك به فقال له دارا ان لى اليك حاجتين احداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكابى وسماهما وبلادهما والثانية أن تتزوج ابنتى روشنك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى عليهما هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

﴿ باب فى ذكر الحوادث التى كانت فى أيام ذى القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره الى البلاد والآفاق ﴾

قالت العلماء باخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان فى بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بارض الهند من بيوت الاوثان وقتل الموابذة وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) فى سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثنى عشر ألفا فاحرقوها لحصول ذلك الذهب وبنى اثنتى عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو وسمرقند ومدينة بارض أصفهان بنيت على مثال الحية ومدينة بارض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته روشنك بنت دارا ومدينة الاسكندرية ثم انه رأى فى منامه انه أخذ بقرنى الشمس ورأى فى منامه انه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء فى نبوته فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم

انه

الشيخ ثلاثة أيام ثم أقبل والدها يطوف المساجد لينظر رجلا فقيرا يزوجه بها فبينما هو كذلك اذ رأى غلاما حسن الوجه يصلى ويحسن الصلاة فلما فرغ من صلاته قال له يا غلام هل لك فى زوجة تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وهى جميلة نظيفة فقال الغلام ومن يزوجنى بها يا سيدى فقال له أنا أزوجك بها خذ بدرهم خبزا وبدرهم أدما وبدرهم طيبا والامر مفروغ منه ثم عقده له عليها ورجع الى بيته وأخبرها بذلك فلما دخلت الى بيت الغلام رأت فيه رغيفا يابسا على رأس جرة ماء فلما رأته قالت ما هذا فقال لها الغلام هذا رغيف تركته من أمس لنفطر عليه فلما سمعت ذلك ولت راجعة فقال لها الشاب قد علمت ان بنت شاه الكرمانى لا تفرح بفقرى ولا ترضى أن أكون لها بعلا فقالت ان بنت شاه ليس خروجها من منزلك لفقرك بل لضعف يقينك ولست أعجب منك وانما أعجب من والدى حين قال لى قد زوجتك بشاب عفيف فكيف يوصف بالعفة من لا يعتمد على الله

أنه قال لا أدري أكان ذو القرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض في هذه المسئلة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان اسمه عياشا وكان عبدا صالحا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه ياذا القرنين انى قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تأويل رؤياك وانى باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم في وسط الارض وهم الانس والجن ويأجوج ومأجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بحيالها يقال لها منسك وهي عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فأمة في قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحيالها في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهى انك قد ندبتني الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فاخبرني عن هذه الامم التي بعثتني اليها بأي قوة أكابرهم وبأي جمع وحيلة أكاثرهم وبأي صبر أقاسيهم وبأي لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبأي سمع أسمع أقوالهم وبأي بصر أنقدهم وبأي حجة أخاصمهم وبأي عقل أعقل عنهم وبأي قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأي قسط أعدل بينهم وبأي حلم أصابرهم وبأي معرفة أفصل بينهم وبأي علم أتقن أمورهم وبأي يد أسطو عليهم وبأي رجل أطؤهم وبأي طاقة أحصيهم وبأي جند أقاتلهم وبأي رفق أتألفهم وليس عندي يا الهى شئ مما ذكرت يقوم لهم ويقوى بي عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملتك وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعي كل شئ وأشرح لك فهمك فتفقه كل شئ وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شئ وأفتح لك بصرك فتنقد كل شئ وأحصى لك قوتك فلا يفوتك شئ وأشد لك عضدك فلا يهولنك شئ وأشد لك ركنك فلا يغلبك شئ وأشد لك قلبك فلا يفزعك شئ وأشد لك يديك فتسطو على كل شئ وأشد لك وطأتك فتهلك كل شئ وألبسك الهيبة فلا يروعنك شئ وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير وألح عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال لابد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه السوارى قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس ووتدا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتي ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثناعشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيأ فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين فكان جنده أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا ستمائة ألف ومن المساكين أربعون ألفا ثم انطلق يؤم الامة التي عند مغرب

سبحانه وتعالى الامع ادخاره رغيفا قال فلما سمع الشاب كلامها قال أنا عن ذلك معتذر والعفو عن ذلك أولى فقالت تصدق به على مستحقه فاني لا أقيم في بيت فيه معلوم فاما أن تتصدق به واما أن أخرج أنا من البيت قال فتصدق الغلام به فدخلت الى البيت (قلت) هذا التزويج صدر من الشيخ العارف بالله تعالى شاه بن الشجاع المذكور بعد ما زهد في الدنيا وترك الملك ودخل في طريق القوم رضي الله عنهم وقد تقدمت حكايته في هذا المجموع رضي الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين

(شعر)

فلو كان النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

(وحكى عن سهل بن عبد الله التسترى رضي الله عنه) أنه قال أول ما رأيت من العجائب والكرامات انى خرجت يوما من الايام الى موضع خال ظاهر البلد التي كنت قاطنا بها فطاب لي المقام فيه ووجدت قلبي قريبا من الله عز وجل

الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة أى ذات حمأ ومن قرأ حامية بالف من غير همز فمعناه حارة (أخبرنا) عبد الله بن حامد الاصفهانى باسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبى بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب فى عين حامية فقلت ما نقرؤها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأتها يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فاطلت الجدال معهما فأرسل معاوية الى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تغرب فى التوراة يا كعب قال أما العربية فانتم أعلم بها منى وأما الشمس فانى أجدها فى التوراة تغرب فى ماء وطين وأنشدك ما تزداد به تبصرا وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلى مسلما • ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغى • أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها • فى عين ذى خلب وثأط حرمد

فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقلت الطين بكلامهم قال فما الثأط قلت الحمأة قال وما الحرمد قلت الاسود فدعا رجلا فقال اكتب ما يقول • فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله تعالى ورأى ألسنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى ووجد عندها قوما يعنى ناسا فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم فى مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت فى أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت فى بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما خوفوا ماجوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا فى دعوته فجاء من أهل المغرب أمم عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير فى ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التى فى قطر الارض اليمين التى يقال لها هاويل وسخر الله قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهى تتبعه حتى اذا انتهى الى بحر أو مخاضة هيأ سفنا من ألواح صغار مثل النعال فيحملها فى ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك الجنود واذا بلغ البحار والانهار فتقها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل ففعل فيها كفعله فى ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه فى ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فوجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله فى الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهى الامة التى بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أنهم كانوا فى مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكنون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جريج جاءهم مرة جيش للتفرج على طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فنزاها ثم انهم قالوا ما هذه العظام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فماتوا ههنا قال فذهبوا هاربين فى الارض وقال الكلبى هم أمة

يقال

فحضرت الصلاة فأردت الوضوء وكانت عادتى فى صباى تجديد الوضوء لكل صلاة فاغتممت لفقد الماء غما شديدا وصرت متحيرا فبينما أنا كذلك اذ رأيت شيأ قائما يمشى على رجليه فتوهمت انه آدمى فلما قرب منى اذا هو دب عظيم ومعه جرة ماء قد أمسكها بيده فلما دنا منى وضع الجرة بين يدى فتعجبت فى نفسى عجبا شديدا وقلت من أين هذه الجرة وهذا الماء فقال فنطق الدب وسلم على وقال يا سهل نحن قوم من الوحوش قد انقطعنا الى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل على الله تعالى فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا فى مسئلة اذ نودينا ألا ان سهلا يريد ماء لتجديد وضوئه فقمت من عند أصحابى ووضعت هذه الجرة بين يديك وكانت فارغة واذا بملكين قريبين منى قد دنوت منهما فصبا فيها الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء فى الجرة قال سهل رضى الله عنه فلما سمعت ذلك غشى على فلما أفقت اذا بالجرة موضوعة ولم أدر أين ذهب الدب قال سهل فتوضأت وصليت فلما فرغت من الصلاة أردت ان أشرب من الماء

يقال لها منسك حفاة عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن أمية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله يستمعون له مجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فأخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لي ان بينك و بينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه و يلتحف الاخرى وكان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي فوقعت فلما أفقت وهم يمسحون على بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت أدخلوني سربا لهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

(باب في مقصد ذي القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء بأخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم في أطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الارض من الجن والانس و يأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب و يفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع و يأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أتت الملمة على ما نمو من نمائهم وزيادتهم فلا تشك أنهم سيملؤن الارض و يخرجون أهلها منها و يظهرون عليها و يفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا أي جعلا وأجرا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي أي قواني عليه خير من خراجكم فأعينوني بقوة أجعل بينكم و بينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتوني زبر الحديد أي قطعه واحدتها زبرة وآتوني النحاس فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سأدلكم على معادنهما قالوا فبأي قوة نقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو أشد ما خلق الله في الارض بياضا وهو الذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منها زبرا أمثال الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التي هي من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيها قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب و يصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته فصار سدا طويلا عظيما حصينا قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أي يعلوه وما استطاعوا له نقبا (قال قتادة) ذكر لنا أن رجلا قال يانبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال

فسمعت قائلا من الوادي يقول ياسهل لم يؤذن لك في شرب هذا الماء فتركتها فاذا هي تضطرب وأنا أنظر اليها متعجبا ولم أدر أين ذهبت تلك الجرة عفا الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين (وحكي عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) أنه قال توضأت في يوم جمعة ومضيت الى الجامع وكان ذلك في أيام البداية فوجدت الجامع قد امتلأ بالناس وهم الخطيب أن يرقى المنبر فأسأت الادب ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت الى الصف الاول ثم جلست فاذا عن يميني شاب حسن المنظر كأنه من الملوك وعليه أطمار من صوف فلما نظر الي قال كيف ترى حالك ياسهل فقلت بخير أصلحك الله فصرت متحيرا في معرفته لي ولم أعرفه فبينما أنا كذلك اذ أخذني حرق بول فأزعجني ذلك وصرت متحيرا في أمري فان قمت تخطيت رقاب الناس ثانيا وان جلست لم أتمكن من الصلاة قال سهل فالتفت الى الشاب وقال ياسهل أخذك حرق بول قلت نعم ياسيدي قال فنزع رداءه عن منكبه وغطاني به وقال

كالبرد المسير طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال الله قد رأيته ويقال ان موضع السد وراء رخود بقرب مشرق الارض بينه وبين الخزر مسيرة اثنين وسبعين يوما وذكر أن الواثق بالله أمير المؤمنين رأى فى المنام ان السد مفتوح فوجه سلاما الترجمان فى خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزق سنة وأعطاه مائتى بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسمعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى الازالى طلحند فى بلادشاه ملك الخزر فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيأ يشمونه من الرائحة الذكية فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن سبب نتن الريح ماهو فقالوا مات ههنا قوم ثم ساروا فى مدن خراب عشرين يوما فسألوا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخربوها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم قلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم فارقوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وعضادتان مبنيتان مقابلتا الجبل عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية بلبن من حديد مركبة فى نحاس فى سمك خمسين ذراعا واذا دروند من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحدة مقدار عشرة أذرع فى عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب فى النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد فى طرف كل شرافة قرنان مبنى بعضهما الى بعض منظومة كل واحدة فى صاحبتها فاذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا فى ارتفاع خمسين ذراعا قائمتان هما فى دورهما على قدر الدربند وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع فى استدارة أربعة أشبار والحلقة التى فى السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع فى طول مائة ذراع سوى ما فى العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة فى عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء ان أولئك لم يحدثوا فى الباب حدثا فاذا ضربوا أصغوا اليه بآذانهم فيسمعون من داخل دويا وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ فى مسيرة مائة فرسخ لأنها عشرة فى عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع فى مائتى ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عذب فى أحد الحصنين آلة البناء التى بنى بها السد من قدور الحديد ومغارف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدأ واللبنة ذراع ونصف فى عرض شبر وسألنا هل وراء ذلك أحد من أهل يأجوج ومأجوج فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فألقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل فى رأى العين شبرا ونصفا قال فلما انصرفنا أخذ بنا الادلاء على نواحى خراسان فعدلنا اليها فوقفنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ

ثم اقض حاجتك وأسرع لتدرك الصلاة قال فنظرت فاذا بباب مفتوح وقائل يقول لج الباب يرحمك الله فولجت الباب فرأيت قصرا مشيد البناء شامخ الاركان واذا بنخلة قائمة واذا بجانبها مطهرة مملوأة ماء أحلى من الشهد واذا بمنشفة معلقة وسواك ألين من الحرير قال سهل فتعجبت من ذلك ثم حللت لباسى وأرقت الماء واغتسلت وتنشفت ولبست أثوابى فسمعته ينادينى ويقول ان كنت قضيت أربك فقل نعم فقلت نعم فنزع الرداء عنى فاذا أنا جالس مكانى ولم يشعر بى أحد فصرت متفكرا فى نفسى متعجبا مما رأيت وصرت أكذب نفسى تارة وأصدقها تارة فقامت الصلاة فصليت مع الجماعة ولم يكن لى شغل الا ذلك الفتى لاعرفه فلما فرغنا من الصلاة قام فتبعته وأنا أمشى خلفه حتى دخلت الى درب فالتفت الى وقال ياسهل كانك ما أيقنت بما رأيت فقلت كلا ياسيدى فقال لج الباب يرحمك الله فنظرت فاذا الباب بعينه ثم ولجت القصر فوجدت النخلة والمطهرة والسواك

وكان أصحاب الحسن ثم زودنا الطعام ثم سرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معي بخمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الري ورجعنا الى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله أعلم

﴿ باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياة ﴾

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويزوره فبينما هما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوي قائما أبدا يقولون سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال اني أحب أن أعيش فأبلغ من عبادة ربي حق عبادته فقال رفائيل أو تحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال رفائيل فان لله عينا في الارض تسمى عين الحياة فعزم من الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير أنا نتحدث في السماء ان لله في الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن أن تلك العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم أخبروني هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع في الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء اني قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها ان الله خلق في الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها في الارض التي على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتي عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال اني أريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤا هذه الارض فلا تطأها فانا نخاف أن ينفتح عليك أمر نكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانا لو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا لا تبعناك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا في الارض ومن عليها فقال ذو القرنين لا بد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك بها فقال ذو القرنين أي الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل أبصر قالوا الاناث قال وأي الاناث أبصر قالوا البكارى قال فأرسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى أبكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجعله مقدمته في ألفين وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتي عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندري كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا أصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الارض فاذا صاحت فليرجع اليها أهل الضلال أين صاحت قال فسار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر ويحط ذو القرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر أن العين في الوادي وألقى في قلبه ذلك فقام على شفير الوادي ومكث طويلا ثم أجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى

المتشفة مباولة فقلت آمنت بالله العظيم فقال يا سهل من أطاع الله أطاعه كل شئ الطلب تجده قال سهل فتغرغرت عيناي بالدموع فمسحتهما وفتحتهما فلم أر الشاب ولا القصر فصرت متحيرا على ما فاتني منه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وبعلومه وأعاد علينا من بركاته آمين ﴿وحكي عنه أيضا رضي الله عنه﴾ أنه قيل لبعض أصحاب سهل كيف كان حال سهل فقال خدمته ثلاثين سنة فما رأيته وضع جنبه على فراشه ليلا ولا نهارا وكان يصلي الصبح بوضوء العشاء وهرب من الناس الى جزيرة بين عبادان والبصرة وما فر من الناس الا من رجل حج سنة من السنين فلما رجع قال لأخ له رأيت سهل بن عبد الله في الموقف بعرفة فقال له أخوه نحن كنا عنده في ذلك اليوم وهو جالس بيننا فحلف بالطلاق الثلاث انه رآه في ذلك اليوم بعرفة فقال له أخوه سر بنا اليه حتى نسأله عن حكم ذلك اليمين وعما جرى بيننا في الاختلاف في ذلك فقاما اليه وسلما عليه فرد عليهما السلام فسألاه عما جرى بينهما من هذا الحديث فقال

اليها فاذا هي على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من
الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم انه رمى الخرز نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر
الى صوتها والى أصحابه فركب وقال لأصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فأخطأ الوادى
فسلكوا تلك الظلمة فى أربعين يوما ثم انهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض حمراء
رملة خشخاشية فاذا هم بقصر مبنى فى تلك الارض طوله فرسخ فى فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين
بعسكره ثم انه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا
وههنا واذا الطائر أسود يشبه الخطاف مزموما بأنفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع
الطائر خشخشة ذى القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفاك ما وراءك
حتى وصلت الى ثم قال يا ذا القرنين حدثنى فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر فى الارض قال
نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور فى
الارض قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث
رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديدا فقال الطائر لا تخف حدثنى قال سل قال هل ترك الناس شهادة
أن لا اله الا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى ثلثه ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد
قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال يا ذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها
ذو القرنين وهو خائف وجل لا يدرى على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا سطح ممدود عليه
صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة
ذى القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين ان الساعة قد قربت وانى منتظر
أمر ربى يأمرنى أن أنفخ فى الصور ثم ان صاحب الصور أخذ شيأ من بين يديه كأنه حجر فقال
يا ذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شبعت وان جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى
أتى الى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قال له وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره
وقال أخبرونى ما هذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين
انه قال ان شبع هذا شبعت وان جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر فى كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله
ووضعوه فى الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا
الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذى جاء به ذو القرنين
أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فمال بالالف جميعا فقالت
العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسحر هذا أم علم لا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان
واقفا أنا أعلم علمه فأخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذى جاء به ذو القرنين فوضعه
فى احدى الكفتين وأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه فى الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه
على الحجر الذى جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا سبحان
الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله لقد وضعنا معه ألف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها
الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلى خلقه بعضهم
ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وانه ابتلانى بك وابتلاك بى
فقال ذو القرنين صدقت فاخبرنى ما هذا الحجر فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب
الصور ان الله تعالى مكن لك فى الارض والبلاد فأعطاك منها ما لم يعط أحدا من خلقه وأوطأك منها
ما لم يوطئ لاحد من خلقه فلم تشبع وأبت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه انس ولا

سهل ما لكم فى هذا الحديث
حاجة اشتغلوا بالله تعالى ثم
التفت الى الحالف وقال له
أمسك عليك زوجك
ولا تخبر بذلك أحدا بعد
ذلك ثم مضى الى الجزيرة
المذكورة هاربا من الناس
عفا الله تعالى عنه ونفعنا به
وببركته آمين (وحكى
عن خادمة رابعة العدوية
رضى الله تعالى عنها) أنها
قالت كانت رابعة العدوية
تصلى الليل كله فاذا طلع
الفجر هجعت هجعة فى
مصلاها حتى يسفر الفجر
فكنت أسمعها تقول اذا
وثبت من مرقدها وهى
فزعة يا نفس كم تنامين والى
كم تقومين يوشك أنك
تنامين نومة لا تقومين منها
الا لصرخة يوم النشور
فكان هذا دأبها حتى ماتت
رحمة الله تعالى عليها (قالت)
خادمتها رضى الله تعالى
عنها لما حضرت وفاة رابعة
أحضرتنى ثم قالت يا فلانة
اذا أنا مت فلا تعلمى بى
أحدا وكفنينى فى جبتى
هذه وكانت جبتها من شعر
كانت تقوم فيها اذا نامت
عيون النائمين قالت
فكفنتها فيها وفى خمار من
صوف فلما دفنتها رأيتها فى
المنام وعليها حلة خضراء
من استبرق وخمار من

جان فهذا مثل ضربه الله صاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملأ جوفه الا التراب فبكى ذو القرنين ثم قال صدقت يا خضر فى ضرب هذا المثل لا جرم لا طلبت أثرا فى البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان فى وسط الظلمة وطئ الوادى الذى فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دوابهم ما هذا الذى تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فنهم من أخذ منه شيأ ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروا ما اذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادى الزبرجد فى مبدأ أمره ما ترك منه شيأ حتى كان يخرجه الى الناس لانه كان راغبا فى الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد فى الدنيا لا حاجة له فيها ثم انه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف كلها ومات فى طريقه قبل وصوله بشهر (وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه) انه رجع الى دومة الجندل وكان منزله فأقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل دارا فى أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هنالك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فيما قيل بطليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة فى حياة الاسكندر وبعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمضاض واليونانية ولبنى اسرائيل بيت المقدس ونواحيها والديلم والرياسة على غير وجه الملك الى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

﴿ مجلس فى قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام ﴾

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان ممن بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام

﴿ نسب زكريا عليه السلام ﴾

هو زكريا بن يوحيا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناخور بن سلوم بن نهفاساط بن أبيا بن رحيم بن سليمان بن داود عليه السلام

﴿ باب فى ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها ﴾

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا الآيات قال المفسرون هى حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبى موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران بن ساهم بن آمور بن ميشان بن حزقيل بن أحريف بن نوام بن عزاز يابن لمصيابن ناوس بن نوثابن بارض بن يهوشافاط بن رادم بن أبيا بن رحيم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة فى ذلك أن زكريا بن يوحيا وعمران بن ماثان كانا متزوجين باختين احداهما عند زكريا بن يوحيا وهى ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهى حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبيناهى فى ظل شجرة اذ نظرت

سندس أخضر فقلت لها يا رابعة ما فعل الله بالجبة التى كفناك فيها والخمار الصوف قالت انه نزعهما عنى وأبدلت هذا الذى رأيته وطويت أكفانى وختم عليها ورفعت فى عليين ليكون لى ثوابها يوم القيامة قالت فقلت لمثل هذا فليعمل العاملون فقالت وما هذا عند الله من اكرامه لأوليائه بشئ فقلت لها مرينى بأمر أتقرب به الى الله عز وجل فقالت عليك بذكر الله تعالى فانه يوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك رضى الله تعالى عنها (وحكى عن أحمد بن أبى الحوارى عفا الله عنه) انه قال كانت لرابعة العدوية أحوال شتى فكانت مرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف فكانت تنشد فى الحب هذا الشعر

حبيبى لا يعادله حبيب
وما لسواه فى قلبى نصيب
حبيب غاب عن بصرى وشخصى
ولكن عن فؤادى لا يغيب

وسمعتها فى حال الانس تقول هذا الكلام

طائراً يطعم فرخاً فتحركت عند ذلك شهوتها للولد فدعت الله تعالى أن يهب لها ولداً وقالت اللهم لك على ان رزقتني ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذراً وشكراً فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقالت رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً أي عتيقاً عن الدنيا وأشغالها خالصة لله تعالى وخادماً للبيت المقدس حبساً عليه مفرغاً لعبادة الله وخدمته فتقبل مني الكائن انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر وتقرر جعل المحرر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم و بين أن يذهب حيث شاء وان أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم الامن في نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن محرراً الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك أنثى والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعاً في هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً اعتذاراً الى الله تعالى رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أي في خدمة الكنيسة والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى واني سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واني أعيذها أي أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده وأخبرنا أبو سهيل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وأخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شئ قال وذكروا لنا أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذيرة أي فتقبل الله النذيرة أي مريم من حنة وأنبتها نباتاً حسناً يعني سوّى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في المدة اليسيرة كما ينبت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج وأنبتها ربها في غذائها ورزقها نباتاً حسناً حتى تمت امرأة بالغة قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما يلي الحجبة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منكم لان عندي خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس وأقربهم اليها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلاً الى نهر جار قال السدي هو نهر الاردن فالقوا أقلامهم أي سهامهم وقيل أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدي بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كانه في طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بأمرها وقال ابن اسحق فلما كفلها

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي
وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس
وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي
وسمعتها في حال الخوف تقول
وزادي قليل ما أراه مبلغي
ألزاد أبكي أم لطول مسافتي
أتحرقني بالنار ياغاية المنى
فأين رجائي فيك أين مخافتي
قال زوجها فقلت لها ليلة من الليالي وقد قامت من أول الليل يارابعة ما رأيت من يقوم أول الليل غيرك فقالت سبحان الله أمثلك من يتكلم على ذلك انما أقوم والله اذا نوديت للقيام (قال) زوجها وجلست يوماً من الايام آكل وهي جالسة بجانبي فقعدت تذكر أحوال يوم القيامة فقلت لها دعينا نتهنأ بطعامنا فقالت ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام بذكر الآخرة ثم قالت لي والله لست أحبك حب الازواج انما أحبك حب الاخوان فكانت اذا طبخت قدرا

زكريا عضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى اذا نشأت و بلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أى غرفة فى المسجد وجعل بابه الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها فى كل يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا أى فاكهة فى غير حينها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فيقول لها أنى لك هذا فتقول هو من عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت وهى صغيرة يأتيها رزقها (وقال محمد) بن اسحق ثم أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بنى اسرائيل وقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله انى لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ماترى فتدافعوها بينهم ثم لايجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بنى اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها قال فعرفت مريم فى وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهى فى الكنيسة أنماه الله تعالى وكثره فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبدالله بن حامد باسناده عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف فى منازل أزواجه فلم يصب فى بيت أحد منهن شيأ فأتى فاطمة رضى الله عنها فقال يابنية هل عندك شئ آكل فانى جائع فقالت لا والله بأبى أنت وأمى فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت اليها جارية لها برغيفين و بضعة لحم فأخذته منها ووضعته فى جفنة وغطت عليه وقالت لاوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة من طعام فبعثت حسنا وحسينا الى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت بأبى أنت وأمى يارسول الله قد أتانا الله بشئ فخبأته لك قال فهلمى به فأتى به فكشف عن الجفنة فاذا هى مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت اليه بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يابنية قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة بنى اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم جميعا حتى شبعوا و بقيت الجفنة كما هى قالت فاطمة رضى الله عنها وأوسعت منها على جميع جيرانى وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى

﴿ باب فى مولد يحيى بن زكريا عليه السلام ﴾

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء باخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام ان الله يرزق مريم الفاكهة فى غير حينها قال ان الذى قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة فى غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتى و يهب لى ولدا

قالت كله ياسيدى فانطبخ الا بالتسبيح ثم قالت لى اذهب فتزوج فتزوجت بثلاثة نساء فكانت تطعمنى اللحم وتقول لى اذهب بقوتك الى أهلك وكانت تأتيها الجن بكل ما تطلب وكان لها كرامات خارقة حتى ماتت رحمها الله تعالى ونفعنا ببركاتها آمين (وروى) عن عمرة زوجة حبيب العجمى رضى الله تعالى عنهما انها كانت توقظ زوجها بالليل وتقول له قم يارجل قد ذهب الليل و بين يديك طريق بعيدة والزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت رضى الله عنهم أجمعين ﴿وقال بعضهم عفا الله عنه ونفعنا به﴾ تزوجت امرأة جميلة حسنة الخلق فكانت اذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت وتبخرت ثم تأتينى وتقول لى ألك من حاجة ياسيدى فان قلت نعم كانت معى وان قلت لا تمضى وتنزع ثيابها وتلبس ثيابا غيرها وتصلى الى الصباح فكان هذا دأبها وطريقتها رضى الله تعالى عنها ﴿وحكى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه﴾ قال لما مات أحمد بن حنبل رضى الله عنه رأيته فى المنام

على الكبر فطمع في الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك أى فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لى أى اعطنى من لدنك ذرية طيبة نسلا تقيا صالحا رضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعنى جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول فبينما هو فى محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرون أن يأذن لهم بالدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى * واختلفوا لم سمى يحيى قال ابن عباس لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه وقال قتادة وغيره لأن الله تعالى أحيا قلبه بالايمان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله ما أخبرنى به الحسن بن فنجويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله عز وجل الا قد هم بخطيئة أو عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل قال الاستاذ وكان شيخنا أبو القاسم الجنيد يقول سمى بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبى صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة قال وسمعت أبا منصور الحمشاوى يقول قال عمر بن عبد الله المقدسى أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام أن قل لسارة وكان اسمها كذلك انى مخرج منكما عبدا لا يهم بمعصية اسمه حى فهبى له من اسمك حرفا فوهبته أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى عليه السلام فسمى كلمة لان الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وجد ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك أن أمه كانت حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت فقالت لماذا تقولين هذا قالت انى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك تصديقه له وايمانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم وقال سعيد بن جبير السيد الذى يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذى لا يغضب وقال سفيان الذى لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعنى أنه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذى لا ماء له ودليل هذا التأويل ما أخبرنى به ابن فنجويه باسناده عن أبى صالح عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذبه عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبى صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فأخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المدنى الحصور الذى لا يدخل فى اللعب ولا الاباطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب أى يا سيدى قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا يا رب لله لا لجبريل أنى يكون لى غلام من أين يكون لى ولد وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر لا تلد عقيم قال الكلبى كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله يفعل ما يشاء فان قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان شكا فى وحيه أم انكارا لقدرته وهذا لا يجوز ان يوصف به أهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قاله عكرمة والسدى ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس من الله

وهو يمشى ويتبختر فى مشيته فقلت له يا أخى أى مشية هذه فقال مشية الخدام فى دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لى وألبسنى نعلين من ذهب أحمر وقال هذا بقولك القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ثم قيل لى يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فاذا بسفيان الثورى رضى الله عنه له جناحان يطير بهما من شجرة الى أخرى وهو يقرأ هذه الآية الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال فقلت له ما فعل الله بعبد الرزاق الواعظ قال تركته فى بحر من نور فى مركب من نور يزاد به العزيز الغفور فقلت ما فعل الله ببشر بن الحرث فقال بخ بخ ومن مثل بشر ابن الحرث تركته على مائدة بين يدى الجليل وهو مقبل عليه ويقول له كل يا من لم تأكل واشرب يا من لم تشرب وتنعم يا من لم تتنعم فقلت ما فعل الله بمعروف الكرخى فقال تركته تحت العرش والحق جل جلاله يقول لملائكته من هذا فقالوا يا رب أنت أعلم فقال هذا معروف الكرخى

وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه اليك خفية كما ناديته خفية وكما يوحى اليك
فى سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك فى الولد وانما شك فى كيفيته
والوجه الذى يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد أى كيف يكون لى ولد أتجعلنى وامرأتى شابين أم
ترزقه كذا على كبرنا أم ترزقنى من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك متخبرا لا منكرا وهذا قول
الحسن قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل بكليتك على عبادتى وطاعتى
لأنه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهى عنه يدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح
بالعشى والابكار هذا قول قوم من أهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية
بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام الا رمزا أى اشارة وعلى هذا أكثر المفسرين
وقال عطاء أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا فولد يحيى بن زكريا عليه
السلام وفى بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء فتغذى بانهار الجنة حتى فطم ثم أنزل الى أبيه
وكان يضىء البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

(باب فى صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الاصابع
طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير العبادة قويا فى طاعة الله تعالى وقد ساد الناس فى
عبادة الله وطاعته

(فصل فى نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده) قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم
صبيا قيل ان يحيى قال له أترابه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال
آخرون أنه نبى صغيرا فكان يعظ الناس ويقف لهم فى أعيادهم وجمعهم ويدعوهم الى الله تعالى
ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال
وضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل
رجل اشترى عبيدا من خالص ماله ثم أسكنهم دارا له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منه
ما يكفيه ثم يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبيد الى فضل الربح فدفعوه الى عدو سيدهم وأمرهم
بالصلاة فقال ان مثل المصلى كمثل رجل استأذن على ملك فاذن له ودخل عليه فاقبل الملك عليه
بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يمينا وشمالا ولم يهتم بحاجته
فاعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه
نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق
وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذاكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فاذا أقبل عليهم عدوهم
دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال
مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل اليه وتستره (وأما سيرته) فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع
الشعر والصوف وبرانس الصوف واذاهم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوا بها الى
سوارى المسجد فلما نظر الى ذلك أتى أمه فقال يا أماه انسجى لى مدرعة من شعر وبرنسا من صوف
حتى آتى الى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان فقالت له أمه حتى يأتى نبى الله زكريا
عليه السلام فاؤامره فى ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال لها يحيى فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك
الى هذا وانما أنت صبى صغير فقال له يا أبت أما رأيت من هو أصغر منى ذاق الموت قال بلى فقال لامه

سكران يحيى فلا يفيق
الا بلقائى (وقال) الربيع
ابن سليمان رأيت الامام
الشافعى رضى الله عنه
فقلت يا أبا عبد الله ما فعل
الله بك فقال أجلسنى على
كرسى من ذهب ونثر على
اللؤلؤ الرطب وأباح لى الجنة
وهذا من بعض مناقبهم
رضى الله عنهم (وحكى
عن بعضهم رضى الله عنه)
انه قال كنت فى مركب
سنة من السنين وكان فى
المركب رجل من أهل
الخير وكان ضعيفا فلما مات
أخذنا فى غسله وتجهيزه
وأردنا القاءه فى البحر فبينما
نحن كذلك اذا البحر
قد انشق ونزلت السفينة
الى أرض فخرجنا منها
ونظرنا فاذا بقبر مرخم
وليس فيه أحد فدفناه فيه
فلما فرغنا من دفنه استوى
الماء وارتفعت السفينة
فتعجبنا من ذلك وسرنا
رحمة الله عليه (وحكى
عن الشيخ أبى سعيد
الخدرى رضى الله عنه)
أنه قال كنت بمكة سنة من
السنين فمررت بباب بنى
شيبة فرأيت شابا حسن
الشباب وهو ملقى على
الارض ميتا فنظرت فى
وجهه فرأيته يضحك
فتعجبت من ذلك فقال لى
يا أبا سعيد أتعجب من موتى

انسجي لنا مدرعة من الشعر و برنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه فنظر ذات يوم الى ما قد نحل من جسمه فبكى فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى أتبكى على ما قد نحل من جسمك وعزتى وجلالى لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه و بدت للناظر بن أضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لهذا يا بنى انما سألت ربى أن يهبك لى لتقر بك عينى قال أنت أمرتنى بذلك يا أبت قال ومتى قال ألست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لا يقطعها الا البا كون من خشية الله تعالى قال بلى قال جد واجتهد وقام فنفض مدرعته فاخذته أمه فقالت أتاذن لى يا بنى أن أتخذ لك قطعتين من لبد يواريان أضراسك و ينشفان دموعك فقال لها شانك فاتخذت له قطعتى لبد يواريان أضراسه و ينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه ثم أخذهما فعصرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموعه فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان هذا ابنى وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا اذا أراد أن يعظ بنى اسرائيل التفت يمينا وشمالا فاذا رأى يحيى لم يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما يعظ بنى اسرائيل وأقبل يحيى قد لف رأسه بعباءة وجلس فى غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فانشأ يقول حدثنى حبيبى جبريل عن الله عز وجل أن فى جهنم جبلا يقال له السكران فى أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن تبارك وتعالى فى ذلك الوادى جب قامته مائة عام فى ذلك الجب توابيت من نار فى تلك التوابيت صناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائما على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها يا أم يحيى قومى فاطلبى يحيى فانى قد تخوفت أن لا نراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت فى طلبه فمرت بفتيان من بنى اسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدين قالت أطلب ولدى يحيى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرت براعى غنم فقالت يا راعى هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا قال لعلك تطلبين يحيى بن زكريا قالت نعم ذلك ولدى ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا ناقعا قدميه فى الماء رافعا بصره الى السماء يقول وعزتك يا مولاى لا أذوق بارد الشراب حتى أنظر الى منزلتى منك فاقبلت أمه فلما رآته دنت منه فاخذت برأسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله أن ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك أن تخلع مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه ألين ففعل ثم انها طبخت له عدسا فاكل واستوفى فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودى فى منامه يا يحيى أردت دارا خيرا من دارى وجوارا خيرا من جوارى فاستيقظ وقام وقال يا رب أقل عثرتى وعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لأمه ناولينى مدرعة الشعر فقد علمت أنكما ستوردانى المهالك فتقدمت اليه أمه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا يا أم يحيى دعيه فان ولدى قد كشف له عن قناع غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم

(باب فى مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء فى سبب قتله فقال كان يحيى عليه السلام فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل وكان له امرأة وهى ابنة ملك صيدا وكانت قتالة للأنبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيى

وانت تعرف ان الاحباء احياء فهم وان ماتوا انما والله ينقلون من دار الى دار قال ابو سعيد فدهشت من ذلك ثم اشتغلت فى غسله وتجهيزه ودفنه وانا متحير فى امرى متفكر فيما رأيته رضى الله تعالى عنه (وحكى عن ابى يعقوب السوسى نفعنا الله ببركاته) انه قال جاء لى بعض المريدين بمكة وسلم علىّ وقال يا استاذى غدا عند الظهر اموت خذ هذا الدينار فكفنى بنصفه واحفر لى قبرا بنصفه ثم امض من عندى فلما كان الغد عند الظهر جاء فطاف سبعا ثم امتد نحو القبلة فمات رحمة الله تعالى عليه فنظرت فى وجهه ففتح عينيه فى وجهى وهو يضحك فقلت له يا اخى أنت ميت ام حى فقال بل حى وكل محب لله فهو حى قال فتعجبت منه ثم اخذت فى غسله وتكفينه وتجهيزه ودفنه رضى الله تعالى عنه (وحكى عن الشيخ أبى على الروذبارى عفا الله عنه) انه قال ورد علىّ جماعة من الفقراء فمرض منهم رجل ومكث فى مرضه اياما كثيرة فمل اصحابه من خدمته وشكوا الىّ ذلك فحلفت نفسى وحلفت ان لا يتولى

يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزي كاشفة وجهك وكان كثيرا ما يقول لها مكتوب في التوراة ان الزناة يوقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجيف فأمرت بيحيي فسجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك وكان كثيرا ما يختلف اليها بالليل فعلم بها وبه يحيي فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فجملت بنتا لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك فقالت وجب لها عليك حق فقال سلي ما شئت فقالت البنت استوهبت منك أهل الحبس أصنع بهم ما شئت فظن أبوها أنها ترحمهم وتسترو حهم فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها بأهل السجن فعرضوا عليها فلما مر بها يحيي أمرت به فذبح وأخذت رأسه في طشت ثم حملت الطشت الى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك انى قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم ما وجدته ولو كان مثله ألف لذبحتهم لك قال وما هو قالت يحيي بن زكريا فقال هلكت وأهلكت أبويك فغير الله ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأبويها وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن مريم ويحيي بن زكريا في اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان لملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيي بن زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتك أن تذبح يحيي بن زكريا فقال سلي غير هذا فقالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه دعا بيحيي بن زكريا ودعا بطشت فذبحه فيه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فجاءت عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفا منهم على سن واحد ليسكن فقتلهم فسكن (وقال السدي) باسناده كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيي بن زكريا ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوي أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيي فنهاه عنه وقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيي حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلي وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض له فاذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيي بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أن تبعث الى برأس يحيي بن زكريا في هذا الطشت قال ويحك سليني غير هذا قالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه بعث اليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلي ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذى في قصة سنجاريب وبختنصر كما قدمناه ذكره في أخبار بختنصر (وقالت علماء النصارى) الذى قتل يحيي ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هردوس بسبب امرأة يقال لها هردويا كانت امرأة أخ له يقال له فليفوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيي وأعلمه أنها لا تحل له فسألت المرأة هيردوس أن يأتيها برأس يحيي فلما فعل ذلك سقط في يديه وجزع جزعا شديدا (قال كعب الاحبار) كان يحيي من أجمل الناس وجها وأحسنهم في زمانه فأحبته امرأة الملك الذى كان في زمانه حبا شديدا فأرسلت اليه تراوده عن نفسه فأرسل اليها أنه لا علم له بالنساء والملك أحق أن يطأ فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لى أن أقتله ولا يخبر الناس أنى قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيي بن زكريا

خدمته أحد غيرى فصرت أخدمه بنفسي أياما حتى مات رحمة الله تعالى عليه ثم غسلته وكفنته وصليت عليه وحدته فبينما أنا عند اضجاعه في قبره اذ نظرت الى عينيه فوجدتهما مفتوحتين ثم أقسم وقال يا علي لانصرنك بجاهي يوم القيامة كما نصرتني وخالفت نفسك وخدمتني ثم أسبل عينيه رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) أنه قال قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض المشايخ وكان رجلا عالما وليا زاهدا ورعا فلما حضروا بين يديه أقيمت الصلاة فصلوا خلفه فسمعوه يلحن في قراءته فتغير اعتقادهم فيه فكاشف عليهم الشيخ فلما ناموا سلط الله عليهم الاحتلام فاحتلموا كلهم في تلك الليلة فخرجوا الى البحر ليغتسلوا فوضعوا ثيابهم الى جانب البحر ونزلوا جميعا في الماء وكان ذلك في زمن الشتاء فجاء الاسد فجلس على ثيابهم فلاقوا من البرد شدة عظيمة ولم يعرفوا ان الشيخ علم بحالهم فبينما هم كذلك اذا الشيخ قد أقبل وقال لهم أنتم استوجبتم

فأرسلت اليه وهو قائم يصلى فى بيت المقدس فى محراب داود من يضرب عنقه و يأخذ راسه فلما أخلوا راس يحيى خسف الله بها و باهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

(ذكر مقتل زكريا عليه السلام)

(قال كعب الاحبار) فلما سمع زكريا ان ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا نبى الله الى ههنا فلما أتاها انفتقت له الشجرة فدخل زكريا فى وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى اخذ بطرف ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا اخبرهم فلذلك تصنع اليهود الخيوط فى اطراف أرديتهم لايدرون لما أمروا بذلك واخذ الملك واهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس انه دخل فى هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فانى ان اريتكم علامة تصدقونى بها قالوا فأرنا اياها فأراهم طرف ردائه فاخذوا المناشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين فسلط عليهم اخبث اهل الارض علجا مجوسيا فانتقم الله به من بنى اسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظماء بنى اسرائيل وسبى منهم مائة وسبعين الفا (وقيل) ان السبب فى قتل زكريا ان ابليس جاء الى مجالس بنى اسرائيل فقذف مريم بزكريا وقال ما أحبلها احد غير زكريا وهو الذى كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفاؤهم وأشرارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان فى صورة راع فقال يا زكريا قد ادركوك فادع الله ان يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وأخرج ابليس هدب ردائه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعى هل رأيت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلقتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفى الخبر ان الشمس بكت على يحيى اربعين صباحا وكان بكاؤها ان طلعت وغربت حمراء وروى ان يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله اعلم

(مجلس فيه ولد عيسى عليه السلام وفى حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به)

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا قالت العلماء باخبار الانبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمس عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم فى المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف اخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التى فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان اطول يوم فى السنة واشده حرا نفد ماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقى فقال ان عندى لفضلا من ماء أكتفى به يومى هذا الى غد قالت ولكنى والله ما عندى ماء فاخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثنى اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أى مؤمنا مطيعا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه علمت أن التقى ذو رجعة وخشية وهى تحسبه رجلا من بنى آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها فى صورة رجل شاب أمرد مضىء الوجه جعد الشعر سوى الخلق قالت الحكماء انما ارسله الله تعالى فى صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التى هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم

البلل ثم أخذ باذن الاسد وقال له أما قلت لك لا تتعرض لضيفانى فخرجوا من الماء ولبسوا ثيابهم ثم أتوا الى الشيخ يعتذرون له ويقبلون يديه يستغفرون الله تعالى فقال لهم الشيخ أنتم اشتغلتم باصلاح الظاهر فخفتم الاسد ونحن اشتغلنا باصلاح الباطن فخافنا الاسد رضى الله تعالى عنه ورضى عنا وعن جميع المسلمين ببركاته (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) اشارة لطيفة قال لما ذهب ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الى النمروذ لعنه الله يدعوه الى عبادة الله عز وجل عظم عليه ذلك وجمع أهل مملكته وخواص رعيته وقال لهم ما تشيرون على به فى أمر هذا الرجل الذى تجارأ علينا وكسر الاصنام وعطل ديننا بين الانام فقولوا ما بدا لكم فانى راجع الى أقوال القائلين فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال فعمدوا الى فلاة من الارض وحفروا فيها حفيرا متسعا ثم نادى النمروذ فى اقطار مملكته ألا من اطاع النمروذ فليحتطب حزمة من الحطب الهشيم

قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ فى جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد ٭ وقال السدى وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون فى المسجد مادامت طاهرة فاذا حاضت تحوّلت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أى مشرقا لانه كان فى الشتاء فى أقصر يوم فى السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فضربت من دونهم حجابا أى سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هى كذلك فى تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ فى جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بانفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم فى زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذى بها استعظمه واستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وانها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على أن أكتمه فغلبنى ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدرى فقالت له قل قولا جميلا قال لها أخبرينى يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبتت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذى أنبته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكنى أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشئ كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه ان الذى بها شئ من أمر الله وانه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتوّ بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس ٭ وسمعت من الثقات ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التى خدمت فيها مريم ويوسف هذه وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهى كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يزعمون ان عيسى عليه السلام لما قتل دفن فيها وبعد ثلاثة أيام عرج به الى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها وانه ينزل فيها والله أعلم

﴿ باب فى ذكر ميلاده عليه السلام ﴾

قالوا فلما أثقلت مريم ودنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها ان مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذى طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فابرزى الى موضع تأوين فيه فتحوّلت مريم الى بيت خالتها أخت أمها أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالتزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أنى

لاحراق ابراهيم قال فبادرت اليه العباد من أقطار البلاد فأقاموا حولا كاملا يجمعون الاحطاب الى أن ملؤا ذلك الحفير بالاخشاب فقال قوم نكبله وندحه فى النار ونضرمها عليه واختلفوا فى ذلك فأتاهم ابليس لعنه الله وقال لهم اضرموا النيران فاذا رأى لهيبها وعاينها يرجع عن دينه الى دينكم ثم وضع لهم المنجنيق وقال لهم اذا أتى فضعوه فى كفته وارموه فى ذلك فانه يصعد به المنجنيق فى الهواء ويوقعه فى النار وأنتم تنظرون كيف يحترق قال فاتخذ النمروذ مكانا متسعا من الارض مبنيا بالجص وجلس ينظر كيف يحترق ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قال فلما أوقدوا النيران كاد أن يضئ لها المشرق والمغرب وصعد لهيبها الى أن أطبق ما بين الخافقين حتى ان الطير كان اذا طار فى الجوّ حرقه لهب النيران ثم أتى بابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما نظر الى ذلك التفت يمينا وشمالا الى الكافرين وقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قال

حبلى قالت مريم وأنت أيضا شعرت أني حبلى قالت امرأة زكريا فاني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها انك ان ولدت بين أظهر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاظعني من عندهم أى فاخرجي ٭ وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له ليس بينها وبين الاكاف شئ فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريبا من أرض مصر في منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس فالجأها الى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال الكلبي) لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ماهو الا أن حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا أى بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أمه في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها المخاض التجأت الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا محدقين بها أى محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا أى جيفة ملقاة فنوديت أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها أن لا تحزني من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلاهما باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد اذا شربت منه وفاتر اذا استعملته فذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها فتدلت غصونها وأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لها هزي اليك بجذع النخلة أى حركيه تساقط عليك رطبا جنيا غضا طريا قال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدري للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة حين يولدون وقال بعض البلغاء في وصف التمر حلة الصغير ونهلة الكبير قالوا ثم ان يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حواليها بالقرب منها اذ قد أضر بها البرد ثم أشعل لها نارا تصطلي بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت في خرجه فاطعمها اياها فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز (قال وهب) فلما ولد عليه السلام أصبحت الاصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤسها ففزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له في لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فأتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم أشتاتا فسألهم فأخبروه أنه حدث في الارض حدث فأصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شئ أعون على هلاك بني آدم

منها

فوضعوه في المنجنيق ورموه في الجو فضجت ملائكة السماء وقالوا الهنا وسيدنا ومولانا هذا عدوك فعل بخليلك ما ترى فائذن لنا أن نخسف به الارض وننجي خليلك ابراهيم فقال الجليل جل جلاله ياملائكتي كل ذلك بعين قدرتي وأنا اللطيف الخبير ثم قال الله تعالى ياجبريل أدرك خليلي ابراهيم وسله ما يريد فأنا أقرب اليه من حبل الوريد قال فهبط اليه جبريل مسرعا وهو صاعد في الهواء قبل هبوطه الى النار فقال السلام عليك ياابراهيم فقال وعليك السلام ياجبريل فقال ألك من حاجة فقال له ابراهيم أما اليك فلا فقال جبريل سل من اليه حوائجك فقال ابراهيم علمه بحالي يغني عن سؤالي فقال الله تبارك وتعالى يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فصارت تلك النار جنة نعيم وجرت فيها عين من تسنيم وفرش فيها مهاد التنعيم ونودي بلسان التفهيم سلام قولا من رب رحيم وكان من أمره ما كان (فلما) آن ظهور اشراق بهجة المصطفى سيد الامم طه المكرم صلى

منها الا انهم كانوا يدخلون فى أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم فلما أصابها هذا الحدث صغرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا (واعلم) انا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الارض وقلبنا البحار وكل شئ فلم نزدد بما أردنا الا جهلا فقال لهم ابليس فما يكون الا أمر عظيم فكونوا امكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذى ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم أن ذلك الحدث فيه فأراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة راسية فأراد أن يدخل من بينهم فنعوه ومن ذلك يدل عليه حديث النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه بأصبعه حين يولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن فى الحجاب • قال وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى أحصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغته فى ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد الا بعلمى ولا وضعته الا وأنا حاضرها وانى لارجو أن يضل به أكثر ممن يهتدى به وما كان نبى أشد على وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج قوم فى تلك الليلة يؤمونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون أن مطلع ذلك النجم من علامات مولود فى كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا بملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون فأخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان أهديتموه بهذه الاشياء قالوا تلك أمثاله لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبى صلى الله عليه وسلم سيد أهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجرح وكذلك هذا النبى صلى الله عليه وسلم يشفى الله به كل سقيم ومريض ولان اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبى صلى الله عليه وسلم يرفعه الله الى السماء ولا يرفع فى زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا علمتم بمكانه فأعلمونى بذلك فانى راغب فى مثل ما رغبتم فيه من أمره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية اليها عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما أراد قتله فانصرفوا فى طريق آخر وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح فى بطنى وأنا أسمع والله أعلم

﴿ باب فى رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم ﴾

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيأ الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله لها أسباب ولادتها قال كلى يا مريم من الرطب واشربى من الماء العذب وقرى عينا وطيبى نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أو لامك عليه فقولى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا وكذلك هو فى قراءة ابن مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن أكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قال الكلبى احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فأدخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فأتت مريم تحمله بعد أربعين يوما فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا فظيعا عظيما يا أخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من أتقياء بنى اسرائيل وليس بهرون أخى موسى وذكروا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون • وقال وهب كان هرون من أفسق بنى اسرائيل

الله عليه وسلم وأينعت أغصان الاسلام وأثمرت وبزغت فى ليل الشرك شمس الايمان وظهرت ولد سيد البشر وشاع ذكره وانتشر وبلغ أشده واستوى أتاه المطوق بالنور الأمين جبريل عليه السلام من الملك وقال له يا محمد أجب الملك الجليل قد أتيتك بالبراق لتعلو السبع الطباق فقد دعاك لحضرته الملك الخلاق وها أنا فى ركابك فوضع النبى صلى الله عليه وسلم قدما بالمسجد الحرام وقدما بالمسجد الأقصى والثالث بعنان السماء فتقدم وصلى بالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثم اخترق سماء بعد سماء حتى انتهى الى عرش الاستواء واخترق الحجب والاستار الى أن سمع صريف القلم على صفحات اللوح المحفوظ فعند ذلك وقف جبريل عليه السلام فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بالك تركتنى فقال له جبريل يا أكرم الخلق على الله تقدم على ربك وذرنى فهذا مكانى متى تقدمت قدر ذرة أحرقتنى أنوار الهيبة وشعاع العظمة وما منا الا له مقام معلوم فلما هم

وأظهرهم فسادا فشبهوها بهما كان أبوك عمران امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أي زانية فمن أين لك هذا الولد فأشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال وهب فأتاها زكريا عليه السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما انى عبد الله آتاني الكتاب الآية فأقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيبا للنصارى والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرجموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم بشئ بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

﴿ باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر ﴾

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بمضي اثنتين وأربعين سنة من ملك أغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بني اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالغلام وأمه الى مصر وأوحى الله الى مريم أن الحقي بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعي الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى وردا أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر أبو اسحق الثعلبي) في التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس وقال كعب هي أقرب الارض الى السماء وقال أبو زيد هي مصر وقال الضحاك هي غوطة دمشق وقال أبو العالية هي ايلياء وقال القرار الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة (وروى) عن محمد بن علي الباقر رضي الله عنه أنه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدري ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربني ان كنت تدري والا فاسألني حتى أفسر لك ذلك فقال له المؤدب فسر لي فقال عيسى الالف لا اله الا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله هوز الهاء هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل لأهل النار والزاى زفير أهل جهنم حطي حطت الخطايا عن المستغفرين كلمن كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته سعفص صاع بصاع والجزاء بالجزاء قرشت تقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم فقال المؤدب لأمه أيتها المرأة خذي ابنك فقد علم ولا حاجة له الى المؤدب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المفسر باسناده عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما أدري قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

﴿ باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام ﴾

قال كعب الاحبار كان عيسى بن مريم رجلا أحمر مائلا الى البياض ماهو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط

وكان

المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن يتقدم ويتنزل جبريل عليه السلام قال له يا أمين الوحي ألك من حاجة الى الله تعالى في هذا المقام كما تقدم منك لأبي ابراهيم فقال نعم يا سيد البشر فقال وما هي فقال تسأل الله تعالى عز وجل الأمن من مكره وسخطه وعقابه قال فتقدم صلى الله عليه وسلم الى مكان لم يصل اليه نبي مرسل ولا ملك مقرب فابتدأه بالتحية والسلام ذو الجلال والاكرام ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى فقال صلى الله عليه وسلم يا رب أمتي فقال الله عز وجل يا محمد اني قد مننت على أمتك بثمانية أشياء لم أمن بها على أحد من الامم السابقة (الاول) اني لم أخلق خلقا في السماء ولا في الارض أكرم علي من أمتك (الثاني) أن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا من الانبياء مشتاقون اليك والى أمتك (الثالث) اني لم أعط أمتك الكثير من الاموال مثل ماسبق من الامم لئلا يطول عليهم الحساب يوم القيامة رحمة لهم وشفقة عليهم (الرابع) اني لم أعط أمتك القوة

وكان عيسى يمشي حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا رزقا الا قوت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشي على وجه الماء في البحر وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا في الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله أعلم

﴿ باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه الى أن نبئ ﴾

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى ان أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أنزلها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوي اليها المساكين فسرق الدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتحبين أن أدله على ماله فقالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد الى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال له قم به فقال الاعمى أنا أضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوى المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضعه في خزانته وقال يا مريم خذي نصفه فقالت انى لم أخلق لذلك قال الدهقان فأعطيه لابنك قالت هو أعظم مني شأنا ثم لم يلبث الدهقان ان أعرس لابن له فصنع له عيدا اجتمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشي فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة (آية أخرى) قال السدى كان عيسى عليه السلام اذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي الى أهله فيبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا ههنا فقال لهم فما في هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر (آية أخرى) قال السدى لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسيحان في الارض اذ تركا بني اسرائيل ونزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزينا فقالت لها لا تسأليني فقالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدى فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا وليس عندنا سعة قالت فقولي له لا يهتم بشئ فانه قد أحسن الينا وآوانا آمر ابني أن يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلا نبالي لانه أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما ومرقا وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط فلما

بالأموال والاولاد مثل الامم السابقة حتى كفروا وجحدوا نعمتي (الخامس) أني لم أطول أعمارهم فتجتمع عليهم الذنوب كمن تقدم من غيرهم (السادس) انى لم أعاقب أمتك عند كل ذنب كما عاقبت الامم السابقة (السابع) انى أخرتهم الى آخر الزمان وجعلتهم آخر الامم حتى لا يطول مكثهم في التراب (الثامن) أني لم أفش سرهم كما أفشيت سر الامم وأخبارهم اليك والى أمتك وانه ليس بعدك نبي ولا قرآن وهذا كله ببركتك يا محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ان عبدك جبريل سألني أن أسألك أن تؤمنه مكرك فلم يسمع جوابا قال فراجع ربه ثانيا في أمره حتى سمع الخطاب من الملك الوهاب يا محمد قد أمنته مكري فعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو فرح مسرور وأخبره بذلك ففرح جبريل بذلك وقال الحمد لله على كثرة انعامه ثم قال يا محمد كل ذلك ببركتك وعلو قدرك عند ربك صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا آمين

﴿وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه﴾

جاء الملك أ كل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فإن خمري قد
أتي بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال
أخبرني على الحق قال فانا أخبرك عندي غلام ما سأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل
الماء خمرا وكان الملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك
ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيي ابني فدعا عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى
لا تفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالي بعد أن أراه قال عيسى ان أحييته تتركوني أنا وأمي
نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح
وقالوا أ كلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأ كلنا كما أ كلنا أبوه فاقتتلوا وذهب
عيسى وأمه (آية أخرى) قال وهب بينا عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فوكزه برجله
فقتله فألقاه بين يدى عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فأخذوه وانطلقوا به الى
قاضي مصر فقالوا ان هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه فأرادوا
أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتوني بالغلام فقالوا له ما تريد منه قال أريد أن أسأله من
قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فأخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاء فأحياه الله
تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلني فلان على الذي قتله فقال بنو اسرائيل من هذا قال هذا عيسى
ابن مريم قالوا فمن هذا الذي معه قال قاضي بني اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى أمه
وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له أمه يا بني ألم أنهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم
الراحمين (آية أخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعد ما أخرجته من الكتاب الى أعمال شتى
فكان آخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض
للرجل سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع الى عشرة أيام وهذه
ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذي يصبغ به فأحب أن تكون فارغا
منها وقت قدومي ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع
الثياب وقال لها كوني باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها في جب واحد فقال
ياعيسى ما فعلت قال فرغت منها قال أين هي قال في الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها
في جب واحد لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا أخضر
وثوبا أحمر الى أن أخرجها على الالوان التي أرادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل
فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون
والله عز وجل أعلم

﴿ باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس ﴾

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى الى
مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وأمه
عليهما السلام وسكنا في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم في
الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تم له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه أن يبرز
للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع
الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما أمر به فأحبه الناس ومالوا اليه
واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة

انه أتى يوما من الايام الى
المسجد للصلاة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فوجده قد صلى فقعد
حزينا في آخر المسجد لما
فاتته الصلاة مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهبط
جبريل عليه السلام على
النبي صلى الله عليه وسلم
وقال يا محمد السلام يقرئك
السلام ويخصك بالتحية
والاكرام ويقول لك ان
الله سبحانه وتعالى خلقني
قبل أن يخلق السموات
والارض بألفي عام فكنت
أسبحه وأقدسه فبينما أنا
على تلك الحالة اذا قبة من
نور بيضاء تضيء فجعلت تمر
من السحاب واذا بصوت
منها يقول أحد أحد فرد
صمد فقلت يارب من هذا
أخلق خلقته قبلي أم خلق
تخلقه بعدي فقال الله عز
وجل هذا خلق أخلقه في
آخر الزمان وهو نبي مكرم
اسمه محمد وأمته خير الانام
فقلت يارب أسألك بحقه
عليك أن تجعلني سفيرا
بينك وبينه فكان كذلك
فبينما أنا كذلك اذا بقبة
أخرى تليها وهي تمر من
السحاب واذا بصوت منها
يقول صدق صدق فقلت
ومن هذا يارب فقال رجل
من أمة هذا النبي يكون

خمسون ألفا فمن أطاق منهم أن يمشي اليه مشى اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعا بشرط الايمان * ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموتى اللهم أنت اله من في السماء واله من في الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من في السموات وحكم من في الارض لا حكم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك بأسمائك الكرام انك على كل شئ قدير

(باب في قصة الحواريين عليهم السلام)

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أي ألهمتهم ووفقتهم أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون اعلم أن الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيي أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوماومتى العشار ويعقوب ابن حلفاوليا الذي يدعى تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم لم سموا بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم ماتصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تمشون معي حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك قال تدعوا الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الأنبياء فوقك قال نعم النبي العربي فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه وقال السدي كانوا ملاحين وقال ابن ارطاة كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها (أخبرنا) ابن فتحويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب بالكراء قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك اني أترك ملكي وأتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة وقال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله ابن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام فأما حواريو هذه الامة فأخبرنا الحسين بن محمد الدينوري باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وأبو عبيدة ابن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام رضي الله عنهم أجمعين

أول من يصدقه يسمى الصديق فلما بعثك الله يا محمد أقام أبو بكر ينتظرك قبل أمتك بأربعين عاما فلما بعثت بادر اليك وصدقك فيستحق منك أن تصبر له ساعة حتى يصلي معك وينال من بركتك ثم مضى جبريل عليه السلام فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ بيد أبي بكر وعاهده انه لم يكن ليصلي فرضا الا أن يكون خلفه رضي الله تعالى عنه وعن كل الصحابة أجمعين (وحكي عنه أيضا رضي الله تعالى عنه) أنه قال بينما نحن جلوس بالمسجد واذا برجل أعمى قد دخل علينا وسلم فرددنا عليه السلام وأجلسناه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يقضيني حاجة في حب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ما حاجتك يا شيخ فقال ان لي أهلا ولم يكن عندي ما نقتات به وأريد من يدفع لنا شيأ نقتات به في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنهض أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال نعم أنا أعطيك ما يقوم بك في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هل من

(ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه الى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه)

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها في سورة المائدة واذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذي نفخ فيه الروح أضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أي الروح الطاهر فسمي عيسى عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدي وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيي الموتى ويري الناس تلك العجائب (ومنها) تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرأهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أي الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ في القدرة لان له ثديا وأسنانا ويلد ويحيض ويطير (قال وهب) كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن الكمال لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني والابرص الذي به وضح والاكمه الذي ولد أعمى ولم يبصروا قط ولم يكن في الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعيا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك (ويروى) أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذني واحيا منهم أمواتا منهم العاذر وكان صديقا له فأرسلت أخته الى عيسى أن أخاك العاذر يموت فأتاه وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتني الى بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم اني أحيي الموتى باذنك فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وولد له (ومنها) ابن العجوز وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان في هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه القرية أحد غريب الا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز أما ترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالي حتى تقول أطعموني فبينما عيسى بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أضفني ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى أما انك لو فعلت ذلك زوجتك

حاجة أخرى فقال نعم ان لي ابنة أريد من يتزوج بها في حياتي حبا في محمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أنا أتزوج بها في حياتك حبا في رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من حاجة أخرى فقال نعم أريد أن أضع يدي في شيبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حبا في محمد صلى الله عليه وسلم قال فقبض أبو بكر رضي الله عنه ووضع لحيته في يد الاعمى وقال امسك لحيتي في حب محمد صلى الله عليه وسلم قال فقبض الاعمى بلحية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال يا رب أسألك بحرمة شيبة أبي بكر الا ما رددت علي بصري قال فرد الله عليه بصره لوقته فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك وعزتي وجلالي لو أقسم علي كل أعمى بحرمة شيبة أبي بكر الصديق لرددت عليه بصره وما تركت على وجه الارض أعمى وهذا كله ببركتك وعلو قدرك وشأنك عند ربك اللهم شفعه فينا والمسلمين

بنت الملك فقال له الفتى اما أن تكون مجنونا واما أن تكون عيسى بن مريم قال أنا عيسى فأضافه وبات عنده فلما أصبح قال له اغد وادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيأمر بضربك واخراجك فمضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت اليك أخطب ابنتك فأمر بضربه فضرب وأخرج فرجع الفتى الى عيسى فأخبره الخبر فقال اذا كان غد فاذهب اليه واخطب ابنته فانه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضرب بدون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فأخبره فقال ارجع اليه فانه سوف يقول لك أنا أزوجك اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب وفضة وزبرجد فقل له أفعل ذلك فاذا بعث معك أحدا فاخرج به فانك سوف تجده فلا تحدث فيه شيأ ثم انه دخل على الملك لخطب فقال له صدقها بحكمي فقال وما حكمك فحكم بالذى سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعث من يقبض ذلك فبعث معه رجالا فسلم اليهم ما سأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحالة فقال له عيسى انى آثرت ما يبقى على ما يفنى فقال الفتى أنا أيضا أدعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذى قلت لكم فكان معه ابن العجوز الى أن مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقى وولد له (ومنها) ابنة العاشر رجل كان يأخذ العشر قيل له أتحييها وقد ماتت بالأمس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولد لها (ومنها) سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الأعظم وضرب التل بعصاه وقال احى باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال أقد قامت القيامة قال لا ولكنى دعوتك باسم الله الأعظم قال ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط أن يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر فى قصة نوح عليه السلام (ومنها) عزير عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام احيه والا أحرقناك بالنار وجمعوا له حطبا كثيرا من حطب الكرم وكانوا فى ذلك الوقت يدفنون موتاهم فى صناديق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوبا على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا أن يخرجوه من قبره فرجعوا الى عيسى فأخبروه فناولهم اناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو فى أكفانه والارض لا تأكل أجساد الانبياء ثم انه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احى يا عزير باذن الله تعالى فاذا هو جالس وكل ذلك تراه أعينهم فقالوا يا عزير ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد أنه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يبقه لنا ليكون بين أظهرنا حيا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره فعاد ميتا فآمن بعيسى بن مريم من آمن وعاند من عاند قال الكلبى كان عيسى يحيى الموتى بيا حى يا قيوم (ومنها) اخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل اخبارا عنه وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال الكلبى لما أبرأ عيسى الأكمه والأبرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن أخبرنا بما نأكل وما ندخر فكان يخبر الرجل بما يأكل فى غدائه وبما يأكل فى عشائه (ومنها) مشيه عليه السلام على الماء يروى أنه خرج فى بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله

(ومما نقل من حكايات الخلفاء الراشدين رحمهم الله تعالى) حدث أبو موسى الفضل عن أبيه قال سمعت زينب بنت سليمان ابن على بن عبد الله بن عباس تقول كنت عند الخيزران جارية المهدى وكان عادتها اذا كنت عندها انها تجلس فى عتبة باب بيت من بيوت القصر وأجلس بازائها فى الصدر فى مجلس كان المهدى يجلس فيه اذا قصدها وكان يقصدنا فى كل وقت يجلس عندنا ساعة ثم ينهض فبينما نحن جلوس اذ دخلت علينا جارية من جوارى الخيزران اللاتى يحجبنها فقالت أعز الله السيدة ان بالباب امرأة ذات جمال وخلق حسن وهى على غاية من سوء الحال تستأذن فى الدخول عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت من أن تخبرنى قالت زينب فأشارت الخيزران الى وقالت ما تريد فقلت ما يضرنا دخولها فلابد من فائدة أو ثواب فدخلت المرأة فاذا هى أجمل ما يكون من النساء وأكملهن فوقفت الى جانب الباب وسلمت وقالت أنا مزنة بنت مروان بن عبد الملك

بسحة ويقين فمشى على وجه الماء فدا أخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء قال فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ماقلت ياقصير فأخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ماقلت فتب الى الله مما قلت فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الحشاوي باسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا قالوا يارسول الله قد بلغنا أن عيسى بن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازداد خوفا ويقينا لمشى على الهواء قالوا يارسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شأنا من أن يبلغ أحد شأنه

(ذكر حديث جامع في هذا الباب)

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسيح في الارض فصحبه يهودي وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاآ الى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرأيت ان أنا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي أراك الاعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فاذا هما بمقعد فقال له عيسى أرأيت ان عالجتك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى نهر عجاج فقال عيسى لا أرى جسرا ولا سفينة فخذ بحجزتي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي فجعل يمشيا على الماء فقال له عيسى بالذي أراك أمر الاعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظباء ترعى فدعا عيسى بظبي فذبحه وشوى منه بعضا وأكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا الظبي يعدو فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فمرا بصاحب بقر فنادى عيسى ياصاحب البقر اجزر لنا من بقرك هذه عجلا فقال ابعث صاحبك يأخذه فانطلق اليهودي فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظما فلما فرغوا قذف بعظامه في جلده ثم ضربه بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى ياصاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال عيسى السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذي أحيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى في أسفلها واليهودي في أعلاها فاخذ اليهودي عصا عيسى وقال أنا الآن أبرئ المرضى وأحيي الموتى قال وكان ملك تلك القرية مريضا مدنفا فانطلق اليهودي ونادى من يبتغي طبيبا حتى أتى باب الملك فاخبر بوجعه فقال أدخلوني عليه فانا أبرئه وان رأيتموه قد مات فانا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب

ابن محمد الاموي قالت زينب فكنت متكئة فاستويت جالسة وقلت مرنة قاتلك الله ولا حياك ولا رعاك ولا سلمك ولا سلم عليك والحمد لله الذي أزال النعمة عنك وهتك سترك وأهانك بين الناس أتذكرين ياعدوة الله حين أتاك نساء بني العباس يسألنك بالله أن تكلمي أباك في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن وأسمعتهن أخشن الكلام وأغلظ القول وخرجن على الحالة التي علمت بها قالت زينب فلما سمعت كلامي ضحكت فوالله ما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت أي بنية عمي أي شئ أعجبك مما صنع الله بي حتى أردت أن تبيتيني والله لقد صنعت بنساء أهلك ما قد ذكرت ولكن حق على الله تعالى أن تكلميني ذليلة جائعة عريانة أفكان هذا شكرك لله على ما أولاك ثم قالت زينب فالتفت ونظرت فاذا هي تبكي فنادت الخيزران يامرنة دخلت باذني فلا تخرجي الا باذني وصاحت بحجابها ردوها فرجعت وقالت ماساقني الا الضر والجهد وسوء الحال قال

بداويه ولا يشفيه الا صلبه فقال ادخلونى عليه فادخل عليه فضرب الملك بصامغات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فاخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فاقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لى صاحبى قالوا نعم فدعا الله عز وجل فاحياه وقام فانزل اليهودى من الخشبة فقال ياعيسى أنت أعظم الناس على منة والله لا أفارقك أبدا فقال له عيسى أنشدك الله الذى أحيا الظبى والعجل بعد ما أكلناهما وأحيا هذا بعد ما مات وأنزلك من على الجذع بعد ما صلبت كم كان معك من رغيف قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معى الا رغيف واحد فقال عيسى لا بأس فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لى وواحدة لك وواحدة للذى أكل الرغيف الثالث فقال اليهودى لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى فقال عيسى هى لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودى تتطلع الى المال ويكره أن يعصى عيسى ويعجزه حمل المال فانطلق مع عيسى فبينما هو كذلك اذ مر بالمال ثلاثة نفر فتوافوا عليه فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فائتنا بطعام وشراب ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن نقتله اذا رجع ونقتسم المال بيننا قال نعم وقال الذى ذهب فى نفسه أنا أجعل فى الطعام سما فاذا أكلا ماتا ويصير المال كله لى ففعل ذلك فلما رجع اليهما ووصل قتلاه ثم أكلا الطعام الذى جاء به اليهما فماتا وان عيسى عليه السلام مر به وهم حوله مقتولون فقال لا اله الا الله هكذا تصنع الدنيا باهلها ثم ان عيسى أحياهم باذن الله فاعتبروا ومروا ولم يأخذوا من المال شيأ فتطلعت نفس اليهودى صاحب عيسى الى المال فقال أعطنى المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك فى الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فانطلق عيسى عليه السلام ﴿ومنها نزول المائدة﴾ قال الله تعالى اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء فى صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك أنهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفد قال فقال لهم انى فاعل ذلك وانها مقيمة لكم ما لم تخبؤا أو تخونوا فان فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤا وفى بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل أبدا فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبنى اسرائيل صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا ياعيسى انا ان عملنا لأحد فقضينا عمله أطعمنا طعاما وانا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ووضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت المائدة اذا وضعت لبنى اسرائيل اختلفت عليها الايدى فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية العوفى نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شئ وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى اسرائيل وقال وهب أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا فقيل لوهب ما كان ذلك يغنى عنهم من شئ قال بلى ولكن الله ضاعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجىء آخرون فيأكلون حتى أكلوا باجمعهم وفضل وقال كعب

فنهضت الخيزران وقامت فعانقتها فقالت مالك فى وضع شئ من الحال الذى أنا فيه فقالت الخيزران لجواريها عليكن بالحمام على سرعة فدخلوا بها الحمام وأمرت بعض الجوارى بخدمتها ثم وافتها بالخلع المذهبة والطيب ثم قامت اليها الخيزران واعتنقتها وأجلستها فى المجلس الذى يجلس فيه أمير المؤمنين المهدى وقدمت اليها الموائد فجعلت تأكل وهى تلقمها الى أن اكتفت فغسلت يديها ثم قالت لها الخيزران فهل عندك أحد ينتظرك فقالت مالى أحد فقالت الخيزران فقومى فاختارى لك مقصورة من مقاصيرى فاسكنى فيها عندى ولا نفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاختارت أوسعها وأنزهها فحول اليها جميع ما تحتاج اليه من الفرش والملابس الحرير والرقيق ثم قالت الخيزران ان هذه امرأة مسها الضر وأورثها الفقر ما لا تقدر عليه ولا يغسل ما فى قلبها الا المال احملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحمل اليها ذلك ثم دخل المهدى فى آخر الامر فقال ما بالكم فنهضت اليه

الاحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال انى منزلها عليكم كما سألتم فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفار وكان أفضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معى سمكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال على بها فقطعها عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا فى روضة وترافقوا رفاقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا ثم قام عيسى يمشى فجعل يلقى فى كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا بسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعا شهدنا أنك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة أخرى فانزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع فى المرة الاولى فلما رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال ويحكم انما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن أراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا قردة وخنازير ليس منهم صبى ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ويروى عن عطاء بن أبى رباح عن سلمان الفارسى أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوى ولا انتهر يتيما ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا أخذ على أنفه من نتن شيأ قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم المائدة صنوفا قال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا عليها طعاما نأكل وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهى تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظروا الى شئ لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من السمن وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحواليها من أنواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افتعله الله بالقدرة العالية كلوا مما سألتم يمدكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال عيسى يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون أشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال ما أخوفنى عليكم أن تعذبوا يا سمكة عودى كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت قالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشا ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هى كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الا برئ ولا زمن الا صح ولا مبتلى الا عوفى ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء

زينب وأعلمته بجميع ما جرى وما قالت حين دخلت عليها فغضب غضبا شديدا وقال هذا سجودك لله تعالى شكرا على ما أنعم عليك فوالله لولا أنك حرمة لاحلفن أن لا أكلمك أبدا فقالت يا أمير المؤمنين قد طاب قلبها واعتذرت اليها وفعلت معها الخيزران كذا وكذا فسر بذلك وقال احملوا اليها من عندى مائة ألف درهم وقال لخادم كان على رأسه بلغها منى السلام وقل لها انى ما سررت بشئ منذ دهرى كسرورى اليوم بمقامك عندنا ولولا احتشامك لسرت اليك مسلما عليك قاضيا لحقك قال فلما مضى الخادم بالرسالة جاءت الى المهدى وسلمت عليه وقالت ما على أمير المؤمنين منى احتشام فانى صرت من جواريه فقال أمير المؤمنين لا والله بل أعز من ولدى قال فلم تزل المرأة عند الخيزران حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها وعلى الخيزران وعلى أمير المؤمنين المهدى وجزاهم الله تعالى عن معروفهم ومكارم أخلاقهم خيرا (ولما حج أمير المؤمنين المنصور رحمة الله تعالى عليه) عرض عليه جوهر نفيس له قيمة

والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فأوحى الله الى عيسى أن اجعل مائدتى ورزقى للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلكتم فشمروا لعذاب الله فأوحى الله تعالى الى عيسى انى شرطت على المكذبين شرطين أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم فى ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات فى الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا (ومنها) ما روى ان عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال يا روح الله هذه امرأة كان لى من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولى عندها وديعة قال أفتحب أن أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا اسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت فقال يا رسول الله أنا رجل فى عذاب منذ أربعين سنة فلما كنت فى هذه الساعة قيل لى أجب فأجبت ثم قال يا رسول الله قدم على من أليم العذاب ما ان ردنى الله الى الدنيا أعطيته عهدا أن لا أعصيه أبدا فادع الله لى فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فمضى فقال صاحب القبر يا رسول الله قد غلطت بالقبر انما قبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فأخذ الرجل بيدها حتى انتهيا الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه فى حجرها فمر بها ابن الملك فنظرها ونظرت اليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فاشار اليها فوضعت رأس زوجها عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها فتفقدها فلم يجدها فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتى فقال الفتى هى جاريتى فبيناهم كذلك اذ طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ما تقولين قالت أنا جاريته هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردى علينا ما أعطيناك قالت قد فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أماته الله كافرا ثم بعثه فآمن وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت (ومنها) رفعه الى السماء اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (وروى) الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربى وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسى اللهم العن من سبنى وسب أمى فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معاشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل عليه السلام

عظيمة الفتى فعرفه وقال هذا كان لهشام بن عبد الملك بن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام وما بقى من الامويين غيره ولا بدلى منه ثم التفت الى حاجبه الربيع وقال اذا كان الغد وصليت بالناس فى المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب ووكل بها جماعة من الثقات وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا يخرج أحد حتى تعرفه فاذا ظفرت بمحمد بن هشام فاتنى به فلما كان الغد اغلق الربيع الابواب وفعل ما أمر به المنصور وكان محمد ابن هشام فى المسجد فعرف انه المطلوب وأيقن أنه مأخوذ مقتول فتحير وارتاب واضطرب فبيناهو على تلك الحالة اذ أقبل محمد ابن زيد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فلما رآه متحيرا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال يا هذا ما بالك فقال لا شئ فقال قل ولك أمان الله على نفسك فقال أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن أنت قال محمد بن زيد بن على بن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وأيقن بالموت فقال لا تجزع فانك لست قاتل أبى ولا جدى وليس لى

فأدخله خوخة ووراءه في سقفها ورفعه الله تعالى من روزنته فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضروني الليلة فلي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضيهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال ألا من رد على شيأ مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فاقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم أنا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي الا ليكون لكم بي اسوة وانكم ترون أني خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم وأما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي فلما انصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون لي ليلة واحدة وتعينوني فيها فقالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نريد دعاء الاحيل بيننا و بينه فقال يذهب الراعي وتبقى الغنم وجعل يأتي بكلام مثل هذا ينعي نفسه ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من أصحابه فتركوه ثم أخذه آخر فجحده كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك فلما أصبح أتى أحد الحواريين أولئك اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه و يقولون أنت كنت تحيي الموتى وتبرئ الاكمه والابرص أفلا تنفك نفسك من هذا الحبل و يبصقون عليه و يلقون عليه الشوك ثم انهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الى الخشبة ليصلبوه أظلمت الارض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم و بين عيسى وألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذي هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وأبرأها من الجنون يبكيان عند المصلوب فأتاهما عيسى وقال على من تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني فلم يصبني الا خير وان هذا شخص شبه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه الى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم اني لست عيسى اني فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمى أشيوع بن قنتير والله أعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام)

(قال وهب) وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة أيام ثم قال الله له ان أعداءك اليهود أعجلوك عن العهد الى أصحابك فانزل عليهم واوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلحق

عليك ثأر وأنا اجتهد في خلاصك ان شاء الله تعالى ولكن اعذرني فيما أنا صانع بك من مكروه وقبيح فطرح رداءه على وجهه وغطى رأسه وجذبه الى قريب من الربيع فقال يا أبا الفضل ان هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة اكراني جماله فلما دفعت اليه الاجرة هرب مني وأكرى جماله لبعض أهل خراسان ولي عليه شهود وأريد منك أن توصله معي الى القاضي وتمسك جماله عن الذهاب مع الخراسانيين فوكل به الربيع رجلين وقال لا تفارقاه الى القاضي ومحمد قابض على الرداء وقد استتر به وجهه وخرجوا جميعا من المسجد فلما بعدوا من الربيع قال له محمد ويلك وما ينفعك الفجور فقال يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجعت الى الحق واعترفت لك فقال محمد للرسولين انصرفا عنه فقد اعترف بالحق فتركاه وانصرفا عنه فلما بعدا عنه قال محمد اذهب الى سبيلك فقبل محمد بن هشام يده ورأسه وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته ثم أخرج جوهرا قيمته كثيرة وقال الله

بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى • وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بني اسرائيل فامتنعت فظنوا انها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت اخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفي الله على يديه من المرضى والزمنى أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بنية حسنة ولقد أعطاه الله ما رجاه وطهره بطهارتي فأذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي تدخن فيها النصارى قالوا فوجه بطرس الى رومية واندراوس ومتى الى الارض التي يأكل أهلها الناس وتوما وليا الى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا الى القيروان وأفريقية ويحيى الى أفسوس قرية أصحاب الكهف واليعقوبين الى أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس وبرتولماوس الى الاعرابية وهي أرض الحجاز وشمعون الى أرض بربر فأصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشمسونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائرا باذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا لي من أمره فوالله لو علمت لخليت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فأخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التي صلب عليها فاكرمها وصانها لما مسها منه وغزا بني اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هنالك كانت أصل النصرانية في الروم (وقال أهل التوراة) حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانيين وأوحى الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المقدس اليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

﴿ ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام ﴾

(قال) وهب لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فأمر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفار والآخر يحيى أن يلزما أمه ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون واندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فانشقت لهما الارض فغابا فيها وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيأ فردوا التراب على حاله وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فأخبروه به فأسلم كما ذكرنا والله أعلم

تعالى يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سرني بقبول هذا فقال له اذهب بمتاعك فنحن أهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة رضي الله تعالى عنهم (وقيل للاحنف ابن قيس) ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته يوما من الايام قاعدا بفناء داره متقلدا بحمائل سيفه يحدث قومه فبينما هو كذلك اذ أتى برجلين أحدهما مقتول والآخر مكتوف فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما قطع كلامه ولا اغتاظ ثم التفت الى ابن أخيه وقال يا ابن أخي أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك ثم قال لابنه الآخر يا بني قم فادفن أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ولدها فانها غريبة منا (وروى عنه أيضا) انه جلس في داره يوما على المائدة ومعه ولد صغير فجاءت جارية بسفود عليه شواء حار فسقط

﴿ ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان ﴾

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن بكهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد واني أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني و بينه نبي و يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين ممصرتين فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و يضع الجزية و يفيض المال و يهل من الروحاء حاجا أو معتمرا أو ملبيا بهما جميعا و يقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين و يهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض أربعين سنة و يتزوج و يولد له ثم يتوفى و يصلي عليه المسلمون و يدفنونه في المدينة بجنب عمر اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته و يوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الامة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه و يدفن الى جانب قبر عمر فطوبى لابي بكر وعمر يحشران بين نبيين (وأخبرني أبي) قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها

﴿ باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية
وذلك في أيام ملوك الطوائف ﴾

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام اذ أرسلنا اليهم اثنين واختلفوا في اسميهما فقال ابن اسحق فاروص ورو ماص وقال وهب يحيى و يونس وقال مقاتل تومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا بثالث أي قوينا برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين في قول أكثر المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان (قالت) العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرئ المريض ونشفي الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعواله ومسحاه بيديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على يديهما كثيرا من المرضى وكان في مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين (وقال وهب) اسمه أبطيحيس وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرئ

السفود منها فوقع على الولد فمات من وقته فدهشت الجارية وتغير لونها فقال لا بأس عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وهذا من مكارم الاخلاق رضي الله تعالى عنه ﴿ ولما حج معاوية ابن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه ﴾ لم يترك شيأ الا قدم به الى مكة والمدينة من دراهم ودنانير وثياب وطيب ودواب وغير ذلك فلما قسم المدينة قسم على أهلها أكثر من أهل مكة و بعث الى رجل من الانصار بألف درهم وعشرة أثواب وكان الرجل الانصاري من أهل بدر فأتاه الرسول بذلك العطاء فغضب وقال أما وجد معاوية من يرسل اليه بمثل هذا العطاء غيري أردده عليه فقال الرسول لا أقدر على ذلك فدعا الانصاري ابناله وقال يابني أسألك بحق عليك الا رددت هذا العطاء على معاوية وضربت بهذه الثياب وجهه فأخذها ابن الانصاري وأتى الى معاوية

الا كمه والابرص ونشفى المرضى باذن الله تعالى قال وفيم جئتما قالا جئناك ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع و يبصر قال الملك أولنا اله سوى آلهتنا قالا نعم قال من قالا من أوجدك بعد عدمك وآلهتك قال قوما حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما فى السوق (وقال وهب) بعث عيسى بهذين الرسولين الى انطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك فأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغنى انك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بينى و بين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى ههنا قالا الذى خلق كل شئ فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه فنبرئ الا كمه والأبرص ونشفى المرضى والزمنى باذن الله قال فأمر الملك فجئ بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس لى عنك سر انا أن الهنا الذى نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله و يصلى كثيرا و يتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذى تعبدانه يقدر على احياء الميت قالا الهنا يقدر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم انى قد مت منذ سبعة أيام مشركا فأدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لى فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قوله قد أثر فى الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار قال وهب وكان سقيما قد أثر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين يطعم عياله نصفا و يتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه ان قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه فى غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى فى كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أوأنت مخالف لدينا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالهم فقال ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون الى قوله انى آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قطعوه وقتلوه (وقال) الحسن خرقوا خرقا فى حلقه وعلقوه فى سور المدينة ودفنوه فى سوق انطاكية

فعرف معاوية الشر فى وجهه فقال ماتريد فقال ان أبى يقرئك السلام ويقول أمثلى ترسل اليه بمثل هذا العطاء فقال معاوية من الرسول الى أبيك فقال فلان فقال قاتله الله انما هذا العطاء لغير أبيك وعطاء أبيك دفعه الى رجل غيره ثم قال ياغلام على بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا ووصيفا ووصيفة سريعا لحضر الجميع وقال يا ابن أخى خذ الجميع وعد الى أبيك واعتذرلى من أبيك وعرفه خطأ الرسول فقال ياأمير المؤمنين ان للوالد حقا وله أمر مطاع وقد أمرنى أن أفعل شيأ قال معاوية ما هو يا ابن أخى قال انه دفع الى الثياب وقال بحقى عليك الا ضربت بها وجهه فقال معاوية يا ابن أخى أطع والدك وارفق بعمك فتقدم الغلام ورمى بها وجهه برفق وتوجه الغلام الى أبيه وأخبره بذلك وهو من حسن أخلاقهم (وقيل) نزل بعض اللصوص الى

فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون أي ميتون (أخبرنا) أبو بكر الجشاوري باسناده عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم

﴿ قصة يونس بن متى عليه السلام ﴾

قيل متى أمه ولم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء باخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يتعبد في جبل وكان في قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس ابن متى عليه السلام بالنهي عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا لا يصبر على الناس فلحق الجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود في زمانه وكان يعتريه حدة ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله خفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لأنه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء) في صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهي رواية الضحاك والعوفي عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبي منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف وكانوا اثني عشر سبطا فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى الى شعياء النبي أن سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فاني ألقي الخوف في قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجي قال لا قال هل سماني لك قال لا فقال ههنا غيري أنبياء أقوياء أمناء فألحوا عليه فخرج مغاضبا النبي والملك والقومه فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان وقال الحسن البصري انما غاضب ربه من أجل أنه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقال له الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعله يلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا في خلقه ضيق فقال أعجلني ربي أن آخذ نعلي فذهب مغاضبا وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى أهل نينوى فانذرهم أن العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا قال له ألتمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة فكان من أمره ما كان فعلى هذه الأقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعاء قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما أوعدهم به

دار خلف بن أيوب وهو قائم يصلي بالليل فجمع اللص جميع ما في البيت من قماش وغيره وشده وحمله على رأسه وخلف ينظر اليه ولا يكلمه ثم خرج اللص من البيت الى الحائط يريد النهوض فلم يقدر على ذلك فقال له خلف يا ابن أخي خذ المفتاح وافتح الباب واخرج فلعلك محتاج الى ذلك فقال ان مثلك والله لن يؤذى ثم ترك ما كان أخذه وتاب الى الله تعالى (وحكى بعضهم) قال كان لعبد الله بن الزبير أرض مجاورة لارض معاوية بن أبي سفيان وكان له في كل أرض عبيد لعمارتها فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله ابن الزبير وغصبوا منها قطعة فكتب عبد الله بن الزبير الى معاوية أما بعد يا معاوية فان عبيدك قد غصبوا أرضي فامرهم بان يتكفوا عنها والا كان لي ولكم شأن فلما وقف معاوية على كتابه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال ما ترى يا يزيد قال أرى ان تبعث له

وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما أوعدهم ولم يعلم السبب الذى رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا قال والله لا أرجع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب فى يوم ولم يأتهم وفى بعض الاخبار أن قومه كان من عادتهم أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذى أوعدهم خشى أن يقتلوه فغضب وقال كيف أرجع الى قومى وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم لأنه قد كان خرج من بين أظهرهم لنزول العذاب قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان أحدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا (قال ابن عباس) وابن مسعود وغيرهما لما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع مادعوت على قومك ارجع اليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى فان أجابوك والا فانى مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا فيهم وقال انى محذركم العذاب الى ثلاثة أيام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية ذلك أن تتغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ماقال يونس وانا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان ليلة الاربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب (قال سعيد بن جبير) كما يغشى التراب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثى ميل وقال وهب أغيمت السماء غيما أسودها ئلا تدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله فى قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة لله وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والأنعام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعدما أظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء للنصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة أهل نينوى أن ترادوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتى الى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقتلعه ويرده (وروى) صالح المرى عن عمران الجونى عن أبى خالد قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا ياحى حين لاحى ياحى حين تحيى الموتى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت أى فلم تكن قرية آمنت وضع التحضيض موضع النفى لأن فيه ضربا من الجحد فنفعها ايمانها فى وقت اليأس عند معاينة العذاب الا قوم يونس لما آمنوا نفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف أرجع الى قومى وقد كذبتهم فانطلق معاتبا ربه مغاضبا قومه فأتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أى أن لن نقضى عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشئ يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقد قرئ بهما جميعا فى قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذى قدر فهدى هذا قول أكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أى ويضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه (قال

جيشا أوله عنده وآخره عندنا يأتيك برأسه فيريحك منه فقال معاوية عندى خير من ذلك يابنى قال ماهو ياأبت فقال على بدواة وقرطاس فكتب فيه قد وقفت على كتاب ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنى والله ماساءه والدنيا ومافيها هينة فى حبك ورضاك وقد كتبت على نفسى مسطورا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين على أن الارض والعبيد الذين فيها ملك فضمها الى أرضك والعبيد لى عبيدك والسلام قال فلما قرأه عبد الله بن الزبير كتب اليه يقول قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين لاأعدمنى الله بقاءه ولا أعدمه هذا الرأى الذى أحله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على الكتاب ناوله الى ولده يزيد فلما قرأه تهلل وجهه فرحا فقال له معاوية يابنى اذا بليت بشئ من هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء وانا لقوم لم نزل فى الحلم الاخيرا

ابن زيد) هو استفهام معناه أفظن أن لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن أن لن يجزى به فلا يقدر عليه قال وبلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا ربه فاستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده وهكذا لا ترسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا لا نلقي في الماء فاقترعوا ثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين فلما وقع في الماء وكل الله به حوتا فابتلعه وأوحى الله تعالى الى الحوت انى لم أجعله لك رزقا بل جعلناك له حرزا ومسكنا فلا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوت آخر فأهوى به الى مسكنه فى البحر فالتقمه حوت آخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى ويقال ان الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو فى بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بأرض مجهولة قال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك انى كنت من الظالمين (وروى) سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هى ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين فقال هى ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى فنادى فى الظلمات الى قوله وكذلك ننجى المؤمنين فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء أى بوجه الارض وهو سقيم أى عليل ضعيف كالفرخ الممعط (واختلفوا) فى مدة مكث يونس فى بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدى والكلبى أربعين يوما فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها لبنا فذلك قوله تعالى وأنبتنا عليه أى عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله اليه أتبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام قال أنا من قوم يونس فقال له اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فانت تعلم انه ان لم يكن لى بينة قتلت فمن يشهد لى فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام مرهم قال لهم يونس اذا جاء كم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك انى قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فأمر الملك بقتله وقال كذبت فقال ان لى بينة فارسلوا معى أحدا يشهد فارسلوا معه رجالا فأتى البقعة والشجرة والشاة وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فاخذ الملك بيد الغلام وأجلسه فى مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان منى قال فاقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فاقام لهم أمرهم (يروى) ان يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فاضافه

رضى الله عنه (وحكى أن المهلب بن أبى صفرة) مر بحى من أهل همدان فرآه شاب من أهل الحى فقال هذا المهلب قالوا نعم فقال والله ما يساوى خمسمائة درهم وكان المهلب رجلا أعور فسمعه المهلب فلما كان الليل أخذ المهلب فى كمه خمسمائة درهم وأتى الى الحى فارتعب الشاب حين رآه فأتى اليه وقال له افتح حجرك ففتح الشاب حجره فصب فيه الخمسمائة درهم وقال خذ قيمة عمك المهلب والله يا ابن أخى لو قومتنى بخمسة آلاف دينار لاتيتك بها فسمع شيخ من أهل الحى فقال والله ما أخطأ فيك من جعلك سيدا (وقال أحمد ابن أبى داود) ما رأيت رجلا عرض على الموت ورأى النطع مفروشا والسيف مسلولا ولم يكترث لذلك ولا عدل عما أراد الا تميم ابن جميل وقد كان خرج على المعتصم واقد رأيته وقد جىء به أسيرا مكتوفا وقد اجتمع الناس من الآفاق

رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فأوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شئ عملته بيدى أعيش فيه وأتمتع بثمنه أنا وعيالى تأمرنى بكسره فبكى يونس فأوحى الله اليه هذا عمل فخارا من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادى فمضى يونس وهبط واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التى كانت مع الغلام قالت لهم ان أردتم يونس فاهبطوا الوادى فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسألوه أن يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لى فى مدينتكم فبكوا وألحوا عليه فأجابهم للدخول فأتى بعجلة من فضة وأجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام عاضا على سبابته وهو ينادى هذا مجلس الجبارين فوثب يونس عن العجلة وجعل يمشى حتى دخل معهم المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصير الغلام الراعى ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فى الاسماعين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس فى زمان ملوك الطوائف والله أعلم

﴿ باب فى قصة أصحاب الكهف ﴾

قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء فى الرقيم قال النعمان بن بشير الانصارى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبيناهم يمشون اذ أصابتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على باب الكهف فأوصدته عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فلعل الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لى أجراء يعملون عملا لى فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشطر أصحابه فعمل فى بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت على من الاكرام ان لا أنقصه شيأ مما استأجرت به أصحابه لما اجتهد فى عمله فقال رجل منهم أتعطى هذا مثل ما أعطيتنى ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيأ من شرطك انما هو مالى أحكم فيه بما شئت قال فغضب وذهب وترك أجرته فوضعت حقه فى جانب من البيت ماشاء الله ثم مر بى بعد ذلك بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فمر بى بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لى ان لى عندك حقا فقلت له اذكره لى حتى أعرفه قال فذكره فقلت له اياك أبغى وهذا حقك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بى ان لم تتصدق على فأعطنى حقى فقلت والله ما أسخر ان هذا الحقك ومالى فيه شئ فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتنى امرأة تطلب منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت على وذهبت ثم انها رجعت فذكرتنى بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فابت على وذهبت وذكرت ذلك لزوجها فقال لها زوجها أعطيه نفسك وأغيثى عيالك فرجعت الى تنشدنى بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتى فقلت لها ما شأنك فقالت انى أخاف الله رب العالمين فقلت لها خفتيه فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء فتركتها وأعطيتها ما تحب بما كشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفنا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى أبوان كبيران وكان لى غنم فكنت أطعم أبوى وأسقيهما ثم أرجع الى غنمى قال فأصابنى يوما غيث فحبسنى حتى أمسيت فأتيت أهلى وأخذت محلبى فحلبت غنمى وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى أبوى فوجدتهما قد ناما فشق على أن أوقظهما وشق على أن أترك غنمى فما

والنواحى ينظرون كيف يقتله المعتصم وكان المعتصم قد جلس له مجلسا منكرا وأمر الناس بالدخول ودخل تميم وحضر السياف وفرش النطع وكان تميم جميل الوجه تام الخلقة عذب المنطق فرآه المعتصم فبردهش ولا مكترث لما نزل به فأحب المعتصم أن يستنطقه ليعلم أين عقله فى ذلك الوقت فقال له المعتصم ان كان لك عذر يا تميم فأت به فقال أما أنت يا أمير المؤمنين فالحمد لله الذى جبر بك الدين ولم بك شعث المسلمين وأنار بك أستار الحق وأخمد بك شهاب الباطل وان الذنوب يا أمير المؤمنين لتخرس الالسن الفصيحة وتصدع الافئدة الصحيحة ووالله لقد كبر الذنب وعظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك أو انتقامك وأنت الى العفو أقرب وهو بك أشبه وأليق وأنشد يقول

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا

برحت بالساء وعلى في يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكأنى أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم واد بين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف قال كعب هى قريتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه فى صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر أصحاب الكهف فى أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وأما قصتهم) فيقال لما ولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا له يا عمر أنت ولى الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد أن نسألك عن خصال ان أخبرتنا بها علمنا أن الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا أن الاسلام باطل وأن محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ما هى وأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هى وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو وأخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا فى الارحام وأخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه وما يقول الديك فى صراخه وما يقول الفرس فى صهيله وما يقول الضفدع فى نقيقه وما يقول الحمار فى نهيقه وما يقول القنبر فى صفيره قال فنكس عمر رأسه فى الارض ثم قال لا عيب بعمر اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن يسأل عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد ان محمدا لم يكن نبيا وأن الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسى وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو على بن أبى طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث الاسلام فقال وما ذاك فأخبره الخبر فأقبل يرفل فى بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعا على كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبى صلى الله عليه وسلم علمنى ألف باب من العلم فتشعب لى من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال على كرم الله وجهه ان لى عليكم شريطة اذا أخبرتكم كما فى توراتكم دخلتم فى ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ما هى قال أقفال السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هى قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فجعل بعضهم ينظر الى بعض و يقولون صدق الفتى قالوا فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذى التقم يونس بن متى فسار به فى البحار السبعة فقالوا أخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا من الانس قال هى نملة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فأخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا فى الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى قالوا فأخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فأخبرنا ما يقول الديك فى صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلون قالوا أخبرنا ما يقول الفرس فى صهيله قال يقول اذا مشى المؤمنون الى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فأخبرنا ما يقول الحمار فى نهيقه قال يقول لعن الله العشار و ينهق فى أعين الشياطين قالوا فأخبرنا ما يقول الضفدع فى نقيقه قال يقول سبحان ربى المعبود المسبح فى لجج البحار قالوا فأخبرنا ما يقول القنبر فى صفيره قال يقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد أن لا اله الا الله

يلاحظنى من حيث لا أتلفت
وأكثر ظنى انك اليوم قاتلى
وأى امرىء مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه يصلت
وما جزعى من أن أتى الموت اننى
لا علم أن الموت شىء مؤقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم
وقد أخمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت موتوا

(قال) فبكى المعتصم حتى ابتلت لحيته وقال ان من البيان لسحرا ثم قال والله يا تميم لقد غلب السيف العفو وقد وهبتك لله ولصبيتك وعفوت عن زلتك ثم أمر

وان

وأن محمدا رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال ياعلى لقد وقع فى قلوب أصحابى ماوقع من الايمان والتصديق وقد بقى خلة واحدة أسألك عنها فقال سل عما بدا لك فقال أخبرنى عن قوم فى أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم قال على رضى الله عنه يايهودى هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودى ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم ان كنت عالما فاخبرنى بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاحتبى على كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ياأخا العرب حدثنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان بأرض رومية مدينة يقال لها أفسوس ويقال هى طرسوس وكان اسمها فى الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فأقبل فى عساكره حتى دخل أفسوس فاتخذها دار ملكه و بنى فيها قصرا فوثب اليهودى وقال ان كنت عالما فصف لى ذلك القصر ومجالسه فقال ياأخا اليهود ابتنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ فى عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج فى كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرق المجلس مائة وثمانين كوة ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور فى المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا فى عرض أربعين ذراعا مرصعا بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فاجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فأجلس عليها هراقلته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودى وقال ياعلى ان كنت عالما فاخبرنى مم كان تاجه فقال ياأخا اليهود كان تاجه من الذهب السبيك له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضىء كما يضىء المصباح فى الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فمنطقهم بمناطق من الديباج الاحمر وسرولهم بسراويل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم وأعطاهم عمد الذهب وأقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من أولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودى وقال ياعلى ان كنت صادقا فاخبرنى ما كانت أسماء الستة فقال على كرم الله وجهه حدثنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فمرطليوس وكشطوس وسادنيوس وكان يستشيرهم فى جميع أموره وكان اذا جلس كل يوم فى صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلمة فى يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفى يد الثانى جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع فى جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف مافيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثانى فيطير فيقع فى جام المسك فيتمرغ فيه فينشف مافيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمكث الملك فى ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه بأجمعهم فأقاموا فى ملكه زمانا يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس فى عيد له على سريره والتاج على رأسه اذ أتى بعض بطارقته فأخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما شديدا

بقناة فصقله على موضعه الذى كان خرج عنه ووصله بشئ كثير (وحكى عن بعضهم) قال قدم الى معن ابن زائدة أسارى فعرضهم على السيف فقام اليه رجل منهم وقال أيها الامير نحن أسراك ونحن والله جياع من أثر الطريق فان رأيت أن تطعمنا فنى كل كبد حراء أجر فأمر باطعامهم فأحضرت الموائد وعليها الطعام واجتمعوا وأكلوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قام رجل آخر وقال أيها الامير كنا أسراك وقد صرنا أضيافك فانظر ماذا يصنع مثلك بأضيافه فخلى سبيلهم وأنعم عليهم عفا الله تعالى عنه وعن جميع المسلمين (وعرض) على الحجاج أسرى فأمر بقتلهم فقتل منهم جماعة ثم قال رجل منهم وقد عرض على القتل لا جزاك الله عن السنة خيرا ياحجاج فانا وان كنا قد أسأنا فى الذنب فوالله ما أحسنت فى العفو فان الله تعالى يقول فى كتابه العزيز فاذا لقيتم الذين

حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك
وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما
كان ينام ولما كان يبول و يتغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكونون
كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا
ولم يشرب فقالوا يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتي وقع في قلبي شئ منعني عن الطعام
والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال أطلت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفا
محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم
أطلت فكري في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسي لئلا
تميد بهم ثم أطلت فكري في نفسي فقلت من أخرجني جنينا من بطن أمي ومن غذاني ورباني ان لهذا
صانعا ومدبرا سوى دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا يا تمليخا لقد وقع في
قلوبنا ما وقع في قلبك فأشر علينا فقال يا اخوتي ما أجد لي ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى
ملك السموات والارض فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها في ردائه
وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا
ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله يجعل لكم من أمركم فرجا
ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبع فراسخ حتى صارت أرجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا
المشي على أقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا أيها الراعي أعندك شربة ماء أو لبن فقال عندي ما تحبون
ولكني أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم الا هرابا فاخبروني بقصتكم فقالوا يا هذا انا دخلنا في
دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فأخبروه بقصتهم فانكب الراعي على أرجلهم يقبلها
و يقول قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فقفوا لي ههنا حتى أرد الأغنام الى أربابها وأعود اليكم فوقفوا
له فردها وأقبل يسعى فتبعه كلب له فوثب اليهودي قائما وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني ما كان لون
الكلب واسمه فقال يا أخا اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان أبلق بسواد وكان
اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء في لون كلب أصحاب أهل الكهف فقال ابن عباس كان أنمر
وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي
لونه كالثلج وقيل لون الحمرة وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروي عن علي كرم الله
وجهه أن اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي احدى الروايات عن علي وقال شعيب
الجبائي كان اسمه حمرا وقال الاوزاعي نتوى وقال مجاهد قطموريا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال
كعب كان أصيب واسمه تمنى (وأخبرني ابن فنجويه) باسناده عن أبي حنيفة رضي الله تعالى
عنه أن اسم كلبهم كان قطمور وقيل قطفير أخبرني أبو علي الزهري باسناده عن ابن عباس في قوله
تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم مكسلمينا وتمليخا ومرطليوس و ينيوس وساونوس
وداونوس وكشطوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القلطي ودون الكركي وقال محمد
ابن اسحق القلطي الكلب الصغير وقال ما بقي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث وكتبه أبو
عمرو الحيري عني (رجعنا الى الحديث) قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف أن
يفضحنا هذا الكلب بنبيحه فألحوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد ألحوا عليه بالحجارة
والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق يا قوم لم تطردونني وأنا أشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا
فصعد بهم الراعي جبلا وانحط بهم على كهف فوثب اليهودي وقال يا علي ما اسم ذلك الجبل وما اسم

كفروا فضرب الرقاب حتى
اذا أثخنتموهم فشدوا
الوثاق فاما منا بعد واما فداء
فهذا قوله في الكفار
فكيف في المسلمين وقال
الشاعر
وما نقتل الاسرى ولكن
نكفهم
اذا أثقل الاعناق حمل
القلائد
فقال الحجاج تبا لهؤلاء
الجيف والله لو قالوا مثل
ما قال هذا الرجل ما قتلت
منهم أحدا ولكن أطلقوا
سبيلهم (ولما) ولي الحجاج
العراق قال علي بالمرأة
الحرورية فلما حضرت قال
لها أنت بالامس في وقعة
ابن الزبير كنت محرضين
الناس على قتل رجالي
ونهب أموالي فقالت المرأة
نعم قد كان ذلك فالتفت
الحجاج الى وزرائه وقال
ما ترون فيها قالوا عجل بقتلها
فضحكت المرأة فاغتاظ
الحجاج وقال لها مم
تضحكين قالت من وزرائك
فان وزراء فرعون كانوا
خيرا منهم فنظر الحجاج الى
وزرائه فرآهم خجلوا فقال

الكهف قال أمير المؤمنين يا أخا اليهود واسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم (رجعنا الى الحديث) قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فأووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يقلبون في السنة مرة لئلا تأكل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقليبتان (رجعنا الى الحديث) قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك وخرجوا هاربين منك فركب في ثمانين ألف فارس وجعل يقفو آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن انهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشئ ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فائتونى بالبنائين فأتى بهم فردموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لالههم الذى فى السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلاثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهبوا من رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمرنا هذا لفى عجب مثل هذه العين قد غارت فى ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت فى ليلة واحدة فألقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذى يعجن بشحم الخنزير وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أى أحل وأجود وأطيب فقال لهم تمليخا يا اخوتى لا يأتيكم أحد بالطعام غيرى ولكن أيها الراعى ادفع الى ثيابك وخذ ثيابى فلبس ثياب الراعى ومر وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول أرانى نائما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر بأقوام يقرؤن الانجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تمليخا ان كنت صادقا فان أمرى عجيب ادفع الى بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودى وقال يا على ان كنت عالما فاخبرنى كم كان وزن الدرهم منها فقال يا أخا اليهود أخبرنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخباز يا هذا انك قد أصبت كنزا فاعطنى بعضه والا ذهبت بك الى الملك فقال تمليخا ما أصبت كنزا وانما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال ألا ترضى ان أصبت كنزا أن تعطينى بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعى الربوبية قد مات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بى ثم أمسكه واجتمع الناس ثم انهم أتوا به الى الملك وكان عاقلا عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى قالوا أصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز الا خمسها فادفع الى خمس هذا الكنز وامض سالما فقال أيها الملك تثبت فى أمرى ما أصبت كنزا وانما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها قال نعم قال أفتعرف فيها أحدا قال نعم قال فسم لنا فسمى له نحوا من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا

لها كيف ذلك فقالت لانهم قالوا أرجئه وأخاه حين استشارهم فى قتل موسى وهؤلاء يستعجلونك فى قتلى قال فضحك الحجاج وأمر لها بعطاء وأطلقها ولم يشوش عليها (وحضر الهرمزان الفارسى) بين يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مأسورا فدعاه عمر الى الاسلام فأبى فأمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين قبل أن تقتلنى اسقنى شربة ماء ولا تقتلنى ظمآن فأمر بقدح من ماء فلما صار القدح بين يدى الهرمزان قال أنا آمن حتى أشرب هذا القدح يا أمير المؤمنين قال نعم لك الامان حتى تشرب هذا الماء فالقى الاناء من يده فأراقه على الارض ثم قال الوفاء الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر دعوه حتى ننظر فى أمره فلما وضع السيف عنه قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال له عمر لقد أسلمت خير الاسلام فما أخرك قال خشيت أن يقال

ماتعرف هذه الاسماء وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار فقال نعم أيها الملك فابعث معي أحدا فبعث معه الملك جماعة حتى أتى بهم دارا أرفع دار في المدينة وقال هذه داري ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت الى تمليخا وتبينه وقال له ما اسمك قال تمليخا بن فلسطين فقال الشيخ أعد علي فأعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانهى ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل تمليخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون له يا تمليخا ما فعل بأصحابك فأخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذا تمليخا فلما صاروا قريبا من الكهف قال لهم تمليخا يا قوم اني أخاف أن اخوتي يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنون أن دقيانوس قد غشيهم فيموتون جميعا فقفوا قليلا حتى أدخل اليهم فأخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس فقال دعوني منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاؤكم فقالوا له يا تمليخا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فماذا تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب في أنفسنا الا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد فأمر الله ملك الموت فقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له بابا ولا منفذا ولا مسلكا فأيقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم وان أحوالهم كانت عبرة أراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا أنا أبني على باب الكهف مسجدا وقال النصراني بل ماتوا على ديني فأنا أبني على باب الكهف ديرا فاقتتل الملكان فغلب المسلم النصراني فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يا يهودي ما كان من قصتهم ثم قال علي كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يا يهودي أوافق هذا ما في توراتكم فقال اليهودي ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا أبا الحسن لا تسمني يهوديا فاني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك أعلم هذه الامة (وقال عبيد بن عمير) كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم في زي عظيم وموكب وأخرجوا امامهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله في قلوبهم الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا في أنفسهم من غير أن يظهر بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم أمره الى صاحبه فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فأقبلا وهما مستبشران الى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد واذا هم جميعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب

منهم

مني اني أسلمت خوفا من السيف فقال عمر لقد استحق بها ما كان فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره في اخراج الجيوش ويعمل برأيه رضي الله تعالى عنهم أجمعين (وقيل) سرق شاب سرقة فأتي به الى المأمون فأمر بقطع يده فربطت لتقطع فأنشد يقول

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها
بعفوك من عار عليها يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها
اذا ما شمال فارقتها يمينها

قال وكانت أم الشاب واقفة على رأسه فانكبت عليه وبكت وقالت يا أمير المؤمنين ولدي وواحدي ناشدتك الله الا رحمت قلبي وأزلت روعتي بالعفو عمن استحق العقوبة فقال المأمون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا أمير المؤمنين اجعل عفوك عن ولدي ذنبا من الذنوب التي تستغفر الله منها قال فرق المأمون لها وعفا عن ولدها

منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا من سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين الثقفي باسناده عن أبي جعفر الباقر قال كان أصحاب الكهف صيارفة * وقال وهب بن منبه جاء حوارى من أصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فاراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد الا سجد له فكره أن يدخلها فأتى الى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحامي وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يشرط على صاحب الحمام أن الليل لا يحول بيني وبينه أحد فيصلي فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فعيره بها الحوارى وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم انهما دخلا معا فماتا جميعا في الحمام فأتى الملك وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبه حتى آواهم الليل الى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ما سدوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فأدخلت فيه غنمي من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين اصبحوا (وقال) محمد بن اسحق مرج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدا يدين دين المسيح الا قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس فلما نزلها كبر ذلك على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا في كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتتبع أهل الايمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطا من كفار أهلها وجعلوا يتتبعون أهل الايمان في أماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من أقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من

وأطلق سبيله عفا الله عنه (ومن عبد الملك بن مروان) أنه أتى برجل من بني مخزوم وكان من أصحاب ابن الزبير فلما حضر بين يدي عبد الملك قال أليس قد ردك الله الى بئس المرد ورجع بك الى سوء المرجع فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ان الله ردني الى بئس مرد ورجع بي الى سوء مرجع فأنت أخبر بنفسك فقال عبد الملك أطلقوه وأمر له بجائزة وأنعم عليه رضي الله عنه (وقيل) كان يزيد بن المهلب واليا على خراسان وكان حسن الوجه جميل الصورة فمكث مدة وانصرف عنها وتولى مكانه قتيبة بن مسلم فقال فيه بعض الشعراء

كانت خراسان أرضا اذ يزيد بها
وكل باب من الخيرات مفتوح
فبدلت بعده قردا يطوف بها
كأنما وجهه بالخل منضوح

فبلغ ذلك قتيبة فطلبه فهرب الشاعر منه ومضى الى أم

أشراف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبينماهم على ذلك اذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا تجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك ويعصونك فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الارض وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم خيروا اما أن يذبحوا لآلهتهم كاذبح غيرهم من الناس واما أن يقتلهم الملك فقال مكسلمينا وكان أكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة لن ندعو من دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذى تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا الذى له التحميد والتكبير والتسبيح والتقديس من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر بهم فنزع ملبوسا كان عليهم من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم اذا فعلتم ما فعلتم فاني سأؤخركم وأتفرغ لكم فأنجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما ينبغى أن أعجل لكم ذلك لأني أراكم شبابا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا فتراجعوا فيه عقولكم ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فائتمروا أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ناجلوس فيسكنون فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لأحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه ٭ وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب على دينهم وقال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فنبح عليهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون منى لا تخشوا جانبي فاني أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم (رجعنا الى حديث ابن اسحق) فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجلدهم وأجلهم فكان تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ درهما فينطلق الى المدينة فيشترى طعاما وشرابا ويتسمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم بشئ ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى طعاما فرجع الى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام فأخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا

قتيبة فأخذ منها كتابا بالوصية به وقدم الى قتيبة فلما دخل عليه قال يا ولدى بأى وجه تلقانى قال بالوجه الذى ألقى به ربى فان احسانه لى أكثر من احسانك لى ومخالفتى له أكثر من مخالفتى لك قال فضحك قتيبة وترك سبيله وعفا عنه (وأشرف المأمون يوما من قصره) فرأى رجلا قائما ومعه فحمة يكتب بها على حائط القصر فقال لأحد غلمانه انزل الى ذلك الرجل وأمسك يده واقرأ ما كتبه فقرأه فاذا هو هذا الشعر

يا قصر جمع فيك اللؤم والشوم
متى يعشش فى أركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحى
أكون أول من ينعاك مرغوم

فقال له أجب أمير المؤمنين فقال له الرجل سألتك بالله يا غلام لا تذهب بى اليه فقال له الغلام انه رآك من القصر فأخذه وأوقفه بين

يتحدثون

يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبيناهم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فاصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم
فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد ساءنى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون انى غضبان
عليهم بجهلهم ماجهلوا من أمرى فانى لا أغضب عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتى فقال عظماء المدينة
ما أنت بحقيق ان ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا
ولو شاؤا الرجعوا فى ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى
آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصونى فقالوا له أما نحن فلم نعصك
ولم تقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا وانطلقوا الى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم
وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فالقى الله فى نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن
يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث
من فى القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم فى الكهف يموتوا جوعا
وعطشا وليكن كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله
أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات
اليمين وذات الشمال • قال ثم ان رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم
أحدهما تندوس والآخر وباس ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم فى لوح
من رصاص ويجعلاه فى تابوت من نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله أن يطلع على هؤلاء
الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعلا ذلك
وبنيا عليه فبقى دقيانوس ما بقى ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك
أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقى فى ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب
الناس فى ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك
على الملك الصالح فشكا الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون
على أهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وأما الجسد
فيأكله التراب ونسوا ما فى الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل الى من كان يظن فيه خيرا وأنهم
كانوا أئمة فى الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما
رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فاغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فدأب ليله ونهاره يتضرع
الى الله تعالى ويبكى مما يرى فيه الناس ويقول أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية ثم ان الرحمن
الرحيم جل وعز الذى يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم
فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستجيب لعبده الصالح تندوسيس
وانه يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى أعطاه وأن لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيأ وأن
يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم
ذلك الرجل أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين
فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا عليهم باب الكهف
وحجبهم الله من الناس فيزعمون ان أشجع من يريد أن ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى
يرى كلبهم نائما فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محيى
الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم

يدى أمير المؤمنين وقال
وجدته كتب كذا وكذا
فقال المأمون ويلك
ما حملك على هذا فقال
يا أمير المؤمنين انه لم يخف
عنك ما حواه قصرك من
خزائن الاموال والحلى
والحلل والطعام والشراب
والامتعة والفرش والجوارى
والخدم فررت عليه وأنا فى
غاية من الجوع والفاقة
فوقفت مفكرا فى أمرى
وقلت فى نفسى هذا القصر
عامر عال وأنا جائع ولا فائدة
لى فيه فلو كان خرابا ومررت
به لم أعدم منه رخامة أو
خشبة أو مسمارا أبيعه
وأتقوت بثمنه أوما علم أمير
المؤمنين ما قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ
نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وماذاك من بغض لها غير انه
يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام أعطه
ألف دينار ثم قال هى لك فى
كل سنة مادام قصرنا عامرا
(وأنشد فى المعنى)
اذا كنت فى أمر فكن فيه محسنا

على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون منها اذا أصبحوا من ليلتهم التى يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرون فى وجوههم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شيأ ينكرونه انما هم كهيئتهم حين رقدوا يرون أن ملكهم دقيانوس فى طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم ينبئنا ما الذى قال الناس فى شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون فى الليلة التى أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك فى أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا التمستم فى المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا قالوا فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا يا تمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتغ لنا طعاما وأتنا به وزدنا على الطعام الذى جئتنا به أمس فانه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقا من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لأهل الايمان فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له أن المدينة ليست بالتى كان يعرف ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم انه رجع الى الباب الذى أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شعرى أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلى حالم ثم يرى أنه لم ينم فأخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدران المدينة وهو يقول فى نفسه والله ما أدرى ما هذا أما عشية أمس فليس على الارض أحد يذكر عيسى الا قتل وأما الغداة فأسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخشى ثم قال فى نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التى أعرفها فانى أسمع كلام أهلها ولا أعرف واحدا منهم والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجها ثم انه لقى فتى من أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال افسوس فقال فى نفسه لعل بى مسا أو أمرا أذهب عقلى والله يحق لى أن أبادر الخروج منها قبل أن يصيبنى شر فأهلك هذا ما يحدث به تمليخا أصحابه حتى يبين لهم ما هم فيه * ثم أفاق وقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بى لكان أكيس لى فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم أخرج الورق التى كانت معه فأعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله بعنى بهذه طعاما فأخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا فى الارض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل يرتعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق افصلوا قد أخذتم ورق

فعما قليل أنت ماض وتاركه
فكم دمت الايام أرباب دولة
وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

(وروى عن موسى بن عمران صلوات الله عليه) انه خرج يوما نحو الطور واذا هو برجل واقف على الطريق فقال الى أين يا نبى الله قال الى المناجاة فقال لى اليك حاجة قال فما هى قال قل له يكرمنى بقدر حبى من حبيته فلما وقف موسى عليه السلام للمناجاة نسى الرسالة من حلاوة المناجاة فناداه ربه يا موسى نسيت حاجة عبدى قال يارب أنت أعلم بما قال عبدك قال نعم ولكن الرسالة حقها أن تؤدى ومن لم يؤد الرسالة فقد خان وأنا لا أحب الخائنين يا موسى قد وهبت له جميع ما أراد فرجع موسى فلم يجده فى مكانه فقال الهى وسيدى أين ذهب الرجل صاحب الحاجة فقال يا موسى هرب منك قال لم قال من أحبنا

فأمسكتموها فلا حاجة لى فى طعامكم فقالوا يافتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين فأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل نأت السلطان ونسلمك اليه فلما سمع قولهم عجب فى نفسه ثم قال قد وقعت فى كل شئ كنت أحذر منه ثم قالوا والله يافتى انك لا تستطيع أن تكتم ما وجدت ولا تظن فى نفسك أن سنخفى عليك فتحير فى نفسه وليس يدرى ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبرهم بشئ فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه فى عنقه ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة مكبلا حتى سمع به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه و يقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا ما يدرى ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا أن أباه واخوته فى المدينة وان حسبه فى أهل المدينة من عظماء أهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا وقد استيقن أنه فى عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وانه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه وانطلقوا به الى رئيسى المدينة ومدبريها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن تمليخا أنهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران فجعل تمليخا يبكى ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض أفرغ على اليوم صبرا وأولج معى روحا منك تؤيدنى به عند هذا الجبار وجعل يبكى و يقول فى نفسه فرق بينى و بين اخوتى ياليتهم يعلمون مالقيت فيأتونى فنقوم جميعا بين يدى هذا الجبار فانا كنا قد تواثقنا السكوت معا لا نكفر بالله ولا نفترق فى موت ولا حياة أبدا ياليت شعرى ماهو فاعل بى هل هو قاتلى أم لا • هذا ما حدث به تمليخا أصحابه عن نفسه حين رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين ارموس واسطيوس فلما علم تمليخا أنه لم يذهب به الى دقيانوس أفاق وسكن مابه فأخذ أرموس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذى وجدت يافتى فقال ما وجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائى ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدرى ما شأنى وما أدرى ما أقول لكم فقال أحدهما من أنت فقال له تمليخا قال فمن أبوك ومن يعرفك بها فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكى ينفلت منكم فقام أحدهما ونظر اليه نظرا شديدا وقال له أتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال أبيك ولضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب تظن ان تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار لأعذبنك عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفنى هذا الكنز الذى وجدت فلما قال له ذلك قال له تمليخا انبئونى عن شئ أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندى فقالوا سل لا نكتمك شيأ قال ما فعل بالملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال له تمليخا فوالله ما أجد من الناس أحدا يصدقنى على ما أقول لقد كنا فتية وان الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتبهنا خرجت لاشترى لاصحابى طعاما وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون

لا يلتفت الى غيرنا فان أردت أن تراه ياموسى فادخل هذه القبة قال فدخل ونظر فاذا أسد يأكله فقال الهى ما هذا فقال هذا اسنى باحبابى فى دار الفناء انظر ياموسى الى دار البقاء فنظر فاذا بقبة من ياقوتة حمراء مثل الدنيا ثلاث مرات فقال ياموسى هذه له وأمثاله (وقيل فى هذا المعنى شعر)

طال اشتياقى فهل لى فيكمو طمع
كيف اصطبارى والاحشاء تقتطع
كيف الفرار الى من لا فرار له
موله القلب للاحباب منقطع
يبكى الديار بدمع هامل هطل
له من الجزع أحباب وما رجعوا

(وقال ابراهيم بن أدهم نفعنا الله به) نزلت مسجدا بالشام وكانت ليلة شاتية فقال لى القيم قم واخرج حتى أغلق الباب فقلت انى غريب أبيت ههنا فقال الغرباء

فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي فلما سمع أرموس ما يقول تمليخا قال
يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه
فانطلق معه ارموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف
لينظروا اليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا ان تمليخا قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم بطعامهم
وشرابهم في القدر الذي كان يأتي فيه فظنوا انه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبيناهم يظنون ذلك
و يتخوفون اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وانه بعث
اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى الفلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا
تمليخا فانه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبيناهم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني
الكهف لم يشعروا الا وارموس وأصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم
وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم انهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله
فعرفوا عند ذلك انهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا
للبعث وليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتا من نحاس
مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتحوا التابوت فوجدوا
فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونش وداسيوس
وتكريوس وبطيونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا
الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم
ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا
أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل
ثيابهم فخر أرموس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم
الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أرموس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح تندوسيس
اعجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله في ملكك فاعجل الى فتية بعثهم الله وقد
كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التي كان عليها وقال أحمدك اللهم
رب السموات والارض تطولت علي ورحمتني برحمتك فلم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي وللعبد الصالح
قسطيطوس الملك فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية
تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخروا سجدا لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم
و بكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله و يحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس
نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والانس فبينما
الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر
أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من
فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا
الله منه فأمر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب
فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا
عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل انهم لما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعوني أدخل على أصحابي
فأبشرهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم وعمي عليهم مكانهم فلم يهتدوا اليه كما ذكر علي بن أبي
طالب كرم الله وجهه فهذا خبر أصحاب الكهف و يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن

يسرقون القناديل والحصر
وقد حلفت أن لا يبيت
فيه أحد ولو كان ابراهيم
ابن أدهم فقلت أنا ابراهيم
ابن أدهم فقال كفى ما أنت
فيه حتى تكلب ثم قال
اخرج وجعل يجرني
من رجلي على وجهي
حتى رماني خارج المسجد
بازاء حمام فرأيت شابا
حسن الوجه يوقد النار في
تنور ذلك الحمام فسلمت
عليه فلم يرد علي السلام
حتى فرغ وقال ياهذا اني
أجير وخفت ان اشتغلت
بالسلام عليك أن أكون
خائنا في عملي قلت بكم
تعمل كل يوم قال بدرهم
ودانق أتقوت بالدانق
وأنفق الدرهم على أولاد
أخ لي في الله مات وتركهم
قلت له هل سألت الله في
حاجة قط قال نعم منذ
عشرين سنة وما قضيت
قلت له وما هي قال بلغني
أن فتى تميز على الزاهدين
وفاق على العابدين يقال
له ابراهيم بن أدهم فتمنيت
على الله رؤيته وأموت
فقلت له ابشر يا أخي فقد

براهم فقال انك لن تراهم فى دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف أبعثهم قال ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الثانى عمر وعلى الثالث على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أباذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها أن تطيعك ففعل النبى عليه الصلاة والسلام ما أمره به (١) فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم الى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجرا فقام الكلب حين أبصر الضوء وهر وحمل عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا ان نبى الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام مادامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم انهم جلسوا بأجمعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا اقرؤا محمدا صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدى فيقال ان المهدى يسلم عليهم فيحييهم الله تعالى له ثم انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبريل عليه السلام فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف وجدتموهم وما الذى أجابوكم فقالوا يارسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام بأجمعهم وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأنابوا وشهدوا أنك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بينى وبين أصهارى وأحبائى واغفر لمن أحبنى وأحب أهل بيتى وأحب أمتى وأحب أصحابى

﴿ مجلس فى ذكر جرجيس عليه السلام ﴾

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبى باسناده عن وهب بن منبه اليمانى قال كان فى الموصل ملك يقال له زادانه وكان قد ملك الشام كلها ودان له أهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له أفلون وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه اليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاءه وقد برز فى مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بأنواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون ألقى فى تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام مايصنع فزع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده وألقى الله فى نفسه بغضه ومجاهدته له فعمد الى المال الذى أراد أن يهديه له فقسمه فى أهل ملته حتى لم يبق منه شئ وكره أن يجاهده بالمال وأحب أن يلى ذلك بنفسه فاقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك وأن لك ربا هو الذى يملكك وغيرك وهو الذى خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك واذا قال لشئ كن يكون وانك انما عمدت الى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغنى عنك شيأ من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك له أن سأله عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته أذل عباده وأفقرهم اليه من التراب خلقت واليه أصير فقال له الملك لو كان ربك الذى تزعم كما تقول لرؤى أثره عليك كما رؤى

(١) قوله فحملتهم الريح الخ هذا معارض لقوله تعالى (رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) فليتنبه

قضيت حاجتك ومارضى لى بان آتيك الا مسحبا على وجهى فوثب من مكانه وعانقنى وسمعته يقول قضيت حاجتى فاقبضنى فوقع ميتا (شعر)

أبدى شواهده فى قلب شاهده
وانى لشاهده فيا محاكيه
الحدقة لا بين ولا صلة
هذا بيان لمعنى من معانيه

﴿وقال عطاء السلمى رضى الله عنه﴾ بعثنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى غزاة وكنا أربعة آلاف فحاصرنا قلعة على جبل لا تصل أسلحتنا اليه وفيها مجوس وأميرهم امرأة حسناء قال فطلعت على السور فنظرت الى عسكر الصحابة رضى الله تعالى عنهم فرأت شابا ملثما من العرب وكان جميلا فارسا شجاعا يضرب بالسيف ويطعن بالرمح فقالت يا ميّاه فقالت لها جاريتها مابالك قالت ان حصننا قد فتح فقالت الجارية وكيف ذلك فقالت سترين بعد ساعة ثم أرسلت الى الشاب هل أجد اليك

أترى على من حولى ومن هو فى طاعتى فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره ثم قال له أتعدل أفلون الاصم الابكم الذى لا يغنى عنك شيأ برب العالمين الذى قامت السموات والارض بأمره أم تعدل طوفليا وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان فى بدء أمره آدميا يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فأكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخليطيس وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وأمه آية للمعتبرين أم تعدل هذه الروح الطيبة التى اختارها الله بكلمته وفضلها على امائه وما نالت بولاية الله اربيل وما نالت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فأسلمها الله مع عظيم ملكها حتى اقتحمت عليها الكلاب فى بيتها فانتهشت لحمها وولغت فى دمها وقطعت السباع أوصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشئ ليس لنا به علم فائتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما حتى أنظر اليهما فانى أنكر أن يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جاءك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى وأما الرجلان فلن تراهما ولن يرياك الا أن تعمل بعملهما فتنزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك فخرت بأمور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب وبين السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان أفلون هو الذى رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت لى والا فاخسأ أيها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ونضح عليه فى خلال ذلك بالخل والخردل فحفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحميت حتى جعلت نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الالم والهلاك فلما رأى ذلك أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى اذا جعله نارا أمر به فأدخل فى جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له يا جرجيس أما تجد ألم هذا العذاب الذى تعذب به فقال ان ربى الذى أخبرتك به حمل العذاب عنى وصبرنى لاحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه على نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يخلده فى السجن فقال له الملأ من قومه انك ان تركته طليقا فى السجن يكلم الناس أوشك أن يميل بهم عليك ولكن مر له بعذاب فى السجن فيشغله عن كلام الناس فأمر به فبطح على وجهه ثم أوتد فى يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد فى كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على ظهره ثم انه حمل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه ذلك موتدا تحت الحجر فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما أيده الله تعالى بالملائكة وأول ما جاءه الوحى فقلع عنه الحجر ونزع الاوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له الحق بعدوك فجاهده فى الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فانى قد ابتليتك بعدوى هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات وفى كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كان فى القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعروا الا وقد وقف جرجيس على رؤسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس من أخرجك من السجن فقال أخرجنى الذى سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملئ غيظا ودعا بأصناف العذاب حتى لم يخل منها شيأ فلما رآها جرجيس أوجس فى نفسه خيفة وجزعا ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون فلما فرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق رأسه فنشروه حتى سقط من بين رجليه وصار جزأين ثم عمدوا الى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة أسود

سبيلا قال نعم بشرط أن تسلمى الحصن الظاهر الينا والباطن لله فقالت أما الظاهر فاعرفه وأما الباطن فما هو قال قلبك تسلمينه لله وتقرين بوحدانيته فأرسلت اليه تعالى بعسكرك فلما دخل الحصن وعرض عليها الاسلام قالت انى امرأة كثيرة الهيبة هل فى عسكرك من هو أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم فارتحلت مع العسكر ومعها أموال كثيرة حتى دخلت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت هل ههنا أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبره قالت لا أسلم الا على يديه فجلست عند قبره وقالت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قالت خرجت من دار الكفر غير انى أخشى أن أقع بعد الاسلام فى المعصية فاسأل ربك الذى أرسلك أن لا أعصيه قال ثم وضعت خدها على حائط القبر وماتت من ساعتها فقال

ضارية كانت له فى جب وكانت صنفا من أصناف عذابه فرموا بجسده اليها فلما هوى نحوها أمرها الله عز وجل نخضعت برؤسها وأعناقها وقامت على براثنها تقيه الالم فظل يومه ذلك ميتا وكانت أول موتة ماتها فلما أدركه الليل جمع الله جسده الذى قطعوه وضم بعضه الى بعض حتى سواه ثم رد الله اليه روحه وأرسل الله له ملكا فاخرجه من قعر الجب فاطعمه وسقاه و بشره بالنصر فلما أصبحوا قال له الملك ياجرجيس قال لبيك قال له اعلم ان القدرة التى خلق الله بها آدم هى التى أخرجتك من قعر الجب أخرج فالحق بعدوك وجاهد فى الله حق جهاده ومت موت الصابرين فلم يشعر الملك وأصحابه الآخرون الا وقد أقبل جرجيس وهم عكوف على عيد لهم قد صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما نظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما أشبه هذا الرجل بجرجيس فقالوا كأنه هو فقال الملك ليس هو حقا الا ترون الى سكون ريحه وقلة هيبته فقال جرجيس بل هو أنا فبئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فاحيانى الله تعالى بقدرته فهلموا الى الرب العظيم الذى أراكم ما أراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر أعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض على من كبير سحرك ما يسر عينى فقال ادع لى بثور من البقر فلما أتى به نفث فى احدى أذنيه فانشقت باثنتين ثم نفخ فى الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا ببذر فحرث و بذر ونبت الزرع وحصد ثم داس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك فى ساعة واحدة وهم يرون فقال له الملك هل تقدران تمسخ لى جرجيس دابة فقال الساحر أى دابة تطلب أمسخه لك كلبا فقال للساحر ادع لى بقدح من ماء فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه أن يشربه فشربه جرجيس حتى أتى على آخره فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت قد عطشت فلطف الله لى بهذا الشراب وقوانى به عليكم فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال له اعلم أيها الملك انك لو كنت تقايس رجلا مثلك اذا لكنت غلبته ولكنك تقايس جبار السموات والارض وهو الملك الذى لا يرام وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجرجيس وما يصنع من الاعاجيب فاتته وهو فى أشد ما فيه من البلاء فقالت له ياجرجيس أنا امرأة مسكينة ولم يكن لى مال الا ثوران كنت أحرث عليهما فماتا فجئتك لترحمنى وتدعو الله أن يحيى لى ثورى" فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيى لها ثوريها ثم انه أعطاها عصا وقال لها اذهبى الى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولى لهما احييا باذن الله تعالى فقالت له ياجرجيس ان ثورى" قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع و بينى و بينهما أيام فقال لها لو لم تجدى منهما الا شيأ يسيرا فقرعتيه بالعصا فانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعهما وكان أول شئ بدا لها من ثوريها قرن أحدهما وشعر أذنى الآخر فجمعت أحدهما الى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها فقام الثوران باذن الله تعالى وعملت عليهما حتى جاءهم الخبر بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم عند الملك انكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر وانكم قد عذبتموه فلم يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا يدرأ عن نفسه الموت أو أحيا ميتا قط فقالوا له ان كلامك لكلام رجل قد صبأ اليه فلعله استهواك اليه فقال آمنت بالله وأشهد أنى برئ مما تعتقدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقتلوه فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد اليهم الملك فلم يزل يعذبهم بألوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فاحيا لك أصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك فقال جرجيس ما خلى بينى و بينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له مخليطاس انك زعمت ياجرجيس ان الملك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمرا

عمر رضى الله عنه طوبى لمن مات وجوارحه مستريحة من المعاصى رضى الله عنهم ورضى عنا بهم (وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه) رأيت فى البادية غلاما يلوح مرة و يغيب أخرى والشخص مستور عنى فقلت بالله عليك ياصاحب الظل الا ما أظهرت نفسك لكى أراك قال فظهر فاذا هى امرأة فقالت ياذا النون ما أكثر فضولك ما تصنع بى فقلت انى أحب الصالحين فقالت لقد أحببت سواه فقلت انى أحبكم تقربا الى الله تعالى فقالت وأى فرق بينك وبين عبدة الأصنام اذ قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال فتعجبت من كلامها فبينما نحن فى الحديث اذ قالوا جاءت الخيل لنهب القافلة فبكى الناس وهى تضحك فقلت لها الناس يبكون وأنت تضحكين فقالت ما ضحكى الامن مخافتهم من مخلوق فقلت قد وجب عليك أن تسألى الله لنا فقالت نعم ثم

ان فعلته آمنت بك وصدقتك وكفيتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا وهذه مائدة بيننا عليها أقداح
وصحاف من أشجار شتى فادع ربك ينشئ هذه الكراسي والاواني كما بدأها أول مرة تعود خضراء
فيعرف كل عود منها انبوبته وورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سألت أمرا عزيزا على وعليك وانه
على الله لهين فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسي والاواني كلها وساخت
عروقها وتلبست باللحم وتشعبت وأورقت وأزهرت وأثمرت فلما نظروا الى ذلك انتسب لهم مخليطس
الذي تمنى عليه ما تمنى فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيده ثم انه عمد الى نحاس فصنع
منه صورة ثور له جوف واسع ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الحشو في
جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شئ فيها واختلط جرجيس في جوفها فلما مات جرجيس
أرسل الله ريحا عاصفا فملأت السماء سحابا أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله اعصارا ملأت
بلادهم عجاجا وقتاما حتى اسود ما بين السماء والارض فمكثوا أياما متحيرين في تلك الظلمة لا يفصلون
بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الارض
ففزع من روعها أهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا
فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل
يقال له طرقليا لا ندري يا جرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذي
يصنع فادعه يحيي لنا موتانا التي في هذه القبور فان فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له
جرجيس لقد علمت ان ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويريكم هذه الاعاجيب الا لتكون عليكم
حجة فتستوجبوا بها غضبه ثم انه أمر بالقبور فنبشت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما
برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاثة صبية واذا فيهم شيخ
كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك فقال يا جرجيس اسمي توبيل قال متى مت قال في زمان كذا
وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الى ما فعل قالوا ما بقي من أصناف
العذاب شئ الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمدوا الى بيت عجوز كبيرة فقيرة
كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحصروه في بيتها وكانوا لا يوصلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا
فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب فقالت لا والذي يحلف به ما عهدنا الطعام
منذ كذا وكذا وسأخرج ألتمس لك شيأ فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه
تعبدين قالت لا فدعاها الى الله فصدقته ثم انها انطلقت تطلب له شيأ وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة
تحمل خشب البيت فاقبل على الدعاء فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تعرف حتى
كان مما انبتت اللوبيا والبازو وهو مثل البردي يكون بالشام وظهر للدعامة فرع من فوق البيت أظله من
فوقه فاقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغدا فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت
بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابني فقال لها ادنيه مني فأدنته فبصق في
عينيه فأبصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له اطلق لسانه ورجليه رحمك الله فقال لها أخريه فان له يوما
عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال اني أرى شجرة بمكان
ما كنت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو
فيما شاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فأمر الملك بالبيت فهدم
وبالشجرة ان تقطع فلما هموا بقطعها أيبس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وأمر
بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعجل فأوقر اسطوانا وجعل في أسفل العجل

رفعت طرفها الى السماء
وقالت يا رافع السماء بلا
عماد يا من هو على فكرة
العباد بحق ما تعلم من
ودادي الا كفيتهم مؤنة
الاعادي قال فما تم كلامها
حتى أذهب الله الاعداء
وجاء الأمان وذهب الردى
ثم غابت عني فلم أرها رضي
الله تعالى عنها (وقيل) انه
كان في بني اسرائيل شاب
مسرف على نفسه بالمعاصي
فاخرجوه من بينهم فحضرته
الوفاة وهو في خربة على باب
البلد فأوحى الله تعالى الى
موسى عليه وعلى نبينا
أفضل الصلاة والسلام
يا موسى ان وليا من أوليائي
قد حضره الموت في مكان
كذا فاحضره وغسله وكفنه
وصل عليه وقل لمن كان
معك أن يصلي عليه فنادى
موسى في بني اسرائيل
فحضروه فلما نظروا اليه
عرفوه وقالوا يا نبي الله هذا
فلان الفاسق الذي
أخرجناه فتعجب موسى
من ذلك فأوحى الله تعالى
اليه انهم صدقوا لكنه لما
حضرته الوفاة في هذه

خناجر وشفارا ثم أمر بأر بعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع
فأمر بقطعة ان تحرق فالقيت فى النار حتى عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه فى
البحر فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر ان الله يأمرك أن تحفظ مافيك من هذا
الجسد الطيب فانى أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فاخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار
الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل ان يذرى فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع
جرجيس وأخبروا الملك خبر الصوت الذى سمعوه والريح الذى جمعته فقال له الملك ياجرجيس هل لك
فيما هو خير لى ولك مما نحن فيه ولولا أن يقول الناس انك غلبتنى وقهرتنى لاتبعتك وآمنت بك ولكن
أسجد لاهلون سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة ثم انى أفعل مايسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت
فادخلنى على صنمك ففرح الملك بقوله وقام اليه وقبل يديه ورجليه ورأسه وقال له أعزم عليك ان
تظل هذا اليوم ولا تبيت هذه الليلة الا فى بيتى وعلى فراشى وفى كرامتى حتى تستريح ويذهب عنك وصب
العذاب ويرى الناس كرامتك على فاخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى اذا أدركه الليل قام يصلى ويقرأ
الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر الا وهى خلفه تبكى فدعاها
جرجيس الى الايمان فآمنت به وأمرها فكتمت ايمانها فلما ان أصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام
ليسجد لها فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها توبخ جرجيس والناس مشتغلون
عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظروا واذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس
اليه مقلما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فنطق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم
من عاتق أمه يمشى على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدى جرجيس
قال له اذهب فادع لى هذه الاصنام وهى يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون
معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعو الاصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك ويعزم عليك
بالذى خلقك الا ما أجبتيه فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركض
الارض برجله فخسف بها وبمنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف
فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس اخبرنى أيها الروح النجسة
والخلق الملعون ما الذى يحملك على ان تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم أنك وجندك
تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل
وبين هلكة واحد من بنى آدم وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله وانه ليقع لى من الشهوة واللذة
فى ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم ياجرجيس أن الله تعالى أسجد لأبيك آدم جميع
الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا خلى سبيله
جرجيس فما دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعدها فيما يذكرون أبدا فقال الملك ياجرجيس
غررتنى وخدعتنى وأهلكت آلهتى فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم انها لو كانت آلهة
لامتنعت منى فكيف تثق ويلك بآلهة لم تمنع نفسها منى وانما أنا مخلوق ضعيف لا أملك الا ما ملكنى
ربى فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت لهم أفعال
جرجيس والعبر التى أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فيخسف
بكم الارض كما خسف بأصنامكم الله الله أيها القوم فى أنفسكم فقال لها الملك ويحك يااسكندرة
ما أسرع ما أضلك هذا الساحر فى ليلة واحدة وأنا أقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر منى بشئ فقالت

الغربة نظر يمينا وشمالا فلم
ير أحدا ورأى نفسه غريبة
وحيدة ذليلة منكسرة
فرفع بصره الى وقال الهى
وسيدى ومولاى عبد من
عبيدك غريب فى بلادك
فلو علمت أن عذابى يزيد
فى ملكك لم أسألك المغفرة
وليس لى رجاء الا أنت وقد
سمعت فيما أنزلت تقول انى
أنا الغفور الرحيم أكان يحسن
أن أرده يا موسى وقد توسل
بى وتضرع الى وعزتى
وجلالى لو سألنى فى المذنبين
من أهل الارض لوهبتهم له
وأنا الغفور الرحيم (وروى)
انه كان فى بنى اسرائيل ملك
جبار وكان يكره الفقراء
والصدقة ونادى فى المدينة
كل من تصدق بشئ قطعت
يده وكان فى المدينة امرأة
صالحة مات زوجها ومعها
ولدان فكانت تغزل
وتشترى كل يوم دقيقا
وتعمل منه ثلاثة أقراص
لها وللولدين فبينما هى
على تلك الحالة اذ مر سائل
ببابها فأعطته قرصا صدقة
وقالت له لاتأكل عند أحد
خوفا عليه من الملك فأخذه

لها مارأيت الله كيف يظفره بك و يسلطه عليك فيكون له الفلاح والحجة عليك فى كل موطن فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التى كان علق عليها وجعلت عليها الامشاط التى جعلت على جرجيس فلما آلمها قالت ادع ربك يا جرجيس فيخفف عنى فانى قد آلمنى العذاب فقال لها انظرى فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ما الذى يضحكك قالت أرى ملكين فوق معهما تاج من حلى الجنة ينتظرون به خروج روحى فلما خرجت روحها زيناها بذلك التاج ثم صعدا بها الى الجنة فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتنى بهذا البلاء لتعطينى منازل الشهداء فهذا آخر أيامى الذى كنت وعدتنى فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم انى أسألك أن لا تقبض روحى ولا أزول من مكانى هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونقمتك مالا قبل لهم به حتى تشفى به صدرى وتقر به عينى فانهم ظلمونى وعذبونى فيك اللهم وأسألك أن لا يدعو بعدى داع فى بلاء وكرب فيذكرنى وينشدك باسمى الا فرجت عنه ورحمته وأجبته وشفعتنى فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك قال الاستاذ وكانت قصة جرجيس فى أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿ باب فى قصة شمسون النبى عليه السلام ﴾

قال الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر (أخبرنا) أبو عمرو العراقى باسناده عن ابن أبى نجيح أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التى لبس الرجل فيها السلاح فى سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله الضبى باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه قد جعلته نذيرا وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم فى الله فيقتل منهم ويسبى ويصيب الأموال وكان اذا قاتلهم لقيهم بالجفنة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى وكان قد أعطى قوة فى البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فجاهدهم فى الله ألف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شئ فاحتالوا عليه وقالوا لا نأتيه الا من قبل امرأته فجعلوا لها جعلا على ذلك فأجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فأعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فأوثقى يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام أوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذبه بيده فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فأرسلت اليهم وقالت لهم انى قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيأ فأرسلوا اليها بجامعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها فى عنقه فلما نام جعلتها فى عنقه ثم أحكمتها فلما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل فى الارض شئ يغلبك قال لا الا شئ واحد قالت وما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أمى كانت أخبرتنى أن لا يغلبنى شئ أبدا ولا يغيظنى الا شعرى فلما نام أوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فأوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا وأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفقؤا عينيه وأوقفوه

ومضى فلما كان فى بعض الطريق أخرج القرص ليأكله فلقيه بعض أعوان الملك وقال له من أين أتاك هذا الرغيف فقال أعطتنيه امرأة فقبض عليه ورجع به الى الملك وأخبره بقصته فقال امضوا به الى موضعها وائتونى بها والفقير يحسب أنه يريد أن يعطيها شيأ عوض صدقتها فأحضروها عند الملك فقال لها أما سمعت النداء ثم أمر بقطع يدها فقطعت وعلقت فى عنقها فجاءت الى منزلها وأقامت تعبد الله وكانت صائمة قائمة الى أن أفطرت ونامت وهى شاكرة لله تعالى فلما أصبح الصبح مر فقير وقال يا من يتصدق بصدقة تنفعه فأعطته قرصا من أقراص أولادها فذهب وهو يقول جزى الله عنى هذه المرأة خيرا كما انها تصدقت على فسمعه أحد خدام الملك فقبض عليه وأتى به الى الملك فأمر باحضارها فحضرت بين يديه فأمر بقطع يدها الاخرى فقطعت وباتت بمنزلها واذا بسائل

الناس بين ظهرانى المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فامر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التى عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعا فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدما وهلكت أيضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون فى أيام ملوك الطوائف والله أعلم

(باب فى قصة أصحاب الاخدود)

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس انه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك انى قد كبرت فابعث لى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله بن الثامر يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يتخلف عن الساحر وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبطئ عند الراهب ويأتى المعلم فيضربه ويقول له ما الذى حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له ما أبطأك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسنى أبى واذا أتيت أباك فقل حبسنى المعلم وكان فى تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فمر بها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها اقتلها فاتى الراهب وأخبره فقال له الراهب أنت قتلتها قال نعم قال ان لك لشأنا وقد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويشفى المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاء مع قائده وقال له أنت قتلت الحية قال لا قال فمن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله أن يرد على بصرى فقال له الغلام أرأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فقال له الملك أخبرنى من علمك هذا فابى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجىء بالغلام فقال له الملك يا بنى قد بلغ من سحرك هذا فقال له الغلام انى لا أشفى أحدا وانما يشفى الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجىء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار ووضعه فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جىء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ثم جاء الغلام يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فغاظ الملك ذلك فدفعه الى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به فى قرقور وهى السفينة واطرحوه فى البحر ولججوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فى البحر وغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك اقتلوه بالسيف فنبا السيف عنه وفشا خبره فى الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا أنه هو وأصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلى الأن

يقول من يتصدق على الجائع المسكين الذى طاف هذه المدينة فلم يعطه أحد من أهلها لقمة واحدة قال فلما سمعته أخرجت اليه قرصا فاخذه ومضى فاذا برجل من أعوان الملك فقبض عليه وأتى به الى الملك فاخبره بالمرأة فقال هى لم تنته وأمر بقطع رجلها وأقامت تلك الليلة واذا بسائل يقول يا من يتصدق على الفقير المسكين الذى له مدة وهو مسافر وليس له قوت الانبات الارض فزحفت وأعطته قرصا فرآه نديم الملك فاخبره بما كان من المرأة فأمر بقطع رجلها الاخرى فاقامت الى أن أفطرت فلما جاء الفجر زحفت الى البحر لتتوضأ وكان قريبا من بابها فاستيقظ أولادها فلم يروها فصاروا يحبون حتى خرجوا من الدار واذا بذئب واقف على الباب فخطف أحدهما فى فمه فلما رأته أمه زحفت خلف الذئب فلم تلحقه فرجعت وهى صابرة حامدة شاكرة فرأت الولد الآخر صار يحبو الى البحر حتى

تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فتصلبني على جذع وترميني بسهم وتقول باسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله فأصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبدالله بن الثامر ولا دين الا دينه فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه في الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك أترجعين عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقى في النار ثم أخذ الاوسط وقال لها ارجعي عن دينك فأبت فألقى أيضا في النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي فأبت فأمر بالقائه في النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا أماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فألقي الصبي في النار وأمه على أثره وقد روي هذا بنحو ما ذكرناه مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معناه وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود (وقال سعيد بن المسيب) كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فانطياخوس الرومي أحرق قوما من المؤمنين وأما الذي بفارس فهو بختنصر (وكانت قصته) ما أخبرنا عبدالله بن حامد باسناده عن ابن أبزى قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نبي عمر فاجتمعوا وقالوا أي شيء نجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركي العرب فقال علي كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه انك تخطب الناس فتقول أيها الناس ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات اذا ذهب هذا في الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال أيها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو ما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع الى أخته وقال ويحك ان الناس قد أبوا علي فقالت أبسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا فقال لها ان الناس قد أبوا فقالت جرد فيهم السيف فأبوا أن يقروا قالت خد لهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن أبى فاقذفه في النار فخد الاخدود وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله فأنزل الله تعالى فيهم قتل أصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق وأما الذي في اليمن فهو يوسف ذو نواس ابن شرحبيل بن تبع بن بشرخ الحميري وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحق بن بشار عن وهب بن منبه أن رجلا كان بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فأجابوه فخيرهم ذو نواس بين النار أو اليهودية فأبوا عليه فأحرق منهم اثني عشر ألفا وقال مقاتل انما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال الكلبي كان أصحاب الاخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار الى أعلى شفير الاخدود فأحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثني عشر ذراعا ونجا ذو نواس فسلط الله

القلب فيه ولم تدركه أمه فقالت اللهم اني استودعتكها يا من لا تخيب عنده الودائع يا أرحم الراحمين فلما أتمت دعاءها حتى فتحت أبواب السماء وضجت الملائكة بالتسبيح والتقديس لله رب العالمين فأمر الجليل جبريل فنزل اليها وقال لها يا أمة الله أمرني رب العالمين أن أرد يديك ورجليك وولديك ببركة الصدقة ثم أخذ يديها ورجليها وألصقها بقدرة من يقول للشيء كن فيكون فقامت باذن الله تعالى ورد الله تعالى عليها ولديها من الذئب والبحر فبلغ ذلك الملك فأحضر المرأة بين يديه وتعجب في صنع الله تعالى فقالت له ان الذي تصدقت من أجله رد على يدي ورجلي وأولادي فقام على قدميه وقال آمنت بالذي خلقك وسواك وصار يعبد الله تعالى حتى توفاه الله هو والمرأة في يوم واحد ووضعا في قبة من الجنة وارتفعت بهما الى السماء حتى خفيت عن الابصار نفعنا الله بهما وببركاتهما

عليهم ارياطا الحبشي حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فأغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو ابن معديكرب

أتوعدني كأنك ذو رعين ☆ بأنعم عيشة أو ذو نواس
وقدما كان قبلك في نعيم ☆ وملك ثابت في الناس راسي
قديم عهده من عهد عاد ☆ عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى أهله بادوا وأمسى ☆ ينقل في أناس من أناس

(باب قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحق بن بشار كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من علماء اليمن وغيرهم أن ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذو نواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الا ما كان من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر فدعاهم الى اليهودية فأبوا فخيرهم فاختاروا القتل فخد لهم الأخدود وصنف لهم أصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من ألقي في النار الا رجلا من أهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم في الرمل فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكني أكتب ذلك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له الى النجاشي يأمره بنصره فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واخرب ثلث بلادها وابعث الي بثلث سباياها فلما دخلها تناوشهم القتال فتفرقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد به ودخلها ارياط فعمل بما أمره النجاشي فقال ذو جدن الحميري فيما أصاب أهل اليمن

دعيني لا أبالك لن تطيقي ☆ لحاك الله قد أنزفت ريقي
لدى عزف القيان اذا انتشينا ☆ اذا نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس علي عارا ☆ اذا لم يشكني فيها رفيق
وان الموت لا ينهاه ناه ☆ ولو شرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب في أسطوان ☆ يناطح جدره بيض الانوق
وغمدان الذي نبئت عنه ☆ بنوه مسمكا في رأس نيق
منهمة وأسفله جروب ☆ وحر الموحل اللثق الزليق
مصابيح السليط يلحن فيه ☆ اذا يمسي كومضان البروق
فأصبح بعد جدته رمادا ☆ وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست اليه ☆ يكاد البسر يهصر بالعذوق
وأسلم ذو نواس مستبينا ☆ وحذر قومه ضنك المضيق

قال فأقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشي أن اثبت بجندك ومن معك فأقام حينا ثم ان أبرهة بن الصباح ساخطه في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت مع طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع شيأ فلا نلقي الحبشة بعضها على بعض ولكن اخرج الي فأينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فأرسل اليه انك قد أنصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما وبيده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا حليما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزير له يقال له عتودة فلما دنوا رفع ارياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت

في الدنيا والآخرة آمين (وقيل) كان ببغداد رجل يعرف بابن الرومي وكان له زوجة واولاد فنزل بالناس مجاعة عظيمة فاقام الفتى وعياله ثلاثة أيام لم يعرفوا الطعام واشتد بهم الامر فلما كان في اليوم الرابع قالت زوجته وكانت بنت عمه يا ابن عمي أنا وانت نصبر على الجوع فكيف الحيلة في هؤلاء الاطفال فقال لها تعرفين شغلا أفعله قالت نعم امض الى سوق البنائين فلو عملت بنصف درهم كان فيه قوت الاطفال فقال حبا وكرامة قال فاخذ فاسا وزنبيلا وخرج يطلب سوق البنائين فوجد في طريقه مسجدا مهجورا فدخله وقال وعزتك وجلالك لا عملت اليوم الا لك وكان بوضوء صلاة الفجر قال فاستقبل القبلة ولم يزل راكعا وساجدا يومه كله فقرأ في ذلك اليوم في صلاته سورة الاخلاص أحد عشر ألف مرة ثم صلى المغرب وهم بالخروج فقال في نفسه كيف أمضي الى أهلي وماذا

على جبينه فشرمت عينه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة الأشرم فلما رأى عتودة ذلك
حمل على ارياط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبلغ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب عليه وحلف
لا يدع أبرهة حتى يجز ناصيته و يطأ بلاده ثم انه كتب الى أبرهة انك عدوت على أميرى فقتلته بغير أمرى
وكان أبرهة رجلا ماردا فلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملأ جرابا من تراب أرضه وكتب الى
النجاشي أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا عبدك اختلفنا في أمرك وكنت أعلم بأمر الحبشة
وأسوس لها وكنت أردته أن يعتزل فأبى فقتلته وقد بلغني الذي حلف عليه الملك وقد حلقت رأسي
و بعثت به اليك وملأت جرابا من تراب أرضي و بعثته اليك ليطأه الملك فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك
رضي عنه وأقره على عمله وكتب اليه أن اثبت بمن معك من الجند ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال
لها القليس ثم انه كتب الى النجاشي انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم ير الملك مثلها قط ولست
منتهيا حتى أصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج الى القليس فدخلها
ليلا فقعد فيها تهاونا بها وتعصبا للكعبة فبلغ ذلك أبرهة ويقال انه أتاها ناظرا اليها فدخلها فوجد
العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذي يحجونه
سمع بالذي قلت فصنع هذا فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فخرج سائرا من
الحبشة الى مكة وأخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم
فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذونفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه وأخذ ذونفر فأتى به أبرهة
فقال له أيها الملك لا تقتلني فان استبقاءك لي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما
ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من ديار خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما
شهران وناهس ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا أسيرا فقال له أيها الملك
انى دليلك بأرض العرب فلا تقتلني وها أنا أنادى على قومي بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه
يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن مغيث الثقفي في رجال من ثقيف وقال له أيها الملك انما
نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا الذي تريد يعني به اللات انما تريد البيت
الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا بالمغمس
مات أبو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب و بعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود
ابن مقصود على مقدمة خيله لجمع اليه أموالا وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مائتي بعير ثم ان أبرهة بعث حناطة الحميري الى أهل مكة سفيرا فقال سل عن شريفها ثم أبلغه انى لم آت
لقتال انما جئت لأهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال له ان
الملك أرسلني اليك لاخبرك أنه لم يأت لقتال الا أن تقاتلوه انما أتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف
عنكم فقال عبد المطلب سنخلى بينه و بين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام و بيت خليله ابراهيم
عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه و بين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال
فانطلق معى الى الملك فزعم بعض العلماء انه أردفه على بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض
بنيه حتى قدم العسكر وكان ذونفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال له ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل
بنا فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن من أن يقتل بكرة أو عشية ولكني سابعث لك الى أنيس سائس
الفيل فانه صديق لي فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير و يعظم منزلتك وحظك
عنده قال فأرسل الى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعطى و يطعم الناس من
السهل والجبل والوحش والطير في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت أن تنفعه

أقول لهم ان قالوا ماذا
عملت وعزتك وجلالك
لا برحت حتى أصلى العشاء
الاخيرة ولم يزل راكعا
وساجدا حتى صلى العشاء
الاخيرة ومضى الى منزله
فسمع ضحكا عظيما فظن
في نفسه شرا وقال انا لله وانا
اليه راجعون خبت عن
المرأة ومعها الاطفال وهم
في شدة عظيمة من الجوع
فليت شعرى ما جرى عليهم
ثم بكى بكاء شديدا وقرع
الباب فخرجت اليه زوجته
مسرعة وقالت له أهلا
وسهلا وهي فرحة مسرورة
ثم قالت ما كان يومك الا
مباركا أشبع الله بطنك كما
أشبعت بطوننا فدخل
المنزل فرأى فيه نورا عظيما
فالتفت فاذا بمائدتين
عظيمتين على كل مائدة
منديل حسن فقال ما هاتان
المائدتان قالت يا ابن عمى
أنا جالسة في وقت الغروب
وقد أجهدني الجوع
والاطفال يتجرعون
الموت واذا بطارق يطرق

عنده مقاتعه فانه صديق لي واني أحب مايصل اليه من الخير ثم ان أنيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب فقال له أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فان رأيت أن تأذن له فيكلمك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما دخل عليه جلس بين يديه فأقامه وأجلسه معه على السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي أن يرد على مائتي بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له ولم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني فقال له أنت وذاك ثم أمر بابله فردت عليه قال محمد بن اسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب الى أبرهة بعمرو بن معدى كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة وخويلد بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى ان يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب رجع فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب و يتحرزوا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا • يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا • فامنعهم أن يخربوا قراكا

﴿ وقال أيضا ﴾

لاهم ان المرء يمـ • ـنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليـ • ـب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم • ومحالهم أبدا محالك
جروا جموع بلادهم • والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم • جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ • ـبتنا فأمر ما بدالك •

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله في الارض عظما وقوة وجسما وقال الكلبي لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) وانما وحد على هذا التأويل لوفاق رؤس الآى ويقال نسبهم الى الفيل الاعظم قال فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم فأخذ بأذنه وقال ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى أن يقوم فضربوه بالمعول في رأسه فأبى فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ثم ان نفيلا خرج من عندهم وصعد في الجبل وأرسل الله تعالى طيرا من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى طيرا أبابيل أى متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور وأكف كأكف الكلاب

---

١ (قوله وانما وحد الخ) المراد أن الافراد في الآية على هذا القول لوفاق رؤس الآى

الباب فنهضت الى الباب ففتحته فاذا بغلام شاب وعليه حلتان خضراوتان ومعه اثنتان معهما مائدتان فقال يا أيتها الشابة هذا منزل ابن الرومي قلت نعم قال هذه صرة فيها ألف دينار ادفعيها لبعلك وقولي له مولاك يقرئك السلام ويقول لك زد في العمل أزدك في الاجرة وهذا عشاؤه قالت فاخذت ذلك منه وانصرف ثم دخلت وكشفت المائدتين فوجدت عليهما طعاما طيبا وخبزا كثيرا ونعمة عظيمة ما رأيت مثلها قط فبالله يا ابن عمي عند من عملت اليوم قلت لها عند ملك كريم ما رأيت قط أسخى منه ولا أكرم عملت عنده شيأ يسيرا فاعطاني هذا الخير الكثير فقالت يا ابن عمي أكلنا أنا والأولاد فكل أنت ونم فقال ان علي صلاة فاذا أديت صلاتي نمت ثم أقبل الى المحراب ولم يزالا كما

وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعد هو قال ربيع لها أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال أبو الجوزاء أنشأها الله في الهواء في ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أي سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف مأكول أي كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

﴿ وقال أيضا في ذلك ﴾

ألا حييت عنا يا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا

ردينة لو رأيت ولم تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا

اذا لعذرتني وحمدت أمري * ولم تأسى على ما فات بينا

حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة ترمى علينا

وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طير الابابيل كانوا أقبلوا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة أصغرها مثل رؤس الرجال وأكبرها كالابل البزل ما رمت أصابت وما أصابت قتلت ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله تعالى على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة تبعتها مدة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما بقي من أصحابه فمات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر حديث أصحاب الفيل هو ان فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي سندها حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضه الماسرخسان فنزل القوم في سندها فجمعوا حطبا وأججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهجت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريخ الى النجاشي فأخبروه فأسف عند ذلك غضبا للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا عاقلا وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لا نستغني فيه عن رأيك فما رأيك فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها هديا لله تعالى وقلدها نعلا وأثبتها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا سيمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزرا ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيأ فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤسنا له فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب والله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وانها لطير بأرضنا غير مؤنسة قال ما قدرها

ساجدا حتى مضى من الليل أكثره فغلبه النوم فنام فرأى في النوم كأنه واقف بين يدي الله تعالى وهو يقول يا ابن الرومي كيف رأيت معاملتنا قلت خير المعاملة فقال يا ابن الرومي قد رفعت لك عشرة آلاف درجة وكتبت لك عشرة آلاف حسنة ومحوت عنك مائة ألف سيئة فهل أنت عني راض قلت نعم يارب فقال يا ابن الرومي اسألني أعطك قلت يارب أسألك أن تقبلني على ما أنا فيه وعليه من قبل أن تقبضني اليك فقال الله تعالى اني مقدر الآجال لا أزيد فيها ولا أنقص وقد بقي من عمرك تسعة أيام قلت الهي احفظني حتى تتوفاني مسلما فقال حفظتك قلت وعزتك لأزيدن في العمل فقال الله وعزتي وجلالي لأعطينك براءة من النار ولأسكننك جواري في دار القرار قال فانتبهت من نومي فحدثت

(٢) (قوله أي سنك كل) لفظ فارسي معرب به سجيل

بقال امثال اليعاسيب فى مناقيرها حصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها بعضا امام كل فرقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها بجبالهم أهالت الطير ما فى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم انهما مشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من معسكر الفيل فاذاهم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها و يقطع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطلب أخذ فاسا وحفر حتى أعمق فى الارض فملأ من الذهب الاحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملأها ثم قال لابى مسعود هات خاتمك وأخيرك فاختر فان شئت أخذت حفرتى وان شئت أخذت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال له أبو مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى جعلت أجود المتاع فى حفرتى فهو لك ثم جلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس فرجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذرعا وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال الى أن ماتا (وقال الواقدى) باسانيده غزا النجاشى ارياط فى أربعة آلاف الى اليمن فغلب عليها فأكرم الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الاشرم أبو يكسوم فدعا الى طاعته فأجابوه فقتل ارياط وغلب على اليمن فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسأل أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فما هو قالوا من حجر قال فما كسوته قالوا ما يأتى من ههنا من الوصائل فقال والمسيح لابنين خيرا منه فبنى لهم بيتا بالرخام الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له أبوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالمندل و يلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وأمر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون و يتنسكون فامهل نفيل الخثعمى حتى كان ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فاخبر أبرهة بذلك فغضب أبرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك غيظا لاجل بيتهم ثم انه قال لأنقضنه حجرا حجرا ثم انه كتب الى النجاشى يخبره بذلك و يسأله أن يبعث اليه بفيله محمود وكان فيلا لم ير مثله فى الارض عظما وجسما وقوة فبعثه اليه فغزا البيت كما ذكرنا الى أن قال أقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طير ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره فقذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيأ الا هشمته و بعث الله سيلا أتى اليهم فذهب بهم الى البحر فألقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هاربا فجعل أبرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات وأما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا وأما الفيلة الأخر فتشجعت فحصبت وهلكت وهو أول وقت رؤى عليه الجدرى والحصبة وقال أمية بن أبى الصلت فى ذلك

ان آيات ربنا بينات * مايمارى بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور
حوله من رجال كندة فتيا * ن مصاليت فى الحروب صقور
غادروه وقد تولوا سراعا * كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبى لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا أبرهة الأشرم بن يكسوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشى فأخبره بما أصابهم فلما استتم كلامه حتى رماه الطائر فسقط ميتا فأرى الله

زوجتى بما رأيت لحزنت حزنا شديدا ثم انى اشتريت لها ولأولادها منزلا يأوون فيه وخادما يخدمهم وودع اخوانه وأهله يوم التاسع ومضى الى محرابه وصلى فيه ماشاء الله ثم جعل وجهه الى الكعبة وقضى نحبه ولحق بربه رحمة الله تعالى عليه (وروى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه) ان أسدا دخل فى قرية فى بنى اسرائيل فاخذ منها صبيا فالقاه على ظهره وأتى به الى مكانه ليأكله فعلمت أمه بذلك فتبعته صائحة مستغيثة فبينما هى كذلك اذ ظهر فارس وعليه ثوب أبيض وعمامة بيضاء و بيده رمح فقال للاسد يا أبا الحرث ضع الولد وامض بسلام فلما سمع الاسد ذلك منه ألقى الولد عن ظهره ودخل مكانه ولم يتعرض له بسوء فقالت أمه للفارس من أنت الذى أحييت ولدى فقال الملك

النجاشي كيف كان هلاك أصحابه (وقال الواقدي) كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به (واختلفوا في تاريخ عام الفيل) فقال مقاتل كان أمر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقال عبيد بن عمير والكلبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة وقال آخرون كانت قصة الفيل في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال حدثنا عبد العزيز بن ثابت حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الجوزاء قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لغياث بن أسيم الكناني يا غياث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بي أمي على روث الفيل ويدل عليه أيضا ما روى أن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان فلما كفى الله أمر أصحاب الفيل عظمت العرب قريشا وقالوا هم أهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل أعلم وأحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين

{ يقول الفقير اليه تعالى (ابراهيم بن حسن الانبابي) خادم العلم ورئيس لجنة التصحيح بمطبعة الشيخ الجليل (مصطفى البابي الحلبي وأولاده) بمصر المحروسه }

الحمد لله الذي قص علينا في كتابه الحكيم من أخبار الانبياء والمرسلين ما به عبرة لكل ذي قلب سليم ليستيقظ الغافلون ويعلم الجاهلون والصلاة والسلام على من أطلعه الله على ما كان وما يكون وآله ذوي العلوم اللدنيه وأصحابه المستضيئين بأنوار معارفه الالهيه

(وبعد) فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب قصص الانبياء الموسوم بالعرائس الحاوي من الأخبار نفائس النفائس للعلامة الفاضل واللوذعي الكامل أبي اسحق أحمد بن محمد الثعلبي رحمه الله وأثابه رضاه

وقد تحلت طرره ووشيت غرره بكتاب روض الرياحين في مناقب الصالحين للامام اليافعي رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه وذلك بالمطبعة المذكورة ذات المآثر المشهورة والمعارف المأثورة الثابت محل ادارتها بشارع التبليطة بسراي نمرة ١٢ بجوار الجامع الازهر والمعهد الاعلى الانور بمصر المحروسة المحميه حرسها رب البريه وقد وافق التمام أواخر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٤٠ من هجرة بدر التمام عليه وعلى آله وأصحابه أفضل صلاة وأزكى سلام آمين



الموكل بالرحمة أرسلني الله عز وجل الى هذا الاسد لاخلص ولدك منه كما رحمت يوم كذا وكذا مسكينا وتصدقت عليه بقرص من الخبز فلقمة بلقمة ففرحت المرأة بذلك وأخذت ولدها وانصرفت (وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لاتدفع البلاء المبرم النازل من السماء (وروت عائشة رضي الله عنها) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال السخاء شجرة أصلها في الجنة وأغصانها متدلية في الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى الجنة وان البخل شجرة أصلها في النار وأغصانها متدلية في الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى النار (وقال) صلى الله عليه وسلم البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار والسخي قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار أجارنا الله منها ومن عذابها ومن كل عمل يقرب بنا اليها آمين